

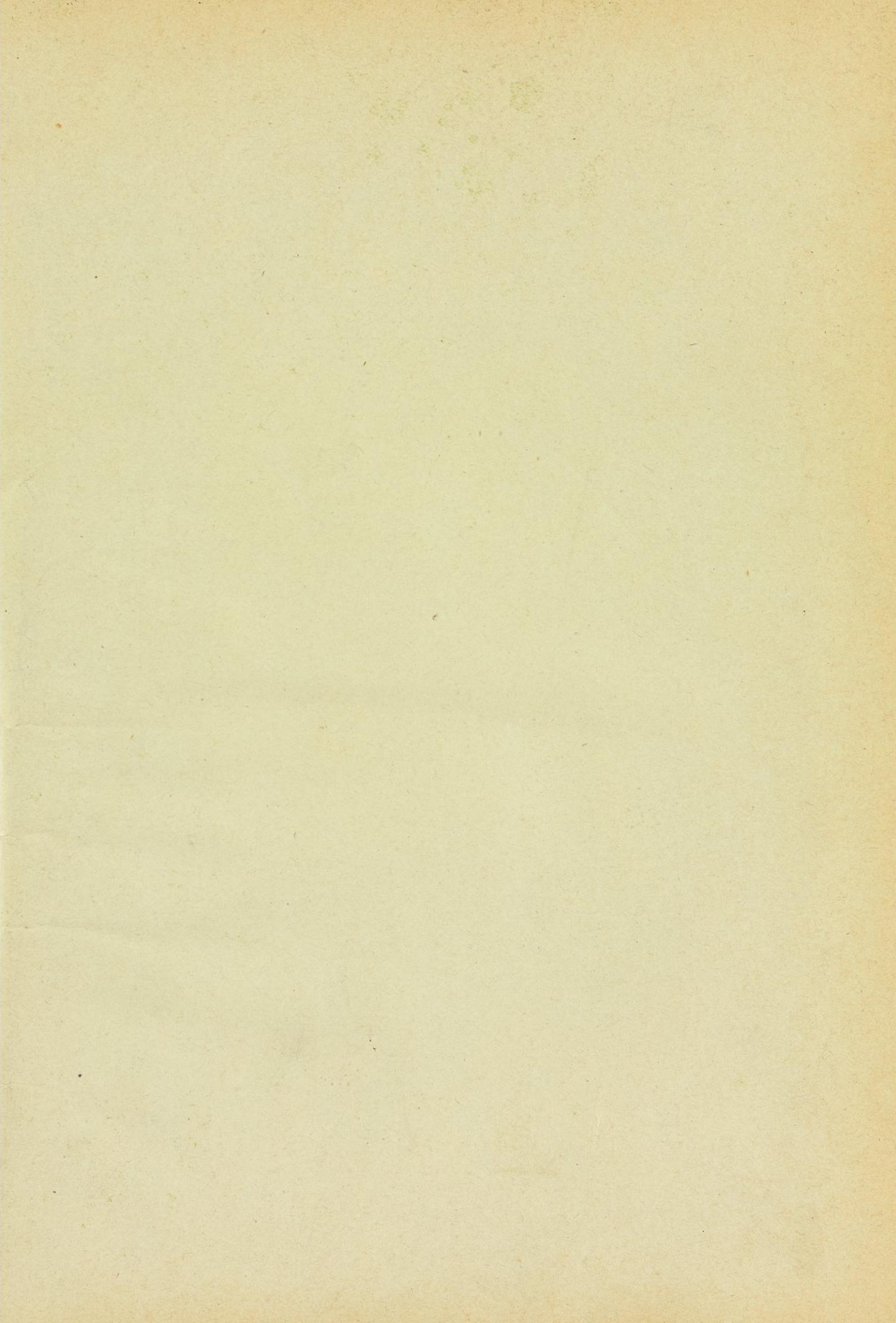


Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES







PT 150-1070 for 3 vols Bound
in Bang 0 5/3/45

(C)

٨٢ / ٤ / ٢
كتاب الحج

كتاب الحج

مِنْ خَطِّ الْأَسْتَوْلِ الْمَصِيرِ

من فجرها إلى ضياعها

من سنة ١٨٦٩ إلى ١٨٨٩ م

الجزء الأول

المبر

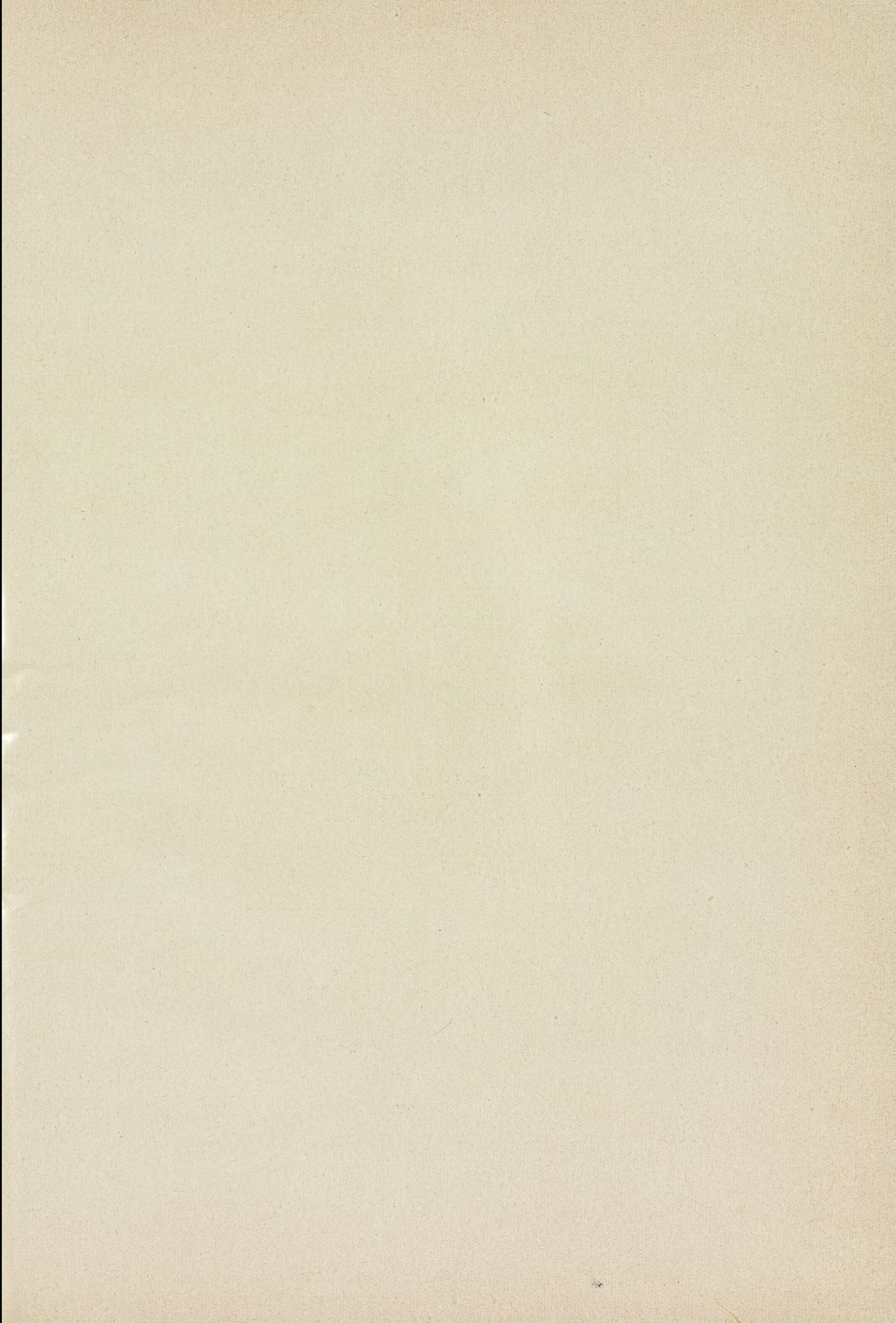
عمر طوسون

سنة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٧ م

962
T 87
v.1



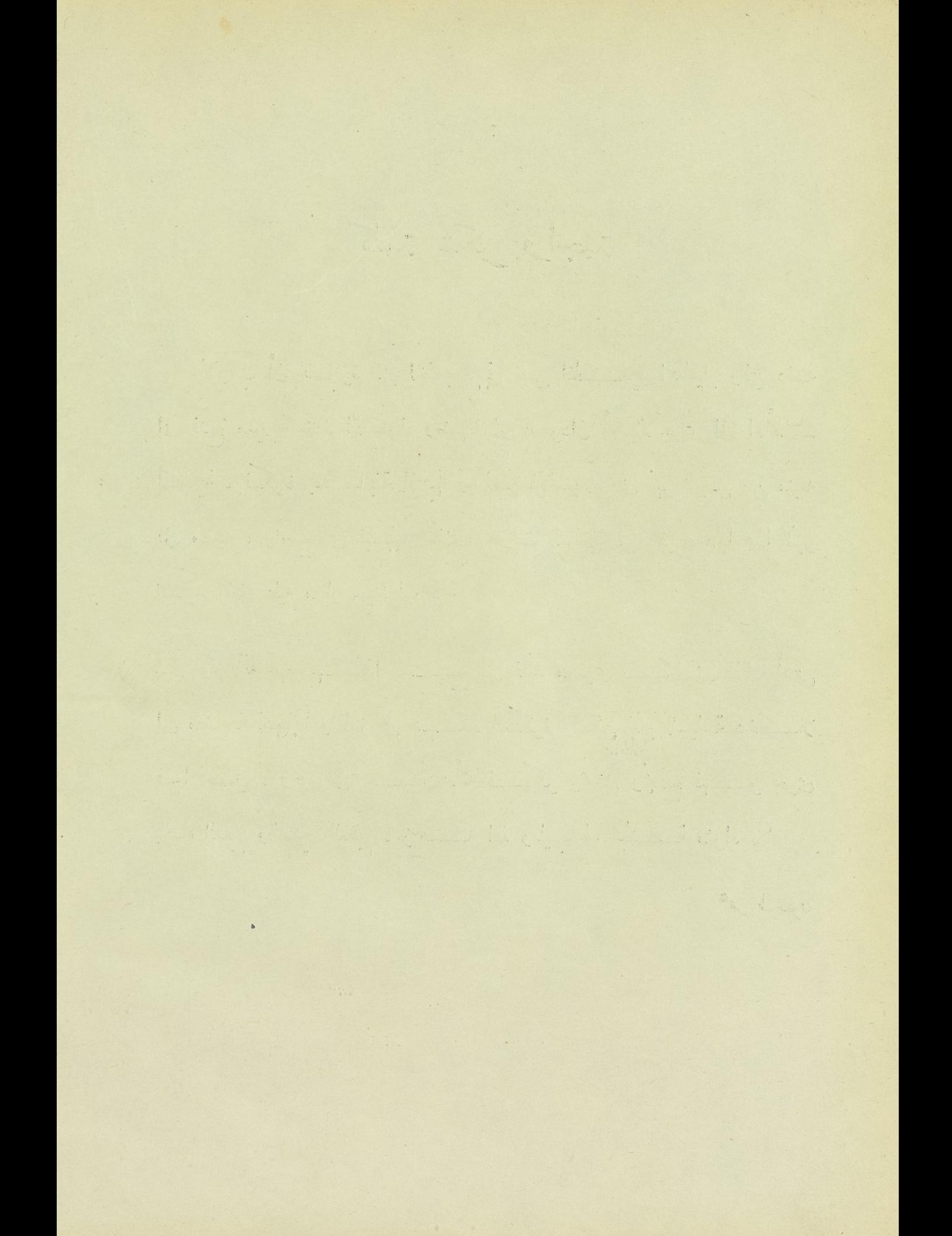
الأخ ديو اسماعيل



كلمة شكر واجبـة

لاريب أن الفكرة التي اخترجت في نفس الخديو اسماعيل والتي دفعته
إلى فتح مديرية خط الاستواء وضمها إلى السودان أو بالأحرى إلى الأماكن
المصرية ، فكرة جد صائبة إذ بهما تم لمصر الاستيلاء على نهر النيل من منبعه
إلى مصبه ، وأصبح في قبضتها تلك البحيرات العظمى التي يخرج منها هذا النهر
السعيد الذى عليه مدار حياة البلاد .

عمر طوسي

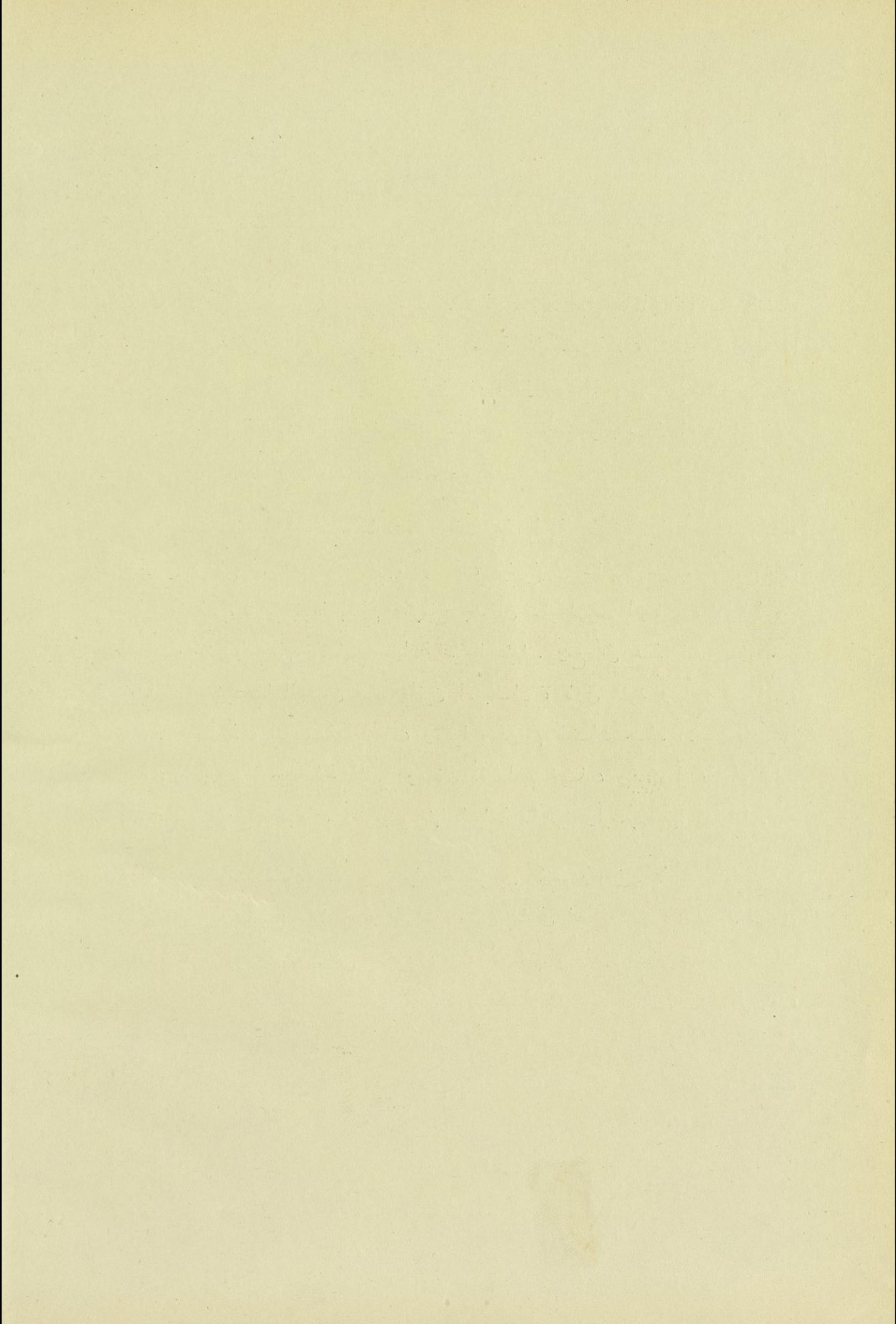


اهداء الكتاب

هذا كتاب وضعناه عن مديرية خط الاستواء ، وقد سبق لنا ان قلنا فيما كتبناه عن هذه المديرية صارا انها الزم لمصر من مدينة الاسكندرية . وسيوضح صدق هذا القول لمن يقرءون هذا الكتاب بل سيعرفون منه أكثر من ذلك أن هذه المديرية هي جنة افريقية ، وأنها الفردوس الارضي المفقود الذى فقدته مصر بعد أن استحوذت عليه وبذلت في سبيله بدر الاموال ومهج الرجال .

وكما حفت جنة الآخرة بالكاره فقد حفت هذه الجنة الارضية بها فأحيطت بالمياه الآجنة التي تكمن في قاعها جرائم الاوبئة ، ويفرخ في سمائها الذباب الفتاك بالناس والحيوان ، وقد أحاطها بنوها بالظبي والرماح بعد أن سقوها السم الزعاف ، وجعلوا من هذه الأسنة المشرعة ومن أجسامهم المتراصة سياجاً عليها . ومع كل هذا فقد شقت مصر طريقها إليها بجنودها المصريين والسودانيين الأبطال ، ذوى القوة والبأس والصيال ، فاستهدفوا جميعاً لهذه الاوبئة الويلة ، وتلقوا بتصورهم طعنات هذه الأسنة المسمومة المصوقة ، حتى اذا فتحها الله عليهم ورسخت أقدامهم فيها ، وعملت أيديهم في تطهير جوها ، وتمدين أهلها ، أخرجتهم منها السياسة الماكرة وأبعدتهم عنها أبداً بالستها .

وإذا كانت العادة قد جرت باهداء المؤلفين كتبهم وكان لا بد لنا من اهداء هذا الكتاب ، فاتنا هديه الى من يكون لنا في اهدائه اليهم الامل الوطيد في استرجاع هذا الفردوس الارضي المفقود ، ألا وهم أبناء وادى النيل عامة وشباب مصر والسودان خاصة . فهولاء الشبان الأبرار الأطهار هم معقد الامل ومناط الرجاء ، وهم هم الجديرون منا حقاً بهذا الاهداء ، وفي هممهم وحرارة دمائهم وغيرهم الوطنية الحقة ما يكفل لمصر تحقيق كل آمالها إن شاء الله ، وان طاول الزمان وماطلت الأيام ، وما ذلك على الله بعزيز والسلام ۲



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
١٩٢٨

مقدمة

ألقى حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا في ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٨ م
أثناء زيارة قام بها لمدينة المنصورة عاصمة مديرية الدقهلية ، وكان في هذا الحين
رئيس مجلس الوزراء ، خطبة سياسية استعرض فيها حالة البلاد وشؤونها المختلفة .
فقال في الفقرة الخاصة بمشاريع الري الكبرى ان جانباً من منطقة السدود
والمنطقة التي سيقام فيها خزان بحيرة البرت نيانزا واقع في أرض بريطانية .
ولما كان هذا القول غير مطابق ل الواقع أرسلنا إليه بتاريخ ١٤ نوفمبر
من تلك السنة الخطاب الآتي الذي نشرته جريدة الاهرام والسياسة في ١٦
من هذا الشهر ونشره المقطم وكوكب الشرق في ١٧ و ١٨ من الشهر
المذكور : -

حضره صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء .

اطلعنا على خطبة دولتكم بالمنصورة ولقت نظرنا منها قولكم عند ذكر
خزان جبل الأولياء : (ولقد درست وزارة الاشغال هذا الموضوع من مدة
بعيدة واسترشدت في درسها بكتاب الفنيين حتى انتهت الى وضع برنامج شامل
لتحقيق مطالب الري تضمن اقامة خزان بمنطقة خزان جبل الأولياء في السودان
وشق قناة لتحويل مجرى النيل من منطقة السدود التي يضيع فيها كثير من المياه

في غير جدوى . وهذه المنطقة يقع بعضها في السودان وبعضها في الأموال
البريطانية ثم اقامة خزان بحيرة البرت الواقعة في الأموال البريطانية) — إلى أن

فلم :

(ولو سلمنا بنظرية القائلين بوجوب وقف أعمالنا على النيل الخارج عن
الحدود المصرية لتمشى حكم هذا التعطيل ليس على جبل الأولياء فقط لوقوعه
في السودان الذي لا تذكر سيادتنا عليه بل تتناول بالأولى مشروعات أعلى النيل
بما فيها منطقة السدود التي تقدمت وزارة الاشغال لاقيام بالأعمال فيها بطلب مبلغ
مليون ومائة ألف جنيه في سنة ١٩٢٥ وأقرها مجلس الوزراء على هذا الاعتماد
كما أقره البرلمان في سنة ١٩٢٦ في حين يعلم الجميع أن من هذه المنطقة ما يقع
في السودان المصري ومنها ما يقع في الأموال البريطانية) .

هاتان هما النقطتان اللتان لفتتا نظرنا بنوع خاص في خطبة دولتكم . ذلك
أن منطقة السدود المذكورة جميعها داخل ضمن حدود السودان المصري القديم
حسب ما كان عليه قبل الثورة المهدية . وكذلك مخرج النيل من بحيرة
البرت نيازا المراد عمل السد فيه لجعل تلك البحيرة خزانًا هو أيضًا جزء من
مديرية خط الاستواء المصرية ظل محكمًا بمصر حتى آخر عهد أميين باشا
وهو آخر مدير لتلك المديرية السودانية المصرية إلى نهاية الحكم المصري
الفعلي للسودان .

وقد شمل الحكم المصري جزءاً من شواطئ هذه البحيرة وأقام فيه العاقل
ال العسكري التي بقيت حتى شاهدتها استانلي في سياحته المشهورة عندما توجه إلى
هذه الجهة لتخليص أميين باشا ظاهراً ولهموا الآثار الباقية لمصر بتلك المنطقة
في الحقيقة . ثم توجه الكابتن لو جارد إلى هناك واستخدم الجنود المصرية

المتروكة فيها باسم الشركة البريطانية الشرقية الأفريقية واستولى على أوغندا والقسم الجنوبي من مديرية خط الاستواء . وبسطت الحكومة البريطانية حمايتها على هذه البلاد ثم عقدت بعد ذلك مع مصر معاهدة سنة ١٨٩٩ م .

ولو احترمت هذه المعاهدة كما تدعى لكان أول واجب عليها ارجاع هذه البلاد وجعلها تحت ادارة حكومة السودان حيث ان هذه المعاهدة تشمل عموم الاراضي التي تكون منها السودان المصري القديم كما كان عليه قبل الثورة المهدية ولكنها لم تفعل هذا الواجب ولم ترعه في تطبيق هذه المعاهدة . وهذا لا يجعلنا نعتبر عملها الذي استندت فيه الى القوّة وحدها عملاً شرعياً فان انكلترا التي أخرجت مارشان من فاشودة بحجّة أنها جزء من السودان المصري ما كان ينبغي لها بعد ذلك أن تسلخ جزءاً منه لنفسها . وهذه الحجّة لا تزال الى الان باقية . واننا كتبنا الى دولتكم هذا لمحافظة على حقوق مصر وبياناً للحقيقة .

وتفضلوا دولتكم بقبول مزيد سلامنا

عمر طوفون

١٩٢٨ / ١١ / ١٤

* * *

واننا لعلى يقين بأنّ حضرة صاحب الدولة محمد باشا محمود خدمع في حسن نية في أثناء المحادثات التي دارت بينه وبين الحكومة البريطانية عن المسائل الخاصة بنياه النيل لأنّه لما كانت انكلترا تعتبر هذه الاراضي أرضاً بريطانية وتنعمها بهذا النعم دائمًا كان من الجلى أنّ هذا هو الذي لابد أن يكون قد حدث مع دولته وأنّه لم يفه بكلماته هذه إلا تحت سيطرة تأثيره بأنّ ماسمه يوافق الحقيقة .

فهو من هذه الوجهة معدور إلا أنه في رأينا ليس معدوراً كل العذر . ذلك

لأنه كان عليه قبل أن يرسل هذا القول وهو رئيس الحكومة أن يتحرى إذ أنه من الواضح الجلى أن صدوره منه يترب عليه مالا يترتب على صدوره من شخص آخر .

وبما أنه لابد أن يكون كثير من المصريين غيره واقعين أيضاً في هذا الامر فقد رأينا من المفيد عمل تاريخ لهذه المديرية التي هي أهم مديريات السودان القديم لمصر والتي تولى فتحها وحكمها حكمدارون من قبل الحكومة المصرية وذلك لكي يعرف أهل وطننا الى أى حد وصل امتداد ملوكهم في السودان وأى الاراضي سلخت منه .

وقد كانت هذه المديرية المصرية آخر المديريات التي ظلت تحت الحكم المصرى أثناء الشورة المهنية وكانت انجلترا تعلم أهميتها وتعلم أن الذى يحكمها يتحكم في حياة مصر كلها فسعت في أثناء الشورة المذكورة لابعاد الهيئة المصرية الحاكمة عنها وابقاء الجنود المصريين النظاميين مع ذخائركم وأسلحتهم فيها ريثما ترسل اليها رسولاً من قبلها يتحد مع هؤلاء الجنود ويضمهم اليه فتوطد قدميهما في تلك الجهات بواسطة الجنود المصرية المتrocكة هناك وعلى حساب مصر .

وهذا هو ما حصل فعلاً . فقد تكونت شركة انكلزية أوعزت بها الحكومة البريطانية سراً وهذه الشركة ألفت حملة تحت قيادة السائح استانلى وتوجهت الى الجهة المذكورة وأحضرت منها الهيئة المصرية الحاكمة وتركت فيها الجنود المصرية النظامية . ومن غفلة الحكومة المصرية في ذلك الوقت أنها دفعت مبلغ عشرة آلاف جنيه مصرى على سبيل الاشتراك في نفقات تلك الحملة وأمدتها بسبعين جندياً سودانياً بذخائركم وأسلحتهم أخذوا من الأورط السودانية بالجيش المصرى . وهؤلاء الجنود لم يعد منهم إلا عشرة فقط

أما الباقيون فقد أيدوا في هذه الحالة المشئومة التي كانت لغير مصلحة البلاد .

وبعد عودة استانلى أفت شركة أخرى بيعاز الحكومة الانكليزية أيضاً تدعى الشركة البريطانية الشرقية الافريقية British East African Co., Ltd., وأرسلت هذه الشركة كابتن لوجاد Captain Lugard مع بعض الضباط السودانيين الذين أحضرهم استانلى Stanley مع أميين باشا من تلك المديرية ، ومن الحزن أن ذلك كان بعلم نظارة الجهادية (وزارة الحرية) المصرية في ذلك الوقت ومساعدتها .

وتجه الكابتن لوجاد مع هؤلاء الضباط إلى مديرية خط الاستواء فوجدوا الجنود المصرية المتrocكة هناك ورئيسهم أمير الألای سليم بك مطر عند شاطئ بحيرة البرت نيازا . فاتفق معهم على أن يدخلوا في خدمة الشركة السالفة ويحتلوا أوغندا ومديرية خط الاستواء . وقد حصل ذلك فعلاً .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر منقبة حسنة لهؤلاء الجنود تقابل منها ومن المصريين جميعاً بشكرهم واعاطر الشفاء عليهم . ذلك أنهم - عليهم رحمات الله الواسعة - اشترطوا قبل دخولهم في هذه الشركة أن تعرض شروط خدمتهم فيها على الحكومة المصرية لتوافق عليها كما أنهم كانوا يجعلون العلم المصري يتحقق دائماً فوق مسكنهم . فاعتبار أنفسهم جنودها إلى هذا الحين وعدم قبولهم العمل في هذه الشركة بدون أمر حكومتهم وموافقتها مما يدل دلالة واضحة على عظيم أمانهم على الشرف العسكري .

ولكن ألا يدل عمل هؤلاء الجنود البررة على أنهم كانوا ينتظرون من

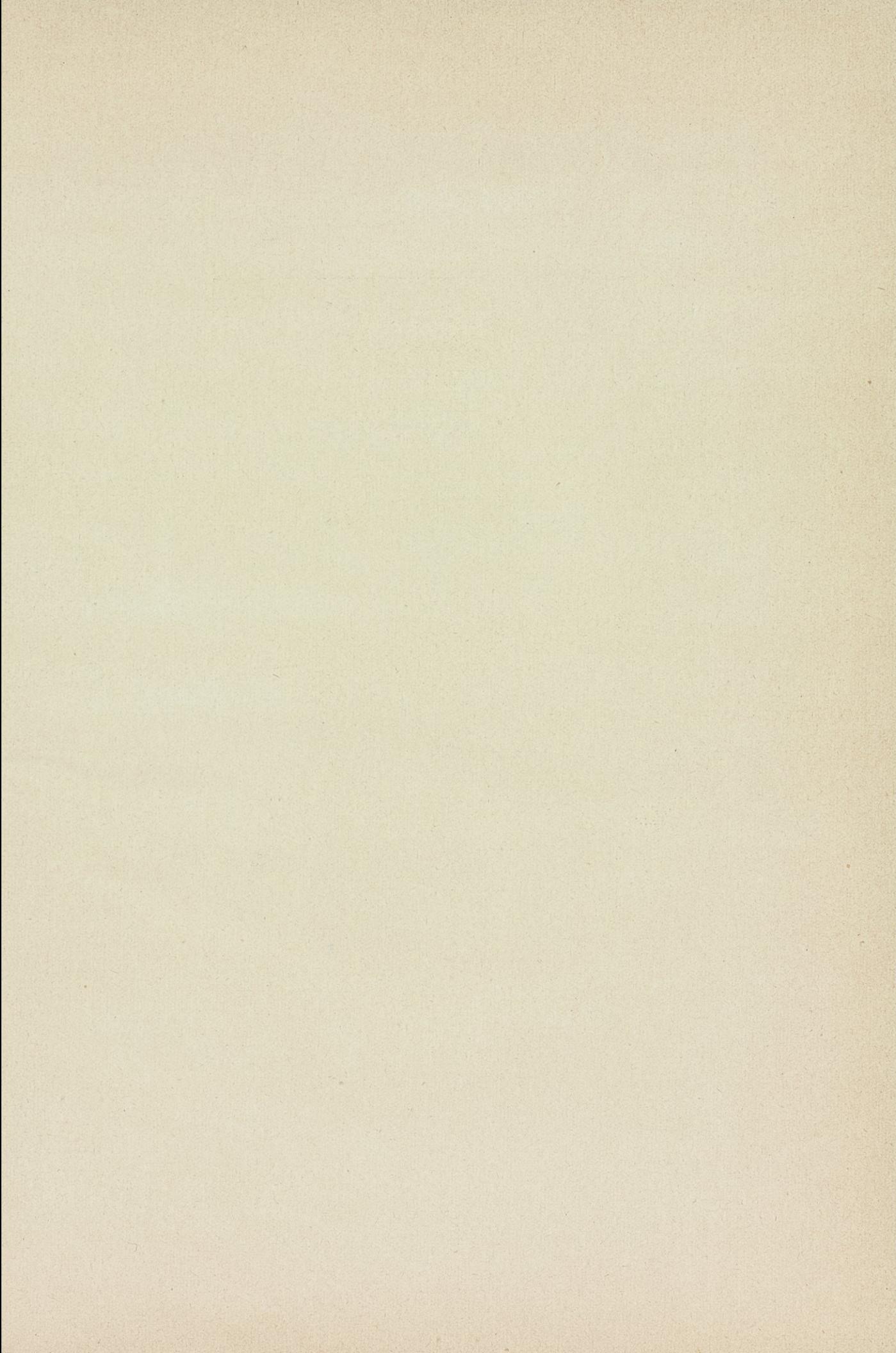
حكومتهم ألا توافق على خدمتهم في تلك الشركة . غير أن الذى كان مع الاسف والمسرة غير ما كانوا ينتظرون .

وهكذا استولت بريطانيا على مديرية خط الاستواء وضمتها إلى أوغندا التي كانت تابعة لمصر أيضاً وجعلت منها وحدة وضفت عليها حايتها . وهذه المديرية هي أهم المديريات التي لاغنى مصر عنها لكونها حاكمة على البحيرات الاستوائية الكبيرة التي يخرج منها النيل والتي ستبني عندها خزانات المياه التي عليها مدار حياة مصر .

واللهم تاريخ فتح مصر لهذه المديرية وتاريخ حكمدارها من سنة ١٨٦٩ إلى ١٨٨٩ م ، أى من فتحها إلى اغتصاب الانكليز لها .



السير صموئيل بيكر باشا



حكمة رية صمويل بيكر باشا

من سنة ١٨٦٩ إلى ١٨٧٣ م

تمهيد

في سنة ١٨٦٨ م كان أقصى نقطة وصل إليها الحكم المصري في جنوب السودان هي «فاسودة». أما الأقاليم الواقعة جنوب هذه الناحية فكانت إلى بحيرات خط الاستواء العظيم التي يخرج منها نهر النيل، خارجة عن هذا الحكم ويتردد عليها الرواد والنخاسون. وكان من بين هؤلاء الرواد الذين ترددوا على هذه النواحي الرحالة الانكليزى المسماى سير صمويل بيكر كما كان يتردد عليها في كثير من الأوقات بعض عصابة مسلحة يستخدمها النخاسون وتجار العاج الذين كانوا يجوبون أرجاءها ويشون الفزع والجزع أينما ساروا أو حلو ابتغاء الحصول على متاجرهم البشرية وغيرها.

ومن السهولة يمكن عظيم أن يتصور الإنسان كيف يكون حال البلاد الأخالية من أي نوع من أنواع الحكومات المتبدلة وما ينشأ عن خلوها من هذه الحكومات من اقفار القرى وانقراض السكان بسبب سفك كثير من الدماء وانتشار الفوضى وحدوث الخراب إلى غير ذلك مما كان حاصلا بالفعل في هذه البقاع.

وكانت هذه المنطقة الشاسعة المترامية الاطراف عامرة بعدد وافر من

السكنى وكان يحتاج هذا العدد الى حكومة منظمة لتحميء شر النخاسة والطوارئ
الاخرى فيستطيع أن يأخذ حظه في الزيادة والنماء ويستغل الثروة العظيمة
التي في أرضه وينعمها .

وكان المغفور له الخديو إسماعيل يريد أن يضمن لمصر امتلاك منابع النيل فأصر مراعاة للإنسانية والسياسة واقتداء بجده العظيم محمد على باشا بتجهيز جملة لضم الأراضي الواقعية في جنوب فاسودة لغاية البحيرات الكبرى إلى أملاك الحكومة المصرية لكي يقضى على الحالة المموجية التي في تلك الجهات وليس كفل مصر امتياز مراقبة منابع النيل الذي تستمد منه ثروتها وعليه مدار حياتها.

وفعلا تقرر اعداد الجملة وكان اذن لابد من ايجاد رئيس لها . واتفق في أوائل سنة ١٨٦٩ م أن سير صمويل يذكر الآتف الذكر كان في مصر بعية البرنس دوغال Prince de Galles ولـ عـهـدـ المـلـكـةـ فيـكتـورـياـ وـنـجـلـهـ الـذـىـ كانـ يـرـيدـ الـقـيـامـ بـرـحـلـةـ إـلـىـ الـوـجـهـ الـقـبـلـىـ . وـكـانـ سـيرـ صـمـوـيلـ هـذـاـ قـدـ قـامـ حـدـيـثـاـ بـزـيـارـةـ فـيـ تـلـكـ النـواـحـىـ النـائـيـةـ وـاستـكـشـفـ بـحـيـرـةـ الـبـيـرـتـ نـيـازـاـ فـوـقـ اـخـتـيـارـ الـخـدـيـوـ عـلـيـهـ وـقـدـ دـارـتـ مـحـادـثـاتـ فـيـ هـذـاـ الشـأـنـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ نـوـبـارـ باـشاـ أـوـلـاـ ثـمـ مـعـ الـخـدـيـوـ اـشـتـرـكـ فـيـهـاـ وـلـيـ عـهـدـ انـجـلـتراـ المـذـكـورـ الذـىـ كـانـ يـؤـيدـ تـأـلـيفـ هـذـهـ الـجـمـلـةـ وـيـشـجـعـ عـلـيـ اـرـسـالـهـاـ أـئـمـاءـ تـلـكـ الـمـحـادـثـاتـ .

وقد تم الاتفاق بين الحكومة وسير صمويل بيكر وحرر عقد بخدمته
مدة أربع سنوات براتب سنوى قدره عشرة آلاف جنيه انكابزى ومنح سلطة
مطلقة تخول له حتى الامر بالاعدام . واليک ترجمة الامر العالى الذى صدر
بتعيينه رئيساً للحملة المصرية :

نَحْنُ إِسْمَاعِيلُ خَدِيو مَصْرُ قَدْ أَمْرَنَا بِمَا هُوَ آتٌ :

نَظَرًا لِالحَالَةِ الْمُجْمِعِيَّةِ السَّائِدَةِ بَيْنِ الْقَبَائِلِ الْقَاطِنَةِ فِي حَوْضِ نَهْرِ النَّيْلِ ،
وَنَظَرًا لِأَنَّ النَّوَاحِي الْمُذَكُورَةِ لَيْسَ بِهَا حُكُومَةً وَلَا قَوْانِينَ وَلَا أَمْنًا ،
وَلَأَنَّ شَرَائِعَ الْإِنْسَانِيَّةِ تَفْرُضُ مَنْعَ النَّخَاسَةِ وَالْقَضَاءَ عَلَى الْقَائِمِينَ بِهَا
الْمُنْتَشِرِينَ بِكَثْرَةٍ فِي تِلْكَ النَّوَاحِي ،

وَلَأَنَّ تَأْسِيسَ تِجَارَةٍ شَرِيعَةٍ فِي النَّوَاحِي الْمُشَارِ إِلَيْهَا يُعْتَبَرُ خَطْوَةً وَاسِعَةً فِي
سَبِيلِ نَشَرِ الْمَدِينَةِ وَيُفْتَحُ طَرِيقَ الاتِّصَالِ بِالْبَحِيرَاتِ الْكَبِيرَى الْوَاقِعَةِ فِي خطِ
الْاِسْتَوَاءِ بِوَاسِطَةِ الْمَرَاكِبِ التِّجَارِيَّةِ وَيُسَاعِدُ عَلَى إِقَامَةِ حُكُومَةٍ ثَابِتَةٍ ،

أَمْرَنَا بِمَا هُوَ آتٌ :

تَوَلَّفَ حَمْلَةً لِاِلْخَضَاعِ النَّوَاحِي الْوَاقِعَةِ فِي جَنُوبِ غُونَدُوكُورُو لِسُلْطَانِنَا
وَلَا بُطَالَ النَّخَاسَةِ وَإِيجَادَ تِجَارَةٍ مَنْظَمَةٍ ؟

وَلِفَتْحِ طَرَقِ الْمَلاَحةِ مَعَ الْبَحِيرَاتِ الْكَبِيرَى الْوَاقِعَةِ فِي خطِ الْاِسْتَوَاءِ ،
وَلِاِقْمَامِ خطٍ مِنَ النَّقْطِ الْعُسْكُرِيَّةِ وَمِسْتَوِدُعَاتِ التِّجَارَةِ يَبْعَدُ بَعْضُهَا عَنْ
بعْضٍ مَسَافَةً ثَلَاثَةَ أَيَّامَ لِلْمَاشِي فِي أَنْحَاءِ أَفْرِيَقِيَّةِ الْوَسْطَى اِبْتِدَاءً مِنْ غُونَدُوكُورُو .
وَقَدْ فَوْضَنَا رَئِاسَةَ هَذِهِ الْحَمْلَةِ إِلَى سَيِّدِ صَمْوِيلِ يِيكَرِ لِمَدَةِ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ
ابْتِدَاءً مِنْ أَوَّلِ اِبْرِيلِ سَنَةِ ١٨٦٩ وَقَدْنَا حَقُوقَ السُّلْطَةِ التَّامَةِ الْمَطْلُقَةِ حَتَّى
السُّلْطَةِ الْمُتَعْلِقَةِ بِحَيَاةِ وَإِعدَامِ كُلِّ مَنْ لَهُ عَلَاقَةٌ بِالْحَمْلَةِ .

وَقَدْنَا كَذَلِكَ نَفْسَ هَذِهِ السُّلْطَةِ عَلَى كُلِّ النَّوَاحِي التَّابِعَةِ لِحَوْضِ النَّيْلِ
جَنُوبِ غُونَدُوكُورُو .

وقد سميت هذه الاراضى التي فتحتها مصر وضمتها إلى أملاكها « مديرية خط الاستواء » وكانت حدودها كما يأتى :

في الشمال مصب نهر السوباط .

وفي الجنوب أوغنده التي بسطت مصر نفوذها عليها .

وفي الشرق الحبشة .

وفي الغرب مديرية بحر الغزال .

والحد الجنوبي هو أهم هذه الحدود وهو الذي ينبغي أن تغيره مصر اهتماماً بها عند البحث في حقوقها بهذه المديرية .

وقد بسطت مصر نفوذها أيضاً على بعض البلاد المجاورة لهذه المديرية مثل أوغندة السالفة الذكر والأونيورو ثم جاءت انجلترا واستولت كذلك على هاتين الملكتين وضمت إلى الأولى مديرية خط الاستواء بعد اقتطاعها من الاملاك المصرية .

وكل هذه البلاد لم تفتحها مصر دفعة واحدة بل بالتدريج وفي عهود حكمدارين متعددين كما سنبين ذلك فيما بعد :

سنة ١٨٦٩ م

اءداد الحملة على هذه المديرية

بعد أن تم تعيين سير صمويل ييكر Sir Samuel Baker حكمداراً لمديرية خط الاستواء أخذ يعمل بجد ونشاط في ترتيب الحملة على هذه المديرية واختيار المساعدين له من ذوى الكفاءات إذ كان يعلم حق العلم أن نجاح مثل هذا العمل يتوقف على هذين الأمرين .

وكان الوقت لديه قصيراً بحيث لا ينبغي التفريط في ذرة منه لأن السنوات الأربع المحددة لخدمته كما سيرى فيما بعد ربما لا تفى بالقيام بعمل كهذا متشعب الأطراف لاسيما إذا رأينا ما تستلزم مثل هذه الحملة من الرحلات الطويلة وما تحتاج إليه من الزمن في قطع المسافات الشاسعة عدا ما يطرأ في أثناء ذلك من العقبات .

ولما كان منفوقاً تفوياً تماماً من الجناب الخديوي فقد أمر بإنشاء باخرة بدولابين قوتها ٣٢ حصاناً بخارياً ومحولتها ٢٥١ طناً، وأخرى برفاسين ذوى ضغط شديد وقوتها ٢٠ حصاناً بخارياً ومحولتها ١٠٨طنان، وثالثة أيضاً برفاسين ذوى ضغط شديد وقوتها ١٠ أحصنة ومحولتها ٣٨ طناً، كما أمر بإنشاء مركبين من الحديد طول الواحد ٣٠ قدماً وعرضه ٩ أقدام ومحولته ١٠طنان . وأوصى بعمل آلات بخارية لقطع الاخشاب ونشرها مع مرجل (قزان) يزن ٨٠٠ رطل وكل ما ذكر كان يتحتم به من الاسكندرية إلى غندوكورو أى

مسافة ٤٨٠٠ كيلو متر على ظهور الجمال وعلى متون السفن ومن بين ذلك مسافة بضع مئات من الأميال في فيافي بلاد النوبة.

وعندما تم تجهيز هذه الباخرة سميت الأولى «الاسماعيلية» والثانية «الخديو»، والثالثة «نيانزا». أما الباخرة «الاسماعيلية» فجهزت بعد سفر سير صمويل يذكر أعني في غضون حكمدارية غوردون باشا Gordon Pasha وقد استعملت ل القيام بالخدمة ما بين «غندوكورو» والخرطوم فكانت تقطع هذه المسافة في ظرف عشرة أيام. واشتركت فيما بعد مع أسطول الحكومة في الدفاع عن الخرطوم حينما حاصرها جيش الدراوיש في سنة ١٨٨٤ م وأسرها هؤلاء عندما استولوا على تلك المدينة. وعلى ظهر هذه الباخرة احتاز المهدى النيل من أم درمان الى الخرطوم عند أول زيارة له لهذه المدينة بعد سقوطها في يده.

وتم تركيب الباخرة «الخديو» في عهد حكم سير صمويل يذكر عندما كان يقوم برحلة في جهة الجنوب في إقليم الاونيورو Ounyoro وهي التي نقلته في عودته من هذه الجهة الى الخرطوم وكان ذلك عند انتهاء مأموريته.

وبعد سير صمويل يذكر عاد غوردون باشا الى غندوكورو Gondokoro على ظهر الباخرة المذكورة ثم أمر بفكها وحملها الى «دوفيليه» Doufilé فوق شلالات «فولا» Fola حيث أعيد تركيبها وخصصت ل القيام بالخدمة في النهر بين هذه النقطة وبحيرة البرت نيانزا وبداخل البحيرة نفسها لأن هذه الشلالات تعوق الملاحة مباشرة بين «غندوكورو» والبحيرة. وظلت هكذا تعمل في هذه المنطقة حتى بعد سفر أمين باشا ثم خربها الدراوיש عند استيلائهم على «دوفيليه».

أما الباخرة « نيانزا » فأمر غوردون باشا بنقلها فوق شلالات فولا المذكورة وتركبها هناك لتأدية نفس العمل الذى كانت تقوم به الباخرة المدحيو » فكان حظها في النهاية كحظ هذه .

ولقد طاف جيسي باشا Gessi Pasha الطلياني أولاً في سنة ١٨٧٦ م
بمركبى الحديد وميسونت بك Mason Bey الامريكي ثانياً في سنة ١٨٧٧ م
بالباخرة « نيانزا » حول شواطئ بحيرة نيانزا باسم الحكومة المصرية فكانا
هما السابقين لكل انسان في التطاوف حول تلك الشواطئ .

وكان من المقرر أن تتألف القوة العسكرية التي ستتطرق هذه الجملة من ١٤٠٠ جندي من البيادة و ٢٥٠ من السوارى الباشبوزق وبطاريتين من المدافع وأن تتجزأ البيادة إلى أورطتين أحدهما مصرية والأخرى سودانية وأن يكون رجالهما من خيرة الرجال . وكان في الأورطة السودانية ضباط وجندود خدموا

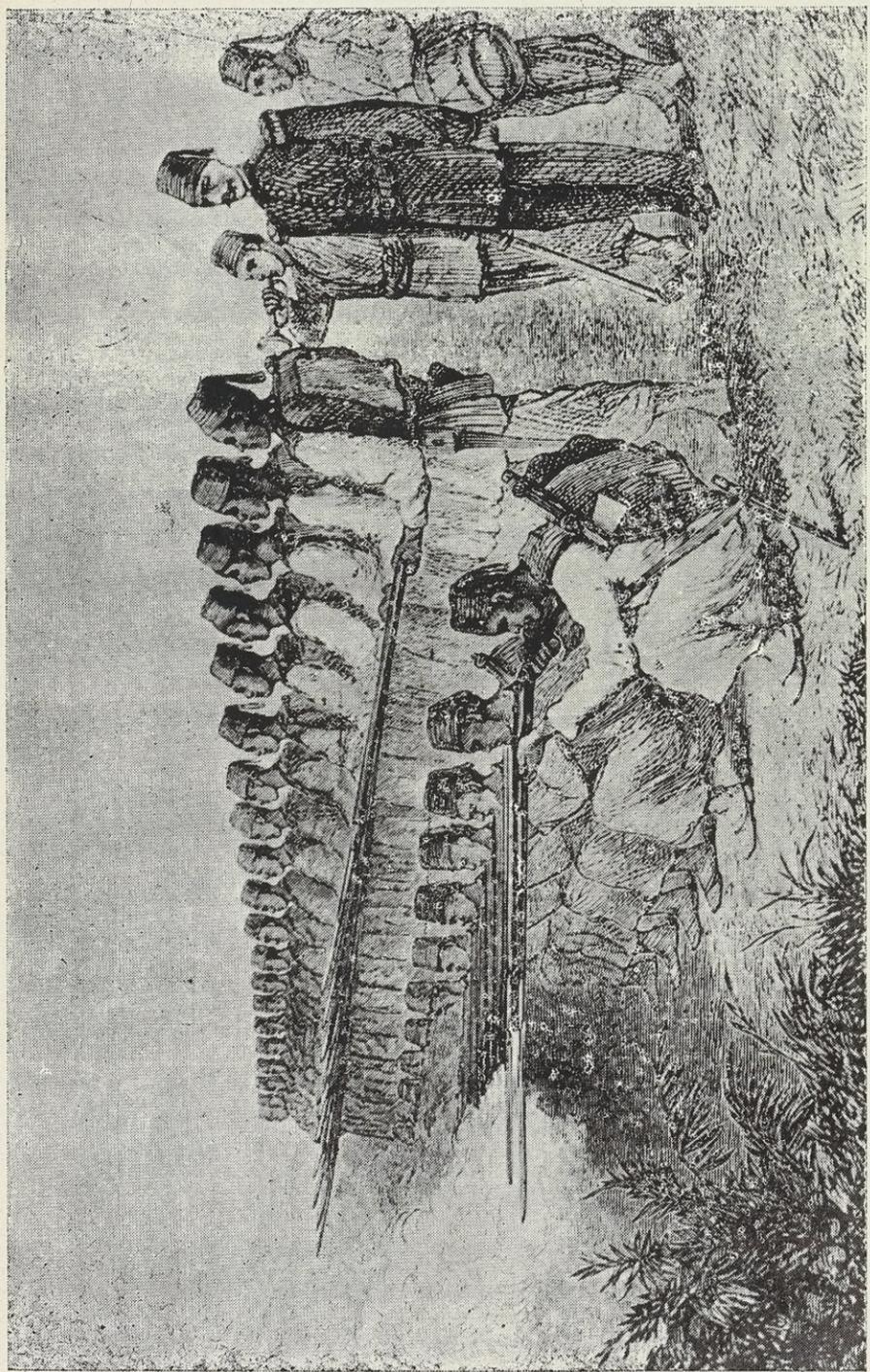
بعض سنوات في بلاد المكسيك في الجيش الفرنسي تحت قيادة المارشال بازين
— راجع كتابنا « بطولة الأورطة السودانية المصرية في حرب
المكسيك » .

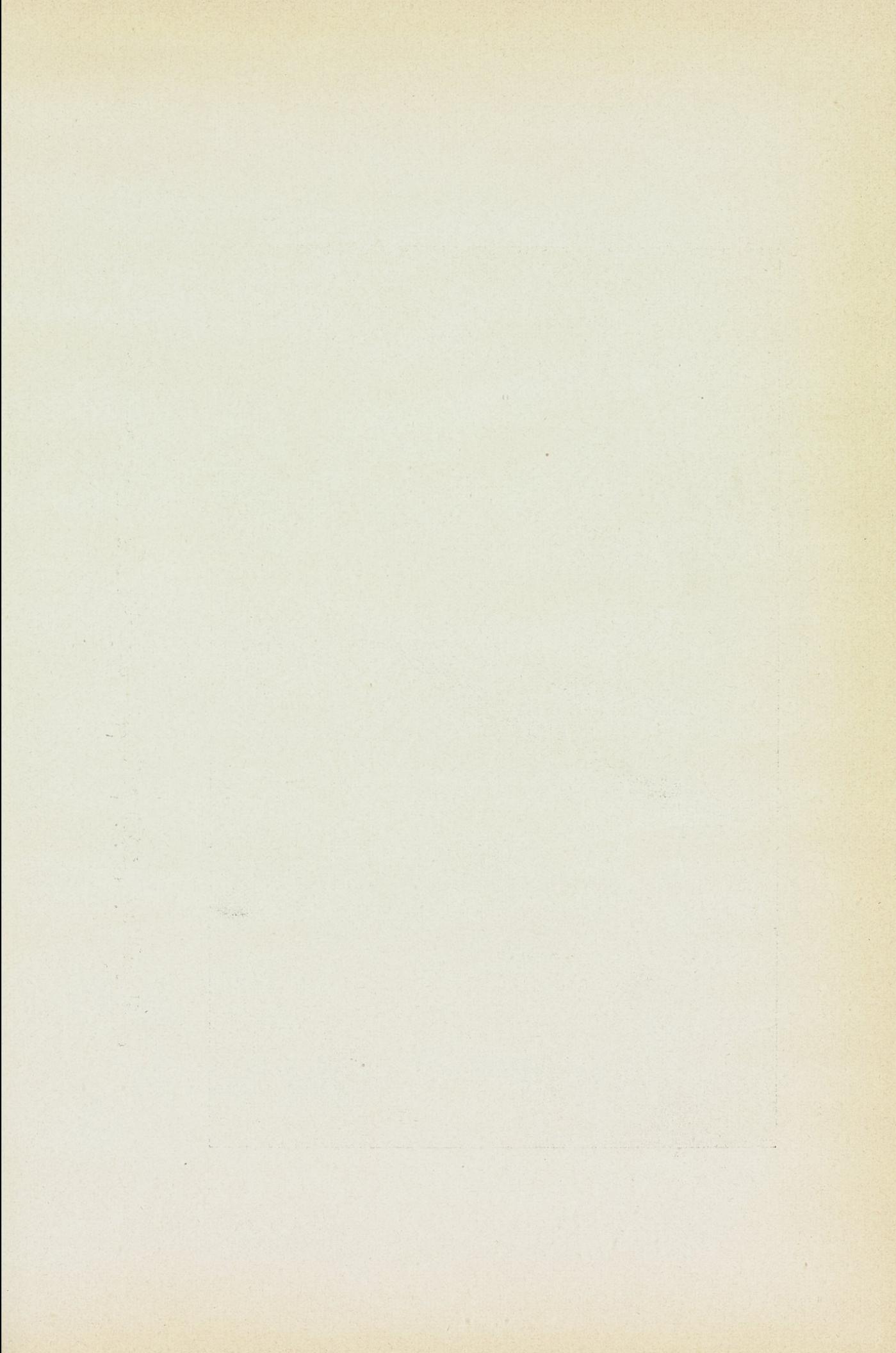
ولما كانت الحالة تستدعي القيام بأعمال في مناطق لا تصلح إلا قليلا
للسوارى رئيأخيراً ترك الـ ٢٥٠ من السوارى في الخرطوم .

وكان المدافع من النوع الجبلى ذى الماسورة الحلوونية (شخصانة) وهى
مصنوعة من الشبه (البرنز) وزن ماسورة المدفع ٢٣٠ رطلا وزن القذيفة ٨٪
من الارطال . وكانت دار صناعة ولوبيتش L'arsenal de Woolwich تبرعت
لهذه الحملة بمائى صاروخ من هال Hale وزن الواحد رطلان ، وبخمسين
بندقية من طراز سينيدر مع خمسين ألف ظرف لابنادق المذكورة .

وكان يجب أن يتجمع الجنود ومعهم الذخيرة في الخرطوم ويتظرون فيها
مقدم سير صمويل بيكر . وكانت جنود هذه الحملة تحت إمرة أمير الألائى
رعوف بك الذى ترقى فيما بعد إلى رتبة باشا وتعيين حكمداراً عاماً لسودان ومعه
فيها البكباشية احمد رفique افندي وعبد القادر افندي والطيب عبد الله افندي .
وال الأول من عنصر تركى حضر حرب القرم مع النجدة المصرية — راجع كتابنا
« الجيش المصرى في حرب القرم » . وكان في هذه الحملة يقود الأورطة
المصرية وقتل في أثنائها . والثانى مصرى الجنس وألقى إليه مقاليد قيادة حرس
سير صمويل بيكر الخصوصى وقد فاض روحه في غضون حرب الانكليز مع
المرابطين في سنة ١٨٨٢ م . أما الثالث فكان سودانياً وألقى على عاتقه قيادة
الأورطة السودانية .

حرس سیر صهوریل بیکر باشا و زیر خانهم فائدهم البکاشی عبد القادر افندی





قرر سير صمويل ييكر أن ت safar الحلة منقسمة ثلاثة أقسام . وكان قد تقرر فيما سلف أن تbarح ست بوادر من القاهرة في شهر يونيو . وقوات هذه البوادر تتراوح بين ٤٠ و ٨٠ حصانا بخاريا . كما كان مقرراً أن يسافر أيضاً في الوقت نفسه خمس عشرة سفينة شراعية وخمس عشرة ذهبية . فتكون جملة ذلك ٣٦ مركباً تصعد النيل الى الخرطوم أعني تجتاز مسيرة ٢٨٣٠ كيلو متراً مقلة المهاط والذخائر .

وكان الأوصاف قد أعطيت إلى جعفر مظہر باشا حکمدار السودان العام
بأن يعد في الخرطوم في ميعاد معین ٢٥ مصر كيما شراعياً و ٣ بواخر وأن يهیء
في الوقت نفسه الجمال والخيول الالازمة للنقل برأس بحیث يكون ذلك مجهزاً عند
قيام الحملة للسفر . وبهذه الكيفية عندما يصل الأسطول الذى سافر من مصر
إلى الخرطوم تكوت قوة الحملة البحرية مؤلفة من ٩ بواخر و ٥٥ مصر كيما
شراعياً متوسط حمولة كل منها ٥٠ طنناً .

وكان يجب أن تبادل الباخر المست وأسطول الصغير مياه القاهرة في ١٠ يونيو حتى يتيسر لها أن تصعد شلالات وادي حلفا وقت ارتفاع مياه النيل عند الفيضان ، لكن نظراً لغياب الخديو في أوروبا لم تقلع المراكب من مرساها إلا في ٢٩ أغسطس . ولما وصلت إلى الشلال الثاني كانت المياه قد

انخفضت فلم تتمكن من احتياز الممر وأمسى مروها غير متيسر إلا في الفيضان القادم . وهكذا ذهب اثنا عشر شهرًا هباءً متشوراً ووْجَد سير صمويل نفسه وهو لم يزل في بادئ الأمر محروماً من هذه المعونة التي لا يمكن تقدير فائدتها .

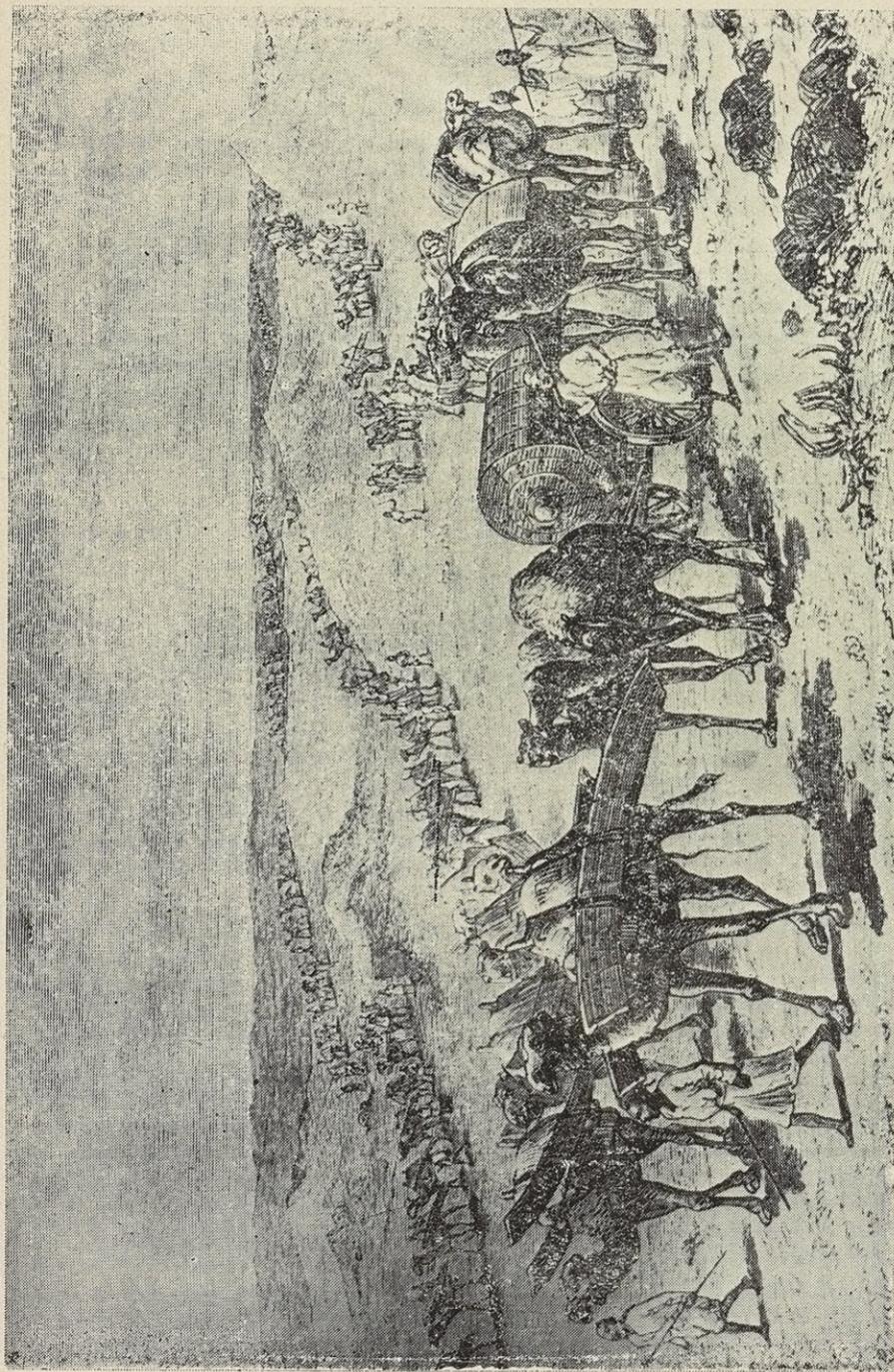
ثم نشأ عن احتفالات فتح قناة السويس صعوبة أخرى جرت أيضاً إلى تأخير لا ينفر منه . ذلك أن الخديو بما هو معهود فيه من السخاء وكرم الضيافة قام باستعدادات هائلة من أجل هذه الاحتفالات وأمر بحجز كل مركب صالح للملاحة .

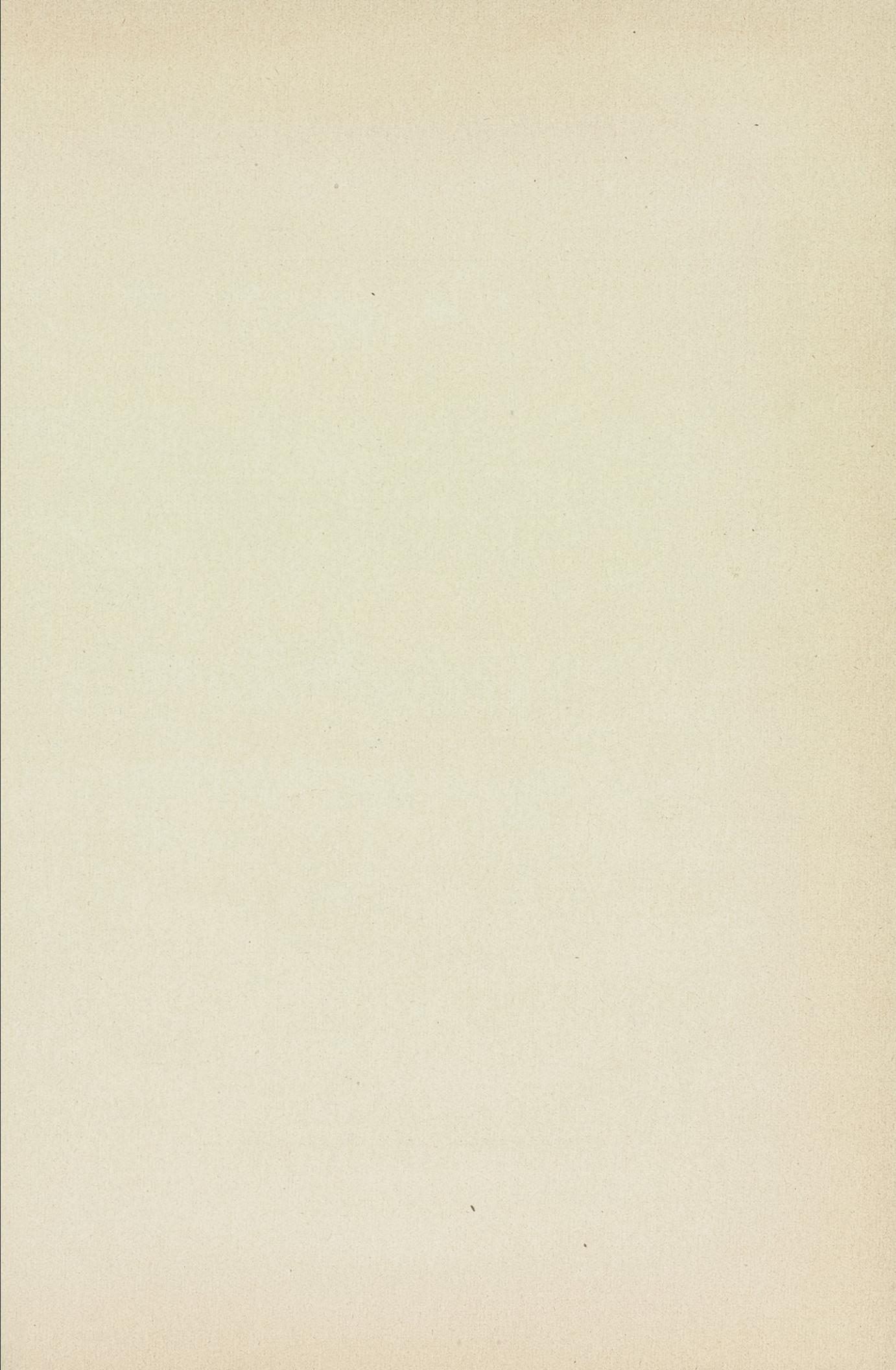
ووصل الى القاهرة قطار يجر ٤١ عربة بها أجزاء بواخر ومراجل وآلات
وغير ذلك وأنزل مشحونه في ١١ سفينة كبيرة بالأجرة فكان ذلك سببا في أن
سير صمويل يذكر لم يجر بعد مشقة عظيمة إلا باخرة قوتها ١٤٠ حصانا
بحاريا لتجر هذا الأسطول الصغير الى « كروسکو » حيث يجب أن يشرع في
اختراق الصحراء . ولم يظفر سير صمويل يذكر بهذه الباخرة إلا بعد مخابرة
الخدو نفسه .

وقد أتيح له في نهاية الأمر أن يرى كلًا من مسـتر هجـنـبـوـثـامـ والـطـيـبـ جـيـدـجـ مـسـافـرـينـ وـمـعـهـاـ الـهـيـنـدـسـوـنـ وـالـسـوـاقـوـنـ الـانـكـاـيـزـ .ـ وـقـطـرـتـ الـبـاـخـرـةـ «ـ الـنـيـاـ»ـ سـلـسـلـةـ الـمـرـاـكـبـ الطـوـيـلـةـ هـذـهـ الـمـكـوـنـةـ مـنـ 11ـ سـفـيـنـةـ وـقاـوـمـتـ بـقـوـهـاـ عـزـمـ تـيـارـ النـيـلـ الشـدـيدـ .ـ

وكان لابد من حمل مجموعة الآلات الثقيلة هذه بما فيها باخرتان ومركبات
من الحديد حمولة كل منها ١٠طنان مسافة ٤٨٠٠ كيلومتر تقريبا منها نحو
٦٥٠ كيلومترا في صحراء التوبه الحرقه .

قطار من الإبل ينقل أجزاء السفن البخارية وغيرها في صحراء العطمور بين فرسکو وابن حمد
نقاً عن كتاب الاسماعلية لسير صهريج يذكر





وقد سافر القسم الأول بأحماله الثقيلة في ٢٩ أغسطس سنة ١٨٦٩ م مع المراكب الشراعية ليصل مباشرة إلى الخرطوم بعد صعود الشلالات . ولم يتجرّس سير صمويل أَن يرسل في هذه الطريقة المحفوفة بالمخاطر أَية قطعة من قطع الباخر إذ أَن ضياع أي مركب يكون محلاً بقطع من أجزاء الباخر كان ممكناً أَن تكون عاقبته فقد كل أَمل في نجاح الحملة .

وصول سير صمويل يذكر إلى سواكن

واستقباله فيما

وتجمّع ساق الجيش في ٥ ديسمبر سنة ١٨٦٩ في السويس . ومن هذه المدينة أَبْحَر سير صمويل يذكر مع ذلك الساق على ظهر المركب الحربي المصري « سنار » وفي ظرف أربعة أيام ونصف يوم وصل الجميع إلى سواكن حيث أُلقت المراكب مراسيها في أمان وسلام وأُزْلَت بدون حدوث أَي عارض محموداً من الخيول البالغ عددها ٢١ رأساً .

وكان في استقبال سير صمويل يذكر ممتاز بك محافظ سواكن وهو ضابط جركسي الأصل ذو ذكاء شديد انعقدت بينهما أواصر الصداقة بما أَظهره له من العطف أثناء رحلته الأولى .

والترم ساق الجيش أَن يلبي في سواكن أسبوعاً تحت انتظار الجمال وبعد مسيرة ١٤ يوماً اجتاز ٤٥٠ كيلو متراً في أرض صحراوية ووصل إلى ببر التي على النيل حيث وجد باخرة وذهبية نقلتاه إلى الخرطوم في بحر ٣ أيام ومقدار هذه المسافة ٣٢٠ كيلو متراً . ولم تستغرق هذه الرحلة ابتداء من السويس سوى ٣٢ يوماً بما في ذلك مدة الوقف عن السفر .

١٨٧٠ م. سنة

وصول الجملة إلى الخرطوم

ولم يجتاز أى مركب بخارى من تلك المراكب التي أبحرت من مصر ،
الشلالات . وعدلت الخمسة عشر مركبًا الكبيرة التي كان قد عول على ان
يشحن فيها الجمال عن محاولة صعود الشلالات ورجمت إلى القاهرة . أما
المراكب الصغيرة فهى التي اجتازتها ولا يتذكر أن تصل إلى الخرطوم
قبل عدة شهور .

ووصل إلى الخرطوم القسم الأول الذي كان فيه كل المهام التي سبق أن أرسلها من القاهرة والذي كان سير صمويل فوض قيادته إلى شخص سورى .

ماركوبولو وصل إلى سواكن بعد قيام ساق الجيش ببعضه أيام، أى ان كافة الأوامر التي اصدرها سير صمويل يذكر إلى ضباطه تم تنفيذها في الوقت المناسب.

وأخيراً بعد إلحاح كثير وضياع زمن طويل شرع الحكمدار جعفر مظہر باشا في العمل غير أنه اشتري سفناً عتيقة ودفع فيها ثمن مراكب جديدة ولم يفحصها مندوب الحكومة إلا فحصا سطحيا عند التسلیم.

تأهیل السفرا

وتم تجهيز الحملة بعد صعوبات كبرى لأن قلوع المراكب نادرة الوجود وحياتها المصنوعة من الكتان تكاد تكون معدومة في الخرطوم إذ جرت العادة ألا يصنع في هذه المدينة إلا جبال رديئة يفتلوها من ألياف النخل وكان يطلب في كل شيء ثمن فادح.

وكان سير صمويل يذكر يحرض ويحض العمال من مطلع الشمس إلى غروبها على العمل. وقد عاونه في ذلك معاونة جدية الملائم ج. A. Baker من البحرية الملكية بفضل خبرته التي كان قد اكتسبها من ممارسة مهنته. ودب روح جديد من النشاط في الخرطوم وأخذت مئات من العمال تشغله واصطف أمام دار الحكومة عدة صفوف من الصواري والأشرعة.

وفي بضعة أسابيع أعددت ٣٣ سفينة حمولة كل منها تتراوح بين ٥٠ و ٦٠ طناً وتم جلطتها وترميمها واستعدت لقطع المسافة التي بين الخرطوم وغندو كورو البالغة ٢٣٠٠ كيلو متر.

وتأهبت هذه العمارة للسفر بعد بذل مشاق هائلة في سبيل استئجار النوائية إذ أن جمِيع الملاحين تقريباً كانوا قد هاجروا من الخرطوم حتى لا يشركوا في الجملة وكان ذلك بايَّعاً ز من النخاسين الذين عملوا على أن يضعوا العقبات في سبيل الجملة فدفعوا الأهالي لأنْ يقطعوا كل صلة معها إذ قام في رؤوسهم أنها لا تستطيع السفر بدون الملاحين . وتم الحصول على النوائية اللازمين بواسطة القوة وباستعمال طرق عنيفة غير أن هؤلاء كانوا من أرداً العناصر .

قيامها من الخرطوم

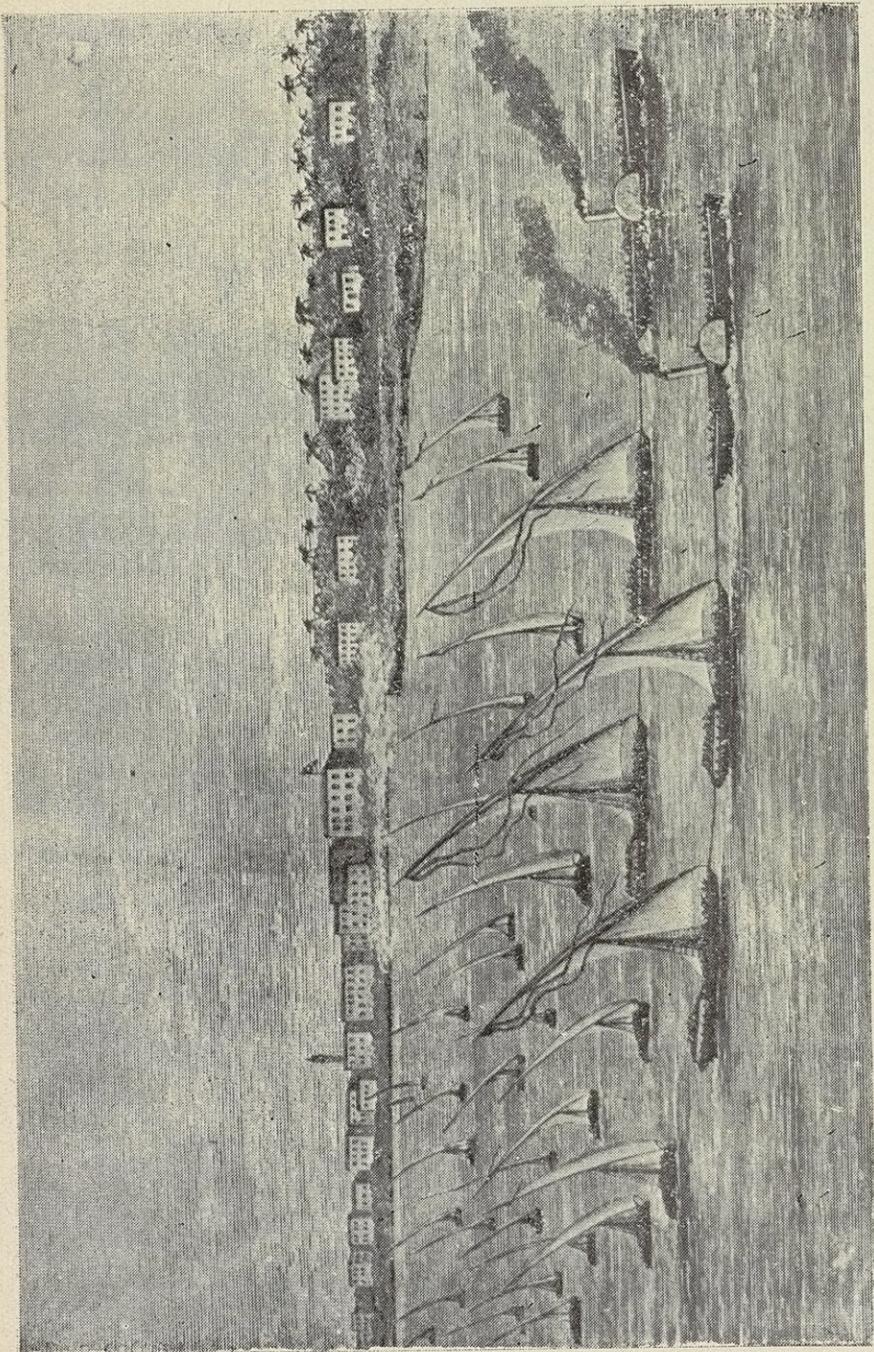
ونفخ في البوّاق في ٨ فبراير من سنة ١٨٧٠ م لإيذاناً بالرحيل . واصطف على ضفة النهر أورطتان من الجنود ودوت أصوات المدفع في الفضاء كالمعتاد تحيية لمسافرين .

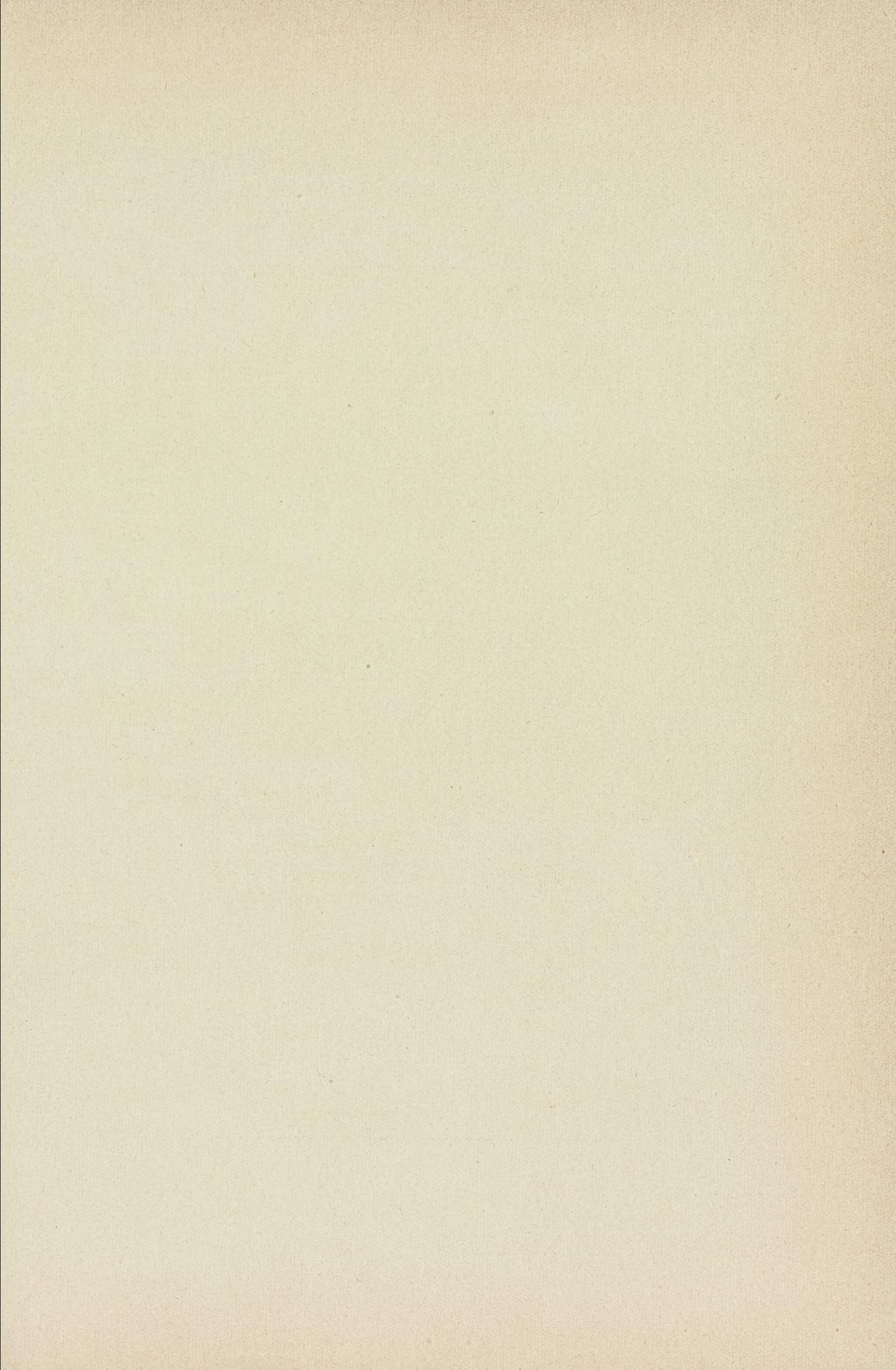
وأتخذ الأسطول المؤلف من باخرتين إحداهما قوة ٣٤ حصانا بخاريا والأخرى قوة ٣٢ حصانا بخاريا سبيله في اليم ومعه ٣١ مركبا شراعيا تحمل نحو ٨٠٠ جندى . وسار الجميع بنظام لا يأس به وما لبث تيار النيل الأزرق الشديد أن دفع بذلك الأسطول بعيداً عن الخرطوم وبعد أن دار حول ملتقى النيلين الأزرق والأخضر سار في هذا الأخير صعداً .

وصولها إلى فاشوده

وبعد مسيرة ١٠٣ ساعات وصل الأسطول إلى فاسوده وهي محطة الحكومة في بلاد «الشلوك» Shillouks وتقع على بعد ألف كيلو متر تقريباً من الخرطوم في الدرجة ٩ والدقيقة ٥٢ من العرض الشمالي.

احللة وهي تغادر اندر طوم ف ٨ فبراير سنة ١٨٧٠





وكان سير صمويل يذكر قد أخذت مؤونة شهر على متن الفلك وأدت الريح حسبما تشهى السفن فوصل الأسطول إلى ملتقى النيل بمنطقة سوباط في ١٦ فبراير في منتصف الساعة الواحدة ليلاً . وبعد أن بارح هذا الملتقى وصل إلى ملتقاه ببحار الزراف بعد أن قطع مسافة ١٤٢ كيلو متراً في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ١٧ فبراير المذكور وظل هناك في انتظار وصول باقي المراكب .

سفرها إلى الدبة

وما لاقته في ذلك من الصعب

وفي ١٨ منه انضم مؤخر الأسطول إليه في الساعة العاشرة صباحاً وأقلعت البواخر في الساعة ١١ والدقيقة ٤٠ وأخذت تقاوم التيار بشدة وكان سحب المراكب متعرضاً في النهر لظهور المنحنيات فيه فجأة أمام عين المسافر .

وكان بحر الزراف يسير بعرض من ٦٠ إلى ٧٠ متراً بين صفاف عالية يابسة يبلغ متوسط عمق الماء عندها من ٣ إلى ٤ أمتار محاذياً أرضًا تامة الاستواء ينتشر في أنحائها مجموعة من الغابات الجافة في تلك الآونة يدل منظرها على أن مياه النيل كانت تغمرها في فصل الأمطار . وينساب تيار هذا البحر بين أشجار هذه الغابات المشبكة الملتفة فيتفرع إلى عدة ترع تكون الملاحة فيها غاية في الصعوبة .

وفي هذا الوقت من السنة (٢٣ فبراير) تفيض المياه على حافتي النهر فكانت القرى المبعثرة في النواحي القصبية مغمورة بالمياه وتکبدت الجملة

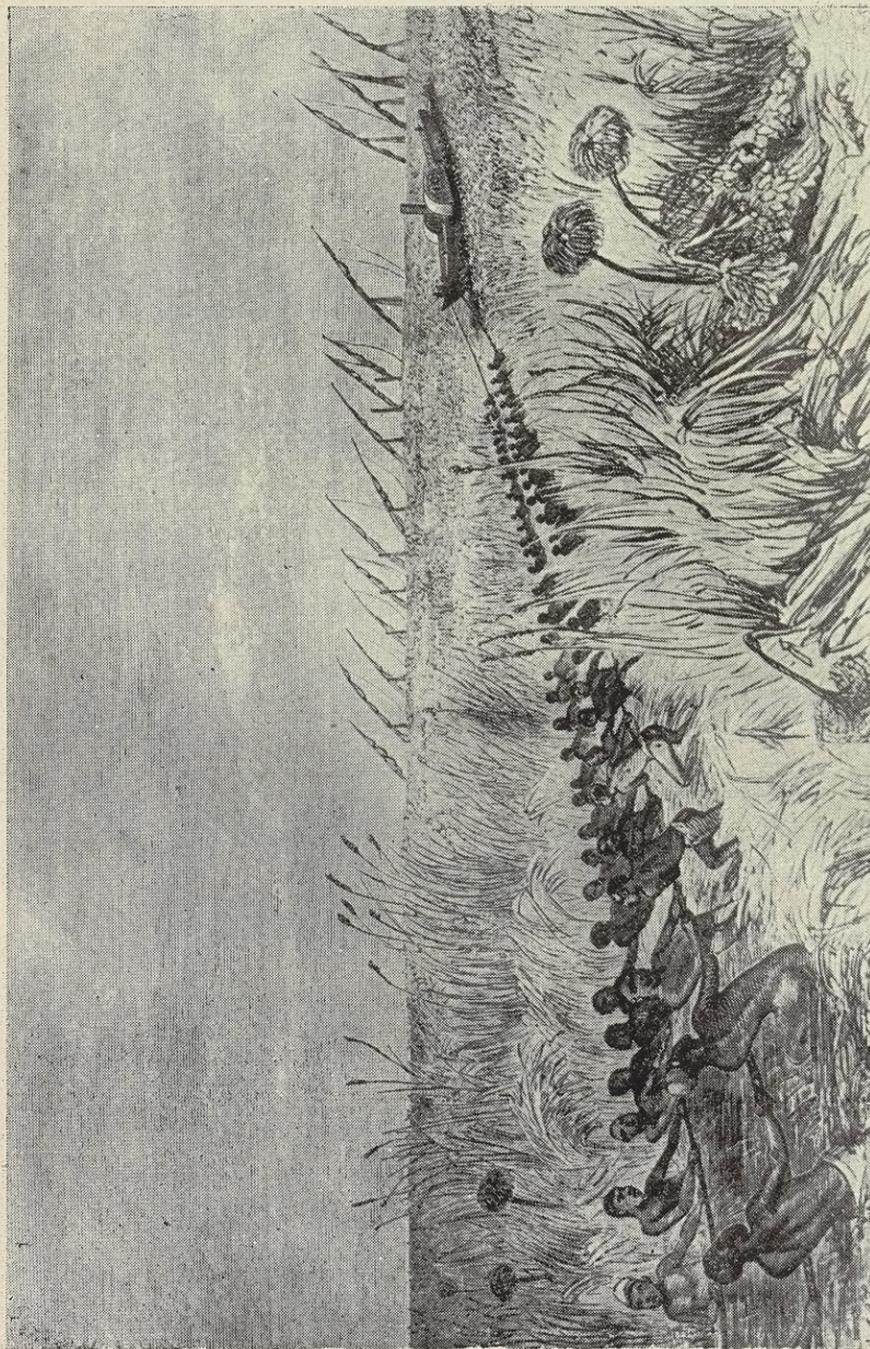
الغباء الجم في سيرها إذ كان عليها أن تشق لها طريقاً في وسط الأعشاب السماحة التي هي أشبه شيء بقصب السكر والتي يبلغ ارتفاعها من ٦ إلى ١٠ أمتار وتحت فيها فروع يشتبك بعضها البعض اشتباكاً لا انفكاكاً له.

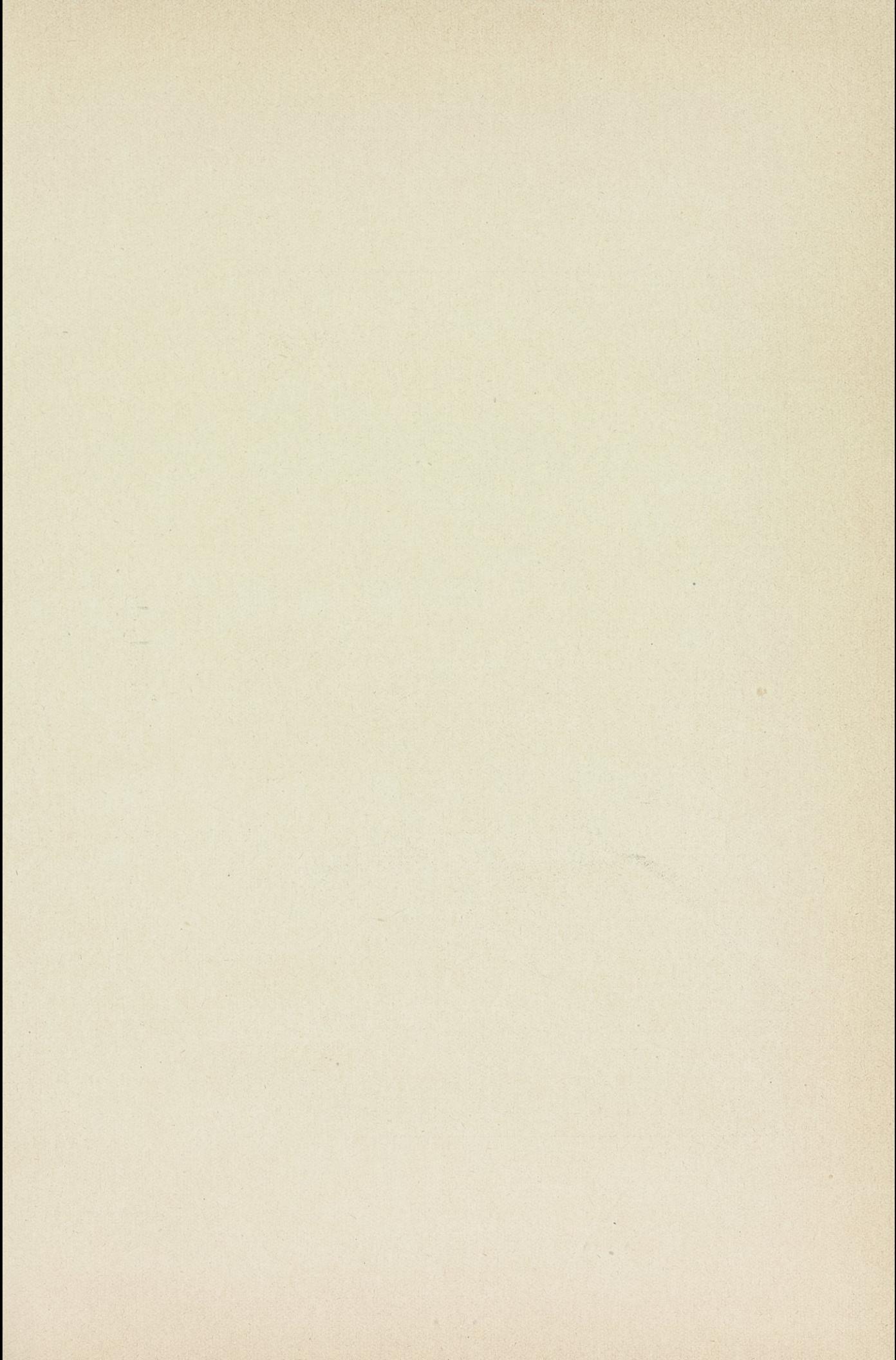
وَهَذِهِ السُّدُودُ كَانَتْ تَعْتَرِضُ الْأَسْطُولَ تَقْرِيبًا فِي كُلِّ خطوةٍ وَإِذَا
سَكَنَتِ الْرِّيحُ وَحَرَمَتْهُ قُوَّةُ الْانْدِفَاعِ الَّتِي كَانَ تُهْبِهَا لَهُ عِنْدَ هُبُوبِهَا
لَا يُسْتَطِعُ أَنْ يَخْتَرِقَ لَهُ طَرِيقًا إِلَّا بِجُهُودٍ تَكَادُ تَفُوقُ قُدرَةَ الْبَشَرِ .

وأخيراً هبت من الشمال في ٥ مارس ريح طيبة نفخت أوداج الأشرعة
فاخذت السفن تسير سيراً حسناً ثم بعد أن سكنت هذه الريح برهة قصيرة
عادت فتشطت وجعلت مواصلة السير ممكناً وصعدت الحلة الظهر بعد أن
قالست صعوبات هائلة . وعندما وصلت إلى الأرض الجافة التي يقال لها «الدببة»
وجدت هناك البآخرة رقم ٨ وجميع الأسطول وبذا صار لدى سير
صومويل ٣٤ سفينة بما في ذلك البآخرتان .

وهنا قامت الصعوبات الحقة لأن هذه المنطقة هي منطقة السدود وسائل
نواحها عبارة عن مستنقعات تعطى نباتات مائية مرتفعة جداً ولما تحيطها بعيد
العمق . وبعد أن حاول سير صمويل يذكر على غير جدوى أن يفتح له
طريقاً ، وبعد جهود شتى بذلت للوصول الى هذه الغاية انقضى فيها شهر ، اقتضى
أن دون مروره خرط القсад ، فقرر العودة حالاً الى بلاد الشلوك ، وأن يهتم
بها محطة مع أن ذلك سيرغمه على ضياع عدة شهور في انتظار الفيضان القادم .
وكان يعلم نفسه بأن يشغل رجاله في مدة فصل الأمطار بزراعة الفلال
ب بينما يقوم هو بعمل استكشافات على ظهر باخرة في النيل الا يض لعله يهتدى
إلى ترعة صالحة للملاحة .

سحب وأبورات الحلة في منطقة السدود





وخلع على كره منه وفي قلبه حسرة ورضي أن يعمل على تنفيذ هذه الفكرة . وفي الساعة الثالثة مساء وصل مع رفاقه إلى الأسطول واستدعي جميع الضباط وبخاصة ورئوف بك بين لهم الموقف وفي الحال غابت السفن اتجاهها . وفرح السكل من ضباط وجند وابتهجوا لهذا الرجوع الذي كان حسماً قام بأفكارهم لا بد أن يكون مآل الرجوع إلى الخرطوم وانفلاط الحلة .

وانسجمت مراكب الأسطول جميعها في ٣ أبريل وساعدتها الرياح والتيار معاً في ذلك الانسحاب ووصلت الحلة إلى بحر الزراف في ٩ أبريل حيث حصل الشروع في حفر الخنادق وهو عمل شاق استغرق يوماً كاملاً .

وفي ١٠ أبريل نزلت النهر الذي سارت فيه أولاً إلى أن وصلت إلى «الدببة» أو الأرض الجافة حيث كشفت عن آثار النحاسين وأخيراً وصلت في ١٣ أبريل إلى محطة «بك على». .

وفي ١٦ من الشهر المذكور وصل من الخرطوم أربعة مراكب وانضمت إلى الحلة وكان على ظهرها بلوك إمداد وجوabات من جعفر مظير باشا ومن مستر هجنبو ثام . وفي ١٩ منه وصلت الحلة إلى النيل الأبيض .

وفي ٢٠ منه سافرت في الساعة الخامسة صباحاً وكانت الذهيبة حسب العادة يجرها مركب بخاري . وفي الساعة ٦ والدقيقة ٣٥ ألتقت مراسيها على طول الضفة المقابلة للضفة المقام عليها مضرب محافظ فاشوده .

وفي ٢١ منه في الساعة ٩ والدقيقة ٣٠ صباحاً شوهد ١٢ مركباً آتية من الخرطوم منشورة الأشرعة تدفعها رياح شديدة تهب من الشمال الشرقي

إنشاء محطة التوفيقية

وفي ٢٣ أبريل سار سير صمويل ييـكـر ومعه باختران وذهياتان بقصد البحث عن موضع صالح لإقامة مستديمة فوصل الى ملتقى نهر سوباط بعد مسيرة ٤٠ كيلومـترـاً قطعها في ظرف ٣ ساعات وربع . ثم استمر في طريقه مسافة ٤٥ دقيقة أيضاً فانتهى هو ومن معه الى غابة واقعة في الشرق على مرتفع من الشاطيء . وفي هذا المكان صمم على أن يهيـم تلك الحطة اذ أن أرضه ثابتة ومرتفعة فلا تعلوها مياه الفيضان فضلاً عن أن هذه الغابة ستكون ينبعـعاً لا ينضـب يستورد منه ما يلزم من الأـخـشـاب للبناء ولـاوـقـود .

وفي ٢٦ من الشهر المذكور دخل الأسطول برمته تجراه سفينة بخارية وألقى مراسيمه تجاه الحطة المزمع بناؤها . ومن أول مايو تكون المعسكر وذلك بمدأن نزعت الشجيرات النابتة في أسفل جذوع الأشجار أما الأشجار المتدهة على حافة النهر فكان لكل منها مالك ولذا لم يشاً سير صمويل نزعها .

اليها مسيو ماركوبولو في برهة وجيزة المقادير المائة من المؤن والذخيرة التي كانت في السفن .

وقد أضحت بذلك محطة « التوفيقية » بهجة للناظرین غير أن الجرائم المستنشقة من جو المستنقعات الفاسدة ما لبثت أن نشرت بين ربوعها مرض الدوسنطاري وسرعان ما أنسأت مقبرة للتوفيقية .

وكان سير صمويل يذكر قد نوى من مدة مديدة أن يقوم باستكشافات ابتعاد الحصول على مر بين الأعشاب النابتة في النيل فاختار رجلا اسمه عبد الله من قبيلة الشنك ليرافقه في هذه الرحلة ويستحضر له ما يلزمه من الأدلة .

وسائل هذه الغاية في ١١ أغسطس سنة ١٨٧٠ م وكانت مياه النهر تقipض على جوانبه ثم عاد مع رفاقه إلى التوفيقية في ٢١ أغسطس بعد أن غاب ١٠ أيام قضتها في كد وعنة في استكشاف غدران بحر الغزال الوحمة المؤذية للصحة بدون جدوى .

عودة سير صمويل إلى الخرطوم

وعاد سير صمويل في هذه الأثناء إلى الخرطوم ليتأكد بنفسه مما إذا كانت أوامره تنفذ في أوقاتها أو يعتورها التسويف وكان قد قرر سفر الحملة من التوفيقية إلى الجنوب في أول ديسمبر لأن هذا الوقت يكون النيل فيه في أعلى الفيضان وفيه تهب ريح الشمال فتساعد سير المراكب .

ولما كانت التوفيقية واقعة في منتصف الطريق بين الخرطوم وغندوكورو طمح أن يجد الوقت الكافي لاجتياز المستنقعات والمنخفضات قبل انخفاض مياه

وقبيل سير صمويل يذكر احسن مقابلة من صديقه القديم
جعفر مظفر باشا غير انه وجد ان جميع الاعمال متأخرة حسب
العادة فلم يستعد من الثلاثاء سفينة التي كان موعوداً بها للحملة
 سوى سبعة مراكب . ولم تصل حتى ذلك الوقت الباخر من مصر
 وكذلك الخمسة عشر مركباً الكبيرة ظلت عند الشلالات ولم تستطع
 اجتيازها . فوجد نفسه مضطراً أن يقنع براكب الخرطوم التي ليس لها
 سطح وهى من أردا أنواع المراكب فضلاً عن أنه لا يوجد منها
 العدد الكافى . إلا أنه لحسن الحظ كان لديه السفن العشر التي استحضرها
 معه من التوفيقية فارغة في دونها كان يستحيل عليه أن يشحن أى
 شئ حتى ولا مؤونة الغلال . ومع كل فات حضوره إلى الخرطوم تتوجه عنه
 بعض السرعة في تجهيز المعدات .

عودته الى التوفيقية

وبعد أن أخذ سير صمويل أهبيه ورتب أعماله على أحسن الأحوال
التي تقتضيها مصلحته البحر من الخرطوم في ١٠ أكتوبر سنة ١٨٧٠ إلى التوفيقية
وحضر حضر حضر مظفر باشا وكبار موظفيه إلى المרפא لتوديعه وعزف الموسيقى

واطلقت المدفع ثم تحرك الأسطول للرحيل . وفي ٢٢ أكتوبر وصل الى التوفيقية والفيضان بالغ اقصاه فكان يزيد ارتفاع النهر على زمن التحاريق ، امتار .

وكان الوقت لا يسمح له بضياع لحظة منه اذ انه قرر ان يسافر في اول قسم من الأسطول في اول ديسمبر الى غندوكورو .

وفي ٢٣ نوفمبر دارت الريح وعصفت من الشمال بشدة وكانت الاستعدادات اوشكت ان تتم وكانت كل سفينة قد رمت من اساسها الى رأسها إلا ان الكثير منها كان قد اصابها العطب ووجدت اخشابها متعفنة حتى انه ليلوح أنها لا تقدر على الأسفار الطويلة رغمًا عن جلفتها . والذهبية الحديدية استبدلت الواحها التي اكلتها الصدأ بألواح أخرى جديدة بعد أن سببت الى البر .

سفر الأسطول من التوفيقية

وسافر القسم الاول من الأسطول وكان مؤلفاً من عمانى سفن في اول ديسمبر وكل ثلاثة أو اربعة ايام كان يقوم على الآخر قسم آخر منه وذلك حسب الترتيبات التي كان سير صمويل بيكر قد قررها من قبل .

واخيراً في ١١ ديسمبر سافر هو على ذهبته مع ساق الأسطول المكونة من ٢٦ سفينة .

وبلغ الفيضان في هذا الوقت ارتفاعاً خارقاً للعادة وهذه مصادفة حسنة إذ ان نجاح الحملة يتوقف على عبور هذه المنطقة قبل انخفاض المياه . هذا اذا اريد ان تكون الحملة في هذه الآونة اسعد حظاً مما كانت في شهر ابريل من السنة الماضية .

وبعد سفر سير صمويل يذكر بزمن يسير علم بحدوث حادث مكدر ذلك
أن سفينته من سفن ساق الأسطول كانت تحمل أجزاء الباخرة التي طولها
٥ قدماً قد غرقت قرب مصب نهر سوياط فكان لا بد من الرجوع على عقيبه
نحو ٢٠٠ كيلو متر .

وقد عاد فعلاً ووصل إلى محل الحادثة في ١٨ ديسمبر ثم أرسل في طلب ٢٥٠ رجلاً من الملك وبجهودات هؤلاء ومجهودات الجندي أمكن تعويم السفينة فاتخذت طريقها ثانية في البحر في ٣١ ديسمبر.

سنة ١٨٧١ م

وصول الأسطول الى غوندو كورو

وبعد سفر دام ٢٦ يوماً وصل الأسطول في ٧ يناير سنة ١٨٧١ م الى الغابة الواقعة جنوب محطة « بجك على ». وصادفت الجملة عند ملتقى بحر الزراف عقبة كأدأء يكاد يكون تذليلها فوق طاقة البشر . ذلك أن الطريق الذي قطعه في السنة الماضية عاد فانسد واحتاج الأمر الى حفر خنادق وجر المراكب وتغليفها وإعادة شحنها مراراً وتكراراً .

واستمر هذا العمل من ١١ فبراير الى ٢٠ مارس وهو تاريخ دخول الأسطول الى المياه الطلقة في النيل الايض بعد أن مات خلق كثير . أما الامراض فلم يسلم منها إنسان . وفي النهاية دخل الأسطول جميعه إلى المياه الطلقة في هذا التاريخ الأخير . وبعد استراحة بضعة أيام عاد الأسطول والخذ سبيله الى غوندو كورو فوصل اليها في ١٥ ابريل .

إخضاع الجملة لقبائل هذه الجهة

وما جرى في ذلك من الحوادث

وقد أرسل سير صمويل يذكر في طلب رئيس قبيلة الباريين Baris المدعو المورون Alloron خضر في الحال ومعه بعض أهالي تلك الجهات . وقال هذا الرئيس لسير صمويل ان قبيلة لوكياس Loquias أغارت على هذه المنطقة ونهبتها وحرضها على ذلك التجار . فوعده بأن يمد له يد العون إذا هو تعهد بأن يرجع مع شعبه الى منطقته ويعرف بتبعيته

للحكومة الخديوية ويزرع حبوبًا ويشيد مساكن للجيش . ووعد اللورون باجابة كل هذه المطالب . وبناء على اقتراح سير صمويل استدعي بعض رجال قبيلته وكبار رؤسائها لعقد مجتمع عام بعد وقت قصير .

وفي ١٦ أبريل حضر اللورون ومعه عدد من رجاله وافتتح كلامه بطلب عرق وكنياك ثم صرخ أنه في حالة عداء مع القبائل المجاورة له ولذلك لم يستطع أن يحازف ويبحث عن خيارات أو غيره من الأدوات الالزمة لبناء المعسكر للآن . فأجابه سير صمويل بأنه إذا لم ينفذ أوامره فسيكون مضطرا لأن ينزل عساكره في قراه وبذا يكون هو وقبيلته عرضة للأمطار .

وكان ملامح اللورون ورجاله تم عن أخلاق غاية في الشراسة . وكان سير صمويل يذكر يعرف الباريين حق المعرفة ويعرف أنهم ينفون من عدتهم من سكان حوض النيل توحشا وهمجية ولكن ما كان يتضمنه مقاتلة سيئة إلى هذه الدرجة .

ولم يعتقد الملك اللورون صحة التفصيات التي أبدتها سير صمويل يذكر بشأن الغرض من الجملة وأبدى لرجاله الذين معه بعض ملاحظات وهو يتسم بابتسamas اشتئار . فمع إدراكه أن النهاية ألغيت إلغاء تماما في نفس قبيلته لم يسلم بتطبيق هذا المبدأ تطبيقاً عاماً فسأل : وماذا يكون مصير تجار العبيد ؟

أما الإيضاحات الشافية التي أبدتها البكمباشي عبد القادر افندي ردآ على سؤاله السابق فقد قوبلت من ذلك الملك بضحكه عالية وحسنة .

وكان رجال أبي السعود العقاد ابن عم السيد حسن موسى العقاد وكيل

شركة العقاد التي كانت استأجرت المركز من الحكومة تحت ستار التجارة في العاج ظاهراً والخاسة باطنًا عندما أخبروا اللورون بوصول الجملة حذروه منها وأفهمواه أنها إذا لاقت صعوبات كبيرة ترتد على أصحابها إلى الخرطوم . وكان مازال قائمًا بفكر اللورون أن كثيراً من الأوروبيين زاروا غندوكورو كما يزورها الآت سير صمويل ورجع الكل ولم يسبق منهم واحد . فكان إذن من الطبيعي أن رجلاً همّجياً كهذا اتحدت رجاله بآخرين يستغلون بالخاسة لغزو البلاد البعيدة ونهبها ينفر من حكومة جديدة وطدت العزم على بث روح النظام واحترام الشرائع والقوانين . وكانت قبيلة اللورون قد اشتراك مع النخاسين من عدة سنين ، ومن وقت ما استأجرت الناحية برهمتها شخص واحد ، أى أبي السعود ، صار هذا الملك وكيلًا له . ولم يلبث سير صمويل أن أدرك الحقيقة وعرف أن عددًا كبيراً من رعايا اللورون في داخلية البلاد وأئمّتهم مأجورون لأبي السعود .

والباريون قوم جبلوا على الحرب والكفاح وهم من خيرة الجندي وبذلك كانوا يؤدون لصيادي العبيد بمعونتهم خدمة جلى لاسيما أن غندوكورو نظراً لحسن موقعها هي النقطة الوحيدة الصالحة لإقامة محطة هامة . والتجار الذين احتكروا تجارة العاج أصبحوا بحكم الطبيعة حلفاء اللورون .

وكان المحتكرون قد سلحوه مئات من الرجال بالبنادق تسليحاً تماماً بكيفية صيرت قبيلة اللورون وشركة أبي السعود جيشاً من قطاع الطرق منتشرًا بين مختلفي المحطات التي في حوزتهم في أنحاء الأقاليم . وبلغ مجموع ذلك الجيش ١٨٠٠ رجل وأقامت الشركة مخزنًا لها في غندوكورو .

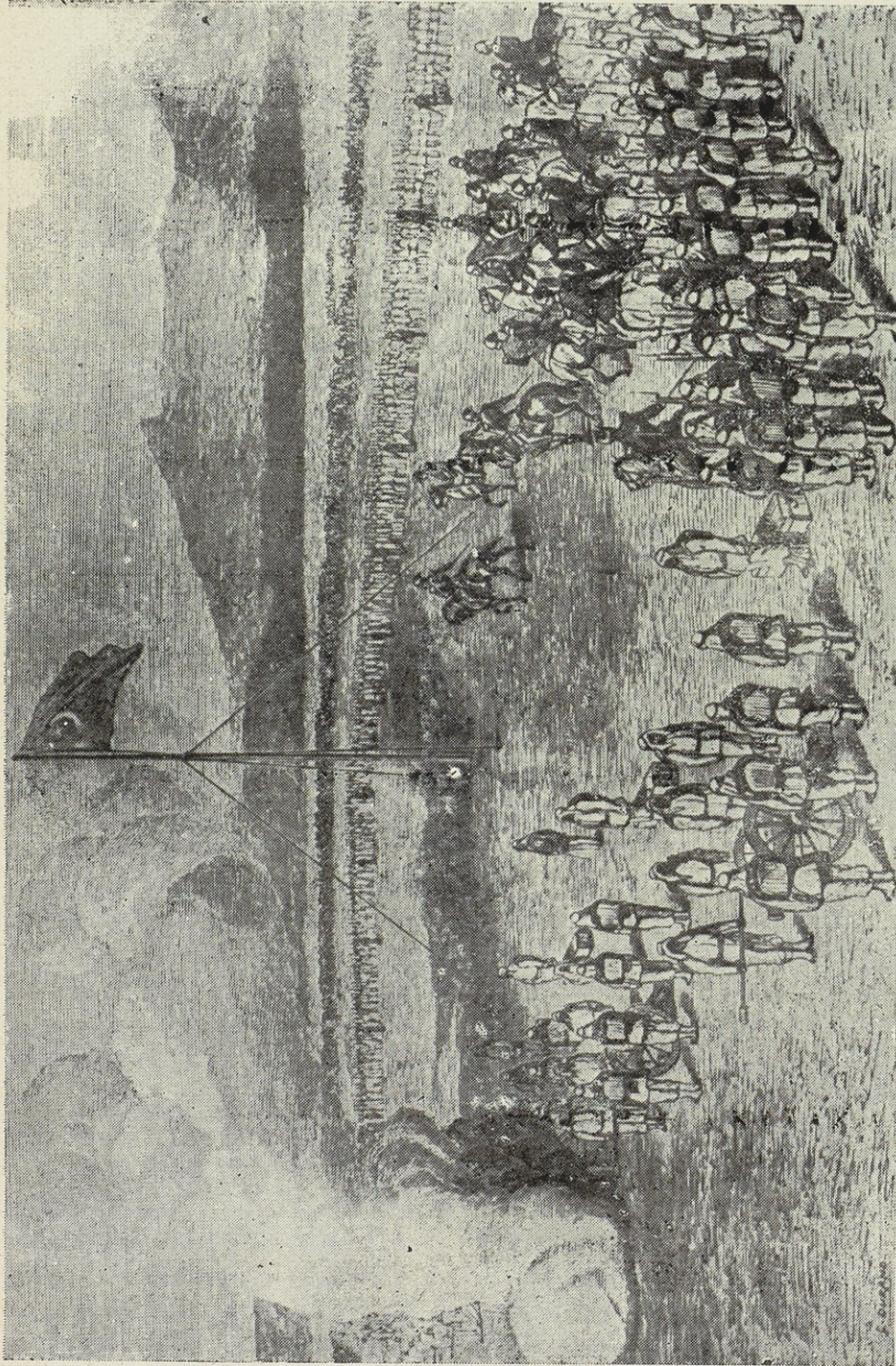
وحدثت مفاوضة جديدة بين اللورون وسير صمويل فطلب هذا

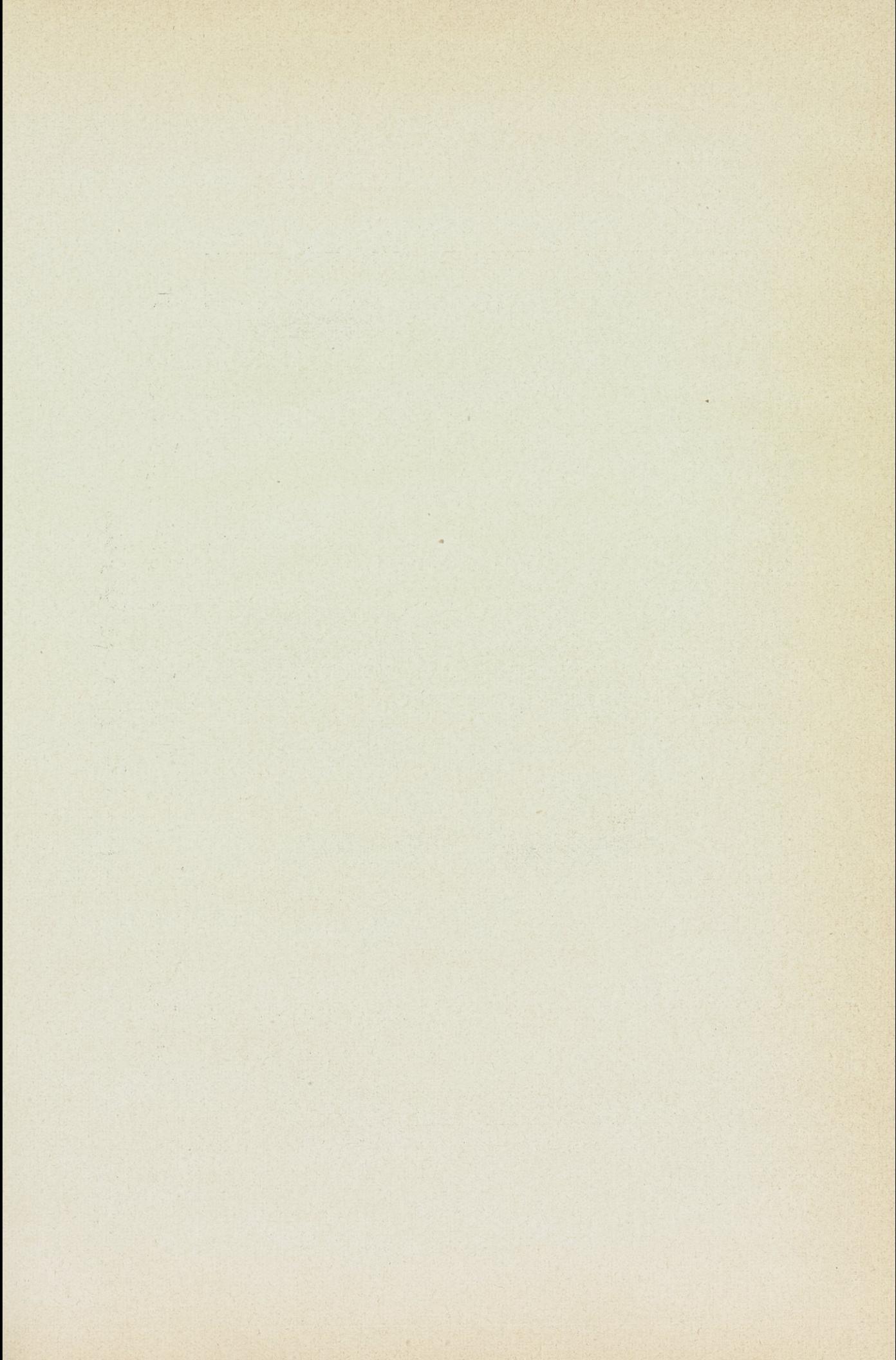
من الأول بطريقة حاسمة مواثي لجيشه ووعده بأن يدفع له فيرماننا
عاليًا . ورأى سير صمويل بجلاء أن السياسة السيئة التي ينحوها الوطنيون
تنحصر في تجويح الجيش حتى تضطر الحلة إلى الرجوع إلى الخرطوم ، وعلى
ذلك أفهم اللورون الخطر الذي ينجم عن اللعب مع أسد جائع فيكشـر
الل سورون عن نابه بابتسمة وقال : أتريد ماشية ؟ هذا شيء حسن . ساعطيك
أدلة وعليك أن تذهب فتغير على واحد من جيرانى وتستولى على قطعـانـه
فتغـنيـك زـمـنا طـوـيلا .

فأجاب سير صمويل بأنه لا يريد أن يلحق بأى إنسان أذى إذا كان هذا الإنسان لم يلحق به ضرراً . وبما أنه هو أى اللورون يأبى مساعدته فلا يقبل أن تدخل قطعاته في مراعيه ، بل عليه بناء على ما تقدم أن يرعها من الآن فصاعداً في جزر الهر المنخفضة .

وكان لدى سير صمويل ييكير ١٢٠٠ جندي و ١٠ مدفع جبليه محلزنة زنة مقدوفة الواحد منها ثمانية أرطال وربع . وكانت هيئة الجنود وهم متسلحون يذلهم البيضاء وفوق رؤوسهم كوفياتهم المسندلة على أكتافهم

الاحتفال في غندوكورو باعلان ضم مديرية خط الاستواء إلى أملاك الحكومة المصرية
بصفة رسمية يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٧١ م.





حسنة جداً . وعند ما ساروا والموسيقا تصدح أمامهم من المخطة الى أن
وصلوا الى السارية المذكورة . ثم لما لاحوا من خلال الأشجار
الخضراء وانتظموا على شكل بلوكت بميدان المناورات ، أخذت مشايخ القرى
العديدة ترمقهم بأبصارهم دهشة مندهشة من هذا المنظر العجيب الذى لم يسبق
أن تقع أعيتهم على مثيله .

اصطف الجيش صفين عندما وصل أمام هذه السارية في النجد المطل على
المخطة واسترعى صف الحراب اللامعة المتلاةة وكساوى الضباط الحسنة اللطيفة
نظر الاهالى ، ولبس البحارة والخدم والمنوطون بصيانة ونظافة المعسكر أخفر
ثيابهم . وبرز اللونان الأبيض والأحمر في المؤخر بين الأشجار وعلى النجد
الأخضر بشكل يهر الأنوار ويأخذ بالأباب .

وكان أركان حرب سير صمويل مؤلفاً من الملائم يذكر والبكاشى
عبد القادر افندى وثلاثة ضباط آخرين غير مستر هجنبوتام . وبعد أن دار
سير صمويل يذكر حول الصف وقف تحت السارية وشكلت الجيوش مربعاً
احتلت القيادة ثلاثة أضلاع منه وكانت الطوبجية مع مدافعها الستة الضلع الرابع
وهي متوجهة نحو النهر .

وتمت قراءة اعلان ضم الناحية الى مصر رسمياً باسم الخديو تحت تلك
السارية وعند تلاوة الكلمة الأخيرة من آخر جملة رفع العلم المصرى بسرعة وأخذ
يتحقق على رأس السارية تلاعب به نسمات عالية تحفظ الضباط سيفهم ورفعت
الجنود أسلحتها للسلام وأطلقت البطاريات مدافعاً التحية الملكية .

وبعد أن انتهت الحفلة سار الجندي بنظام ثم اصطفوا متباينين لقتال كأئمهم

يغون قتال عدو وهمي واطلقوا ما يقرب من عشرة آلاف طلقة وهم نازلون الى السفح القليل الانحدار الموصل الى المعسكر الموقت والمضارب التي نصبت للوليمة . وعندما وصلوا اليها نفخ في البوق فقضت الجنود صفوها وفرقوا وأخذت في الحال تهيء الطعام لاكلها . وفي الغد أعلن الأمر الآتي :

أولاً — ممنوع قطع أو إتلاف أشجار الأثل أو الأشجار التي يستخرج منها الزيوت منها كان الداعي . وممنوع أيضاً إبادة أو اتلاف أية شجرة من أي نوع كانت وذلك في دائرة قدرها ٢٠٠٠ خطوة حول المعسكر .

ثانياً — ممنوع الابتعاد عن المعسكر أكثر من ٢٠٠٠ خطوة إلا إذا كان ذلك بأمر من البشا أو من رعوف بك .

ثالثاً — تجارة العاج ممنوعة وممنوع أيضاً قبول هذا الصنف بصفة هدية أو مبادلة بشيء آخر . وممنوع كذلك قتل الأفيال أو السماح بقتلها إذ أن جميع العاج هو ملك للخديو وتجارته محكمة لسموه .

رابعاً — ممنوع شراء الرقيق أو قبوله بصفة هدية .

وكل من يخالف هذا القانون يعاقب بالعقوبة التي يقررها يسكي باشا .
(س . و . يسكي)

* * *

ولولا صدور هذا القانون لكان الرجال الذين يشتغلون في الخازن وفي بناء الحطة قد قطعوا جميع الأشجار المجاورة للمعسكر .

ولما رأى سير صمويل يذكر أن الباريin لم يخضعوا ولم يوردوا الأدوات اللازمة لتشييد الخطة ولا الأنعام المطلوبة لغذاء الجيش أمر بحجز جانب من سالمهم وأودعها المعسكر . وعلى أثر ذلك حضر وفد مؤلف من مشائخهم لزيارة سير صمويل ليرجوه أن يفك عقالها .

فأجابهم أنه يجب عليهم تقديم الطاعة للحكومة . وبما أنهم لم ينفذوا أي أمر من أوامره فسيحتفظ بهميشتهم وهي تقرب من ٢٠٠ رأس إلى أن يخضعوا لسلطة الحكومة الخديوية وأنه مستعد أن يردها لهم إذا هم احضروا قضا وآمدوا الجيش بمعونتهم في بناء المحطة العمل الذى كانوا يقومون بتاديته سنويا لرجال أبي السعود .

وقامت على أثر ذلك محاولة بين المشايخ فصرح سير صمويل ييكر بأن عدداً كبيراً من الشيوخ الباريين لا يدين بالطاعة إلى الورون فصار من اللازم انتخاب شيخ مسئول وان الشيخ الذي ينتخب في هذا المجلس يعتمد هو نائباً عن الأمة جميعها وتعطى له السيطرة . فقبل الجميع ذلك وانتخب بأجماع الآراء شخص يقال له مربيه Morbé ليكون شيخاً مسؤولاً . وقد قبلته كل المشايخ بدون استثناء وصرحت بأنها ستطيع أوامره .

ووجهه بعد ذلك الشيخ الجديد الكلام إلى سير صمويل ييكر فقال:
بالنسبة عن جميع المشائخ أرجوكم توطيداً للدعائم الثقة وحسن الارادة أن
تطلقوا سبيل الماشية التي حجزت ملوكها.

وكان سير صمويل يذكر متظراً أن يباغت بهذا الطلب فأجابه أنه سيجرب إخلاصهم برد ماشيّتهم . وفعلاً أمر بذلك في الحال . وأحضر

الباريون بعض حزم من الخيزران وبعض القش ولكنهم لم يقدموا حتى ولا بقرة واحدة الى الجيش بل اكتفوا بأن حصلوا على انعامهم وصرفوا النظر عن وعدهم وصرفوا أذهانهم حسب عادتهم فيما سلف لتجويع الحلة مؤملاين زيادة استيائها ووقوعها في الفشل وذلك أمر لا يطاق الصبر عليه طويلا .

ولما كان معتقداً أن الحرب لابد أن يشب أوارها عاجلاً اتخذ عدته ذلك . ففى ليلة ٤ يونيو ألقى الحراس القبض على اثنين من الوطنيين انسلا إلى حظيرة الماشية تحت جنح الظلام واعترف واحد منها أن ثلاثة من الأهالى كانت مجتمعة في الأعشاب العالية قرب مجرى النهر وقصدتها مهاجمة الحظيرة في الایل وأطلقت بعض طلقات نارية .

وعلى ذلك قرر سير صمويل نهائياً القيام بمقابلة الشر بالشر . ففى ٥ يونيو ذهب ستون جندياً على خمس سفن ونزلوا في طرف الجزيرة من الجهة الشرقية ونزل بلوكان على الضفة المواجهة للمحطة ويمم هو الجهة الغربية ومعه بلوكان آخران على ظهر باخرتين .

وأعلنت هذه التعبئة في الأوامر ودوى صوت الطبل الكبير في كل الأحياء ولم تقابل هذه الجيوش بادىء بدءاً من الاعداء ، ولاحت الجزيرة أشباح شيء بالصحراء لكن لم يركن سير صمويل إلى الظواهر فأمر مقدمته بأن يسيراً عدوا إلى الإمام . وفي هذا الحين سمعت طلقات البنادق تدوى في طرف الجزيرة فاندفع الجيش عدوا ووصل تماماً في الوقت اللازم ، ورأى الوطنيين قد بلغوا بمحاشيهم شاطئ النهر الشرقي فاحتازت الجنود النيل بسفتهم بسرعة واقتفووا أثر المارين .

ولم يكن الباريون يتذمرون أن تطاردهم العساكر في منطقتهم فاستمروا يسيرون الهوينا آمنين مطمئنين بعد أن دخلوا الغابة ولما كانت عساكر الحلة السود بارعين في العدو خفوا خلفهم حتى لحقوهم وأثخنوه وعادوا ومعهم جانب كبير من الماشية . وقد رجم الجيش إلى معسكره في الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر بعد أن ظل على قدمه أربع عشرة ساعة تحت وهج

الشمس المحرق .

وفي ٧ يونيو اقترب بجأة باريو « غندوكورو » المتشالقون مع أهل بلنيان Bélinian ضد الجملة زاحفين خلف الأشجار والأدغال كا هي عادتهم وانتصروا على حرس المواشى وقتلوا جندياً بسهم وجرحوا آخر بضربة حربة فأمر سير صمويل ييكر في الحال بمهاجمة قيادة بلنيان في نفس هذا اليوم . وباح الحطة بعد منتصف الليل بنصف ساعة ممتطيا جواداً ومه الملازم ييكر ومستر هجنبوثام والبكباشى عبد القادر افندى وعشرون جندياً من رجال حرسه . وكانوا يسيرون في سكوت عميق حتى لا يتبه لهم رقباء الأعداء الذين من عادتهم أن يجوسوا كل ناحية في جوف الليل . وعندما وصلوا إلى المعسكر العام الواقع على بعد كيلو مترين ونصف كيلو متراً وجدوا أربعة بلوكتات بأسلحتها ومعها مدفع وانطلقوا في السير عن د الساعة الواحدة وبمعيهم دليل من الباريين اسمه شروم Sherroum وهو الذي انضم مع صديقه مرجان Morgan في خدمة سير صمويل من وقت بداية الحرب . ويتكلم هذان الشخصان اللغة العربية وصارا من بعد هرب الترجمان تومي Tomby وانضمامه للأعداء حلقيين للحملة لا تقدر خدمتها قيمة .

وتقىد الطريق الموصلة الى قرية بلنيان ثلاثة كيلومترات في منطقة جردا . وبعد هذه المسافة دخل الجيش في غابة مظلمة جداً لاق فيها مصاعب شتى في جر المدفع الذى كانت دواليه تشتبك في كل لحظة في جرائم الشجر وجذوره . وما زاد الطين به كثرة الفدران في تلك الجهة فكانت الخيول تسونج أرجلها في الطين ، وكان الانسان لا يستطيع أن يرى المواضع الموحلة لشدة الظلام . ففى هذه الامكنة كان يلزم لجر المدفع ثلاثون

جندياً وخيف من عواقب التأخير أن تكون وخيمة . وبعد انصرام الليل أخذ المطر يهطل من فروج السماء وبعد مضى ساعة وصلت الفرقة إلى أرض جافة غير ممتدية ليست بها أشجار وتبدلت الغيوم وانقطع المطر .

وفي الساعة الخامسة صباحاً أوقف الدليل الحملة وقال إن القرية التي أتينا للاغارة عليها أصبحت قرية . وبعد استراحة نصف ساعة عاود الجندي المسير وكان ذلك عند بزوغ الفجر فوصلوا بعد قليل من الزمان أمام القرية فوجدوها محاطة بمحاجز مستدير كبير .

ولما رأى الأهالي الحملة أرسلوا إليها وابلًا من الشهان التي لم تصب لحسن الحظ إلا واحداً فصوب الجنود عليهم في الحال طلقات عديدة دفعة واحدة جعلتهم يفرون إلى الغابة مشتتين تاركين القرية فدخلتها الجنود آمنين وغنموا منها ٦٠٠ رأس من البقر .

وبعد أن استراح الجنود وتناولوا فطورهم أضرموا النار في القرية وأخذت الحملة طريق العودة فوصلت إلى محطة « غندوكورو » من بعد غروب الشمس بساعة تقريباً وعلى هذا يكون غيابها قد استغرق نحو ١٩ ساعة من الزمن .

وفي ٩ يونيو رأت الحملة تماي سفن من مراكب أبي السعود . وقد سافرت هذه السفن وصادقتها ريح طيبة فوصلت وألقت مرايسها أمام الجزيرة عند منتصف الساعة الثالثة مساء ، وكان نفس أبي السعود مسافراً على ظهر إحداها . وقد ساعد تلك السفن في رحلتها هذه الخنادق التي حفرتها الحملة في قدمها .

فأمر سير صمويل يذكر أولئك الرجال أن يخطوا رحالمهم على ضفة النهر الغريبة لكي يبعدم عن جيشه إذ لا يبعد ان يؤثر أولئك على هؤلاء أو يفسدوا أخلاقهم . وأخبر أبو السعود سير صمويل بوفاة العقاد وبأنه تولى لكونه صهره إدارة شركته . وقد كانت هناك شيء آخر اخفاه عنه ذلك أنه بينما كان قادما في سفره هذا سلب مواشى من منطقة أحد مشائخ قبيلة الشيريين اسمه نيانبوريه Nianboré وكان هذا الشيخ قد اضطرب مواليا لحكومة فترك لديه سير صمويل نائباً عنه يمثل الحكومة وهو البكباشى احمد رفيق افندي ومعه اونباشى وستة جنود .

وقد ذهب جمع غير من الباريين الى أبي السعود وعاونوا رجاله في إقامة معسكرهم العمل الذى أبوا بتاتا ان يقدموه للحملة فدل هذا على أن أبي السعود خائن إذ أنه كان يعلم حق العلم ان هذه الحملة فى حالة حرب علنية مع الباريين .

ولما ذهب سير صمويل وبعنته بعض الحرس الى معسكر أبي السعود ووقع انظار الباريين عليه لاذوا بأذىال الفرار واختفوا بين الأعشاب . وعندما تزل من الباحرة توجه توا الى حظيرة المواشى وأقام أربعة حراس عليها واعلن مصادرتها . وكان لا بد من إبداء هذه السيطرة والقوة لوضع حد للسلب والنهب الذى كان يقع من أولئك الذين يقال لهم تجار الخرطوم .

وعندما رجع حرر المرقوم الرسمى الآلى الى أبي السعود :-

الاسماعلية « غندوكورو » في ١٨ يونيو سنة ١٨٧١

إلى أبي السعود وكيل شركة العقاد .

لقد وصلت في ١٠ الجارى ومعك عدد كثير من المواشى التي سلبها

أنت ورجالك . ومع أنك كنت تعلم أن الباريين يناصبوننا العداء فانا نراك ترتبط معهم كل يوم بروابط الصداقة والودة . فإذا كان باريو هذا البلد يناصبون كل حكومة نظامية العداوة والبغضاء فما ذلك إلا بمعونة رجالك الذين بسرق THEM العبيد والمواشى في داخلية البلاد واحضارها . الى هنا أضاعوا كل أمل في تحسين حالة شعب همجي بسليقته ، وصيرونوه أنتم شعب لصوص وقطعان طرق . وبما أني لا أستطيع احتمال تماديكم على ذلك فأعلنكم كما يقتضى بذلك واجبي أن تخالوا أنتم وأتباعكم عند نهاية العقد الذى يديكم المنطقة النازلين بها والموكول إلى التصرف فيها . وفي الوقت نفسه أصرح بأنى قد صادرت لصالحة الحكومة المواشى التي سلبتموها من هذه المنطقة .

صمويل . و . يكر

* * *

وعندما وصل أبو السعود إلى غندوكورو واصل دسائسه وطبق يخابر باري اللورون وباري بلنيان سراً وكانت جواسيس هؤلاء تنقل له حركات وسكنات الحملة وتذيع في كافة أنحاء البلد اشاعة مقتضها أن أبا السعود سيمد يد المساعدة للإهالي في سبيل مقاومة سلطة سير صمويل . وفي الوقت نفسه كان ذلك الشقى يذكى باستمرار نار الخلاف الذى أوقدتها بين ضباط الحملة وجنودها . ولما كان الباريون لا يجرءون على مهاجمة الحملة وجهاً لوجه كانوا كثيراً ما يأتونها ليلاً فيقلقونها ويتعبون الجندي كثيراً إذ يضطرونه بصيحة أن يستمر واقفاً على قدميه .

ومما زاد في تحرج الموقف أن وقع كثير من الجنود بين براثن الجمـى

والدوسيطاريا وخصوصاً مرض تقرح السيقان وهو على ما يلوح مرض معندي وفي بعض الأحوال يقضى على الساق قضاء مبرماً فيتلغى إتلافاً تاماً . وكان لا محيد من أن يتولد من جميع ذلك حالة يأس وقنوط فكان رجال سير صمويل يشعرون بمرارة من حرج موقفهم فقد انهكهم واضطربهم التعب إذ كان عليهم أن ينسوا المعسكر ويقاتلوا في الوقت نفسه الباريين . وكان الجميع يهددهم من جهة أخرى لأن حالة النيل الخفيفة ما كانت تترك مجالاً للأمل في وصول مؤونة الغلال المرسلة من الخرطوم .

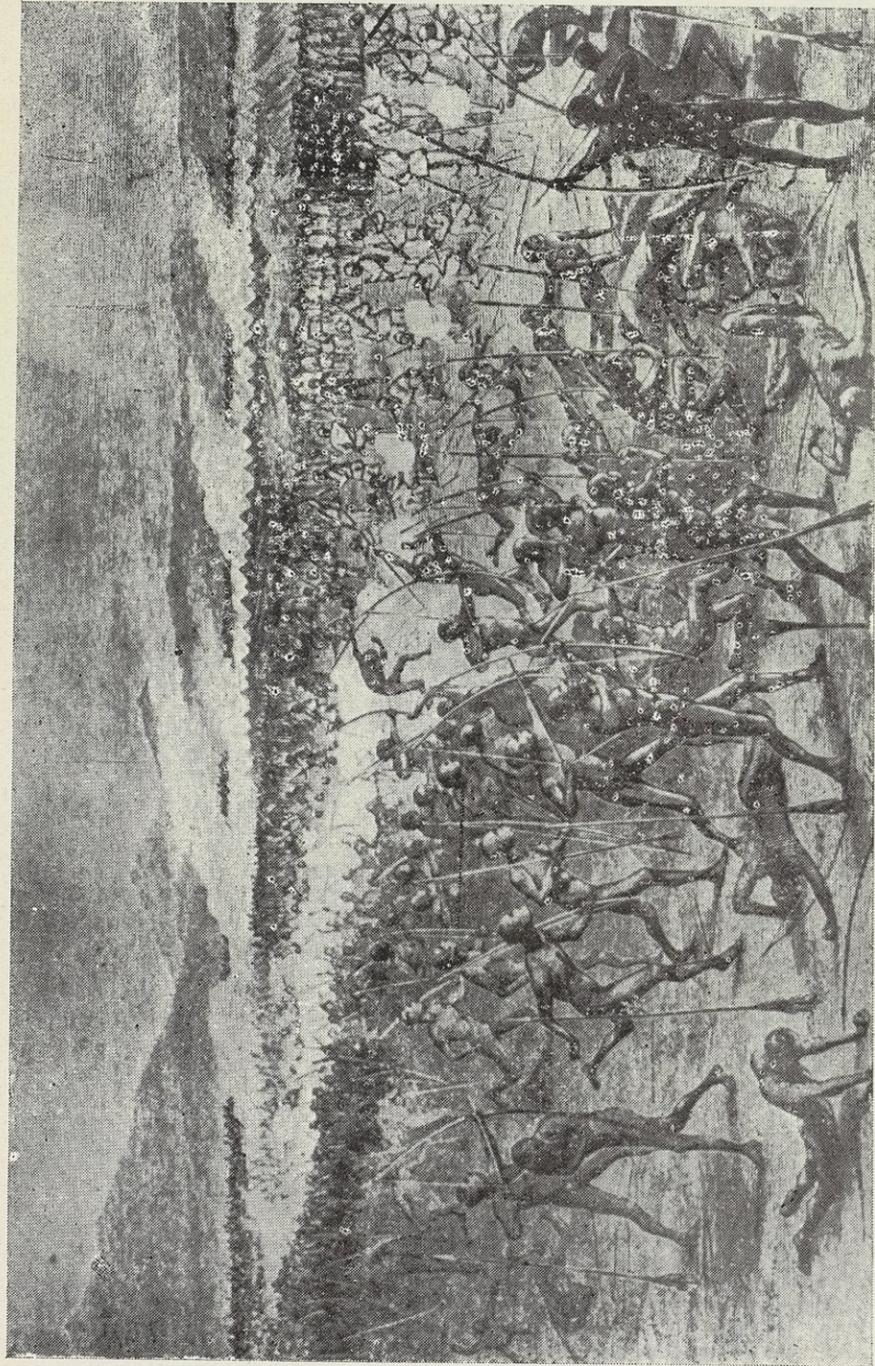
وكان موضع المحطة التي يبعد عنها بعض المسافة من المعسكر العام كثير الملاعة إذ كان يحدها شمالاً بحيرة عميقه وشرقاً مجرى النيل الأبيض فما كان يستطيع أحد أن يصل إليها إلا من ناحيتين .

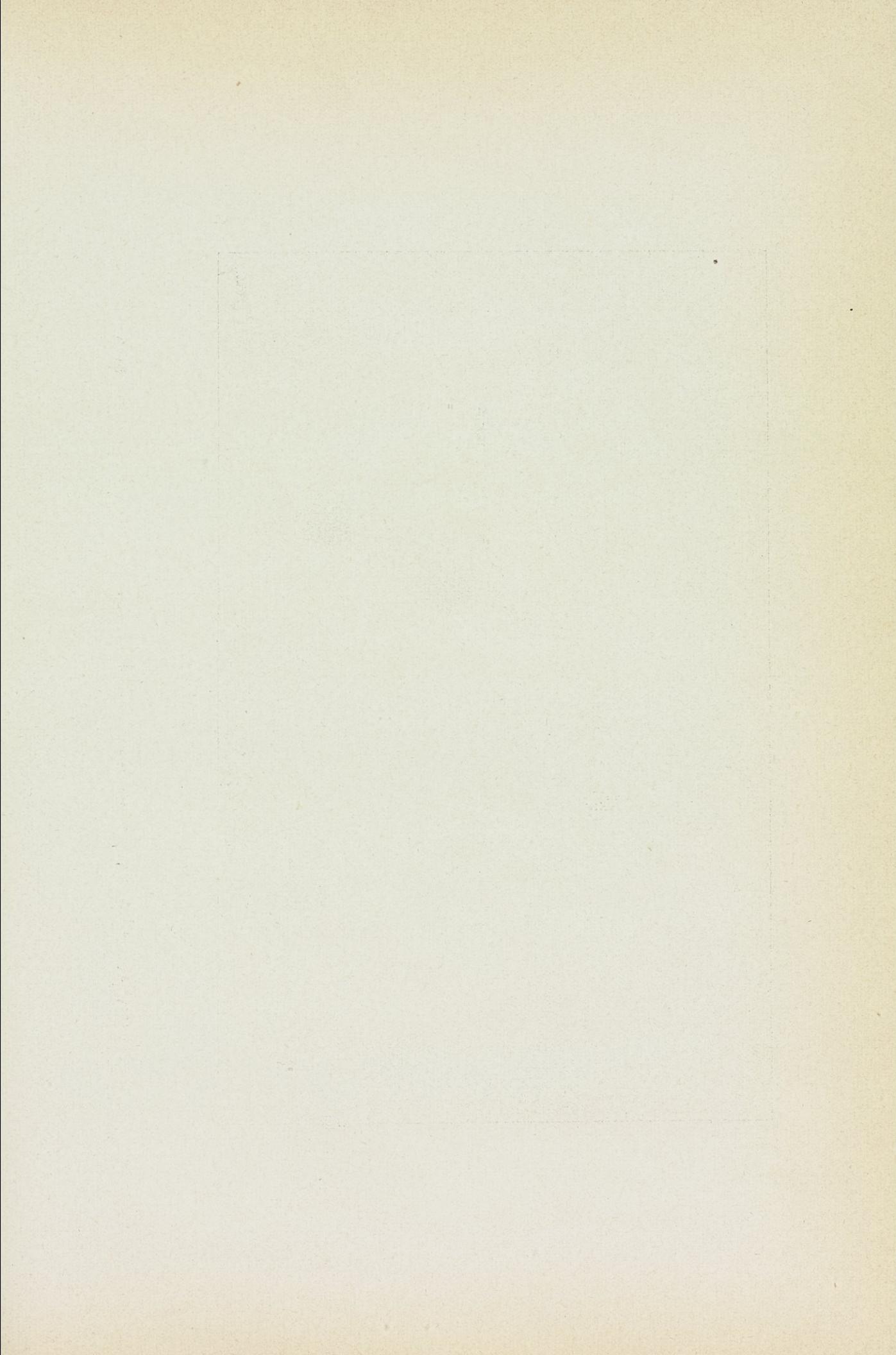
وقد واصل أهالى قبيلة بنيان بالاتحاد مع باري غندو كورو محاولاً لهم الليلية بقصد سرقة مواشي الحملة رغمما عن الانذارات التي وجهها سير يذكر فاضطر رجاله أن يكونوا دواماً واقفين على قدم الاستعداد .

وفي ٢٨ يونيو قتل رجل من الباريين بطلق ناري وألقى الحراس القبض على آخر وشنق على شجرة في نفس الطريق الذي يسلكه رجال بنيان أثناء قدومهم للاغارة على المعسكر . وكان الغرض من ذلك إنذارهم ولكن هذا العمل لم يأت بجذوى . واستمر شن الغارات وزاد عماماً كان في المدة السابقة .

وفي ١٠ يوليه هوجمت ساعة الحملة في وسط النهار بينما كانت ترعى في مرايعها وكان المهاجمون مئات من الباريين فردهم جنود الحملة إلى الغابة بعد أن قتل جندي وجرح آخر .

حجمة ليلة من الباردين على معسكر الجلة بندوكودرو في ١٢ يوليه سنة ١٨٧١





وكان لابد من انتظار حدوث غارة كل ليلة . وهذا تمرين جليل للجنود يضطرهم لأن يكونوا دوما على قدم الاستعداد إلا أنه أيضاً تمرين شاق متعب لأن العسكري لا تستطيع الراحة ليلا مع أنها تشغله يومياً نهاراً .

وكان أبو السعود ورجاله في الوقت نفسه في اتصال مستمر مع أعداء الحكومة ويقدمون لأهالي بنين المؤونة متبعين في ذلك خطة خيانة الحكومة التي رسموها لأنفسهم .

وفي ٢١ يوليه عند منتصف الساعة الثانية صباحاً استيقظ سير صمويل على أصوات طلق البنادق آتية من ناحية المعسكر العام . وبعد نصف ساعة أخذت أصوات الأهالي في الخفوت شيئاً فشيئاً . وفي الوقت نفسه أخذ يضعف وينخفض صوت الطبول والأبواق وسكتت طلقات جماعات العسكري وحل محلها طلقات فردية متقطعة .

وفي صباح الغد ذهب سير صمويل يذكر قبل بزوع الشمس إلى المعسكر ليستقي أخباراً فعلم أن الحراس باغروا وأن خسائر الحملة أسفرت عن قتل أو نباشى واحد وجرح ملازم أول وجندى .

وكان الباريون واللوكياس يقصدون بهذه المباغتة احرار المعسكر . وقد حملت هذه الحادثة الأخيرة سير صمويل يذكر على أن ينفذ عاجلاً فكرة كانت قد خاصرته منذ زمن طويل وهي حفر خندق وعمل منحدر ابتلاء وقاية المحطة وحمايتها .

ولما كانت إقامة المخازن الحديدية قد تمت ووضعت فيها جميع المؤن والذخائر وكانت العسكري قد نزلت في ثكنات لائقة باقامتهم أخذ سير صمويل يذكر في

وفي زمان يسير أقيم حصن قوى متين له خندق ومتاريس تصد كل مغير ومهاجم . ومن ذاك الوقت أصبحت الحطة في طائفة ولم يجرؤ الباريون على مهاجمتها لعزمها ان حراسها في يقظة كما اعترفوا بعد ذلك بهذه الحقيقة .

وفي ٣٠ يوليه سنة ١٨٧١ دهش سير صمويل ييكر كثيراً إذ رأى الشيخ
نيانبوريه Nianbouré وهو احد رجال عشيرة الشيريين Shirs يأتى اليه ومعه
رجال من خيرة مستشاريه وكان سير صمويل قد ترك عند هذا الرجل ضابطاً
وستة من الجنود لمراقبة زراعة القمح وكان نيانبوريه هذا قد قضى ومن معه
من الرجال ست ليال مسافراً لا يجرؤ على السير نهاراً خوفاً من
الباريين ، وقد ضل الطريق مراراً بسبب حلوكة الليل وكان يقضى النهار ناماً
في الأجمات الكثيفة التي في طريقه وقد كابد كل هذه الأخطار ليحمل قبل
اي انسان آخر الى سير صمويل ييكر خبراً مشئوماً حتى لا يتم بارتکاب
المخيانة ألا وهو قتل جميع عساكر هذا الشيخ ماعدا البكباشى احمد رفيق افندي
وواحداً او نباشياً .

و قبل وقوع هذا الحادث ببضعة أيام كان رجال أبي السعود قد هربت عند مرورها من ذلك البلد متبعاً أحد المشائخ المجاورين له وقدموها جانباً من أسلابه إلى أمد رفيق افندى فقبله بعكس ما تقضى عليه واجباته . فاعتبر الاهالى بالطبع هذا القبول اشتراكاً في الجريمة وطلبوها طرد عساكر

سیر صمويل بيكر . واقتضت شهامة نيمبوريه وهى صفة قلما توجد في العبيد
أن يعارض في أمر هذا الطرد فهو جم وفي أثناء الواقعه قتلت العساكر .

ومنذ تم تشييد الحصون في « غندوكورو » أو « الاسماعيلية » كما سماها سير صمويل تيمنا باسم الخديو صارت هذه الناحية محمية بخندق حول نشر من الأرض مقام عليه المخازن ومنصوب فوقه ستة مدافع . فكان في استطاعة سير صمويل أن يلقى على الأهالى درساً أقسى من الدروس السابقة .

وفي ٣٠ أغسطس سنة ١٨٧١ ذهب مع ٤٥٠ جندياً وأخذ معه مدفعين أحدهما من مدافع رمي الصوارين التي يزن الواحد منها ثلاثة أرطال.

ولم يكن غرض الجملة الوحيد معاقبة الباريدين بل كان عليها أيضاً ان تحدد مسؤولية النزرة التي كانت على وشك الانتهاء وكانت ذلك الاواني او ان الحصاد وكانت الحقول مغطاة بعزر وعاتها الناضجة .

وقد وصل سير صمويل يذكر عندما بان ضوء النهار الى وادى بلنيان امام التلال الواقعة في سفح الجبل حيث كان يوجد مئات من القرى مبعثرة يحيط بأغلبها حواجز خشبية مدية الأطراف .

ولما كان الاهالي على يينة من الامر ومتسلحين بالبنادق وطدوا العزم على الدفاع عن حبوبهم وماشيتهم ودافعوا فعلا دفاعاً حاسياً وعندئذ أمر سير صمويل

يذكر الجندي ابتقاء حسم القتال بالقيام بحملة على المواقع بالحراب امتاز فيها اليوزباشى مرجان شريف افندي ، وهو سودانى الأصل خدم في الجيش الفرنسي في بلاد المكسيك أربع سنوات ، بوئبة جاراه فيها جنود البلوك الذى تحت أمرته فكان هو أول من دخل متاريس العدو .

وكان الباريون معتادين قتال بلوکات النحاسين غير النظامية ولم يروا فقط لأن جملة شعواء كهذه بالحراب . فكان هذا عملاً من شأنه بالطبع أن يذلهم ويفت في ساعدهم فطفقون يتسلقون الصخور ويرتفون الجبل ف كانوا في فعلهم هذا أشبه شيء بالقردة وكانت الجنود في أثناء ذلك تتقدّم وتصلّم ناراً حامية من أفواه قرائينهم التي كانت من طراز سنيدر .

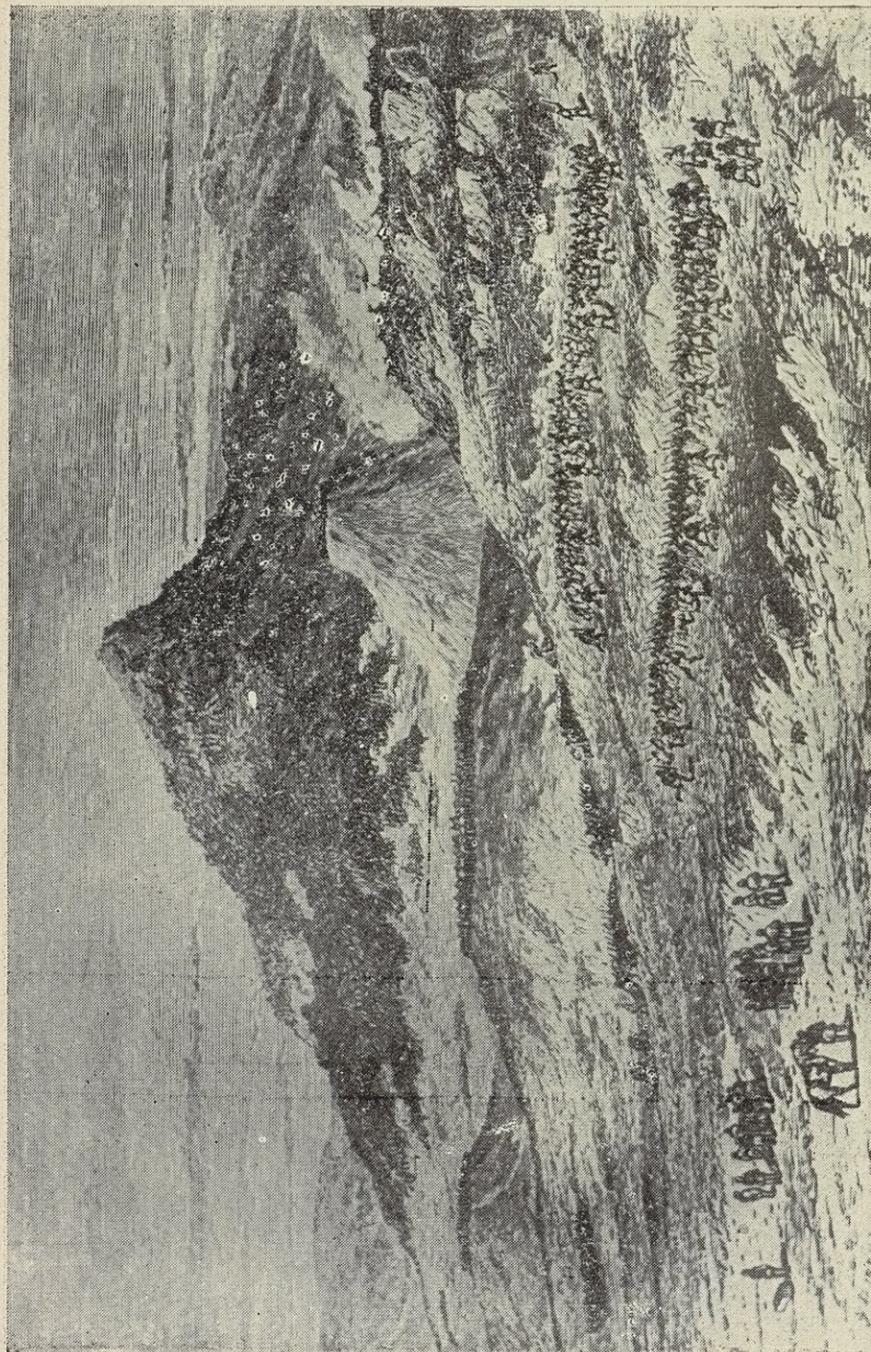
وانفجرت في تلك اللحظة قذيفة على رؤوس ثلاثة من الاعداء كانت متجمعة على بعد سبعين متر تقريباً من مؤخرة الجيش فكان هذا نذيراً لهم ببارحة المكان ادركوا معناه حق الادراك .

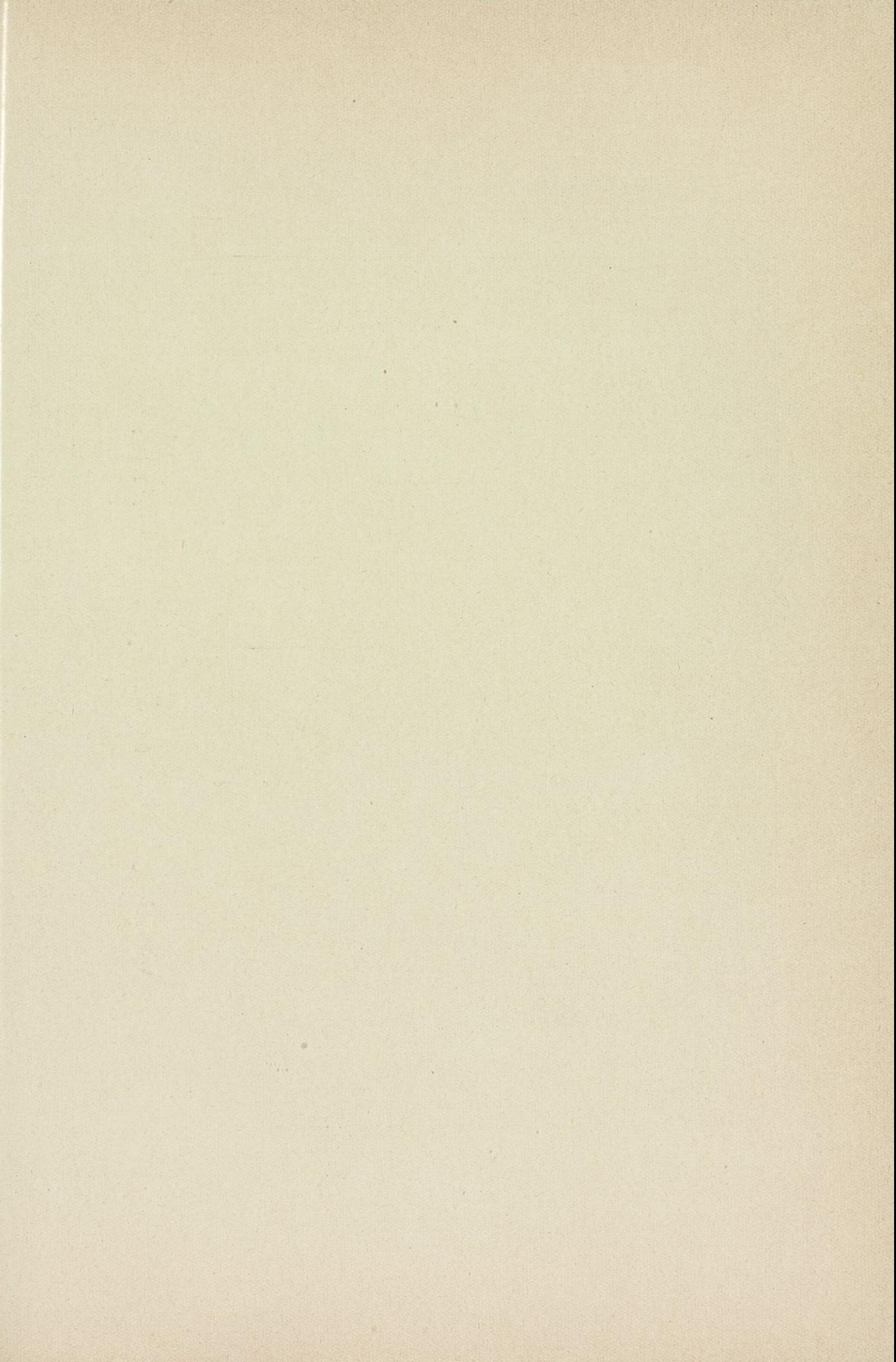
وبعد أن أمر سير صمويل يذكر بحرائق الحواجز المدققة بالقرى وبعد أن اختفى الباريون اختار موضعاً في الخلاء لتعسّر فيه الجنود . وانقضى الليل بهدوء وسكينة .

وفي اليوم التالي تقدم نحو الشمال في السهل واستولى بالحراب على منطقة هائلة مساحتها هكتار ونصف (١٥٠٠ متر) .

وعند ما وصل إلى الوادي أمر باحتلاله وأقام فيه ثلاثة أماكن محصنة يبعد الواحد عن الآخر كيلومترتين تقريباً وبذلك أصبحت تحت تصرفه مساحة واسعة من الأرض .

هجوم جنود الحلة على قرية بستان يوم ٣١ أغسطس سنة ١٨٧٦





وبعد ذلك أمر في الحال بالمشروع في الحصاد غير أن العدو استمر يناسب الحملة العداء واشتبك معها في عدة مواقع قتل في أحدها البكباشى احمد رفique افندي ثم بعد إقامة خمسة وثلاثين يوماً عاد في النهاية إلى غندو كورو ومعه زاد يكفيه ويكتفى جيشه شهرين .

ولم يكن لدى ضباط وعساكر سير صمويل يذكر أقل ميل للبدأ الذى كان يسعى في سبيل تنفيذه فهى أوائل الحرب مع الباريين سلكت الجنود المصرية والسودانية مسلكاً شائعاً كريها . فلقد رأهم السير صمويل يكتفىون على قرية للعدو ويطلقون لأنفسهم الأعنة في السلب والنهب .

وقد أكد له أميرالإلای رعوف باك أنه من المستحيل منع نهب القرى إذ يعتبر الجندي أن هذا النهب هو بثابة جائزة لنصرهم ولكن سير صمويل يذكر لم يشاً أن يقر هذا المبدأ فكان عند ما يضبط العسكري متلبساً بالجريمة يعاقب عقاباً صارماً .

وانتهى العمل في المخطة انتهاء تماماً وحضرت تحصيناً منيعاً بمحفر خندق وعمل منحدر . ولكن تلفت زراعة الأهالى والجيش معاً في أرض غندو كورو الصفراء الرملية . نعم سقطت الأمطار ولكن لم يكن ذلك إلا في المناطق الجبلية حيث تجتمع السحب . أما في الجزر فالمحصول هناك في حرز حرizer إذ أن جذور النبات تغوص في الأرض على عمق يكفيها أن تستقي من رطوبة النهر ما يرويها . وكانت الجنود تركت المصافير تبيد نصف محصول الجزيرة وكان في متناول أيديهم محصول جيد فأهملوا جنيه وأخذوا الآن يشتكون ويقولون إن أرض غندو كورو لا تصلح لشيء .

ولم يرجع ابو السعود للآن الى الخرطوم . اما الرحالة التي قام بها الى
البلنيان ليستاذن من السير صمويل يذكر في السفر فهذه لم يكن القصد منها
إلا إخفاء أغراض مجهولة .

وفي ٣١ اكتوبر سنة ١٨٧١ أرسل رءوف بك (فيما بعد باشا) خطابا الى
سير صمويل يذكر ومعه خطابا آخران موقع عليهما من جميع ضباط الجيش
ما عدا ضباط حرسه الخصوصى يتمسون فيها مبارحة الحلة لهذه النواحي
والعودة الى الخرطوم وكان الخطابان قد خطتها يد واحدة ومما لا يحتمل الشك
أن الذى املأهما شخص على المقام وقد عزاهما سير صمويل يذكر في الحال الى
 Rueوف بك صديق وشريك أبي السعود في جرأته غير أنه لم يبال بهذه المسألة .

وكان سير صمويل يذكر يرمى الى أن يشن غارة على جزر البارين في
جنوب جبل الرجاف ويرى أن كمية الحبوب التي يجدوها هناك تمكنه من
اجتثاث هذه المؤامرة من أصلها .

فمسافر مع تجريدته في الوقت المعين وسار صعدا مسافة اثنى عشر كيلومتراً
في النيل وكانت الملاحة فيه سهلة في هذا الفصل . ووصل الى الشاطئ الغربي
ولما كان الهواء معاكساً لسيرهم نزل الجندي الى الارض وجروا الوابورات ضد
التيار وكان اتساع النهر يناهز ٤٥٠ متراً .

وكان البلد الذى يحترونه بلدا جميلا فتنا به تلال صخرية عالية واقعة على
مسافة بعض كيلومترات وتنحدر تلك التلال انحداراً خفيناً فيتكون من مجموع
هذه الانحدارات سهل نسراً تنتهي عند ضفة النيل وينتشر في جنباتها باقات
من الاشجار الخضراء الزاهية غير أن عدم وجود غابات بتلك النواحي كان
يجعلها غير صالحة لإقامة محطة كبيرة عليها .

وصادفت الجملة في طريقها قرى عديدة إلا أنها لم تقابل في أى ناحية مقابلة حسنة . فكان الوطنيون يخرجون من أوكرام يشرون ويؤمنون ويهزون رماحهم بأيديهم ويفعلون ما شاكل ذلك من المظاهرات العدائية التي لا يمكن أن يخفى معناها على أحد .

ومن الواضح الجلي أنهم كانوا يتحرشون لقتال غير أن السير صمويل يذكر كان قد اعتاد ألا يهاجم الباريin ويترصد إلى أن يصدر أى عداء من جانبهم .

فنزل إلى البر وتقدم على الضفة عدة مئات من الخطوات وكان ينتشر في جنبات تلك النواحي صخور غريبة جداً وقطع ضخمة من حجر الصوان المصقول متراصة فوق بعضها حتى ليحسبها الرائي أنها نظمتها ورصفتها يد الإنسان . وكلما مشت الجملة انسحبت الاهلى وتوارت خلف تلك الأحجار والصخور . وعند ما صارت على بعد مائة متر منهم صاح الترجمان الذي كان مرافقا لها : إن هذه الجملة ما أتت لقتالكم بل لمشترى غلال فقط وإن سير صمويل يذكر سبيادل « الجوجو » من السورجو بكيزانه بقرة والجوجو مكيايل سعته ١٤٠٠ لتر والسورجو نوع من الدرة . وكان هذا هو السعر الجارى .

فقبول هذا العرض اللطيف بافظع الأوجه واشنع الشائم وكان ضمن ما قالوه إن الجملة في غير حاجة أن تعرض عليهم مواعيدها التي عقدوا العزم على أخذها منها بالقوة وأنه لا شيء خير لها من أن تنكس على عقبها وترتد إلى الخرطوم .

وقد حاول سير صمويل يذكر أن يبين للإهالى أن رجاله عضهم الجوع بنابه وأنه سيضطر أن يأخذ منهم قوة واقتداراً الغلال التي أبوا أن يسيعواها له

فقوبلت مطالبه هذه السامية بوابل من اللعنات والشتائم.

فلم يبق لديه بعد ذلك إلا استعمال الشدة فنشر جنوده بكيفية تمكنها من تقطيعية ثمانمائة متر من الأرض ثم اتجه إلى جبل الرجاف وكان محظوراً قطعياً على العساكر أن تدخل الأكواخ وكل ما كانوا مكلفين به التتحقق من امتلاء الجوجات (١) أو فراغها وبهذه الكيفية تم اجتيازه ٢٥ أو ٣٠ قرية كل واحدة منها بها خمسة عشر جوجو كلها طافية بالغلال.

وعند ما وصل إلى نجد الرجاف فص بنظاره البلد فرأى على امتداد بصره خطأ من القرى الصغيرة متداً بلا انقطاع وعديداً كثيراً من الاهراء. وذهلت الجنود لوجود هذه الخيرات الجليلة ودهش الضباط الذين كانوا كتبوا للسير صمويل يذكر يقولون : إن البلدة ينقصها الحبوب ومن اللازم الرجوع إلى الخرطوم.

وقد احتل جملة قرى كان قد تركها أصحابها ورحلوا عنها وأتت المراكب فألقت مراسيها بجانب ضفة النهر واستحضر رعوف بك وزوده بالاحتياطات اللازم اتخاذها في غضون الليل.

وما تفتخ في بوق الإيقاظ حتى استقدم رعوف بك وأمره أن يأخذ بلوكا والمراكب ويحتل الجزر. أما هو أى سير صمويل يذكر فيهم جهة الجنوب وبعد بحث دام ثلاثة ساعات أقام في نقطة صالحة جداً محظتين وسلمهما إلى الصاغقول أغاسى عبد الله الدنساوي افندي . والى ضابط آخر وأعطى كل منها عدداً من العساكر متساوياً للعدد الذي أعطاه للآخر . والأول ضابط سوداني اشتراك في حرب المكسيك وانعم عليه بنيشان اليجيون دينسور وهاتان المخطنان الاتنان

(١) جمع جوجو وهو مكيال يصنع من عيدان الصفاصاف أو الخيزران وقد سبق ذكره.

تبعد احداهما عن الأخرى مسافة ١٥٠٠ متر تقريرًا كاتتا قائمتين على نجد يشرف على مراكب رءوف بك التي كانت قد وصلت ورمت مراسيها على شواطئ الجزيرة على بعد كيلومترتين ونصف فتكوون من هذه المراكز الثلاثة مثلث في جوف أرض خصبة .

وبعد أن اخذت هذه الاحتياطات رجع سير صمويل يذكر إلى النهر وأمر رءوف بك أن يعدل بشحن الغلال ويرسلها بلا توان إلى غندوكورو وكانت اهراة الجزيرة ملأى وم موضوعة على مقرية من الشاطئ حيث كانت المراكب مربوطة في مراسيها فكان في الاستطاعة تعجيل الشحن :

وبعد أن فرغ من اصدار هذه الأوامر سافر إلى غندوكورو ومه الجندي منصور القائم بخدمته وراسلاته وجنديان آخران وبحاران . ولما كان قد عقد النية على أن يرافق عملية حصاد الغلال بادر حالا بالرجوع إلى الجزر على ظهر ذهبيته .

وكان رءوف بك لم يحتل إلا واحدة من هذه الجزر وكان الوطنيون يسرعون في نقل الغلال التي في الجزر الغريبة وعندئذ أعاد أميرالألای إلى غندوكورو مع المرضى . وشرع الملازم يذكر في احتلال الجزر . وفي زمن يسير جداً وضفت الحملة يدها على ثلاث جزر كبيرة لدرجة خارقة للمعادة ولم تنقطع مراكبها من الألياب والذهب وهي محملة أحمالا ثقيلة من هذه الجزر إلى غندوكورو .

وانهت الاعمال التي أقيمت على عاتق كل من الصاغر أول أغاسي عبد الله الدنساوي افسدى والضابط الآخر وكان هذا الأخير في انتظار مراكب ليشحن عليها ما بقي من الغلال التجمعة . أما الأول فكان قد أجز شحن كل ما كان

عندـه منها فأرسلـه سـير صـمويل يـicker إلى الجنـوب وـمعه أمر باحتـلال كل قـرية تـقـابـله.

وأما الصاغقول أغاسى عبد الله الدنساوي افندى فنظرًا لقلة جنوده وهم
جنديا قاتله الباريون فارتدى وتمكن من بلوغ النهر فأقتله ومن معه المراكب
التي كانت راسية فيه وعانونا جميعا الأمراء في هذا القتال وقتلوا خلقاً كثيراً
من الباريين وقد لاحظ ذلك سير صمويل بيكر عند ما زار ميدان القتال
الذى كانت تنقض عليه جموع من العقبان .

وسافر في ٣ نوڤمبر ثلاثة من مركبًا من غندوكورو إلى الخرطوم وعلى ظهرها من المسافرين ١١٠٠ نفس من نساء وأولاد وبخاره وعساكر ومرضى .

وبالرغم من الأوامر الصارمة التي أصدرها سير صمويل ييكر بعدم تسفير أحد إلى الخرطوم إلا من كان مصاباً بمرض حقيقي فإن رعوف بك انتهز فرصة غيابه ورد عدداً كبيراً من الرجال الذين لا يشكون من أي ألم نفسي بهذه الكيفية قوة الحملة إلى ٥٠٢ من الجنود بما في ذلك الضباط والبروجية وضاربو الطبول والكتيبة وغيرهم ، وإلى ٥٢ محارراً . وهكذا صارت الحملة التي كان من اللازم أن يكون عدد رجالها ١٦٤٥ جندياً ليس بها غير ٥٥٤ جندياً وهو عدد ضئيل لدرجة أنه يفقد كل أمل في تقدم الحملة في داخلية البلاد .

وكانت الظواهر جميعها تتم على أن أبا السعood بلغ مراته وأن حركات الحملة أصابها الشلل إذ كان من المفروض أن سير صمويل مع جيش الخط عددده لهذه الدرجة لا يتوجه لسر أن يتزحزح من معسكره العام . وبما أن عقد خدمته ينتهي أجله في أول أبريل من سنة ١٨٧٣ فليس أمامه متسع من

الوقت غير ستة عشر شهراً وهو زمن قصير جداً لا يسمح له بانجاز
مشروعاته.

ومن ناحية أخرى فان حالة النيل في ذلك الوقت كانت سيئة بحيث
لا ترك بارقة أمل في وصول امداد لامحالة من الخرطوم أما الحفائر
والخلجان التي كان قد شقها في بحر الزراف فهذه ما كان يدرى أردمت أم
بقيت كما تركها.

وكتب سير صمويل يذكر الى الخديو ملحاً في بيان الضرورة القصوى
القاضية بشق خليج مجرى النيل الايض بدون ابطاء وكتب ايضاً الى جعفر
مظفر باشا بأن يبعث له في الحال بمدد من الخرطوم وبمؤنة من الذرة وظل
هذا المدد ثلاثة عشر شهراً في النهر بين غندوكورو والخرطوم ولم يصل إلا
قبيل نهاية الحملة.

وبما أنه كان يخشى إلا يصله شيء من السودان فقد رأى أنه لا بد من
أن يأخذ احتياطات مستقلة عن كل معونة خارجية ملائفة للظروف التي ربما
تحدث في المستقبل وان يباشر اتمام مأموريته بواسطة ١١٠٢ من الجنود
والضباط و ١١٥٢ بخاراً الذين يقروا معه إذا كان ذلك في حيز الامكان.

وكان عدد الجنود الذين يحيطون به في ذلك الوقت ٢٥١ ضابطاً وجندياً
فكان الذين تحت تصرفه نصف قواته تقريباً. ولما كانت غندوكورو
محصنة تحصيناً متيناً والبلنيان كسرت شوكتهم فلم يبق لديه ما يخافه
من هاتين الناحيتين. وأما من ناحية المؤونة فكان مخزنت من
مخازنه الكبرى تطفح جوانبه بالغلال فإذا أصنفنا إلى ذلك الذرة المشحونة في

جملة من مراكبه نجد انه كان في حيازته من المؤونة ما يكفيه زيادة على العام وهذه نقطة هامة ايضا . ومن جهة أخرى كانت الجنود الباقيه لديه جنوداً من خيرة الرجال الابطال بواسل الاصحاء الاجسام المتعودين النظام فكان اليأس بعيداً عن أن يتسرّب الى نفسه بل بالعكس كان قد قرر أن يواصل بمعونة الله القيام باتمام المشروعين اللذين قدم من أجلها إلا وها منع النخاسة وضم منطقة خط الاستواء .

استكشاف سير صمويل لشلالات النيل الأبيض

وفي ١٠ نوفمبر استصحب ١٥ جنديا للقيام بعمل استكشاف لغاية شلالات النيل الأبيض الاخيرة الواقعة جنوباً على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً من المعسكر الذي شيده فسافت الجملة في البكور وسارت بجانب النجد المرتفع المتقد حداء مجرى النيل مجتازة الموضع الذي كانت الاهالي هاجمت فيه الجملة من بضعة أيام مضت . وقد قال سير صمويل يذكر أن لا شيء يفوق جمال هذه المنطقة من الوجهة الزراعية .

وكان الباريون قد عدلوا عدولاماً عن خطهم فأتمرت الدروس التي أقيمت عليهم ثاراً يانعة وأُقلب سخطهم وبغضهم مودة وصداقة واستقبل سير صمويل يذكر رؤسائهم والخفهم بعدة هدايا .

أما رحلة الاستكشاف هذه من أولها إلى آخرها فلم تكن إلا نزهة عسكرية .

وفي ١٩ نوفمبر آب سير صمويل يذكر الى غندوكورو قرير العين من ترائج رحلته فكانت مخازنه طاحنة بغالل تميره أكثر من عام وكان

السلم انتشر بين ربع اقيم هام وكان قد حصل على وعود بالمعاونة واقرار
بالاذعان لسيطرة الحكومة الخديوية .

اما أبو السعود الذى كان سير صمويل يذكر قد صرح له بالرجوع
إلى الخرطوم فاكتفى بأن يهبط مع النيل لغاية محطة بور وهناك
أخذ استعداداته لكي يرجع بالعاج الصادر عن محطة لاتوكا Latouka الواقعة
على بعد مائة وستين كيلومترا شرق غندو كورو عن طريق معسكل سير صمويل
يذكر العام ويصل به إلى بور من سكة غير مطروقة .

وكان الغرض من هذه الخدعة أن يضيع على الحكومة الرسم المقرر لها
وهو خمس كمية العاج حسب الاتفاق المعقود مع شركة العقاد .

وبما أن أبو السعود حضر بنفسه رجوع الجندي إلى الخرطوم فقد كان
يعتبر أنه فاز وحصل على ما يشهيه إذ حسب أن الجملة أصبحت غير قادرة
على التحرك من غندو كورو بعد أن لم يبق منها إلا ٥٠٢ من الضباط والجنود .
وعلى ذلك سافر إلى محطاته البعيدة الواقعة في الجنوب بقصد اثارة الاهالي
ضد الحكومة .

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يرود فيها أبو السعود الداخلية .
وكانت عادته من زمن طويل أن يسافر دفعه واحدة في السنة من الخرطوم
إلى غندو كورو على مراكب شركة العقاد ويحضر معه عصابة جديدة من
اللصوص وكيميات من الأسلحة والذخيرة ويظل في غندو كورو عدة أسابيع يتسلّم
في غضونها العاج والعبيد الذين تكون قد جمعتهم مختلف المحطات التي في داخلية
البلاد ثم يغادر ذلك راجعاً إلى الخرطوم .

وأوحـتـ اليـهـ ضـرـورـةـ الـوقـتـ أـنـ يـشـمـرـ عـنـ سـاعـدـ الجـدـ وـيـضـاعـفـ مجـهـودـاهـ .
ولـماـ كـانـ يـعـرـفـ حـقـ المـعـرـفـةـ التـارـيـخـ الذـىـ فـيـهـ تـنـتـهـيـ مـدـةـ خـدـمـةـ السـيرـ
صـمـوـيلـ يـيـكـرـ فـقـدـ وـضـعـ نـصـبـ عـيـنـهـ هـدـفـاـ وـاحـدـاـ اـصـابـهـ تـقـرـيـباـ وـهـوـ
الـحـيـلـوـلـةـ دـوـنـ تـقـدـمـهـ فـيـ الـمـدـدـةـ الـبـاقـيـةـ لـهـ .

فـكـانـ يـرـيدـ بـنـاءـ عـلـىـ ذـلـكـ زـيـارـةـ مـحـطـاتـهـ وـالـتـبـيـهـ عـلـىـ وـكـلـهـ أـنـ يـحـتـفـظـوـاـ
بعـاجـهمـ وـعـيـدـهـمـ لـغـاـيـةـ إـنـهـ مـدـةـ عـقـدـ سـيـرـ صـمـوـيلـ يـيـكـرـ فـيـضـطـرـ إـلـىـ
مـغـادـرـةـ غـنـدـوـكـوـرـوـ وـبـعـدـ هـذـاـ تـعـودـ الـأـمـوـرـ إـلـىـ مـجـراـهـاـ السـابـقـ كـاـنـ
يـعـتـقـدـ .

وـرـأـيـ سـيـرـ صـمـوـيلـ يـيـكـرـ أـنـ مـنـ الـفـيـدـ أـنـ يـفـهـمـ قـبـيـلـةـ الشـيـرـ قـبـلـ أـنـ
يـسـافـرـ إـلـىـ الدـاخـلـيـةـ أـنـهـ لـمـ يـنـسـ ذـبـحـ عـسـاـكـرـهـ الـمـساـكـيـنـ الـذـينـ تـرـكـهـمـ لـدـيـهـاـ
لـمـحـافـظـةـ عـلـىـ الـمـزـرـوـعـاتـ فـجـزـ حـمـلـةـ وـحـارـبـهـمـ حـرـبـاـ لـنـ تـرـوـلـ ذـكـرـاـهـاـ مـنـ ذـاـكـرـتـهـمـ
وـعـنـدـ رـجـوعـهـ إـلـىـ غـنـدـوـكـوـرـوـ كـانـ الـأـهـالـيـ قدـ جـمـعـتـ كـمـيـةـ مـنـ
الـأـحـجـارـ وـأـرـسـلـوـاـ يـطـلـبـوـنـ مـنـهـ أـنـ يـعـيـنـ لـهـمـ مـكـانـ الـعـمـارـةـ لـيـنـقـلـوـاـ إـلـيـهـاـ تـلـكـ
الـأـحـجـارـ .ـ فـقـدـمـ بـقـرـةـ هـدـيـةـ لـلـرـسـلـ وـأـقـامـ لـهـمـ حـفلـةـ رـقصـ .ـ وـالـظـاهـرـ أـهـمـ
سـرـواـكـيـثـاـ مـنـ مـقـابـلـتـهـ لـهـمـ وـعـادـ أـوـلـئـكـ الرـسـلـ إـلـىـ قـرـامـهـ وـبـصـبـبـهـمـ
مـرـكـبـ عـلـىـ ظـهـرـهـ ضـابـطـ وـ ٢٠ـ جـنـديـاـ .ـ وـهـكـذـاـ فـازـ سـيـرـ صـمـوـيلـ يـيـكـرـ
فـيـ كـلـ أـعـمـالـهـ وـفـيـ جـمـيـعـ الـأـمـوـرـ خـفـضـتـ لـهـ الـأـهـالـيـ خـضـيـعـاـ تـامـاـ وـذـاعـ فـيـ الـبـلـدـ
بـسـرـعـةـ الـبـرـقـ خـبـرـ عـدـوـ الـخـيـلـ وـفـعـلـ قـرـيـنـاتـ «ـسـيـنـيـدـرـ»ـ فـارـتـعـدـتـ مـنـ ذـلـكـ فـرـائـصـ
الـأـهـالـيـ .ـ وـشـاعـ أـنـ لـيـسـ هـنـاكـ مـفـرـ لـالـمـوـاشـيـ مـنـ الـخـيـولـ وـاـنـ رـاـكـبـاـ فـيـ
اسـتـطـاعـتـهـ أـنـ يـطـلـقـ النـيـرـانـ وـهـىـ فـيـ أـسـرـعـ جـرـيـهـاـ وـأـنـ لـاـ شـىـءـ يـمـكـنـهـ مـقاـومـةـ
هـذـهـ الـحـيـوـانـاتـ الـغـرـيـبـةـ الـنـادـرـةـ .ـ وـكـانـوـاـ يـعـتـبـرـوـنـ قـرـيـنـاتـ «ـسـيـنـيـدـرـ»ـ كـطـلـسـمـ

ولم يدهش سير صمويل يذكر إلا قليلاً عندما علم من مترجميه أن الشيخ الورون يتهلل طالباً السلم ويرغب في الطاعة للحكومة.

وفي ١٤ ديسمبر كان قد حل عيد الفطر . وفي ذلك اليوم كل إنسان ذكر أو أئتي يلبس حلة جديدة منها كان فقيراً وكان قد مضى لغاية هذا التاريخ اثنا عشر شهراً والمواصلات مقطوعة مع الخرطوم .

ولم يعد لدى العساكر بعد أن قاموا بأشغال جمة وقتل كثير وعانيا
كثيراً من السير في الادغال الشائكة إلا أسمال بالية يرتدونها على أجسامهم ومع
ذلك كان العيد قد اقترب .

وقد أدهشت كثرة الموجودات في مخازنه العسكرية والبحارة دهشاً عظيمًا

ورسخ في أذهانهم أنه حتى إذا قطعت المواصلات مع الخرطوم فلا يكون ذلك موجباً لوقوع الحلة في العوز وال الحاجة .

وكان النظام سائداً في غندوكورو والامن مستبناً والمؤمن متوافرة والمحطة محسنة تخصينا تماماً . وكان البحث يدور في صدد التقدم نحو الجنوب . فأول الخطط التي احتطها سير صمويل يذكر كانت واضحة جلية وتنحصر في ايجاد خط مراكيز محسنة يبعد الواحد منها عن الآخر مسيرة ثلاثة أيام لصيانة مواصلاته مع غندوكورو .

غير أنه لسوء الحظ استصحب معه عدداً من الجنود يقل عن العدد اللازم ٣٥٠ جندياً و ١٢٠٠ جندي الدين كان قد استعرضهم مبدئياً في غندوكورو لم يبق لديه منهم إلا ٥٠٠ فقط وذلك بسبب الوفاة والمرض ورجوع من رجم إلى الخرطوم لعدم صلاحيته .

ولما كان لا يمكنه أن يترك في المعسكر العام أقل من ٣٤٠ جندياً من ضمهم ٥٢ بحراً لم يبق لديه إلا ٢١٢ ضابطاً وجندياً للقيام بصراع طويل غير مأمور العاقبة بعيد عن قاعدته . هذا فضلاً عن قطع الامل من الحصول على مدد ما إذا قامت أمامه صعوبات غيرمنتظرة وقد قرر السفر رغمما عن كل ما ذكر .

سنة ١٨٧٢ م

وصول الحلة الى شلالات فولا

وأودع سير صمويل ييكر عند الصاغة قول أغاسى عبد الله افندى
الدنساوی ١٤٥ جندياً ومدفعاً واحداً وفرض اليه حراسة السفن وقطيع الماشية .

وألقت تلك السفن مراسيمها متراصنة الواحدة تلو الأخرى عند ملتقى نهر قد نضبت مياهه في ذلك الحين . وكان يرجى من صفاته المتقطعة تقاطعاً عمودياً حماية مواشى الجملة ثم أمر من باب زيادة الاحتياط بسد الخور بعوسيج شائك على بعد ١٠٠ متر من النهر فيكون الخور بهذا العمل بتشابه حظيرة في منخفض من الأرض تchan فيها الماشية . وخصص ٦٠ جندياً ل القيام بالحراسة ليلاً يوضع نصفهم على كل ضفة وأن ينصب المدفع محسواً بالرصاص على رايته واقعة على بعد ٢٠ متراً من الضفة في مواجهة وسط الخلط الذي كونته السفن ليمنع كل اقتراب سواء كان من الوجه أم من الجانبين .

وصولهـا الى لابورـيـهـ

وفي ٨ فبراير الساعة ٣ مساء ولـى سير صمويل بيـكـر ومن معه وجوههم شطر «لابوريه» فوصلوا اليـها في ١٢ فبراير بسلام وبدون أن يطلقوا عيارا واحدـا . وقدم شيخ لابوريه وأدى الزيارة لـى سير صمويل بيـكـر فأحاطـه بقصدـه من هذه الرحلة وطلب منه حـالـين فأجابـه الشـيـخ أنه يـقـبـل بطـيـة خـاطـرـه أـن تذهب رـجـالـه إـلـى السـفـن اذا كـانـت مـخـفـورة بـعـسـكـر . فـقـبـل سـيـر صـمـوـيل بيـكـر هذا الشـرـط . وفي ١٦ من الشـهـر المـذـكـور سـافـرـت الرـجـالـ الذين نـيـطـهم جـلـبـ الـآـلـاتـ تـحـرـسـهم شـرـذـمة مـؤـلـفـةـ من ٥٠ جـنـديـاـ وـكانـ عددـ أولـئـكـ الرجالـ ٤٠٠ نفسـ تـقـرـيـباً .

وفي ٢٤ من هذا الشهر وصل الصاغقول أغاسى عبد الله افندى الدنساوي الى
لابوريه بالصيحة والسلامة يصحبها كل ما كان قد ترك في عهده . وقدم لسير
صوموبل يذكر تقريراً مطولاً عن الحوادث التي جرت في غيابته يتاحص في السطور

القليلة الـآتـية وـهـي : -

« في ليل ١٧ فبراير بينما كان الضباط والعساكر غارقين في نومهم انقض على المعسكر عدّة الوف من الأهالي ولو لا يقظة جندي أو جنديين وعدم استسلامهما للنوم كرفقاءها لذبح الجيش برمته . وقد أدرك الجندي التعر لأول وهلة فولوا الأدبار تاركين المدفع بين أيدي البارييين غير أن عبد الله افندى الدنساوي والضباط جمعوا شتاهم فعادوا للقتال وحصروا العدو بين نارين واستردوا المدفع ورموا ذلك العدو ببعض مقدوفات منه فلم يسعه إلا أن يرتد على أعقابه ». »

وصوله الى فاتيکو

وقبل أن يولي سير صمويل يذكر وجهه شطر الجنوب اكتري ٧٠٠ رجل من الأهل بصفة حماين ورعاة للماشية حتى لا ينهك قوى جنوده في هذا العمل وهم مسافرون الى « فاتيكو ». Fatiko

وابهيج الاهالي في يوم ٢٨ فبراير باقامة حفلة راقصة وفي اليوم التالي
سافرت الجلة فأوغلت في أرض كثيرة المرتفعات والانخفاضات والغابات
تسكّنها قبيلة تسمى المادي Madis إلا أن قراها خربها تقريباً صيادو العبيد
التابعون لأنّي السعود .

وفي ٢ مارس وصلت الجملة الى سهل جميل عظيم سماه سير صمويل ييكر «الابراهيمية» نسبة لاسم ابراهيم باشا والد الجناب الخديو وتسميه الاهالي «افودو Affouddo» والمسافة من «لابوريه» الى هذا السهل هي ستون كيلومترا.

وفي ٥ مارس عسكرت الحملة في سفح جبل « شوا » Choua الواقع على مسافة قريبة من « فاتيكو ». وفي ٦ مارس سنة ١٨٧٢ تركت الحملة في البكورة معسكراً لها اقامته في سفح جبل شوا ولبسـت الجنـود أحسن كساـويـها طبقـاً لأـوامـرـ سـيرـ صـموـيلـ يـيـكرـ وبـدـاـ عـلـيـهاـ نـشـاطـ رـبـماـ كان السـبـبـ فـيـهـ يـرـجـعـ إـلـىـ الـهـوـاءـ الـطـلـقـ المـنـعـشـ الـذـىـ يـسـودـ تـلـكـ النـجـودـ الـتـىـ يـبـلـغـ اـرـفـاعـهـ ١٢٠٠ـ مـتـرـ وـالـتـىـ يـمـكـنـ اـعـتـبـارـهـ بـمـثـابـةـ جـنـةـ اـفـرـيـقـيـةـ . وـكـانـ لاـ يـوـجـدـ فـيـ هـذـهـ اـصـقـاعـ عـدـوـ يـجـبـ اـحـتـرـاسـ مـنـهـ لـأـنـ سـيرـ صـموـيلـ يـيـكرـ كانـ قـدـ أـقـامـ فـيـ نـوـاحـيـهـ مـدـةـ خـمـسـةـ أـشـهـرـ وـارـتـبـطـ بـأـهـلـهـ وـكـانـ وـاـنـقـاـ أـنـهـ سـيـقـابـلـ فـيـ «ـ فـاتـيكـوـ »ـ بـأـخـلاـصـ وـتـرـحـابـ .

وـتـقـرـرـ المـسـيرـ بـالـنـظـامـ وـالـتـرـتـيبـ الـآـتـىـ وـهـوـ أـنـ يـسـيرـ سـيرـ صـموـيلـ يـيـكرـ وـعـقـيـلـتـهـ وـالـلـازـمـ يـيـكرـ ثـلـاثـتـهـمـ فـيـ الـقـدـمـةـ مـمـطـيـنـ ظـهـورـ الـجـيـادـ يـتـقـدـمـهـمـ خـمـسـةـ جـنـودـ مـنـ حـرـسـ سـيرـ صـموـيلـ الـخـصـوصـيـ وـلـيـهـمـ الـبـكـبـاشـيـ عـبـدـ الـقـادـرـ اـفـنـدـىـ مـعـ بـقـيـةـ النـسـةـ الـمـنـتـخـبـةـ ثـمـ الـجـيـشـ صـفـاـ صـفـاـ وـبـعـدـ الـأـمـتـعـةـ فـالـأـرـبـعـائـةـ جـمـالـ التـابـعـونـ لـالـحـمـلـةـ وـفـيـ الـأـخـرـ الـمـاشـيـةـ .

ولـمـ يـقـعـ عـلـيـهـمـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ فـاتـيكـوـ سـوـىـ مـسـيـرـةـ عـشـرـةـ كـيـلـوـمـترـاتـ فـيـ طـرـيقـ يـفـوقـ وـصـفـ كـلـ وـاصـفـ جـمـالـاـ وـجـلـالـاـ . فـتـسـلـقـتـ الـجـنـودـ مـنـ تـفـعاـ إلىـ أـنـ وـصـلـتـ إـلـىـ نـجـدـ مـنـ حـجـرـ الصـوـانـ تـقـعـ عـيـنـ الـوـاقـفـ فـوـقـهـ عـلـىـ مـنـظـرـ يـأـخـذـ بـالـلـبـابـ لـفـخـامـتـهـ وـيـتـرـامـيـ الـبـصـرـ مـنـهـ غـرـبـاـ فـيـ الـنـوـاحـيـ الـبـدـيـعـةـ الـتـىـ تـرـكـهـ خـلـفـهـ إـلـىـ مـاـ وـرـاءـ النـيـلـ فـيـصـلـ إـلـىـ الـجـبـالـ الـمـرـتـفـعـةـ إـلـىـ أـعـلـىـ الـأـفـقـ .

وـبـعـدـ مـاـ بـارـحـتـ الـحـمـلـةـ الـنـجـدـ سـلـكـتـ طـرـيقـاـ زـلـقاـ حـفـرـتـهـ الـأـمـطـارـ الـتـىـ نـزـلتـ أـخـيـرـاـ فـكـانـتـ تـسـيرـ فـيـ مـحـتـرـسـةـ إـلـىـ أـنـ وـصـلـتـ إـلـىـ سـهـلـ فـاتـيكـوـ حـيـثـ

وقد تَحْتَ كِوْمَةً هَائِلَةً مِنْ حَجَرِ الصُّوَانِ وَهِيَ بِقَايَا جَبَلٌ قَدْ أَنْهَارَ فَاتَّخَذَتْ
مِنْهَا مَلْجَأً يَقِيمُهَا أَشْعَةُ النَّهَارِ .

وكانَتِ الْجَمَلَةُ قد وصلَتْ إِلَى نَجْدٍ مَّتْوِجٍ بِالْأَعْشَابِ بِدُونِ أَنْ يَتَبَيَّنَهُ الْأَهْلَى
إِلَيْهَا وَأَمَامَهَا عَلَى بَعْدِ ١٥٠٠ مِتْرًا كَانَتْ تَظَاهِرُ مَحْطَةً أَبِي السَّعُودِ الشَّاسِعَةَ الْوَاسِعَةَ .
وَيَنِمَا كَانَتْ وَاقِفَةً فِي اسْتِطَارِ وَصُولِ الْمَوَاشِيِّ خَصَّ سَيِّرَ صَمْوِيلِ يَكَرَّ وَهُوَ
جَالِسٌ عَلَى صَخْرَةٍ يَبْصُرُهُ كُلُّ مَا يَحْيِطُ بِهِ فَرَأَى أَنَّ ظَهُورَهَا عَلَى حِينِ فُجَّأَهُ
أَحَدُتْ هَرْجَا وَمَرْجَا بَيْنَ الْأَهْلَى .

وتحركت الجملة على أثر وصول مؤخرتها وتفتح في الأبواق لإيذانا بالمسير
فتققدم الجندي بنظام تام وأمامه الموسيقا واقترب بعض الأهالى منها فعرفوا سير
صمويل يذكر وعقيلته وقلوا راجعين الى القرية وأخبروها بجالية الأمر . وقد
كان منظر العساكر بهيجا وأثار دخولهم في فاتيكة عجب الأهالى إذ لم يسبق
لأوسط افريقية أن تشهد مثله .

وكان سير صمويل يذكر قد رتب الجملة ترتيباً أنيقاً فكان لديه ٢١٢ جندياً منظمين أتم تنظيم وماشية منظرها يسر الناظرين وكمية كبيرة من المؤونة . فقضى وصولها بهذا التنسيق العجيب على آمال أبي السعود قضاء مبرماً .

وبعد مصاعب ومشاق وصل سير صمويل ييكر في آخر الأمر الى مأوى
صيادي الرقيق . فأتى أبو السعورد لمقابلته وطلب منه مع التذلل الذى دأب عليه
ولم يفارقه أَن يدخل مع رفاقه في بعض أَكواخ كان قد أعد لها لزوالهم
فرفض سير صمويل ييكر هذه الدعوة إذ كان يرغب أَن ينصب معسكره
بعد ذلك بأربعائة متر تحت أشجار ضخمة من أشجار الأثل حيث كان

قد عسكر من بضع سنوات مضت . وفي الحال يم ذلك المكان المحفوف بقطيع من حجر الصوان الضخمة والذى تظلله أوراق الاشجار الكثيفة بظلل وارفة .

هناك وقفت الجملة وبعد يسير من الزمن كان المضرب قد نصب وصارت بذلك الجملة على مسافة ٧٧ كيلومترا من ملتقى نهر « اوينامه » Oun-y-Amé و ١٣٦ كيلومترا من « لا بوريه » و ٢٦١ كيلومترا من غندوكورو . وقد أحضر أبو السعود من محطة كثيرا من السقوف القش لضباطها والخذ الجنود لهم اكواخا مؤقتة وأدخلت الماشية بين مدرج منتظم من الصخور لتقضى فيه الليل .

وفي ٨ مارس استعرض سير صمويل ييكر الجيش وبعد أن نبه الأهالى أمر بعمل شبه قتال وهجوم على جبل « شوا » Choua . وبعد أن أطلقت بعض الصواريخ على عدو وهمي اقسام الجند قسمين فتسلقوا الجبل كل قسم من ناحية منه ثم انضمما الى بعضها في النجد الذى يقمنه المكون من حجر الصوان . وهذه المناورة التى نجحت نجاحا باهرا سر لها الأهالى الذين كانوا قد أتوا في جموع عديدة لرؤية هذه الحرب الصغيرة سرورا عظيميا . وبعد اطلاق عدة طلقات نارية نزل الجند من الجبل وعادوا الى معسكرهم تتقدمهم الموسيقا وهى تصدح باللحانها .

وكان لصوص أبي السعود قد خربوا تلك السواحى . ولما كانت الأهالى لا تستطيع مقاومتهم فكثير من القرى نهبت واقتيد سكانها من نساء وأولاد فى قيود الرق والعبودية .

كان أبو السعود يعتقد أن سير صمويل ييكر لا يمكنه مبارحة

غندوكورو غير أنه لما كان كثير الحيطة نصح رجال قبائل «الشولى» Shouli على كل حال أن يهاجموه اذا قدم ديارهم . وعلى هذا اعتبر الأهالى سير صمويل يذكر الذى كانوا يجهلون قدومه انه عدوهم الى أن رأوه رأى العين وعرفوا فيه وفي اللادى قرينته صديقيهما القديمين واذا كان قد رآهم يركضون ويلوحوت بالزاريق والتروس فما ذاك إلا لأن أبا السعود كان قد أغراهم على مهاجته من غير أن يترشّوا ولا دقيقة واحدة ووعدهم بمساعدة رجاله في هذا الامر ولكنهم عند ما شاهدوا قواته وعرفوا عدم فائدة الهجوم بادروا بارسال البعض منهم له ليستعملوا منه عن مقاصده . ورداً على بيانه لرغبات الخديو أكد له أصدقاؤه القدماء أن البلاد كلها بقضها وقضيضها تنضم اليه وتحتاج حول حكومة صالحة وان كل ما يريدونه اقامة العدل وحمايةهم وأن رجوعه بث في قلوبهم جميعاً الطائفة .

وكتب سير صمويل يذكر في الحال الى سائر وكلاء أبي السعود في مختلف المطارات أن الاتفاق الذى أبرم مع العقاد ينتهي أجله في آخر شهر محرم فكل عمل يعمل باسمه بعد هذا التاريخ يعتبر غير قانوني .

وأعلن رسمياً جميع مستخدمي أبي السعود بأن يبارحو هذه البلاد أو يسلكوا مسلكاً شريفاً ووعدهم بأن يأويهم في غندوكورو ويزرعوا جزر النيل الخصبة بدون أن يدفعوا ضريبة ما . واذا ارادوا الدخول في خدمة الحكومة بصفة جنود غير نظامية يقدم لهم راتباً مساوياً لراتب الجنود النظامية ويكون لديهم امتياز خدمة سنة فقط .

ووطد سير صمويل يذكر العزم على اقامة محطة في فاتيكو لتمثل فيها الحكومة في غضون رحلته الى الجنوب .

وقد أقسم له أبو السعود بين الاخلاص واتفق معه على أنه عند ما تنتهي مدة عقده ببطل كل الاعمال المسماة تجارية وانه يبقى في البلد من باب التساهل فقط وذلك لغاية ما يجدر وسيلة لنقل العاج الذى جمعه إلى غندوكورو ويتعهد أن يحرد السبعين رجلا الدين في خدمته من الباريين من الأسلحة حتى لا يوجد بعد ذلك سلاح ناري بين أيدي أهالى معادين للحكومة . ولكنه كعادته غش سير صمويل يذكر فرد الباريين من الأسلحة النارية ثم عاد فردها اليهم بعد سفر سير صمويل .

ولم تكن فاتيكيو إلا قرية بسيطة من قرى بلاد « شولي » الواسعة التي كان يحكمها الشيخ « روت جрма » Rot-Djarma وهذا كان قد بلغ سير صمويل يذكر نيته أن يقدم خصوصه للحكومة أمامه .

وقد جمع سير صمويل يذكر مائى حمال وأعطى تعليماته لاصاغ قول أغاسى عبد الله افendi الدنساوي واختار موضوع الخطبة على بعد مائتين مترا تقريباً من محطة أبي السعود وأقسم له هذا الاخير من جديد أغلظ اليمان أن يسلوك مسلكاً شريفاً .

سفر الحلة الى أونيورو

أخذ سير صمويل يذكر بعد ذلك يستعد للرحيل الى اقليم « اونيورو » Ounyoro الذي كانت تفصله منه مسيرة مائة وخمسة وعشرين كيلومترا في صروج غير مأهولة وكان يقوده في هذه السفرة أمينه وصديقه شولي Shouli .

فسافر في ١٨ مارس سنة ١٨٧٢ بعد أن ودع الصاغقول أغاسى عبد الله افendi الدنساوي وترك له جانباً عظيماً من الابقار والاغنام .

وكان حدود الأرض المأهولة على بعد أربعة كيلومترات من معسكر فاتيكو ومن بعد ذلك لغاية « أونيورو » يمشي الإنسان في جوف أرض مقفرة.

وأظهر أهالى فاتيكو شمما يفوق شمما أهالى لا بوريه من جهة الأخلاق والآداب حتى أن أحدهم أصيب بمرض في ساقه منعه عن السفر فرد البقرة التي كان أخذها في نظير كراه وبين في الوقت ذاته الداعي لتخلصه . وهذا هو الوحيد الذي تختلف عن السفر .

وفي ٢٢ مارس وصل سير صمويل ييكر ورفاقه إلى نيل فكتوريا الكبير في « فويرا » Foweira الذي يجري بين صناف يبلغ ارتفاعها من عشرين إلى خمسة وعشرين مترا في جوف غابة نضرة . ففرحوا فرحا عظيما إذ وجدوا ماء رائقا صافيا بعد أن قدر عليهم أن يسيغوا مدة أربعة أيام ماء كريها من مستنقعات تمرغت فيها الأفيال والجاموس .

واجتاز سليمان وادريس النهر بقصد زيارة سير صمويل ييكر . وهذان الشخصان هما وكيلان لأبي السعود وكان يعرف سير صمويل ييكر من رحلته الأولى إنها اشتراكا في حملة إبراهيم فبادر وأحاطها بانتهاء عقد العقاد الأمر الذي كان قد أخفاه أبو السعود عنهم أخفاء تماما .

وأدى أيضا أكبر شيخ في الناحية لزيارة وهو المدعو « كونونجا » Kouonga ومعه حاشية كبيرة وهو أحد معارفه القدماء والمستشار المحبوب لدى ملك أونيورو المدعو « كمرازى » Kamrasi الذي توفي منذ عامين .

وتحمل له هذا الشيخ أخبارا هامة للغاية . ذلك أن موت « كمرازى » سبب حربا مدنية شببت نيرانها بين ولدى الملك المعزوزين « كباريجا » Kabba-Réga

و « كِبَامِيرُو » Kabb-Miro والعدو اللدود للأسرة « ريونجا » Rionga ابن عم الملك المتوفى . وان الثاني قتل واعتلى الأول عرش والده .

وأحاط سير صمويل بيكر « كُوؤنجا » بمشروعات الاصلاحات التي كان ينوي اتخاذها وساهه بعض المدايا « لـكـبـارـيـجـا » الذي كان يقيم على مسافة مسيرة ستة أيام تقريباً .

وكانت المئونة تصل رغمما عن وعد الشيخ ببطء عظيم لدرجة كان يخشى معها أن تقع الجملة في العوز والاحتياج فاضطر سير صمويل بيكر ان يقوم بظاهرة عسكرية ليحمله على إنجاز الطلبات في الحال .

وفي ٥ أبريل زار السير بيكر جمع من كبار المشايخ ومن بينهم « راهونكا » Rahonka خال كمرازى وفي الغد وصل رسول « كباريجا » ومعهم بقرتان جحيلتا المنظر وشىء من الملح وجانب من الموز هدية لسير صمويل .

وفي ٧ أبريل سر سروراً كبيراً إذ قيد في هذا التاريخ عقوداً يتعهد فيها كافة رجال سليمان وادريس بخدمة الحكومة لمدة سنة وعلى ذلك صار في استطاعته بعد الآن ان يؤسس خلفه محطة في فويرا لتجرس صراكيه في مدة سفره الى مازندي عاصمة بلد أونيونورو .

وفي ١١ أبريل بينما كانت الجملة متأنبة للسفر حضر سليمان وآخر سير صمويل بيكر بأن لديه اشغالاً هامة تعوقه عن السفر في هذا اليوم برفقته . فاذن له سير صمويل بالتخلف وأمره في الوقت نفسه بأن يلحقه في أقرب وقت ممكن إذ أنه يريد ان يقدمه الى « كباريجا » بصفة وكيل عن الحكومة .

وسافرت الجملة من فويرا في الساعة الثامنة والنصف ووصلت بعد مسيرة ٣٤ كيلومترا إلى «كيسونا» Kisouna وهي أول محطة وكان المطر ينهر عليها أثناء مسيرها ، والضياع العديدة التي تتألف منها هذه البلدة كانت منبأة بين باقات الموز كأوكار الطيور .

ولم يحضر أحد من الأهالي في الغد لتوريد ما يلزم من الزاد وما زاد في الطين بلة لأن سير صمويل لم يجد حتى ولا شخصا واحدا من المائة حمل الدين كانوا برفقته إذ كانوا قد تسربوا ليلا . فاضطر أن يوقف مسيرة الجملة وأن يرجع البكباشى عبد القادر افندى إلى فويرا ومعه ثلاثة جنديا ويكلفه أن يأمر سليمان بجمع ثلاثة رجال .

وقد أنجز هذا الضابط اليقظ البارع مأموريته وعاد في ظرف ٢٧ ساعة قطع فيها ثمانية وستين كيلومترا .

وفي ١٤ أبريل قدم «كوبونجا» شيخ هذه الناحية وأخبر سير صمويل يذكر بأن الملك «كباريجما» مستافق لرؤيته كثيرا .

وفي الساعة الحادية عشرة من يوم ١٥ أبريل قامت الجملة ووصلت في الغد إلى «كوكى» Koki فحضر رئيسها المدعو «كيتاكارا» Kittakara وزارها . اختفى جميع حمال الجملة وأحضر لها غيرهم في ١٩ أبريل فأمهلها ان

تعاود مسيرها في جوف بلاد مخصوصة خصباً مدهشاً ولكن خربتها الحروب الأهلية التي حدثت بعد وفاة الملك «كريازى» وانتهت بقتل الملك الشرعي «ك BAMIRO» واستواء «كباريجما» على العرش . وفي ٢٠ أبريل رأى سير صمويل يذكر من فوق مرتفع على بعد ٣٢ كيلومترا غرباً مياه

البرت نيانزا وكان إذ ذاك على مسافة ٤٣ كيلومترا من « مازندي » المعسكر العام للملك « كباريجا » ومع ان الجماليين الذين أحضروا كانوا يتوارون عن الاعين تدريجيا بعد احضارهم فقد تمكنت الجملة من الوصول الى الحل الذي يمتهن في ٢٥ أبريل .

وتشغل مازندي عاصمة « اوانيورو » بحدا غير مستوى السطح يتدلى منه البصر الى مسافات شاسعة وتحجب الأفق الغربي منه على بعد ٨٠ كيلومترا سلسلة جبال متعددة على شاطئ البرت نيانزا وتعطي الاعشاب الطويلة كل مكان في ذلك النجد .

وكانت الجملة على مسافة ١٢٥ كيلومترا من « فويرا » و ٥٣٥ من الاسماعيلية تقريباً . وأرسل « كباريجا » هدية الى سير صمويل يذكر مؤلفة من ٢٩ حلا من حبة يسمىها الاهلى هناك « طلابون » وكمية وافرة من الموز والبطاطس وست عزازات .

وفي ٢٦ أبريل زار سير صمويل يذكر الملك الزيارة الرسمية فكانت الضيافة والعساكر مرتدية ثياب التشريفية الكبيرة تقدمهم الموسيقى .

وكان الملك « كباريجا » متسرلا بلا حلة جميلة من قشور الشجر مخططة بخطوط سوداء وكان يلوح أنه في العشرين من العمر تقريباً . وحدث سير صمويل يذكر عن أعمال شركات أبي السعود العظيمة وكان حديثه في ذلك مطابقا لما قرره رجاله وأعرب له عن الفرح الذي أدركه بناءاً على قدمه والسرور الذي شمله عند ما علم ايقاف بعض رجال أبي السعود . فخوا به سير صمويل على هذا الكلام وأبان له حسن مقاصد الخديو ثم قال للملك انه

متأسف كثيراً للانقلابات التي حدثت في البلاد من وقت زيارته لها واستشف من خلال المستقبل خيرات كثيرة واياما سعيدة وأكده أن ليس له أن يخشى أمراً مادام حاصلاً على حماية مصر.

وكان كباريحا قد وطد العزم أن يرد الزيارة لسير صمويل ييكر في ٢٧ أبريل فاصطفت الجنود وهي متحلية بـ *كساوى التشريف* على جانبي الطريق المتسعة التي كان قد اختطها مبتدئه من ديوان الملك ومتصلة بـ *سرادقه* الخصوصي ووقف رجال الموسيقا بالقرب من ذلك السرادرق الذي شمرت جوانبه وفرش بالسجاد.

وبعد مضي بعض دقائق دوت أصوات الأبواق وقرعت الطبول ورنت الصفافير مؤذنة بوصول الملك الذي كان يتقدم بكيفية غاية في الغرابة إذ كان يمشي بخطوات واسعة كأنه كان يريد أن يهلك خطوات الزرافة.

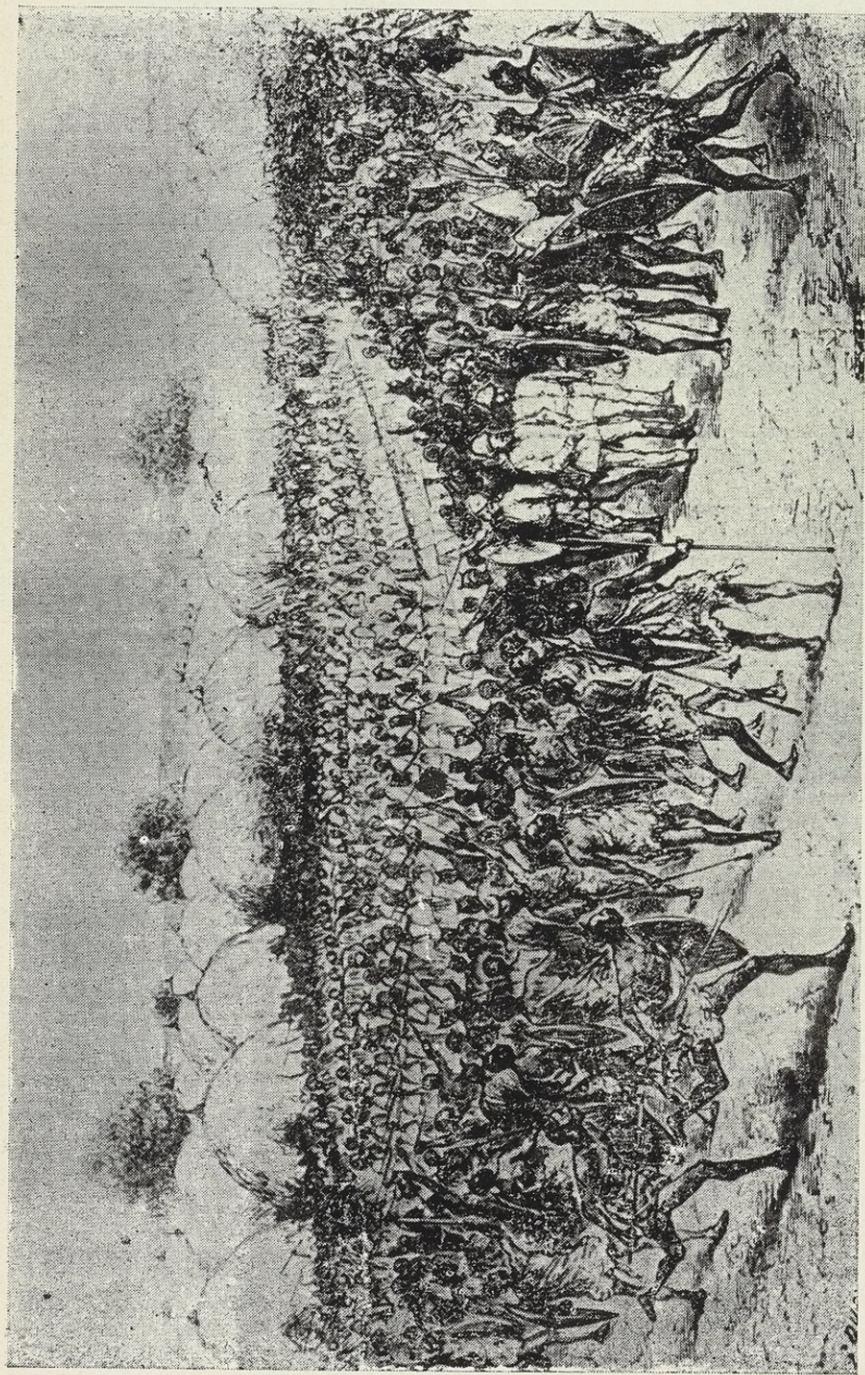
وهكذا كان يمشي كباريحا ومن خلفه كبار رؤساء بلده « *كيتاكارا* » و « *ماتونسيه* » Matonsé و « *كوهنجا* » و *كثيرون* غيرهم. ولما اقترب من الموسيقا وصدحت هذه بالحانها ذهل عند ذلك ودخل في السرادرق بشكل لا يليق بملك. وكانت هيئته تدل على شيء من الجبن والجراوة في وقت واحد. وبعد تردد قليل كانت في أثناءه أعضاءه ترتجف فلقياً جلس على المقدى الذي كان قد أعد له وجلس كبار رؤسائه على الجلوود والسجاجيد وقدمت له القهوة والمشروبات فأثنى يشرب شيئاً غير أنه أمر اثنين من الرؤساء أن يحتسيا شيئاً منها أن يشرب شيئاً غير أنه أمر اثنين من الرؤساء أن يحتسيا شيئاً منها أمامه. وبينما كانا يتجرعان كان هو يحدد فيها نظره متظراً ولا شك فعل السم في أمعائه.

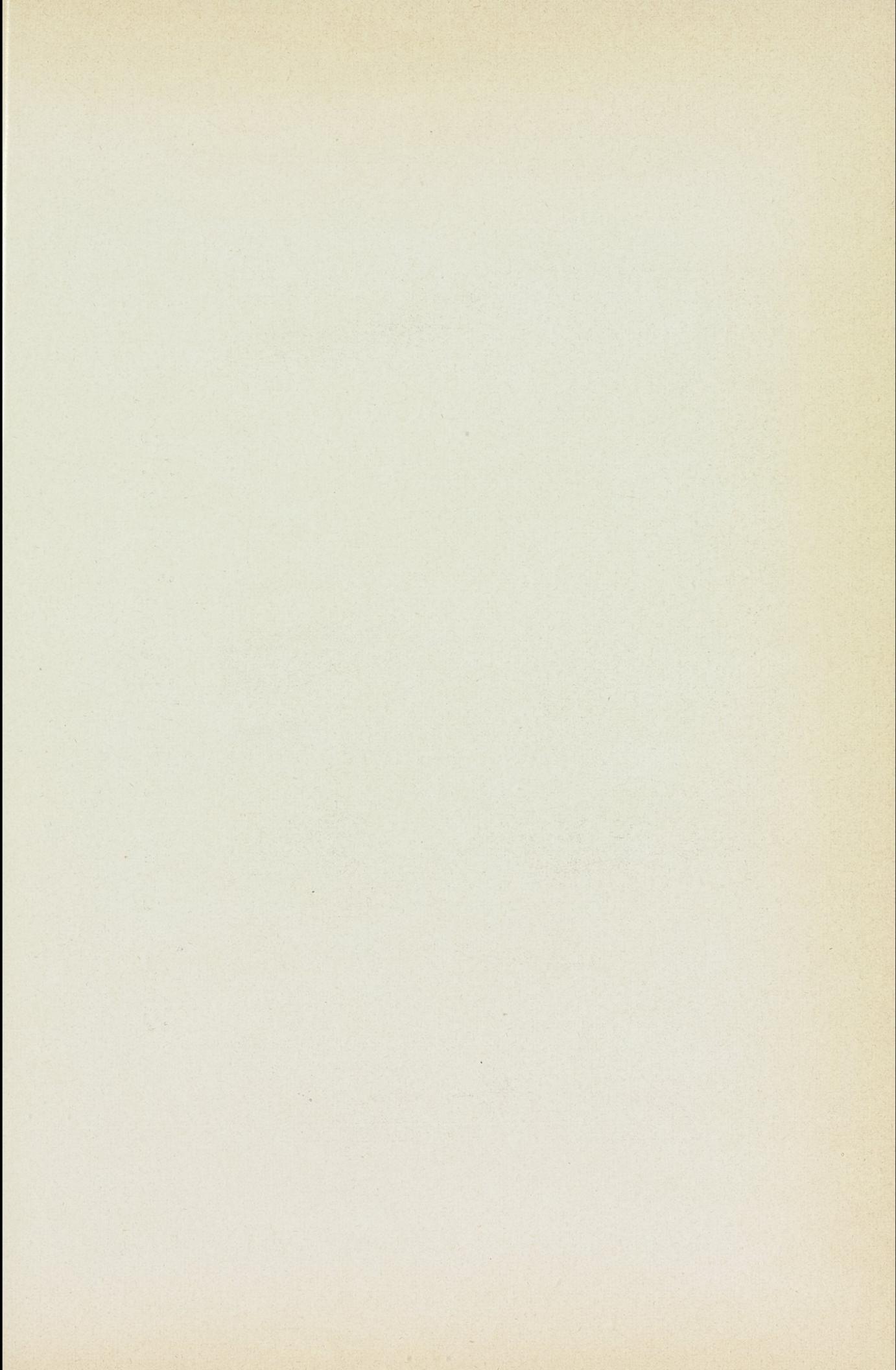
ولكي يغير سير صمويل يذكر مجرى الحديث استحضر عليه كبيرة من المعدن ممتلئة بصنوف من الهدايا ومن ضمنها ساعة وقال للملك ان هذه الساعة كانت برسم والده «كمرازى». فقال له عندئذ «كباريجا» انه يعلم أنه كان الصديق الامين لوالده وأنه يتقبل بطيبة خاطر كل هدية كانت باسم أبيه. واستاذ حيئتذ «كباريجا» وانصرف عائداً من الطريق الذى أتى منه.

استيلاء الحلة على أونيه ورو

وتألف هذه الشرذمة من ١٢ جندياً من العساكر النظامية وجاويش

صبع من الجنود المصرية والسودانية أمام مظاهره عدائية من الأونيونيين





و ٢٥ جندياً من العساكر غير النظامية يقودهم الترجمان محمد و ٣٠٠ من الأهالي لحمل متاع الصاغقول أغاسى عبد الله افدى الدنساوي وقد خفض سفر تلك الشرذمة قوات سير صمويل يذكر تحقيقاً هائلاً فلم يسبق لديه إلا مائة عسكري نظامي و ٤ بحارة و ٤ من الباريين مسلحين .

ومع ذلك لم يكن ما أظهره الملك عند ضم بلده إلى الحكومة المصرية من الرضا والارتياح إلا تمويهاً . فقد قامت عدة مظاهرات عدائية من الأهالي إلا أن يقظة سير صمويل يذكر ومهارته أحببت تلك المظاهرات .

وقد وطد سير صمويل يذكر العزم على إقامة حصن دائرة تحمي ستارة من التراب وخندق عمقه متراً حتى لا يؤخذ الجندي على غرة ، الأمر الذي لا يبعد حدوثه نظراً لما هو معلوم من ميل الأهالي للخيانة . وأخذ رجاله في العمل بنشاطهم المعهود فلعلت قلوب الأهالي خوفاً من ذلك ولكنه جعلهم يرکنون إلى الوثوق بأنه لا يريد بهذا العمل إلا تغطية مخازن بارود الجملة وبذلك تكون مدينة مازندي Masindi في مأمن من الحرائق . وقد ابتدأ العمل في الحصن في ٢ يونيو وانتهى في ٥ منه وفي ظرف أربعة أيام صار موضع المخطة أمن من عقاب الجو .

وفي ٤ يونيو جاء رسول من قبل « متيسا » ملك أوغندا ومعهم رسالة مكتوبة باللغة العربية فلتحفهم سير صمويل يذكر بشيء كثیر من المدادا لهم ولما يكتبهم . وأعطاهم مكتوباً للملك أوضح له فيه الغرض من محى الجملة . وفي ٥ يونيو رجعوا إلى بلادهم مشروحي الصدر مغبطين بزيارتهم .

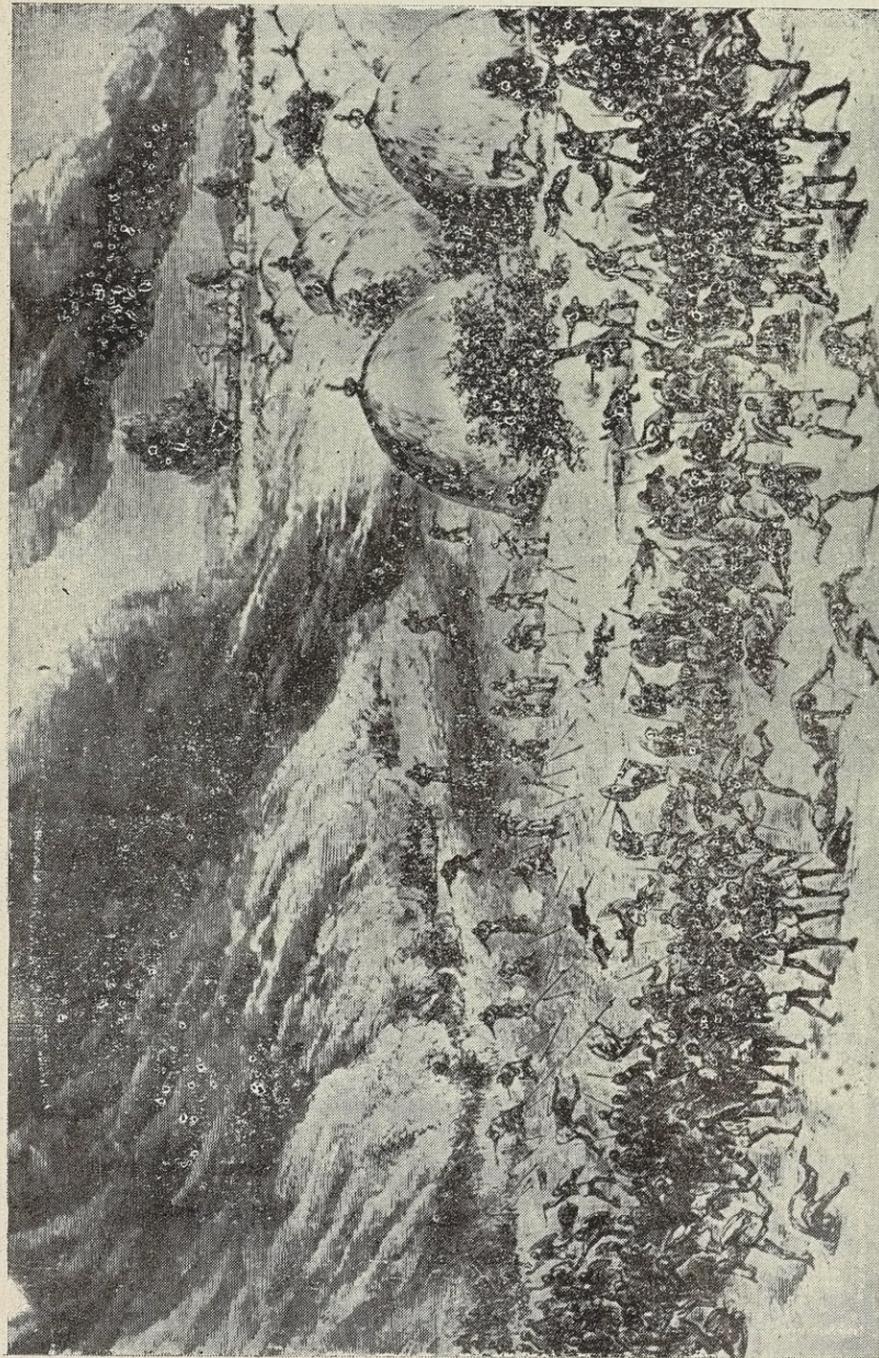
وفي ٧ يونيو لم يكن لدى الجندي شيء من الزاد وانقطع ورود المؤونة رغم اعن تكرار الطلب وكثرة الوعود . وفي آخر النهار ورد لهم ست جرارات من شراب الموز وورد ايضا جانب من الغلال . واتضح ان الشراب كان ممزوجا بالسم وكل من شرب منه وقع مصرضا ولكن لحسن الطالع أدركوا بالعلاج في الحال وأبل الجميع من المرض .

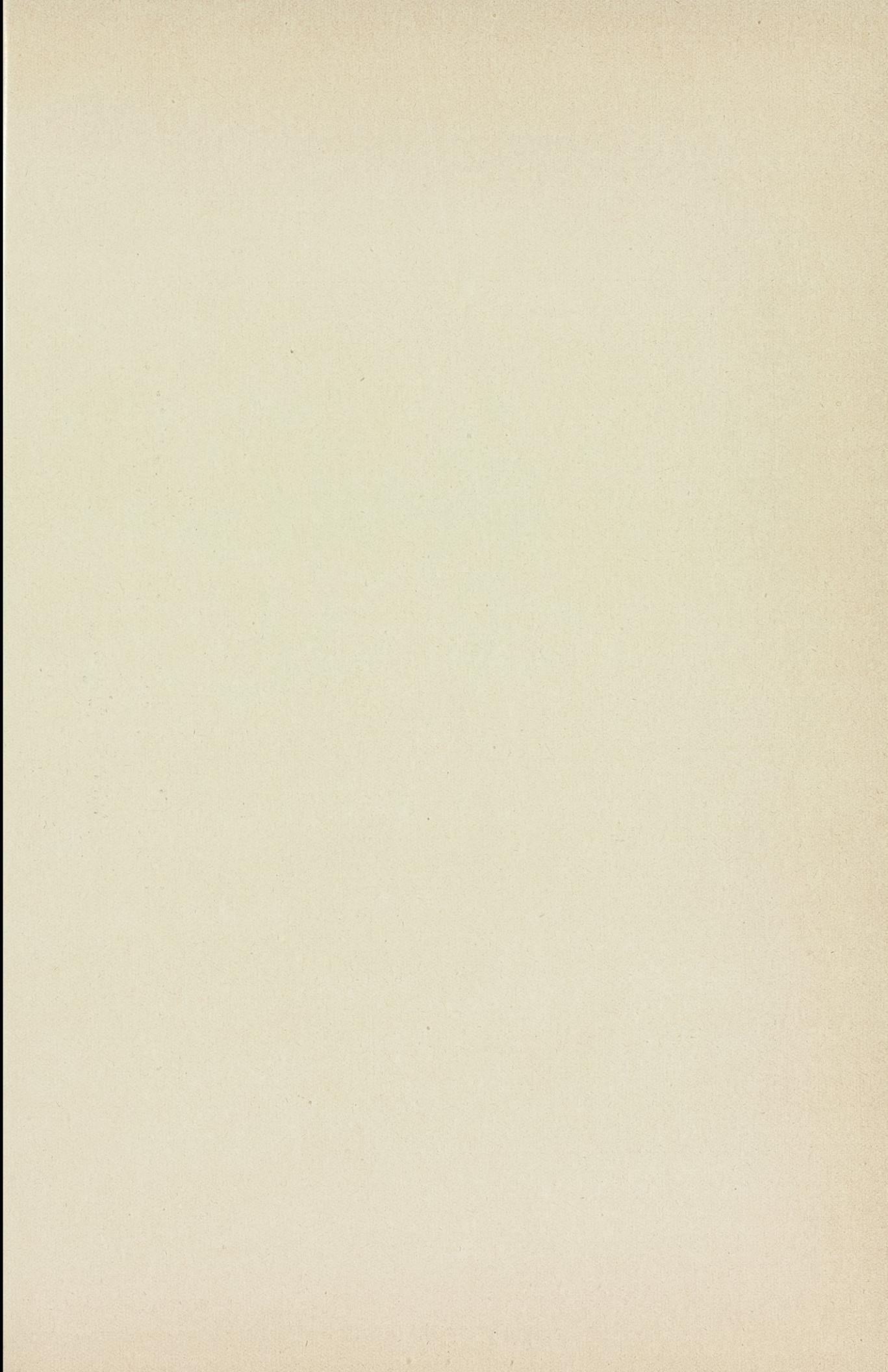
وفي تلك العشية ساد سكون عميق في مازندي خلافا لعادته فكان أشبه شيء بالهدوء الذي يسبق العاصفة . واستشف سير صمويل ييكر سوء القصد من خلال الحوادث فأخذ الخدر وضاعف الحرس وأمر باليقظة والتخاذل الحبيطة . ولقد أصاب فيما رآه عين الحقيقة إذ ما كاد الفجر يلوح حتى هاجم الأهل في الحصن هجوما عاما فردوا على أعقابهم بخسائر فادحة . ومن باب مقابلة الشر بالشر ارسل سير صمويل ييكر الملائم فرج افندى السواحل ومعه ١٥ جنديا وكلفه بحرق المدينة وفعلا أحرقها وفي ظرف ساعة من الزمان أصبحت عاصمة أونيونرو آثرا بعد عين .

اما كبار بما فانه من بدء الامر تعلق بأذى الفرار واحتفى وفي غد اليوم التالي بعث برسل ليقرروا أن ما وقع لم يحدث إلا لسبب سوء التفاهم فزعموا أن مسئوليية ذلك الحادث تقع على أحد الرؤساء المدعو « ماتونسيه » وقالوا ان هذا سيغتصب وان الملك يأسف أشد الأسف على ما حصل . ومع ان سير صمويل لم يخدعه هذا القول إلا انه تظاهر بالتصديق بما لاستفحال الشر .

وفي ١٠ يونيو أتاه رئيس ومعه عدد من الأهل من قبل « كبار بما » وقدموا له على سبيل المدية بقرتين لونهما أبيض ومنظرهما جميل وأكدوا

موقعة مازندي عاصمة أونيونرو وقد اشتباكت فيها جنود الجلاء مع الأُونيونريين
في ٨ يونيو سنة ١٨٧١





له صدق المودة فكان ما قالوه ينطبق على ما قالته الرسل الذين سبقوهم ثم قالوا له مؤكدين انه سيرد له قريباً كمية من المؤونة و ٢٥ ناب فيل من الأنياب الفاخرة .

ولما كان سير صمويل يذكر يجتاز كثيراً للسلم امتنع للقضاء وقبلت نفسه بأن يرسل للملك صندوق الموسيقى الكبير الذى كان يطمح دواماً للحصول عليه .

وفي الغدائي ١١ يونيو أرسل ذلك الصندوق مع مندوبيه وأصحابها بشيخ ي يكون معها بصفة دليل الى الملك الذى كان قد انسحب الى مدينة تبعد مسيرة نصف يوم .

ودخل الليل ولم يرجع المندوبيان ولم يأت عندهما خبر فانشغل بال سير صمويل يذكر وساورته الأكدار .

وكان قد أقام معسكراً خارج الحصن فأمر باخلاقه ووضع كل من كان به في الداخل . وهذا احتياط يدل على الحكمة وبعد النظر ، ففي تلك الليلة أحرق الأهالي المعسكر لآتهم كانوا يأملون من وراء ذلك ان تخرج العساكر لتطفيء الحريق وتقطع في كمين غير أنه لم يخرج أحد وحبط مسعاه .

وفي ١٣ يونيو في نحو الساعة العاشرة صباحاً انقض الوطئيون بعشرة على ماشية الجملة التي كانت ترعى على مسافة ستين متراً من الحصن ورموا من بداخل الحصن بنابل مسمومة ودلت القذائف فوق رؤوسهم فكان القتال عاماً وردوا بعد خسائر جسمية .

لم يكن هناك أى شك في خداع «كباريحا» ثم ان سير صمويل يذكر أىHen أنه مع القوة القليلة التي في حوزته ومع نقص المؤونة لا يمكنه الاقامة في البلد ليوطد في ربوتها دعائم الأمان ولا أن ينشئ محطة دائمة فيترك فيها قسما من جنوده . وعلى هذا عقد النية على الرجوع وكان إذ ذاك يبعد عن المركز الذي كان قد أنسنه في «فويرا» مسافة سبعة أيام وكان لديه من المؤونة ما يكفيه لقطع هذه المسافة . فجم جنوده وبين لهم الحالة بجلاء ووزع عليهم المخالع الذي يتهم نقله وقرر حرق ما يتبقى بعد ذلك .

ولم يخف سير صمويل يذكر عن رجاله أنه سوف يهاجمون أعداء كامنون لهم في الطريق وأن الفوز يتعلق بطاعتهم ورباطة جأشهم فقط . وأعطائهم تعليمات عن المسافة التي تلزم أن تكون بين الجندي والآخر وماهية المناورات التي يجب أن تعمل عند حدوث هجوم على الجناحين في آن واحد .

وبعد أن أصغى الجنود والضباط أصفاء تماما للتعليمات التي وجهها إليهم قال الجميع بصوت واحد إنهم مستعدون أن يتبعوه أيان يذهب وأيان يقودهم وأن يتبعوه طاعة عميماء .

وبقى على سير صمويل يذكر أن يقوم بتضحية شديدة مؤلمة . فقد كوم الأمتعة الأخرى في ديوانه ووضع فوقها سرادقه الكبير وصب فوق كل هذا أثير حامض الكبريت والكحول وخلاصة الترابتينة وكل محتويات صندوق العقاقير ولم يحتفظ منه إلا بملف مشمع وبعض أربطة وربطة كبيرة من النسالة ووضع في آخر الأمر فوق ذلك كله نحو الستين صاروخا .

تراجع الحملة عن أونيورو تحت ضغط الأهالى

وفي ١٤ يونيو في الساعة التاسعة والنصف سارت المقدمة صفوفاً متتالية في الدرج الرملي ثم وقفت عند نهاية محطة مازندي وكان يسود صفوفها سكون عميق اتباعاً للأمر.

والتقت سير صمويل يذكر إلى المحطة التي أنشأها بشغف عظيم ليشهد زوالها وهي تخترق إذ وضعت مؤخرة الحملة النار على الكومة فتصاعد الدخيب في الهواء ثم أعطى أمراً بالسير . وارتفع الدخان فكان كالسحب المتراكمة البيضاء فوق الديوان ومسكن سير صمويل يذكر الخصوصي . واشتعلت النيران في منزل الملازم يذكر واتصلت على التوالي بباقي المساكن . ولما تمت عملية التحرير والإبادة سارت المؤخرة والتحقت بالجيش . ثم ما لبث الجيش أن دخل في الحشائش العالية التي كانت تهبط تحت هطل الأمطار . وهكذا ظلت الحملة سائرة نحو الكيلومترتين بدون أن تسمع همساً يشتم منه رائحة العدو . وبعد ذلك قامت خلفها ضجيجات وصيحات الأهالى الذين هرعوا إلى المحطة عند ما رأوها تخترق . وكان يكثر وقوف الحملة بسبب تشتت المواشى وتراجعها في سيرها حتى أنها بعد مسيرة سبع ساعات ما كانت قطعت إلا مسافة ١٦ كيلومتراً .

ولم يكن عرض الدرج الذى تسير فيه الحملة بين الحشائش يزيد على قدم واحدة وكان يشبه خط رسمته أرجل الغنم . وبينما كان الجيش سائراً في طريقه إذا بالمقدمة تصوب على حين فجأة نيراناً حامية والبوق ينفع فيه

في الوقت نفسه إيدانا بالوقوف عن المسير وأخذت الرماح تتطاير خلال
الдорب غير أنه بعد بعض طلقات من افواه بنادق السنيدر أخلى الطريق
وشق الجيش له ممراً بين الأعشاب ثم تسلق سفح التلل . وهناك
لم تكن حشائش . ووقف الجندي في ذلك المكان بين أشجار الموز
وبعد أن رتب الحرس قطعت الرجال أشجاراً ونصبوها حاجزاً
حول المعسكر .

ولم ينقطع المطر طول النهار وكانت فرائص جميع الرجال ترتعد من
البرد ولم يكن لدى الجيش مما يصلح للاستدرا به إلا بعض المضارب التي
لا تخترقها المياه وكانت في حالة سيئة .

وكان لا يزال يوجد لدى الجملة حشيات (مراتب) فقضوا تلك الليلة براحة
لا بأس بها . غير أن سير صمويل يذكر كان يرى أن هذه هي آخر ليلة تتمتع
فيها الجملة بهذه الحشايا إذ ان الاموال الباهظة التي كانت تنوء ظهور الجنود تحت
عيونها كانت تستدعى اتلاف البعض من المتساع وكان يسود المعسكر
سكوت أشبه بسكوت أهل القبور . ونام جميع رجال الجملة ولم يبق منها أحد
متيقظاً الا الحراس .

وقد أحراق سير صمويل يذكر قبل ان يسافر عدداً كبيراً من
الأشياء التي تعوق السفر ومن ضمنها عضادة منظار الرصد « تلسکوب »
المصنوعة من خشب البلوط . وبعد مسيرة ساعة ونصف وصل الجيش
إلى منحدر في نهاية ارض فسيحة بها مستنقعات يقطعها من الوسط
مجري ماء . وما كادت تصل المقدمة الى مائة متر والجندي من خلفها صفووا
متراصه إلا وقامت صرحة هائلة حتى كان الجحيم لفظ كل من به من مردة

وشياطين . وارتقم الصياغ دفعـة واحدة وضجـت الطـبول وقصـفت أصـوات
الـأبـواق والـصـفـافـير مع جـلـبة وضـوضـاء شـدـيدة بـهـت من هـوـلـها الجـنـد ووقفـوا لـحظـة
وـكـانـ على رـؤـوسـهم الطـير . وـكـانـ يـسـتـشـفـ من خـلـال تـماـوجـ الحـشـائـشـ وـحـفـيفـها
الـشـدـيدـ وجـودـ كـمـينـ وـاسـعـ النـطـاقـ .

وـفـيـ الـحـالـ أـلـقـتـ الجـنـدـ الـأـهـالـ وـخـرـواـ رـكـانـ فـكـانـ وجـهـ الـوـاحـدـ
مـنـهـمـ مـتـجـهـاـ يـمـيـنـاـ وـوـجـهـ الـآـخـرـ يـسـارـاـ وـذـلـكـ عـنـدـ ماـ بـدـأـتـ المـزـارـيـقـ
تـخـتـرقـ الدـرـبـ . وـإـنـ هـوـ إـلـأـ تـفـخـ فيـ الـبـلـوـقـ حـتـىـ اـشـتـعلـتـ
نـارـ الـحـرـبـ .

وـلـاـ يـكـنـ القـولـ كـمـ مـنـ الزـمـنـ استـمـرـتـ نـارـ الـحـرـبـ مـسـتـعـرـةـ
غـيـرـ أـنـهـ مـنـ الـمـحـقـقـ أـنـ الجـنـودـ استـنـفـدتـ مـقـدـارـاـ كـبـيرـاـ مـنـ الذـخـيرـةـ قـبـلـ
أـنـ تـضـعـ الـحـرـبـ اوـزـارـهـ .

وـفـيـ نـهـاـيـةـ الـأـمـرـ أـخـذـتـ أصـواتـ الطـبولـ تـبـعـدـ . وـعـنـدـ ذـئـخـ فيـ
الـأـبـوقـ إـيـذاـناـ بـالـمـسـيرـ . وـقـدـ وـقـعـ ضـغـطـ شـدـيدـ عـلـىـ الـمـؤـخرـةـ لـأـنـ الـأـهـالـيـ
انـقـضـواـ عـلـيـهـاـ فـيـ الدـرـبـ نـفـسـهـ غـيـرـ أـنـ بـنـادـقـ السـنـيدـ اـقـصـتـ مـنـهـمـ قـصـاصـاـ
عـاجـلاـ وـمـجـداـ .

وـكـانـ سـيـرـ صـمـوـيلـ يـكـرـ مـقـتنـعـاـ بـضـرـورةـ تـحـقـيقـ اـهـالـ الرـجـالـ إـذـ
كـانـ مـنـ الصـعـبـ جـمـلـ النـقـالـاتـ لـأـنـ أـرـجـلـهـاـ كـانـ تـشـتـبـكـ بـالـحـشـائـشـ .
فـقـاتـحـ رـجـالـهـ بـهـذـاـ الصـدـدـ فـكـانـ جـوابـهـمـ بـالـاجـمـاعـ أـنـهـمـ لـاـ يـهـابـونـ الـوـطـنـيـيـنـ إـذـ
كـانـتـ اـهـالـهـمـ أـقـلـ ثـقـلاـ .

وـبـنـاءـ عـلـىـ ذـلـكـ أـمـرـ بـجـمـعـ الـاحـطـابـ وـأـضـرـمـهـاـ وـأـحرـقـ فـيـهاـ جـمـيعـ الـأـمـتـعـةـ

التي يتغىّر نقلها . وبعد أن تقدّم هذا الأمر أمر فتفتح في البوّاق ايداناً بالمسير وأخذت الجملة سبليها وكانت السماء رائقة والشمس ترسل اشعّتها فتجفف ثياب جنودها المبتلة .

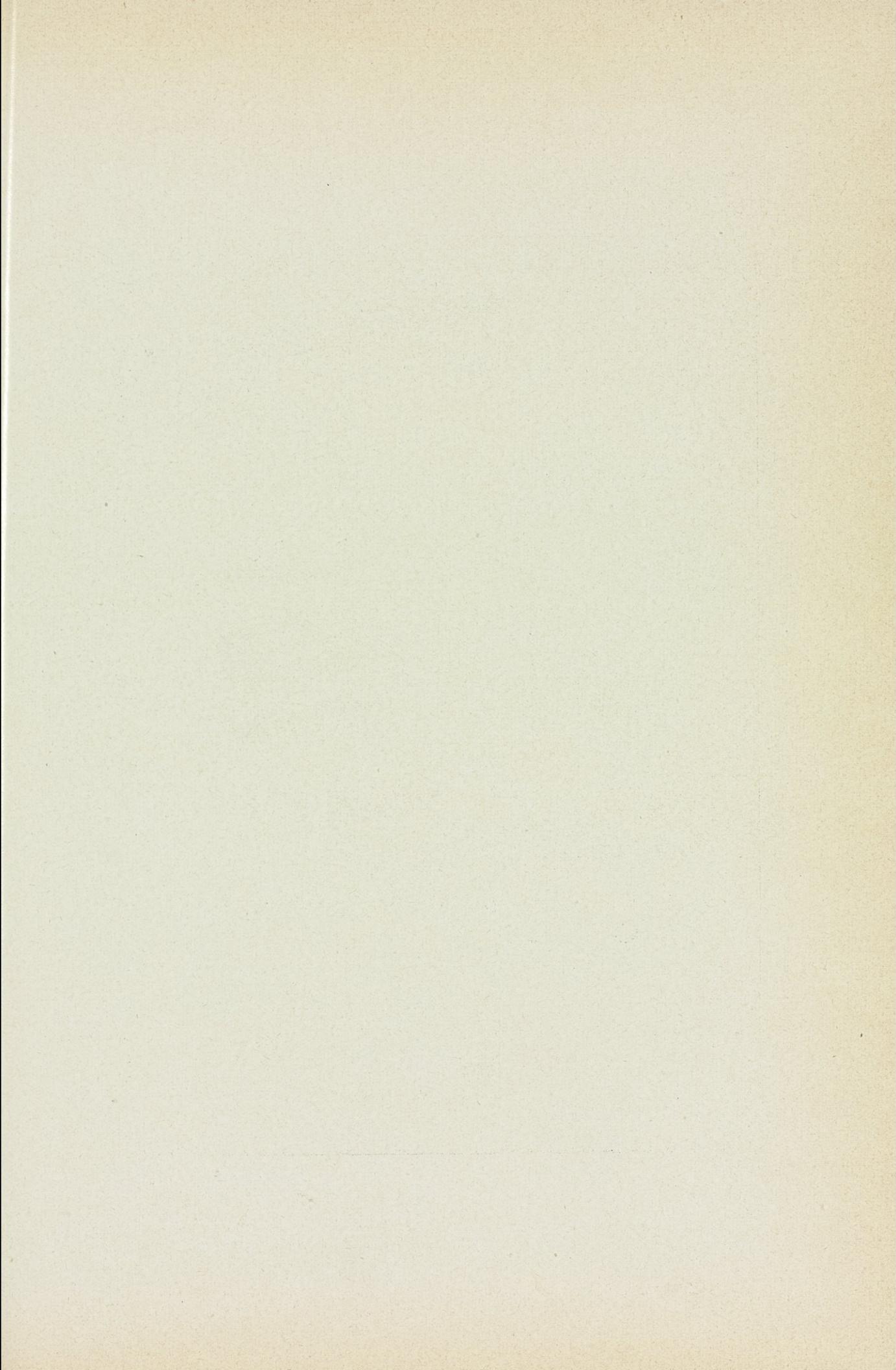
ودوى خجلاً صوت اطلاق البنادق في المقدمة وهو جلت المؤخرة في
الوقت نفسه فصوب الجندي الى الاعداء طلقات متواترة ومحكمة فلم يسع هؤلاء
إلا اخلاء الطريق . ولكن لما رأى سير صمويل يذكر ان عساكره
متوجهة كثيرة يدب فيها روح الحماس أمر أن ينفتح في البوق ايدانا ببطلان
اطلاق النيران وبالمسيء الى الامم .

وصلت المحلة في نهاية الامر الى موضع جمل السير صمويل يذكر يفترض أنه محتمل بقوة كبيرة من الاعداء إذ كانت المحلة تسير بموازاة صف من التلال الصخرية واقعة على يمينها وتتجه الى خاصية لا يمكنها الوصول اليها إلا اذا تخطت قطعا هائلا من الصوان مشرفة على تلك الخاصية من جميع نواحيها . وارتفاع كل قطعة من هذه القطع كان على اقل تقدير من ٦ الى ٨ اقدام وارتفاع البعض منها يزيد على ذلك وكانت تمر تحت اقدامها وفي كل صوب حشائش عالية وباقات من الاشجار . وقد أوصى سير صمويل يذكر الجنود بألأ يطلقوا النيران إلا اذا رأوا العدو وان يحكموا اطلاقها ويصدوا من امها اليه .

وابتدأ الهجوم عند ما وصلت الجملة إلى المنحنى الذي في تلك الجهة فأصيب البكباشى عبد القادر افندي بحرثين أحداهما أصابته في ساعده والآخرى أزlectت على جرموجه « توزلکه » المصنوع من جلد سميك . واخذت بنادق

واقعة الأُونيريين مع جنود الجلة عند انسحابها من مازندي في يوم ١٦ يونيو سنة ١٨٧٢ م .





السيدير تفعـل فعلها إلا أن الجملة بعد أن أطلقـت الطلقات الأولى أسرعت الخطى لكي تخرج من هذه الوهـدة . وكانت المراحل التي قطعـها قصيرة إلا أن سير صمويل يذكر رأـي ضرورة الوصول إلى محل صالح للنزول فيه في وقت يترك مجالا لاقامة حاجـز من فروع الاشجار والغوصـج تتحصن فيه الجنود ليلا .

وانقضـى اللـيل في هدوء وسـكينة وفي ١٦ يونيو رـحلت الجنـود في الساعـة السادـسة والنـصف بـدون ضـجة ولا ضـوضـاء . وـحين وصـولـها عند جـدول يـجري في منـخفض أـرضـه موـحـلة وـقـعـتـ في كـمـين هـائل . ذلك أن بعض الأـعدـاء خـرجـ من مـخبـئـه وانـقضـ على الصـفـ الأولـ من المـقدـمة وـفيـ الحال وـقـعـ كـثيرـ مـنهـم يـتـخـبـطـونـ في دـمـائـهمـ إـذـ أـصـيبـواـ بـطلـقاتـ منـ أـفـواـهـ بـنـادـقـ السـيـدـرـ غـيرـ أنـ أحـدـهـ أـنـذـرـ رـحـمـهـ فيـ صـدرـ جـنـدـيـ لمـ يـنـطـلـقـ مـقـذـوفـ بـندـقـيـتهـ . وـكانـ الجنـودـ قدـ أـسـرـفـواـ فيـ اـطـلاقـ النـيـرانـ اـنـتـاءـ السـيـرـ كـماـ أـسـرـفـواـ فيـ اـطـلاقـهـ فيـ السـيـرـ السـابـقـ فـصارـ منـ الـلـازـمـ الـضـرـورـيـ وضعـ حدـ لـذـلـكـ .

جـمـعـ سـيـرـ صـموـيلـ يـيـكـرـ جـنـودـ وـقـتـشـ اـكـيـاسـ اـخـرـطـوشـ ثـمـ نـبـهـ عـلـيـهـمـ أـلـاـ يـطـلـقـواـ طـلـقاـ وـاحـداـ بـدوـنـ أـمـرـ اللـهـمـ إـلـاـ إـذـ حـصـلـ رـميـ بـمـزـرـاقـ بـخـائـيـ وـفـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ تصـوـبـ بـعـضـ طـلـقـاتـ نـحـوـ الـمـكـانـ الـذـيـ أـتـىـ مـنـهـ الـمـزـرـاقـ تصـوـيـباـ مـحـكـماـ . وـانـهـ مـنـ غـيرـ المـصـرحـ بـهـ اـطـلاقـ النـارـ عـفـواـ بـأـيـ حـجـةـ كـانـتـ . وـبـعـدـ انـ وـجـهـ إـلـىـ عـسـاـكـرـ هـذـاـ التـأـيـبـ صـرـفـهـمـ فـأـخـذـواـ يـشـتـغلـونـ باـقـامـةـ حاجـزـ لـهـيـاـةـ الـعـسـكـرـ .

وـفـيـ ١٧ـ يـوـنـيـهـ عـنـدـ السـاعـةـ السـادـسـةـ وـالـرـبـعـ صـبـاحـاـ عـاـوـدـتـ الـجـملـةـ الـمـسـيرـ

بقصد الوصول الى « كوكى » Koki وعرف سير صمويل بيسكر عدة قرى تجاوزتها بدون أن تقف فيها ووصلت الى طريق معبد يسمى سير عربة ذات عجلتين . وكانت الظواهر كلها تدل دلالة واضحة على أن هذا الطريق أعد نفا لجذب الحملة ووقوعها في كمين هائل . وما كادت التجريدة تسلك خطوات في هذا الطريق حتى هوجمت . وإن هو إلا أن صوب الجندي على الاعداء ناراً حامية حتى ولو انشتووا وهم يعانون عواء الذئاب ويصفرون .

ورأى سير صمويل يذكر في ذلك اليوم ان حسابه لا يتوقف
والمسافات ودهش لذلك دهشا عظيما . إذ كان يجب أن يكون قد
بلغ « كوكى » ومع ذلك فإنه كان ما زال أمامه احراس كبيرة
وحشائش ليس لها آخر . وقد كان واثقا أنه تجاوز « كوكى »
وهي قرية تكتنفها المزارع وأنه لم يخطئها إلا بسبب الطريق التي مهدت
لها تضليله .

وفي الحال تطأيرت الحراب فوق رؤوس الجنود خاوبتها بنادق السنيدر بسرعة البرق وارتفع صوت بوق مقدمة الحملة مناديا بالوقوف . وفي هذه الدفعة جرح الملازم محمد مصطفى افندي .

وفي ظرف ربع ساعة انتشر الضوء ودخلت الجملة في واد واسع تكتنفه الغابات يبلغ سطحه $\frac{1}{6}$ من الأقيقة وكان في قلب ذلك الوادي بئر فيها ماء عذب وعمقها يتراوح بين أربعة وخمسة أمتار واستدارتها واسعة ويمكن الإنسان أن ينزل فيها بواسطة مدرجات محفورة في جدارها الرملي . ووقفت الجنود في هذا المكان . وكانت قد سلمت سلوكاً محموداً وأمرت توصيات سير صمويل يذكر الشمرة التي كان ينتظرها فعم مواصلة اطلاق النار لم يستنفذوا إلا

قليلاً جداً من الذخيرة.

وفي ١٨ يونيو عند بزوع الشمس سارت الجملة . ومن العبر ذكر جميع دقائق سلسلة المكامن والخبايا التي صادفتها . ففي كل يوم كان يحصل هجوم وكانت كل المجممات ترد بهمة لا تعرف الكلال . فطول يوم ١٨ هذا قاتل الجندي قتالاً شديداً . وأصيب في ذلك اليوم أربعة جنود بجراح من الجنود وكانت مسألة الجرحى مسألة محيرة . وكان الجندي اذا خر قتيلاً فهم كانوا يبلغون كدر اخوانه من أجله فأنهم كانوا لا يعودون للاهتمام به . ولكن ما العمل في الجرحى ومن الصعب أن يتبعوا الجملة بدون حمالين ؟

وكان يستحيل الوقوف في تلك الأقطار الشاسعة الغطاء بالأعشاب
العالمة والأشجار غير أن سير صمويل يذكر شاهد امامه تماما تلا تكاله أجمة
من أشجار الموز فعاون عقيلته في الصعود اليه . وبعد قليل سارت الجملة في
أجمة كثيفة حيث الارض مجردة من الحشائش كما هو الحال دواما في الاراضي
المزروعة موزا .

ثم أمرت الحملة بالوقوف فقبول هذا الامر بالارتياح التام وبالاخص من النساء اللواتي كان قد انهرن امهاتهن الشقيقة . ووضع سير صمويل يذكر كثيرا من الحراس مختلفين عن الاعين اختفاء تماما ليراقبوا العدو الذى كان ولا بد يتبع خطواتهم باتجاه الاستيلاء على متعاع جـ ريج كان قد تخلف .

وساد المعسكر سكوت عميق يشبه سكوت أهل القبور حتى ما كان يسمع

لمن به همس ولا ركز .

وكان يوم ١٩ يونيو من اشقر الايام على الحملة فاجتازت عدّة اخوار ووديان واحراش اشجارها مشتبكة يتعرّض السير فيها . وفي تلك الارض هوجمت أكثر من مرّة .

وبعد عشر دقائق وصلت الحملة الى مزرعة بطاطة وخرجت بعثة من الظلام الذي يسود الادغال والآجام الى الضوء الظاهر الذي يتلاّل في الاراضي المكسوّفة وهذا من شأنه أن يبعث دواما في النفوس شيئاً من الغبطة والهناء .

ووقف سير صمويل يذكر في وسط هذه المزرعة لينتظر مؤخرة الجيش . وصار الجيش الآت فوق ارض خالية من الحشائش والاحراش وبهـ اكواخ تأويه وحـ قول واسعة يمكنه ان يأخذ منها المـدار الذى يريدـ من البطاطـة .

ولما وصلت المؤخرة جمع سير صمويل يذكر كل رجاله وأثنى على الضباط والعساكر لاطاعتهم أوامرـه وقدم لهم التهـانى على وصولـهم الى هذا المـكان بعد سفر طـويل رغمـا عن كـثرة الاعدـاء ومع خـسارة طـفيفة جداً . وأحاطـهم بأـن المسـافة الـباقيـة بينـهم وبينـ « فـورـيراـ » هي فقط ٣٣ كـيلـومـتراـ وـانـه يـعـرفـ الطـريقـ المـوصـلـ اليـهاـ . ثمـ قالـ انـ « رـيونـجاـ » سيـصلـ اليـهـ عـما قـرـيبـ خـبرـ وـصـولـهمـ . وـانـه سيـحـصنـ المـكانـ الذـىـ هـمـ نـازـلـونـ بـهـ الآـنـ وـانـهـ سـيـظـلـونـ بـهـ بـضـعـةـ ايـامـ ليـتـسـنـىـ فـيـ غـضـونـهـ لـلـجـرـحـ استـرـدـادـ قـوـهـمـ . وـانـهـ يـلـزـمـ انـ يـشـتـغلـ كـلـ اـنـسـانـ بـصـنـعـ مـحـفـوظـاتـ مـنـ بـطـاطـةـ . فـقـبـلـ انـ يـنـفـرـطـ عـقدـ صـفـوفـ الجـيشـ صـفـقـ الجـنـدـ تـصـفيـقاـ طـويـلاـ وـجاـوبـ سـيرـ صـموـيلـ يـذـكـرـ عـلـىـ ذـلـكـ التـكـريمـ بـأـنـ أـصـاـهـمـ

رحت الجملة سحرا وبعد مسيرة ٢١ كيلومترا وصلت الى بئر فاخت
بحملها بجانبها لتقضى الليل ولم يجرح من رجالها في هذه المرحلة إلا شخص
واحد . وفي يوم ٢٤ وصلت الجملة بعد مسيرة ١١ كيلومترا الى « فورا »
بدون أن تصادف في طريقها عدوا . وفوريًا هذه هي معسكر سليمان
القديم . وكان سير صمويل يذكر معمدا على أن يجد فيه له ولرجاله
ما يأويهم إلا أنه رأى أن كل الأكواخ قد احترقت ولم يبق من
المعسكر إلا رماده .

وبلغت خسائر سير صمويل من ٨ الى ٢٤ يونيو ٦ من القتلى و ١١ جريحا . وكانت جميع ضباطه وعساكره قد أُدْت واجباتها وأبْدَت كثيرا من الشجاعة ورباطة الجأش في وسط حوادث مدفعية تشيب لهوها الولدان . وليس لكان أيا كان سوى العساكر السودانيين ان يقوم برحمة مداها ١٣٠ كيلومترا محلا أهالا باهظة ويقاتل فوق ذلك كل يوم .

وقد شرع سير صمويل يذكر في اقامة محطة جديدة واستخدم خشب حظيرة سليمان القديمة في عمل حواجز . وبما ان الواح البلوط السميكة كان لا اثر لها فقد أمر بأن يغرس في الأرض الى مسافة بعيدة أو تاد من

الخشب قوية بحيث ما يبقى منها ظاهرا فوق سطح الارض يكون ارتفاعه نحو ٧ أقدام وأن تسد فرجة ال ٢٥ سنتيمترا الفارقة بينها بواح طويلة توضع بالعرض الواحد فوق الآخر وأن تشد طابيتان فوق كل زاوية من زوايا المربع لحماية واجهة الحصن على وضع منحرف .

سفر سير صمويل بيكر الى فاتيکو لاعداد حملة على أونیورو

وعلى ذلك عقد الية على ان يظل البكاشى عبد القادر افندى في الماجز الحصين الذى أقامه على صفة النهر فى نفس هذا المكان لمعاضدة «ريونجا» وتنظيم القوات الاهلية . أما هو فيذهب مع اربعين رجلا مسلحين ينادق السينيدر الى «فاتيكو» ليستقى أخبار الحوادث التي وقعت في مدة غيابه ويؤلف فيها جيشا من العساكر غير النظاميين ويرسله بلا توان

بقيادة « واد المك » ليحتل « أونيورو » .

أما ريونجا فكان ينوي أن يغير على « مرولي » Mrouli في الحال بمعاونة « الانجذبيين » Langguiens و « الأوامريين » Oumiriens الذين يدخلون هذا البلد بدون أي مقاومة الآن وقد خلا « كباريجا » من معاونة صيادي العبيد .

واعطى ريونجا سير صمويل بيكر ٥٠ رجلاً من الأهالي ليحملوا متعال الحملة لغاية فاتيكو وأخذ هذا في المسير في ٢٧ يوليه . بعد أن ترك كل خرذه إلى البكباشى عبد القادر افendi ليشتري به ما يونه هو ورجاله .

وفي الغد بعد أن اجتازت الحملة النهر قابلت ٨ من أهالي « شولى » و « فاتيكو » كان الصاغقول أغاسى عبد الله افendi قد أرسلهم إلى سير صمويل بيكر . وقد تبدل فرجه الذي شعر به عند مقابلة أولئك الرجال باكتئاب وهو حملًا على عاتقه بالأخبار التي كانوا يحملونها . ذلك أن الخيانة التي أوشكت الحملة أن تكون وقوداً لها قد نسج خيوطها أبو السعود . وبما أنه كان يخالجه الأمل أن سيقضي قضاء مبرراً على جميع أفراد تلك الحملة في قلب أونيورو فقد وطد هذا الشقى استبداداً منه سيطرته في فاتيكو وضواحيها بعد سفر سير صمويل بيكر .

وكان الشيخ الكبير المدعو « روت جرما » الذي ظل مخلصاً للحكومة أعطى جانباً من الفلال إلى الصاغقول أغاسى عبد الله افendi رغمما عن نهى أبي السعود له عن ذلك نهياً باتاً فكان جزاؤه أن أغار عليه هذا الأخير بواسطة طائفة كبيرة من العبيد الارقاء ونهب مواشييه وكلف « واد المك »

بأن يعمل في البلد حرقاً وتفتيلاً .

وكان الصاغقول أغاسى عبد الله افندى قد أراد منع ذلك ولكن على غير طائل وقوبل بالامتنان والازدراة من أبي السعود بل زاد على ذلك ان أمر بأخذ الأهالى الذين التجئوا الى المعسكر عنوة .

وكتب الصاغقول أغاسى عبد الله افندى الى سير صمويل يذكر يتبشّه بجلية الأمر غير أن الشخص الذى كلفه بحمل رسالته وكان من اهالى « فويرا » وصل في نفس اليوم الذى كانت فيه الحرب سجالاً إلى « مازندي » فتسلى شجرة وأخذ ذيقب من فوقها ادوار القتال ! وأدركه الجزع والخوف إذ سمع الرصاص يدوى فوق رأسه فنزل من مرصده وتعلق باذیال المهرب عائداً الى « فاتيسيكوا » ومعه الرسالة التي كان يحملها وعلى ذلك لم تصل ليد سير صمويل يذكر مطلقاً . وإذا رأى ان جنود سير صمويل محاطة من كل جانب ظهر ما قد صاعت فراح يخبر عن هلاكه . وقد يدرك المرء مقدار الفرح والسرور الذي شمل أبو السعود عند ما بلغته هذه الاخبار .

وبعد بضعة أيام وصلت العساكر الذين كان قد ارسلهم سير صمويل يذكر الى « مازندي » وقد هاجم هذه الحملة أثناء سيرها في الطريق فريق الحمالين الذين كانوا من الأهالى غير ان تعطش هؤلاء لسفك الدماء جعلهم على ان يقدموا الموعد المضروب سافراً للهجوم فكان تعجلهم هذا سبباً في عدم هلاك تلك التجريدة برمتها ووصولها الى الجهة التي كانت متوجهة اليها بدون ان تخسر سوى احد عشر رجلاً .

ولإذن كان يتعين على سير صمويل يذكر أن يعجل السفر اذا
كان يرغب في انتقاد الصاغرول اغامى عبد الله افتدى وانتقاد مؤن وذخائر
الحملة وفي الحال اصدر أمره بالرحيل .

وفي ٢ أغسطس وصلت التجريدة الى سفح النجد المقامة عليه محطة فاتيكيو . وكان عند احتيازها القرى الجديدة ينضم اليها الاهالى إذ كان قد وقر في أنفسهم ان الصاغقول اغاسى عبد الله افندى سيمهاجم من هؤلاء وكانتوا في شوق الى مشاهدة القتال . وإن هو إلا قليل حتى تجتمع منهم نحو الالف وسار هذا الجم خلف التجريدة .

وعند ما تسلقت الجنة ود المنحدر أمر سير صمويل يذكر بالنفح في الابواب ليذانا بالانضمام وفي الحال حدثت صحبة كبيرة في الحطة وطفقت العساكر يعناق بعضها ببعضها بينما كان سير صمويل يذكر يصافح الصاغفون أغاسي عبد الله افندي .

ولم يأت أحد من قبل أبي السعود لتحية سير صمويل بيكر . وكان يجب عليه لاعتباره وكيلًا عن الحكومة أن يقابل رافعًا للإعلام .

وكانت هذه إهانة مقصودة .

وعقب ما وصل سير صمويل يذكر لبس كسوته واستعرض جنود الصاغقول أغاسى عبد الله افندى فوجدهم على غاية ما يرام من الصحة وقوى الجندية المعنوية .

وفي نفس اليوم الذى وصل فيه سير صمويل يذكر هاجم فريق من صيادى العبيد بقيادة اثنين من رؤسائهم وهما « واد الملك » وعلى حسين مرکز فاتيكة وذلك بتحريض أبي السعود فرد الجنود المغیرين وكبدوهم خسائر فادحة وجرح واد الملك وأخذ أسيرا . أما على حسين فقتل .

وعرض واد الملك على سير صمويل يذكر أن يصفح عنه وأنه يخلف له على المصحف بالطاعة والاخلاص ويقدم له في الحال برهانا على اخلاصه بجمع جيش من العساكر غير النظاميين من رجاله . وكان هذا الرجل شجاعا في طبيعته وملما بحالة البلاد أكثر من أي انسان . وكان سير صمويل يذكر يرغب دواما أن يضممه اليه فأراد أن ينهز هذه الفرصة لتنفيذ ارادته والتمسست الضباط شموله بالعفو .

واقتيد واد الملك الى جدول ماء رائق فاغتسل فيه من اخذه الى قمة رأسه بالصابون والتلشح بثياب نظيفة أغيرت له بهذه المناسبة ثم وضع يده المحرومة في المصحف وهو مفتوح على آية مخصوصة وتلا وهو خاشع اليمين . ومن ذلك الحين لم يحدث منه ما يوجب أن يؤاخذه سير صمويل يذكر عليه . وبعد ذلك أمدته بعض وصايا وحاول أن يوطد في نفسه فكرة أن الله عاقبه عقابا خاصا .

وفي ٥ أغسطس كتب سير صمويل يذكر كتاباً إلى أبي السعود أمره فيه بالمشول لديه عاجلاً وهذا الكتاب حمله إليه حداد الحمّلة وهو من الأهالي وثمانية من مواطنه . وقد عاد هؤلاء في اليوم التالي وقالوا إن أبو السعود قاتلهم بطلقات البنادق .

وفي ٧ أغسطس قدم أبو السعود ومعه أربعون رجلاً ولم يشأ أن يدخل المعسكر إلا بعد أن حصل على إفادة خطية من سير صمويل يذكر يؤكّد له فيها ألا يأخذه أسيراً . فأنكر كعادته شروره . وأقسم بأنه لم يعط أمراً بتضويب النار وأنه إذا كانت رجاله قد اطاقت النار فما ذاك إلا لأنّهم كانوا يخافون أن تهاجمهم الأهالي الذين كانوا بصحيحته وأن النار فوق ذلك صوبت على الأهالي لا على جيش الحكومة .

ولكنه لم يكن قد أصيب أحد من الأهالي الذين كانوا متجمعين فوق الصخور والذين كان يبلغ عددهم نحو ١٠٠٠ بينما قد أصيب ٧ من رجال الحمّلة كما وقع على أكواخ المعسكر وابل من المقتوفات .

وعند ما أتم خطابته مؤكداً أنه ضحية بريئة لويارات نزلت به بدون ذنب جناه وإن كل العالم انقلب ضده دهش سير صمويل يذكر دهشاً حقيقياً .

وأتي أبو السعود في غد صباح اليوم التالي يستاذن سير صمويل يذكر في السفر وأكّد له مرة أخرى أنه مخلص له وأنه مذ الآن سيعمل بعزم باعتباره وكيلًا له وأنه عند ما يرجع إلى « فابو » Fabbo يضع أحسن رجاله في خدمة الحكومة .

وكان هذه آخر مرة وقع فيها نظر سير صمويل يذكر على أبي السعود .
فمن هناك سافر أبو السعود إلى الخرطوم . ومنها إلى القاهرة ليشيع خبر
قتل سير صمويل يذكر وعقيلته وهو ذلك الخبر الذي نقلته الصحف الانكليزية
في أبريل سنة ١٨٧٣ ويظلم الخديو بوجه خاص من الطرق التي عامله بها
سير صمويل يذكر .

وقدم عدد كبير من صيادي العبيد بعد سفر أبي السعود وقيدوا أسماءهم
ليشتغلوا في الجندي واستظلوا برأية الحكومة .

وكان اختلاف الجنسيين من عرب وسودانيين يذكي نار الخلاف فيما بينهما
فأخذ سير صمويل يذكر هذا الشقاق ذريعة لبسط سلطته على كليهما .
فاختار من بينها ٦٦ رجلاً وضعهم تحت إمرة على جن نار Ali-Genninar
وهو شاب المعى كان قد ألحقه من « مازندي » في خدمته وأرسلهم إلى أوينورو
ليحلوا فيها لدى « ريونجا » محل البكباشي عبد القادر افندي وجشه واستدعى
هؤلاء إلى فاتيكو .

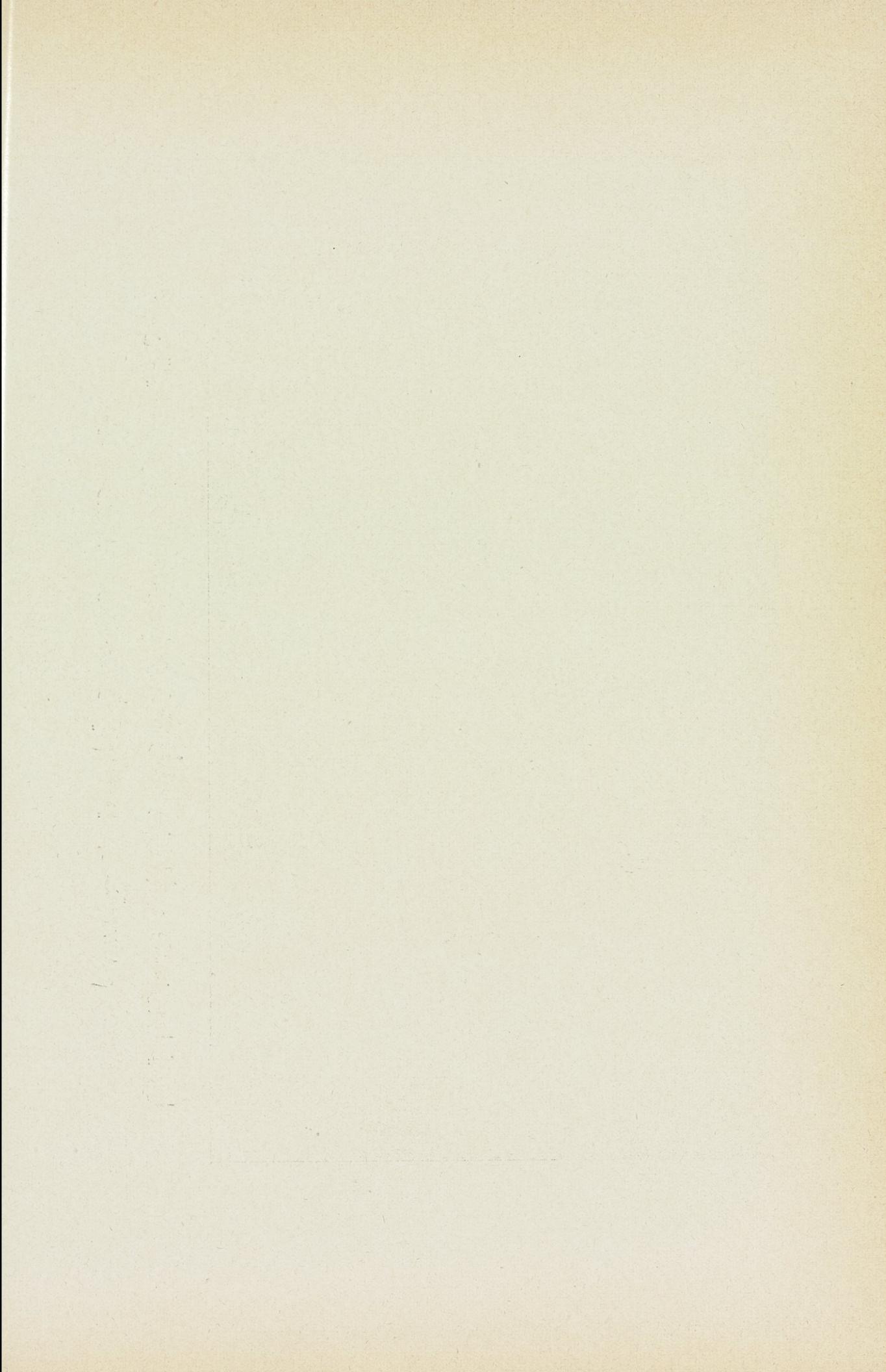
وكان لا بد أن يكون الاسطول الذي سافر من الخرطوم في ٢٣ ديسمبر
سنة ١٨٧١ قد وصل إلى غندوكورو فأرسل سير صمويل يذكر إلى هذه القرية
« واد الملك » ومعه ٧٥ جندياً من الجنود غير النظامية و ٢٥ جندياً نظامياً
بقيادة ضابط برتبة اليوزباشي وكان هذا يحمل أمراً برسم رؤوف بك بان يرسل
هذا إلى سير صمويل يذكر ٢٠٠ جندي و ماشية .

ولم يتم تشييد حصن فاتيكو الذي شرع في بنائه في ٢٨ أغسطس إلا في
٢٥ ديسمبر بسبب بيوسة وصلابة الطبقة التي تحت سطح الأرض بيوسة وصلابة

سیر صموئيل ييڪر عند وصوله يوم ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٧٢ م

حصن فاتيكو ويرى العلم المصرى يختنق فوقه وأمامه بعض البنود وقد خرجوا ليحيوا





متناهية إذ كانت تبلغ في صلابتها صلابة البتون Béton . ويرتكز هذا الحصن الذي يحميه خندق عرضه ثمانى أقدام وعمقه ثمانى أقدام كذلك على صخرة تشرف على البلد . وأمر سير صمويل يذكر بأن يشاد فوق هذا الاساس المتين مخزن لبارود ومخزن آخر لا تعمل فيها النيران . أما السقف فصنوع من مادة الاسمنت الصلبة المركبة من خزف بيوت النمل بعد أن نفعت بالماء عدة أسابيع وخلطت بهش مغري .

وانهت اعمال سير صمويل يذكر ولم يبق لديه غير انتظار وصول المدد الذى كان قد طلبها من غندوكورو . وكانت الاهالى تقدم بدون تذمر ضريبة الغلال الخفيفة التي فرضت عليهم . وكثيراً ما كانوا يأتون بالمئات يرقصون وينغتون حاملين فوق رؤوسهم في سلات كبيرة مقادير من ذرتهم المسمى طلابون فيفرغونها في مخازن الحلة .

وقد جاء في آخر نشرة من سير صمويل يذكر بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٨٧٢ هذه الكلمات وهي :

أئى آخر العام ونحن بحمد الله متsequون بسلام تام في هذا البلد .
والحالة تبشر بمستقبل زاهي زاهر .

م ١٨٧٣ ت

تبادل الموعدة بين ملك أوغندا

وسیر صہویل پیکر

وفي ٢٣ يناير سنة ١٨٧٣ بلغ حرس القلعة اقتراح جيش كبير آت عن طريق أونيونرو . وبعد ذلك بقليل دوت طلقات نارية وأسفرت الحال عن قدوم سفراء من قبل « متيسا » ملك أوغندا مصحوبين بحرس من الأهالي وبجنديين من جنود ريونجا وكان رجال متيسا مسلحين بالبنادق . وأدخل السفراء في الحال الى الديوان الجديد وهو بناء دائري قطره ٦ أمتار شيد تشييدا حسنا وطلي بدهان رمادي فاتح مخلوط برماد الخشب .

وكان السفير الأول ويدعى على يوسف من اهالى «السواحلية» وهو بلد واقع على شواطئ البحر الاحمر عند مخرجه الى المحيط الهندي . وكان من بين ضباط سير صمويل يذكر عدّة من رجال هذه القبيلة فهم ذلك الجرىء فرج افندي وكذلك سعيد افندي فكان لديه إذن تراجمة باريون .

وكان أولئك السفراء لا يسيئن ثيابا فاخرة جدا من القطن صنع يهابى مهدىين كثيراً ويضارعون في ذكائهم الاوربيين وكان يلوح انهم يعرفون معرفة تامة طريق الهند و مختلف القبائل التي تقطن سفح خط الاستواء الافريقي الشرقي . فكانت إذن الطريق مفتوحة بين فاتيتكو وزنبار بفضل عواطف متيسا الودية .

وفي ١٣ فبراير اخذ سفراء « متيسا » سبليهم ميممين وجوههم شطر
أوغندة يصحبهم سليمان نيابة عن سير صمويل بيكر وذلك بعد ان قضوا في
فأيكونو بضعة ايام في أيام صفاء وهناء .

وقدم في نهاية الأمر بعد انقضاء ٩٠ يوماً المدد مع البكباشى الطيب عبد الله افندي وكان قد سلك فى اثناء الطريق مسلكاً شائعاً إذ انه بدون سبب معقول قد أحرق قرية فى بلد «الموجين» Moogis فحق عليه الاهالى وهاجموه خسر فى القتال ضابطاً و ٢٨ جندياً وتساوى واسلحه وابقاراً . ومع أنه كان لديه وتحت تصرفه ٢٨٠ جندياً فقد قاتل مرتدًا بدون أن يحاول إن يأخذ أجسام موتاه أو يسترد ماشيته .

وقد صار الآن في حوزة سير صمويل بيكر ٦٢٠ جندياً وبذلك تسنى له تهوية مختلف محطاته . وفي ٢٠ مارس كان قد تأهب للعودة الى غندوكورو وترك الى الصاغقول أغاي عبد الله افendi قبل أن يسافر تعليمات خطية بشأن صيانة محطة فاتيكو وحرم أخذ ومشترى الرقيق تحريراً باتا .

وصول سیر صمویل ییکر الی غندو گورو

ووصل سير صمويل ييكر ومن معه إلى غندوكورو سالمين في أول أبريل سنة ١٨٧٣ بدون أن يصادفهم في الطريق أى أمر يزعجهم . وكان هذا اليوم هو اليوم الذى تنتهى فيه بالضبط مدة خدمة سير صمويل ييكر حسب الاتفاق المعقود بينه وبين الخديو . وقد قوبلا عند قدومهم باطلاق المدفع . وشاهد سير صمويل ييكر أن رعوف بك وجيشة في غاية من الصحة والسلامة وأنه يوجد على صفحات ماء النهر بآخرة جديدة خمسة بحر كين مصنوعة

من الحديد جواثما ١٠٨ اطنان صنعها ابناء بلاده الذين كانوا قد اجهدوا
أن يظروا ما يستطيع أن يعمله البناءون الانكليز . وقد سميت هذه الباخرة
فيما بعد « الخديو » .

وقد فض سير صمويل الباخرة المذكورة فوجدها مبنية بناء عجيبة إذ يتسعى
لها نظراً لعدم وجود دوالب بجانبها لأن تزلق مثل السمسكة في مجرى بحر الزراف
الضيق . نعم . ان المحطة كانت قذرة ومهملة لغاية إلا انه يجب إظهاراً للحقيقة
الاعتراف بأن رءوف بك كان قد وجه كل عنائه الى جنائين الجزر فكان
يأخذ يومياً ما يلزم الجيش من الخضر وات الجنية .

وكان قد أظهر هذا الضابط ايضاً حزماً وعزماء إذ أخذ على عاتقه مسؤولية
عظيم ذلك أنه أمر باعدام جندي كان قد فر من الجيش رمياً بالرصاص اثناء
غيبة سير صمويل بيكر .

وكان المدد الذي ورد حديثاً مؤلفاً من العيد المبيعة للحكومة
دون سواها الذين ألحقو بالجيش توا عقب مشتراكهم . وكان اغلب هؤلاء
العييد من اهالي النيل الاييض وبالضرورة كانوا على الاستعداد لاهرب
عند ما تلوح لهم أول فرصة . وكان الكثير منهم قد تعلق باذیال الفرار فيما
سلف ومعهم سلاحهم وأمتعتهم وبنادق وقرابينات سرقوها من منزل رءوف
بك ولاذوا بجهة بلنيان .

وطلب رءوف بك المارين فكان الجواب الذي تلقاه القيام بظاهرة
عدائية وجهها الوطنيون أثناء الليل الى محطة غندوكورو . ومن باب مقابلة
الشر بمثله أغارت على بلنيان بحرب منظمة صوب في غضونها الماربون النار

على الجيش فقتل منه اثنان .

وأرسل سير صمويل يذكر في الحال يستحضر اللورون الذي صار من أخص المخلصين بين المشايخ للحكومة وأقر هذا بخطه وألقى بالطبع الذنب على أبي السعود وقال انه هو الذي حرضه على القيام في وجه الحكومة . ولكن لم يصنف سير صمويل يذكر الى هذه الایضاحات إذ كان يشك في أنها صادرة عن اخلاص وأمر اللورون أن يرجع بلا إبطاء الى اللبناني ويخبر الأهالى بأنهم اذا لم يسلموا الماربين فإنه سيرد لهم الزيارة بالقصاص انتماء التي عاد بها من فاتيكتو . أى أنه يحاربهم ووعده في الوقت نفسه بثلاث أبقار اذا نجح في مأموريته .

وقد عاد اللورون بعد بضعة أيام ومعه الماربون خوكموا في مجلس عسكري واتضح ادانتهم وأعدموا بالرصاص امام الجنود . وفعل استعمال هذه الشدة مفعوله فتوطد النظام في الحال بين صفوف الجيش . اما اللبنانيون فقد تراءى لهم ألا يعودوا الى الاقتراب من المعسكر ليلا بعد هذا التاريخ .

اما « واد الملك » الذي كان يرافق سير صمويل يذكر الى غندوكورو فقد رجع الى مرکزه و معه مدد وقطيع من الماشية . وفارق سير صمويل يذكر « شولي » و « چيمورو » Djimoro آسفا بعد ان زودها بعض هدايا ذات فائدة .

وفي ١٠ أبريل شرع في اقامة حصن جديد وحفر خندق حوله وعمل جسر حول المخازن غير ان طبيعة الارض الرملية في هذه الجهة ستجعل صيانة هذا الحصن من الامور الصعبة في فصل الامطار الشديدة .

وأوعز الى المستر « ماركوبولو » أن يحرر بمعاونة فؤاد افendi وهو

من الضباط المصريين قوائم بكل ما تبقى بالمخازن وأن يأخذ اتصالاً بالموجودات .
واستغرق هذا العمل شهراً .

وبعد ان تم الانكليز حزم جميع قطع الباخرة رقم ٣ والآتاهما بعنایة
وضعوها في مخزن خصوصى وعدهما بحراسته الى ضابط وأخذوا اتصالاً بذلك .

سفر سير صمويل ييكر الى فاشودة

وسائل سير صمويل ييكر في ٢٦ مايو بعد أن ودع عساكر حرسه الخاص
الذين أبدى أكثرهم ألمه الشديد لهذا الفراق . وعند ما دار على واجهة الجيش
أثناء الوداع الرسمي صاحت جنوده القدماء غير مبالين بواجب النظام : أطال
الله عمرك ورددك الى أسرتك وهى بأجمعها في غاية من الصحة والسلامة .

وقطرت الباخرة الجديدة « الخديو » سير صمويل ييكر ورفاقه وسارت
في النهر بسرعة مع التيار . وفي ٣٠ يونيو وصلوا الى فاشودة في الساعة الثالثة
والنصف بعد الظهر . وقدم يوسف حسن بك المحافظ ليقابلهم على ظهر سفينتهم
وكان هذا الضابط قد عين حديثاً في هذا المركز برتبة قائم مقام وهو ضابط
ذكي من أصل جركسى وقد أبدى أنه مستعد استعداداً كبيراً لمساعدة سير
صمويل ييكر وأكمل له أنه لا يمكن أن يترك مركباً محلاً رقيقاً يمر أمام
فاشودة بدون أن يناله عقاب الآن وهو قد أصبح نائباً عن الحكومة فيها .

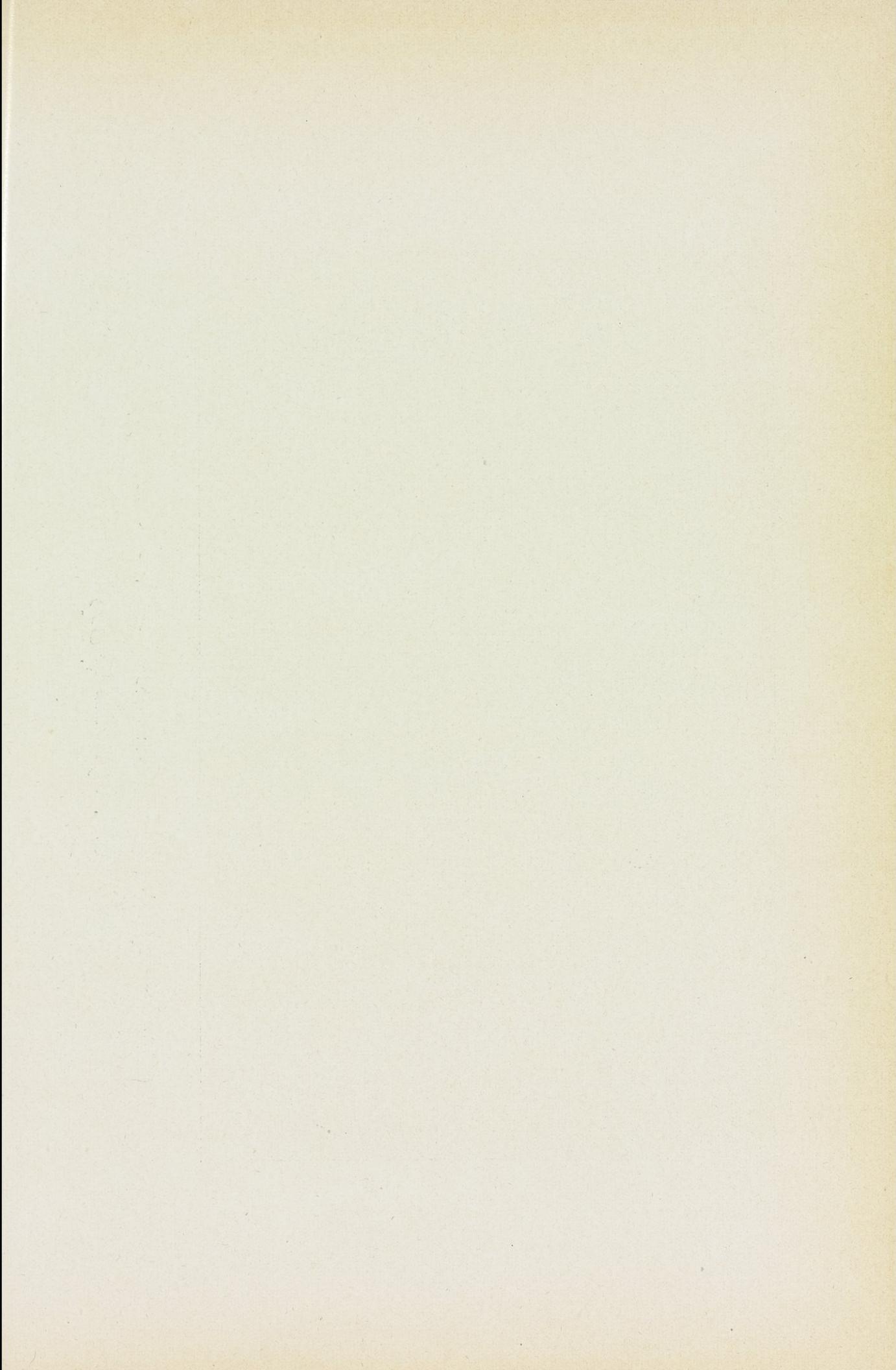
سفره الى الخرطوم

وفي ٢١ يونيو ودع سير صمويل ييكر يوسف بك . وفي ٢٨ منه في
الساعة الحادية عشرة صباحاً وصل الى الشجرة الكبيرة القائمة على الفوهة الموصلة

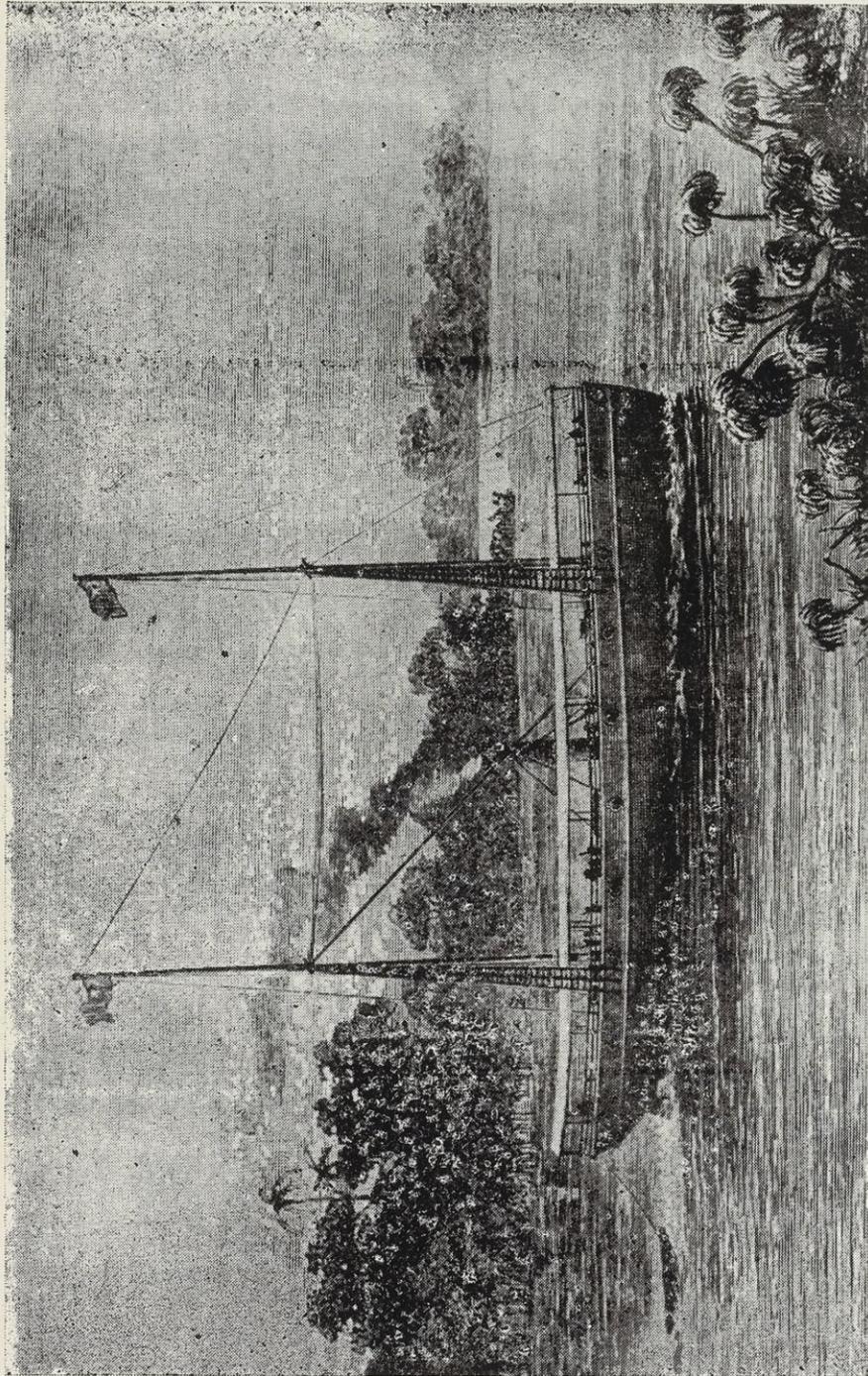
و زی بہا مسحیرها .

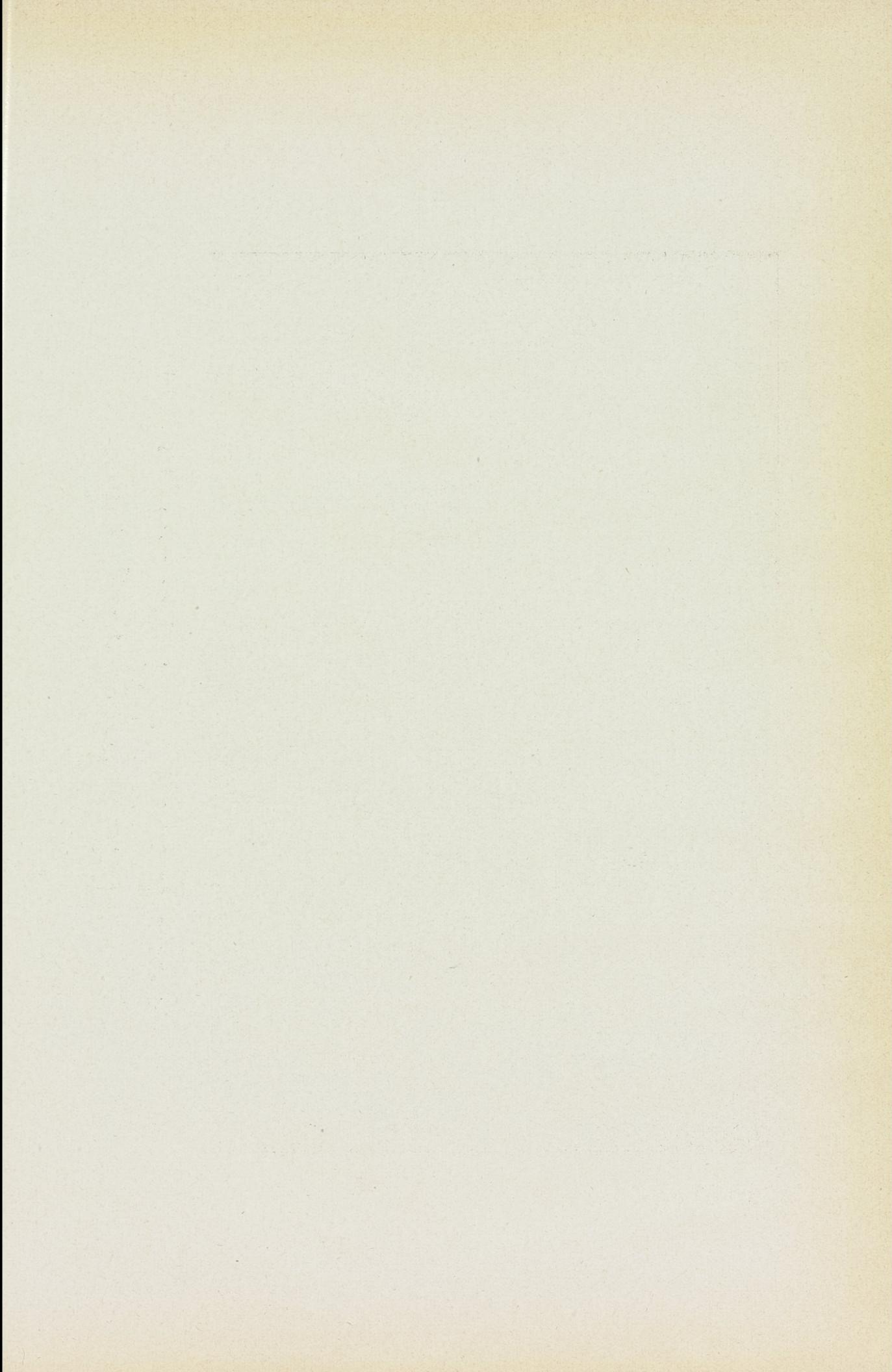
محطة غندو روکا ترکہ سیر صہویل بیکر باشا يوم ۲۶ مايو سنۃ ۱۸۷۸ م





الباخرة «النديوی» ومحولتها ۱۰۸ أطنان كذا وجدها سير صهريج يذكر
في غندوكورو في أول أبريل سنة ۱۸۷۳ م.





للنيل الأبيض فوق في هذا المكان وأرسل الى اسماعيل أيوب باشا حكمدار الخرطوم الجديد أن يبعث تلغرافاً الى القاهرة بالقبض حالاً على أبي السعود . وسلم هذا الخطاب الى الضابط فرج افندي وهو من أكثر ضباطه اخلاصاً وأمره أن يسلمه يداً بيد الى الحكمدار . واحتاط بأن ارسل هذا الخطاب قبل أن يشتم أحد من الخرطوم رائحة قدومه وبدون هذا الاحتياط كان ممكناً أن يرسل لهذا الطاغية أحد أصدقائه تلغرافاً ينبعه فيه بمقدمه من وقت ما اجتازت بآخرته الرأس الواقع عند ملتقى النيلين الأبيض والأزرق فيسرع هذا ويضع نفسه في مأمن .

وفي ٢٩ يونيو اجتاز سير صمويل ييكر ورفاقه الرأس البادى الذكر تقطرهم
البآخرة « الخديو ». وهرعت أهالى الخرطوم إلى الشاطئ أو إلى الرصيف
الجديد ليشاهدو هذه البآخرة الجديدة التي تسير بدون دوالib وكانت الجنود
صفوفاً وعند ما رست البآخرة بجانب الرصيف قابلهم اسماعيل باشا حسب
النقايد المتبعة في مثل هذه الحالة .

وكان اسماعيل باشا قد قام باصلاحات واسعة النطاق في الخرطوم . ففهمته تم تشييد دار الحكومة التي كان قد شرع في بنائها ممتاز باشا . وكلامها من أصل جركسي ويستويان في اتقاد الذكاء وبعانته تحولت اراض مقرفة الى حدائق غناء تطرب في ربوعها الجماهير كل مساء الموسيقى العسكرية . وصار البدء في انجاز مشروعات لالى بواسطة تركيب آلات بخارية على شاطئ النيل الشمالي لزراعة الأقطان .

سفره الى القاهرة

وَوَدْعَ سِيرَ صَمْوِيلَ يَيْكَرَ اسْمَاعِيلَ أَيُوبَ بَاشَا صَدِيقَةَ الْجَمِيمِ بَعْدَ أَنْ

أقام بضعة أيام في الخرطوم ورحل إلى القاهرة على ظهر باخرة . وعند ما وصل إلى ببر وجد حالها قد تحسنت عما كانت عليه في المدة السابقة إذ طفق العرب يعمرون سواقيهم على طول ضفتي النهر الخصبتين وكان ذلك نتيجة اصلاحات حكيمية أدخلها الخديو تقضي بتقسيم السودان إلى مديريات يحكم كل مديرية مدير مسئول غير تابع كما كان الحال سابقاً إلى حكمدار عام محل إقامته بعيد براحل كالخرطوم .

وكان مدير ببر وقصده هو حسن خليفة الشيخ العربي الكبير الذى ساعده بذكائه المفرط مسـتر هجنبوـثام فى تـقـلـاجـزـاءـآلاتـالـبـواـخـرـمنـكـروـسـكـوـإلىـبـرـفـيـافـصـحـراءـالـنـوـبةـالـمـتـراـمـيـةـالـأـطـرافـمـسـافـةـتـبـلـغـعـلـىـأـقـلـتقـدـيرـ٦٥٠ـكـيلـومـترـاـ.ـوـقـدـكـانـفـرـحـالـعـربـعـظـيمـاـبـتـعـيـنـشـخـصـمـنـأـبـنـاءـجـلـدـهـمـبـوـظـيـفـةـمـديـرـ.

مقابلته لأخديو والانعام عليه وعلى صباته

ووصل سير صمويل بيكر الى القاهرة في ٢٤ أغسطس وتشرف في اليوم التالي بمقابلة الخديو وقدم له بيانات بخصوص الاراضى التي ضمهـا الى مصر موضحا بها الظروف والاحوال التى صادفها . ومنحه الخديو مكافأة له على خدماته النيشان العمانى من الدرجة الثانية . وقبل أن يسافر الى مأموريته كان قد منحه ايضا النيشان الحميدى من الدرجة الثانية . ومنح الملازم بيكر النيشان الحميدى من الدرجة الثالثة .

وكان قد قرر سموه أن يحاكم أبا السعود في مجلس خصوصي مؤلف من شريف باشا ونوبار باشا وأسماعيل باشا وزير المالية . وطلب سير صمويل



البكماشى عبد القادر افندى قائد حرس سير صمويل يذكر الخصوصى

وهو غير عبد القادر حامى باشا بعكس ما ذكره بعض المؤلفين لأن الأخير نال
رتبة أمير الالاى فى سنة ١٨٦٦ م أى قبل حملة مديرية خط الاستواء بثلاث سنوات .



يذكر أن يحضر بشخصه المحاكمة بصفة مدع ضد أبي السعود غير أنه طلب إليه أن يعود إلى بريطانيا ويترك المتهم بين يدي الحكومة لأن الخديو كان قد أبى أن يحاكمه في المحاكم العادلة.

وتفصل الجناب العالى فأذن برقيمة صابطين من أكثر ضباط سير صمويل يذكر اخلاصاً وهم البكباشى عبد القادر افندى^(١) واليوزباشى محمد ضياء افندى فترقى الأول إلى رتبة قائمقام والثانى إلى رتبة صاغقول أغاسى ومنح أيضاً مكافآت للعساكر الذين قاتلوا في مازندي وامتازوا في ذلك الانسحاب الشهير.

ومنح كل مهندس وعامل من المهندسين والعمال الانكليز مكافأة بقيمة راتب شهر ثم سافروا إلى بلاد الانكليز.

وبعد أن أقام سير صمويل يذكر بالقاهرة مدة ٦ أسابيع سمح له سمو الخديو بالمقابلة وفي أثناءها استأذنه كاستاذ من الأمراء بالسفر وقد قال سير صمويل يذكر انه مدین لهم جميعاً لما عاملوه به من البشاشة واللطف وحسن الالتفات وان هذا الدين يقوم بوفائه مسروراً.

وقد بلغت تفقة هذه الجملة التي كانت بقيادة سير صمويل يذكر مائة ألف جنيه.

(١) - قتل بعد ذلك في أحدى الوقائع التي دارت بين العرايين والإنكليز في سنة ١٨٨٢ م وهو بلا ريب غير عبد القادر حامى باشا المشهور الذى كان حكمداراً عاماً لسودان ثم ناظراً للحرية والبحرية فى عهد الخديو توفيق وتوفي فى ٨ يوليه سنة ١٩٠٨ م.

ادارة أمير الآلية محمد رعوف بك^(١)

هذه المدرسة

من سنة ١٨٧٣ الى سنة ١٨٧٤ م

بعد سفر سير صمويل يذكر عَيْنُ أميراللائي رءوف بك مديرًا لمديرية خط الاستواء لكونه أرقى الضباط الذين كانوا مع سير صمويل . ولم يكن حكمداراً لهذه المديرية لأن مديرية خط الاستواء التي كانت مستقلة عن حكومة السودان في عهد سلفه قد أحقت بهذه الحكومة في عهده وصارت تابعة لحكمدارية السودان العامة لغاية قدوم غوردون .

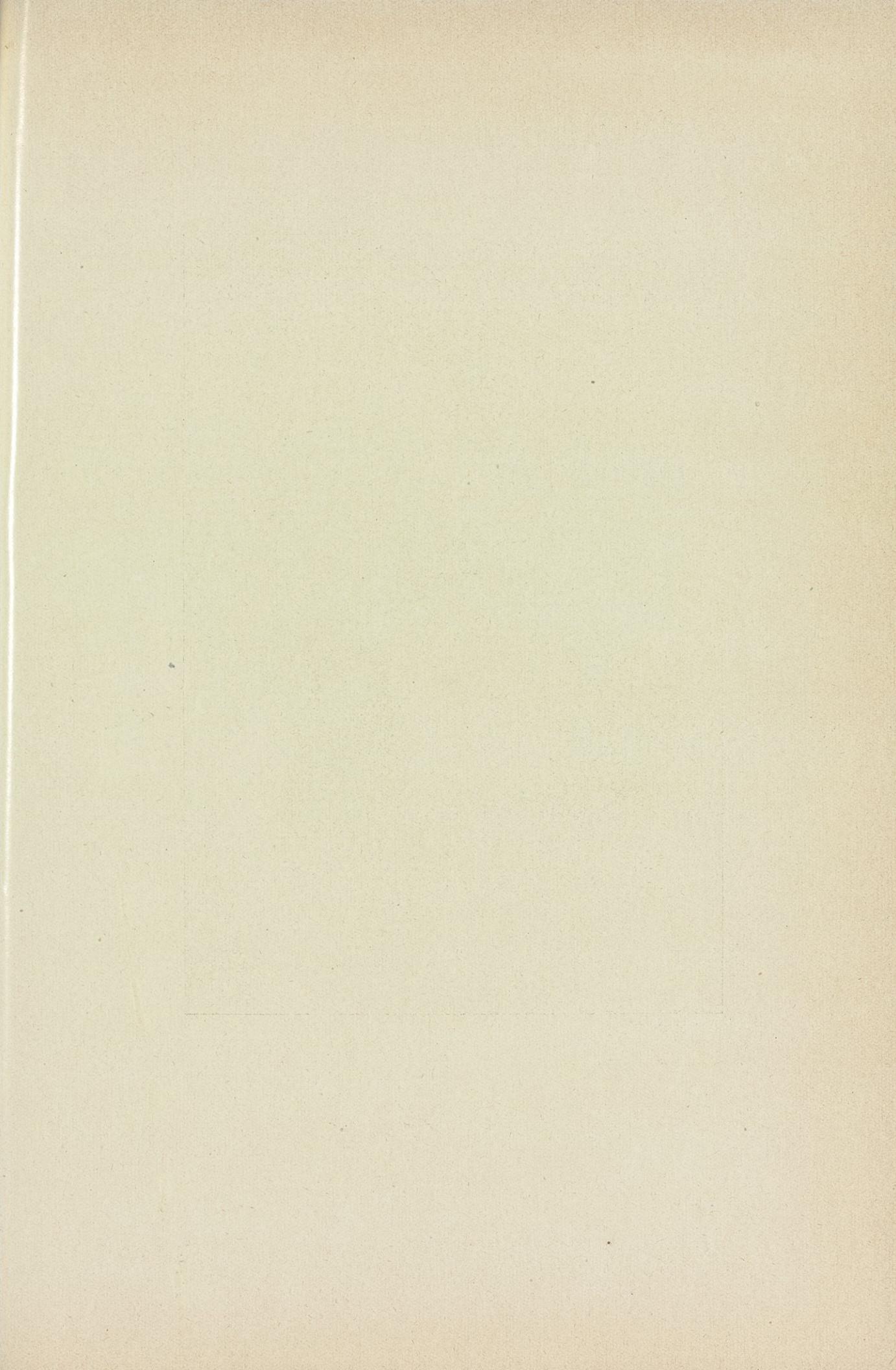
والظاهر أن رءوف بك قام بأعباء المهمة التي ألقاها على عاتقه خير قيام كما سيتبين ذلك من مكتبات غوردون الرسمية المنشورة بعد في غير هذا المكان .

ويبدو أنه لم يحدث أى شيء له خطورة في عهد هذا المدير.

(١) - هو فيما بعد محمد رءوف باشا محافظ زيلع ثم فاتح هرر وحاكمها العام ثم حكمدار عموم السودان من ٢١ يناير سنة ١٨٨٠ الى ٢١ فبراير سنة ١٨٨٢ م وفي عهده ظهر المهدى واستفحل أمره . ولو استعمل الحزم والحكمة في بدء ظهوره لما كان . وقد عاد رءوف باشا من السودان الى مصر ورأس وهو فيها المجلس العسكري الذى حكم على عرابي باشا بالاعدام .



رءوف باشا



حکمدار یتہ غوردون باشا

من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٨٧٦ م

١٨٧٤ م

مفاوضته في توليه هذه الحكمدارية

في عام ١٨٧٣م كان ينتهي أمد عقد خدمة سير صمويل بيكر . وكانت الحكومة المصرية قد أخذت بواسطة نobar باشا تبحث عن خلف له قبل ذلك التاريخ . وكان غوردون يشغل في تلك الفترة منصب عضو بريطاني في قومسيون (١) نهر الدانوب . وقد قابل في سبتمبر سنة ١٨٧٢م الوزير المصري نobar باشا في السفارة البريطانية في الاستانة وتعرف به . ثم سأله نobar عما إذا كانت له معرفة بضابط من فرقه مهندسي الجيش البريطاني يقبل أن يخلف سير صمويل بيكر فوعده غوردون بالتفكير في هذا الأمر وان يأتيه بالجواب فيما بعد .

وفي يوليه عام ١٨٧٣م كتب غوردون لنوبار أنه يقبل هو نفسه أن يشغل هذه الوظيفة اذا رضيت بذلك الحكومة البريطانية . وفي الحال عملت المساعي الالزمة للوصول الى ذلك الغرض وقبلت بريطانيا هذا التعيين . ووصل غوردون الى القاهرة في شهر فبراير سنة ١٨٧٤ . فقام له الخديو

(١) - هـذا القومنـيون ألف من جراء تعدـى روسـيا عـلـى الملاحة فـي فـم نـهر الدـانوب (الـطـونة) فـي الـبـحر الـأـسود ، وـكان قـومـيـونـا دـولـيـا مـؤـلـفـا مـن مـنـدـوبـي فـرـنسـا وـإنـجـلـترا وـروسـيا وـترـكـيا وـبرـوسـيا وـسرـديـنيـا . وـالـغـرض مـنـه الـإـشـراف عـلـى الملاحة فـي هـذـا النـهـر .

اسماعيل وطلب منه أن يعين بنفسه اشتراطاته فالتمس أن يعطى راتباً قدره ٢٠٠ جنيه في السنة فأجاب طلبه بالطبع إذ أن هذه القيمة كانت زهيدة جداً بالقياس إلى قيمة راتب سلفه الذي كان ١٠٠٠ جنيه.

تقسيم السودان وفصل مديرية خط الاستواء عن ادارته

كان السودان برمته ابتداء من رحيل سير صمويل ييكر لغاية تاريخ تعيين غوردون تحت سيطرة حكمدار عام واحد غير أن الخديو غير هذه الطريقة وقسمه إلى قسمين وهما : —

- (١) - السودان مع فاشودة كحد جنوب وقد ولى عليه اسماعيل أبوبasha.
- (٢) - مديرية خط الاستواء وهي تشمل جميع المناطق الخاضعة لسلطة الحكومة المصرية ابتداء من جنوب فاشودة وتشمل أيضاً المناطق التي يجب ان تتكون منها وقد ولى عليها غوردون باشا.

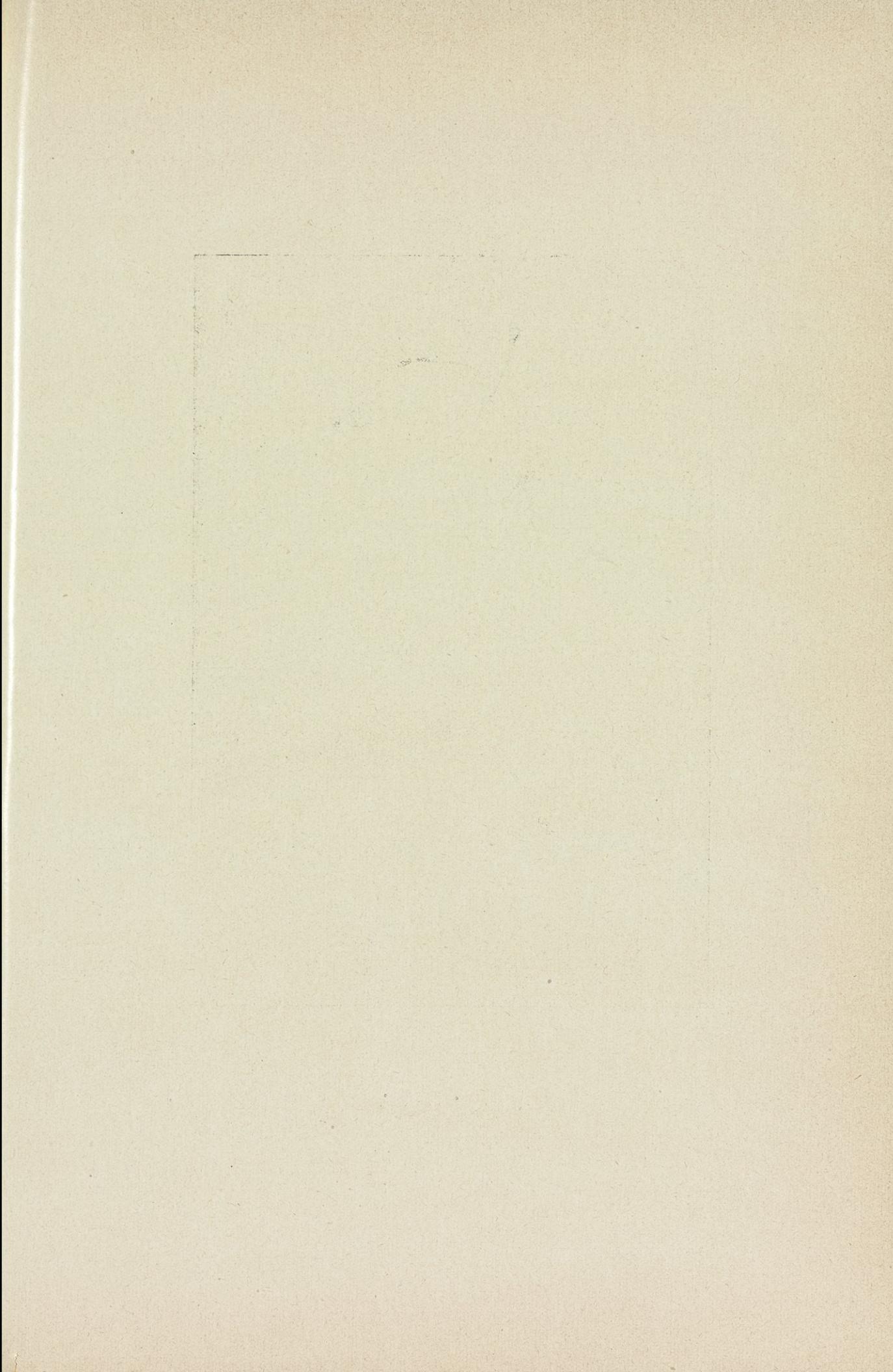
وهكذا صورة الأمر العالى الذى وجه إليه بتاريخ ٢ محرم سنة ١٩٥١٢٩١ فبراير سنة ١٨٧٤ م رقم ٩١ ونحن ننشرها هنا بالنص الذى وجدت به في الأوراق التى بسرائى عابدين : —

عز تلو قولونيل غوردن مأمور جهة خط الاستوى .

أمر كريم منطقه أنه بحسب المشهور فيكم من اللياقة والأهلية قد عيناكم مأموراً على جهة الاستوى التابعة للحكومة وصار فرز هذه الجهة من تبعية حكمدارية السودان وصارت قائمة بنفسها غير تابعة الحكمدارية إنما كان لوازماً لها التي تقتضى الحال تدار كها من طرف الحكمدارية هذه يجرى تدار كها بمعرفة الحكمدار وصرف ثمنها من طرفه مقابلة محاسبة



غوردون باشا



المالية بذلك كما أمرنا الحكمدار الموى اليه بأسرنا الصادر له في تاريخه
ومرسول لكم طى هذا لتوصيله اليه عن يدكم . وبما أن أمور التجارة في
ذلك الطرف هي يد واحدة يقتضي ان الذى تتحصلوا عليه من تلك الجهات
من أنواع التجارة وبعد صرف كفاية مرتبات العساكر والتعيينات ترسلوه
إلى حكمدار السودان لقبوله من أصل ما يصرفه في أيام اللوازمات التي
تطلبوها منه . وعند وصولكم الآن لتلك الجهات واختياركم أحواها
تجروا ترتيبها بحسباً يتراهى لكم وتستحسنوه سواء كان باجعل مديرتين
أو باجعل أقسام أو نحو ذلك مما يتوصل به انتظام الجهات المذكورة
واسعدادها مع معاملة أهالىها بالرفق ولبن الجانب والتأليف والمراعاة
لما فيه عمارتهم وترغيبهم وتشويقهم على العمارية ودخولهم في سلك الإنسانية
 شيئاً فشيئاً . وهكذا مما يلزم اجراءه على حسب التعليمات التي اعطيت لكم
بالفرنساوي وهذا هو موجود هناك رءوف بك قومدان العساكر الموجودة
بذلك الطرف . وتحرر له أمر من طرفنا ومرسول طيه لتوصيله له بمعرفتكم
وأمرناه به أن يكون هو والعساكر تحت أمركم فيما يجب اجراءه في صالح
المصلحة ولو ان الموى اليه وما معه من العساكر صار لهم مدة زايدة في تلك
الجهات ولذلك منظور من ارسال خلافهم من هذا الطرف لتعديلهم لكنه
في مسافة ارسال البندل يكون الموى اليه والعساكر منقادين لا وامركم
حسب أصول وقوانين الجهادية . وعلى هذا وما هو منظور لنا فيكم من حسن
الغيرة والأهلية مؤمنين الاستحصل على ما فيه عمارية جهات خط الاستواء
المحكى عنها وراحة اهالىها وحسن توطينهم وتأليفهم على الدخول في سلك
الإنسانية شيئاً فشيئاً كما هو مطلوبنا .

حاشية — انه بعد توجيهكم ووصولكم ذلك الطرف تعمدوا الترتيب اللازم

عن مصاريف تلك الجهة بحسبها يلزم لها من الخدمة وال العسكري . وكلما يلزم تداركه وارساله من جهة الحكمة على حسب الترتيب المذكور تطلبواه من الحكمدار وتعيينوا له الاوقات والمواعيد الازمة تدارك وارسال اللوازمات المذكورة فيها بحيث اذا كانت الارادات على فرض لا تكفي المصرفات فالحكمدار يرسل لكم كلما طلبواه . ويحاسب ديوان المالية بذلك يكون معلوم

* * *

وفيما يلى ترجمة خلاصة التعليمات التي أعطيت لغوردون باللغة الفرنسية بتاريخ ١٦ فبراير سنة ١٨٧٤ وهي التعليمات التي أشير إليها بالأمر العالى السابق :-

« ان المديرية التي شرع أميراللأى غوردون في مباشرة تنظيمها وحكمها لا يعرف من أمرها سوى الشيء القليل . ولغاية هذه السنوات الأخيرة كانت واقعة بين مخالب قوم من الأفافين همهم فقط الحصول على الارباح غير المشروعة فكانوا يتجررون بالعاج والرقى - - - معًا وذلك بأن ينشئوا متاجر يديرونها بواسطة رجال مسلحين . وكان يضطر رجال القبائل المجاورة سواء أكان ذلك بطيبة خاطر أم باكراء أن يشتريوا معهم في تلك التجارة . وكانت الحكومة المصرية قد استولت على مكاتب أولئك التجار بعد أن دفعت تعويضات لأربابها مؤملة أن تتوصل من وراء ذلك إلى وضع حد لهذه التجارة المقوية المنافية لشروط الإنسانية .

وكان قد أتيح للبعض من هؤلاء أن يستمر في تعاطي متاجره في المراكز بعد أن قطع هذا البعض على نفسه عهوداً بأن لا يتجر في الواقع ووضع بعد ذلك تحت مراقبة حكمدار السودان . غير أن سلطة الحكمدار لم

تكن قد تكنت إلا قليلاً من جعل الناس تشعر بها في تلك الأقطار النائية القصبية . لذلك قرر الخديو أن يؤلف من هذه الارجاء حكومة منفصلة وان يجعل التجارة مع الخارج كاحتكار من حق الحكومة . وما كانت توجد وسيلة أخرى لوضع حد لتجارة الرقيق التي ما زالت ترتكز إلى الآن على قوة السلاح دون سواها متحدية الشرائع والقوانين .

فهي انتهت . الاصوصية وأضحت في سير الغابرين وافتتحت ثغرة في عوائد هؤلاء الأقوام تلك العوائد المحفة التي تأصلت في نقوصهم مع كر السنين فعندئذ يؤذن بحرية التجارة للجميع .

وكان على أمير الألائى غوردون اذا رأى الفرق التي كانت ماجورة لا ولئك الأفقيين مستعدة لخدمة الحكومة أن يجنب كل فائدة يمكن جنيها منهم . واذا رآهم يتوجهون سلوك سيرتهم الأولى كان عليه أن يشعرهم بكل ما في الأحكام العسكرية من بطش وشدة . فأمثال أولئك المخلوقات كان لا ينبغي ان يلاقوا من الحكمدار الجديد رحمة ولا شفقة . وكان يلزم ان يعرف الناس قاطبة حتى من كان منهم في الاصقاع البعيدة النائية ان فرقا بسيطا في لون البشرة لا يحول بني البشر الى سلعة تباع وتشرى وان الحياة والحرية هما من الأشياء المقدسة .

وقد وقع آخرون في خطأ وخيم العاقبة كان يجب أن يتتجنب . ذلك أن من الواجب اطعام الجيش اطعاماً جيداً فلا يكون هنالك حاجة للستيلاء كما كان حاصلاً في الزمن الماضي على مستودعات حبوب القبائل . إذ ان مثل هذا العمل يدعو تلك القبائل الى سوء الظن بالحكومة فضلاً عن أنه مناف لارادة الخديو الذي يود كسب ثقة الاهالى وحسن ظنهم . فيجب ان

زرع الجنود الارض وان تزداد المحسولات .

واما كانت غندوكورو كما هو الظاهر موضعاً أخطئاً في اختياره لكتوت
ترتبته جدباء فكان يجب نقل عاصمة المديرية الى مكان اكثراً ملائمة .

واما وجد بين الأهالى الذين يعتقدون من ايدي النخاسين اناس لا يمكن
الاهتداء الى عشيرتهم نظراً للاماكن القصبة التي نقلوا منها وتعد ردهم
الى اوطانهم فهؤلاء يستحسن تشغيلهم في استغلال الارض بجوار البلاد التي
بها محطات .

ويجب على الحكمدار الجديد أن يجعل نصب عينيه اقامة خط للنقط
العسكرية خلال المديريات التابعة له يربطها مع بعضها من طرف الى آخر
بحيث تستطيع جميعها ان تراسل الخرطوم مباشرة . ويجب أن يتبع هذا
الخط صفة النيل ويتمشى معها الى اقصى حد ممكن . وبما انه في غير حيز
الامكان الملاحة في النيل في مسافة طولها ٧٠ ميلاً بسبب الشلالات
فعلى الحكمدار أن يتمسّ وسيلة يستطيع معها التغلب على هذه العقبة ويرفع
تقريراً بذلك للخديو .

وعلى الحكمدار قبل كل شيء فيما يختص بعلاقاته مع القبائل الضاربة على
سواحل البحيرات أن يحاول اكتساب موادهم وان يجعل نفسه موضعاً لتقسمهم .
وان يحافظ على ممتلكاتهم وان يستجلب رضاهم بواسطة المدايا . وعليه ايضاً مهما
كان نفوذه عندهم ان يجتهد في جعلهم على الاقتناع بالكف عن الحرب التي
يضرمون نارها بغية الحصول على العبيد . ولبلوغ ذلك الأرب لا بد من
كثير من المهارة والذوق . وفي الواقع حتى لو وفق الحكمدار الى ابطال

النخاسة أن الحروب ستستمر بين رؤساء القبائل وأن من الجائز كثيراً لعدم وجود سوق للرقيق أن تذبح الأسرى.

وإذا رأى الحكمدار ضرورة لفرض رقابة حقيقة على قبيلة ما من تلك القبائل فيكون الأفضل أن يترك للرؤساء الحكم المباشر. وعليه أن يتحقق من خضوعهم وطاعتهم مع جعلهم يخشون سيطرته ».

والإيك نص الخطاب الموجه إلى اسماعيل باشا أبوب حكمدار السودان بتاريخ ٦ الحجة سنة ١٢٩٥ - ٢٥ يناير سنة ١٨٧٤ م رقم ٩ واننا ننشره هنا كما وجدناه بنصه في محفوظات سرای عابدين :—

أمر كريم منطقه - حيث أنه من مقتضى ارادتنا اجري الوسيط والسباب الموصلة للحصول على ما فيه ادخال جهات خط الاستوى التابعة للحكومة في سلك العمارية وانتظام احوالها وتقديم وتأليف اهاليها وسكنها شيئاً فشيئاً ولذلك سبق تشكيل مديرية مخصوصة اليها كا حررت لمعينا عن ذلك . غير أنه بالنظر لكون تلك الجهات في نقط مبتعدة وتلاحظ انه شق عليكم نوعاً ملاحظتها وقتياً فلذا قد صار انتخاب وتعيين القولونيل غوردن بوظيفة مأمور خط الاستوى لما هو معلوم فيه من حسن الادارة الموصلة للنتائج المرغوبة في عمارية تلك الجهات وحسن توطن اهاليها بحيث ان هذه المأمورية تكون قائمة بنفسها خارجة عن ادارة الحكمدارية وحساباتها او رايتها تتعلق بالمالية بدون واسطة الحكمدارية وفقط يلزم عليكم مراعاة تنجيز وتدارك لوازمهما وأطلبها أول بأول وكلما يتضمن الحال لمشترى وتدارك مأكولات أو مهارات وغيره من المعتاد ارساله إلى ذاك الطرف في معرفة الحكمدارية يجري تداركه وصرف منه مقابلة قيده

في العهـد وما يرد من تلك الجهات من الاصناف المعتاد توريدها على ذمة الميرى مثل سن فيـل أو ريش نعام أو غيره يجرى قبـولـه بالـحكـمـدارـيـة بالـخـصـمـ منـ المقـيـدـ بالـعـهـدـ وـفـيـ آخرـ السـنـةـ يـنـظـرـ لـقـدـارـ ماـ صـرـفـ عـلـىـ تلكـ المـأـمـوـرـيـةـ وـبـعـدـ اـسـتـبـعـادـ وـخـصـمـ مـاـ يـكـونـ وـرـدـ مـنـهـاـ مـنـ تـلـكـ الـاصـنـافـ فـاـذـاـ ظـهـرـ باـقـيـ لـلـحـكـمـدارـيـةـ يـحـسـبـ مـنـ الـاـيـرـادـاتـ المـقـرـرـةـ عـلـىـ السـوـدـاـنـ .
وـاـذـاـ ظـهـرـ فـايـضـ تـجـرـىـ ضـمـهـ وـعـلـاوـتـهـ عـلـىـ اـيـرـادـ السـوـدـاـنـ وـيـقـدـمـ بـذـلـكـ حـسـابـ وـاضـحـ الـيـاـنـ لـلـمـالـيـةـ لـمـرـاجـعـتـهـ بـهـاـ حـسـبـ الـاـصـوـلـ .ـ هـذـاـ مـعـ بـقـاءـ
الـعـسـاـكـرـ وـقـوـمـنـدـاـنـ الـمـوـجـ وـدـيـنـ هـنـاكـ وـالـحـالـةـ هـذـهـ تـحـتـ إـدـارـةـ القـوـلـونـيـلـ
غـورـدنـ الـمـأـمـوـرـ الـمـوـمـيـ الـيـهـ حـتـىـ يـنـظـرـ فـيـماـ بـعـدـ فـيـ تـغـيـيرـهـ بـخـلـافـهـ .ـ وـأـمـرـناـ
رـءـوـفـ بـكـ قـوـمـنـدـاـنـ الـعـسـاـكـرـ الـمـذـكـوـرـ فـيـ تـارـيـخـ بـمـاـ ذـكـرـ وـأـصـدـرـناـ أـمـرـناـ
هـذـاـ الـيـكـ لـاـجـرـاءـ مـقـضـاهـ

وهـاـكـ ايـضاـ نـصـ الـخـطـابـ الـحرـرـ الـىـ رـءـوـفـ بـكـ قـوـمـنـدـاـنـ عـسـاـكـرـ مـديـرـيـةـ
خطـ الاـسـتـوـاءـ بـتـارـيـخـ ٢ـ مـحـرمـ سـنـةـ ١٤٩١ـ ٥١٢٩١ـ ١٩ـ فـبـراـيـرـ سـنـةـ ١٨٧٤ـ رقمـ ٩٠ـ :-

أـمـرـ كـرـيمـ مـنـطـوـقـهـ .ـ حـيـثـ أـنـ مـديـرـيـةـ خطـ الاـسـتـوـىـ صـارـ نـزـعـهـاـ مـنـ
إـدـارـةـ حـكـمـدارـيـةـ السـوـدـاـنـ وـصـارـتـ مـأـمـوـرـيـةـ قـائـمـةـ بـنـفـسـهـاـ بـالتـبـعـيـةـ إـلـىـ الـمـالـيـةـ
بـدـوـنـ تـوـسـطـ الـحـكـمـدارـيـةـ وـقـدـ تـعـيـنـ القـوـلـونـيـلـ غـورـدنـ مـأـمـوـرـاـ عـلـيـهـ بـحـسـبـ
اـهـلـيـتـهـ لـذـلـكـ وـصـارـتـ مـأـمـوـرـيـتـكـمـ هـىـ قـوـمـانـدـةـ وـرـيـاسـةـ الـعـسـاـكـرـ الـمـوـجـوـدـةـ بـذـلـكـ
الـطـرـفـ تـحـتـ أـمـرـ الـمـأـمـوـرـ الـمـوـمـيـ الـيـهـ وـاـنـهـ وـاـنـ كـانـ مـنـظـورـ فـيـ تـغـيـيرـكـمـ
وـارـسـالـ مـنـ يـلـزـمـ بـدـلاـ عـنـكـمـ لـرـيـاسـةـ هـؤـلـاءـ الـعـسـاـكـرـ لـمـنـاسـبـةـ طـوـلـ اـقـامـتـكـمـ بـتـلـكـ
الـجهـاتـ غـيـرـ اـنـهـ فـيـ مـسـافـةـ تـعـيـنـ وـارـسـالـ خـلـافـكـمـ يـقـسـمـيـ أـنـكـمـ تـكـوـنـواـ
أـنـتـمـ وـمـاـ مـعـكـمـ مـنـ الـعـسـاـكـرـ تـحـتـ أـمـرـ الـمـأـمـوـرـ الـمـوـمـيـ الـيـهـ كـاـ ذـكـرـ وـتـنـقـادـواـ

لما يأمركم باجراء حسب شؤون المصلحة بالتطبيق لقوانين الجمادية حتى
يعين خلفكم كما تقدم الايضاح وأصدرنا أمرنا هذا لكم بالاشعار
لتجرروا بمقتضاه .

حاشية - الضباط الموجودين معكم يقتضى انكم تفهمونه أمرنا هذا
واننا ممنونين منكم ومنهم جميعا من منذ توجيهكم في هذه المأمورية للآن
وتخبروه بأنه سيجري تغييرهم ايضا عند تغييركم حتى عند حضوركم يحضروا
معكم سوية الى هذا الطرف وبذلك لزم التحية ۲

وها هو أيضا نص الخطاب المرسل الى محافظ سواكن بتاريخ ٢ محرم
سنة ١٢٩١ - ١٩ فبراير سنة ١٨٧٤ م رقم ٩٢ :-

أمر كريم منطوقه - بما ان القولونيل غوردن مأمور جهة خط الاستوى
متوجهة الآت الى مأموريته من على طريق سواكن فيقتضى بوصول
المومى اليه لطرفكم حالا تجروا ترحيله من سواكن الى الخرطوم بدون
تأخير . وكلما يصرف من طرفكم على ترحيل المومى اليه تحاسبوا ديوان المالية
وأصدرنا أمرنا هذا لكم للاجراء كما ذكر ۲

* * *

واختار غوردون القائم مقام شاليه لونج Chaillé Long ليكون ضابط
أركان حرب له وهو ضابط امريكي الجنس ومن ضباط اركان الحرب العام
بالجيش المصرى . وقد قال غوردون له ان الجنرال ستانتون Stanton قد نقل
بريطانيا العام عارض في تعينه وقال انه ينبغي ان يعين شخص انكليزى في هذه
الوظيفة فأجابه أنه لا يريد أن يستصحب معه ضباطا من الانكليز وانه يميل

الى الامر يكان لأنه خدم معهم في الصين .

وقال شاليه لونج ان غوردون أرسل خلفه واستحضره في ليل ١٩ فبراير سنة ١٨٧٤ وأخبره بأنه تميّز وأمره بالاستعداد للسفر وعرفه بأنّ الخديو يطلب مقابلته في صباح الغد في الساعة الثامنة في سرائى عابدين . وبعد ذلك استأذن لونج من رئيسه في الانصراف وتوجه في اليوم التالي إلى السرائى في الساعة العاشرة وأذن له في الحال بمقابلة الخديو .

والىك ما كتبه شاليه لونج بقصد هذه المقابلة في كتابه « حياتي في أربع قارات » ج ١ ص ٦٧ : —

« كان الخديو اسماعيل يذرع قاعة الاستقبال بخطوات واسعة ومتعبجاً عصبياً عندما دخلت يصحبني طونيتو بك Tonino Bey التشريفاتى الشانى . فسألنى الخديو هل رأيت الامير الای غوردون فأجبت : نعم رأيته يامولاى وقضيت معه المزعيم الاكبر من الليل . فقال الخديو احسنت والآن أصلح الى ما سأقول .

لقد وقع الاختيار عليك بصفة رئيس أركان حرب لعدة أسباب أهمها حماية مصالح الحكومة واعلم ان القووم في لندن على وشك ان يجهزوا حالة تحت قيادة رجل متستر بالجنسية الامريكية يسمى استانلى Stanley وهو في الظاهر ذاهب ليمدد يد المعونة الى الدكتور لفنجستون Livingstone أما في الباطن والحقيقة فلرفع العلم البريطاني على أوغندا . فعليك الآت أن تذهب الى غندوكورو إلا انه يلزمك ان لا تضيع شيئاً من الوقت بل يعم في الحال أوغندا وسبق هناك حملة انجلترا واعقد محالفه مع ملك تلك

البلاد . ومصر لا تنسى لك أبد الدهر هذه العارفة وهذا الجميل . اذهب
وليسر عقبك النجاح إن شاء الله » .

ول يكن هل كان غوردون ملما بهذه التعليمات أم لا ؟ هذا السؤال
من الأسئلة التي يتعذر الإجابة عليها ، غير أن شاليه لونج روى في ص ٦٧
من كتابه الآف الذكر أنه كان يجهلها وقد تحدد ميعاد السفر في اليوم
التالي . وكان غوردون يريد أن يسافر من السويس على سفينة البريد
المعتادة حتى بذلك يمكنه أن يقتضي تفقات السفينة الخصوصية فعارض
نوبار باشا قائلا إنه لا يجوز لـ حكمدار عام في رتبته أن يذهب إلى مركز
عمله بهذه الطريقة .

قيام الحملة من القاهرة إلى السويس

وفي صباح ٢١ فبراير سنة ١٨٧٤ كان قطار خاص يتاهم لينقل
من القاهرة إلى السويس أميرالألى غوردون الحكمدار العام لمديرية
خط الاستواء المصرية لكن يذهب إلى غندوكورو عاصمة حكمدارية حكومته
في المستقبل .

وكان يرافقه في هذه الرحلة القائم مقام شاليه لونج بصفة رئيس أركان
حرب الحملة واللازم الأول حسن واصف افندي الذي كان أيضا من ضباط
أركان الحرب العام بالجيش المصرى بصفة ياور لغوردون . وحسن واصف افندي
هذا هو الذى تعيين فيما بعد مديرًا لأسيوط وأنعم عليه بلقب الباشوية .

وحضر باللحطة خلق كثيرون من موظفين وغير موظفين لوداعهم .
وحضر أيضا إبراهيم بك توفيق وكان عندئذ من ضباط أركان الحرب ثم صار

فيما بعد محافظ عموم القناة وأنعم عليه برتبة الباسوية . وكان هذا الضابط قد
كلف من طرف سمو الخديو بصاحبة غوردون ومن معه من رجال مقدمة
الحملة لغاية السويس حيث كانت الباخرة « لطيف » في انتظاره .

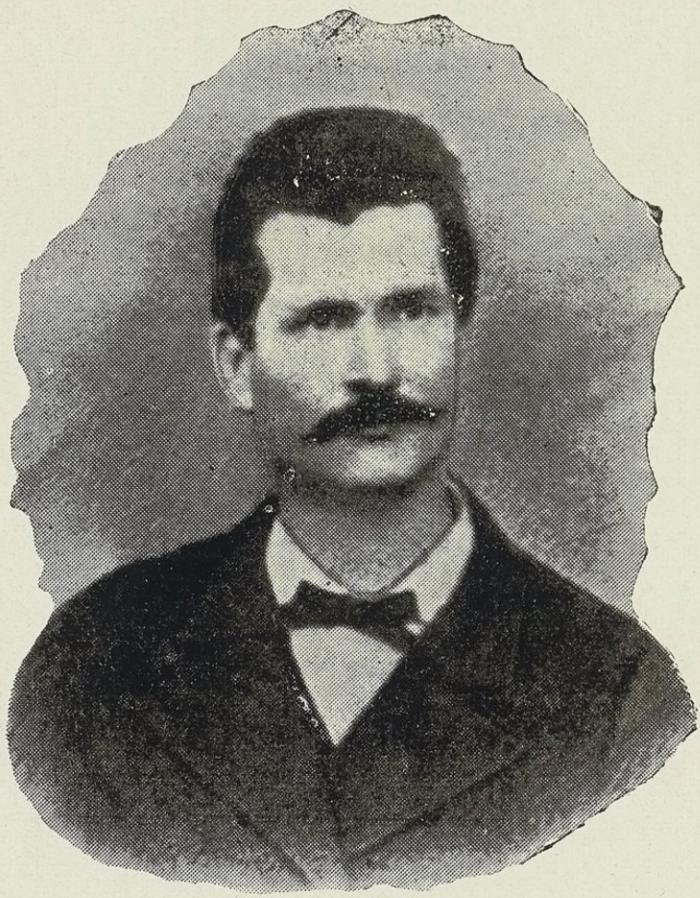
وكانت مؤخرة الحملة المعدة لاقفاله أئرهم ومعها الأئمة وباقى الأدوات والوازام تحت إمرة البكباشى كامبل Campbell . وكان من بين صفوفها مسيو M. Auguste Linant de Bellefonds (١) م. أو جست لينان دى بلفون والمهندس كمب Kemp ، ورسل Russell وهو ابن اللورد رسل ، وأنسون Anson ابن عم غوردون وابن الأميرال أنسون ، ورومولو جيسى Romulo Gessi وهذا كان يتولى جميع أعمال غوردون وكان محل ثقته وقد صحبه بهذه الصفة منذ حرب القرم ثم ترقى فيما بعد الى مدير بحر الفرزال ونال رتبة البشاورية . ودويت Dewitt ، وبرندورف Bohrendorf وهم معاونا جيسى في أعماله . ثم أبو السعود الذى أضحي أشهر من نار على علم والذى بعد أن خرج من السجن ألحق بالحملة بصفة عضو وذلك بناء على الحاج خلف سير صمويل أغنى غوردون .

وقبيل منتصف الليل بلغ القطار السويس وقضى غوردون ورفاقه بقية ليتهم في الفندق البريطاني وفي صبيحة ٢٣ فبراير استقلوا الباخرة لطيف التي كانت قد أعدت سلفاً لنقل مقدمة الحملة إلى سواكن.

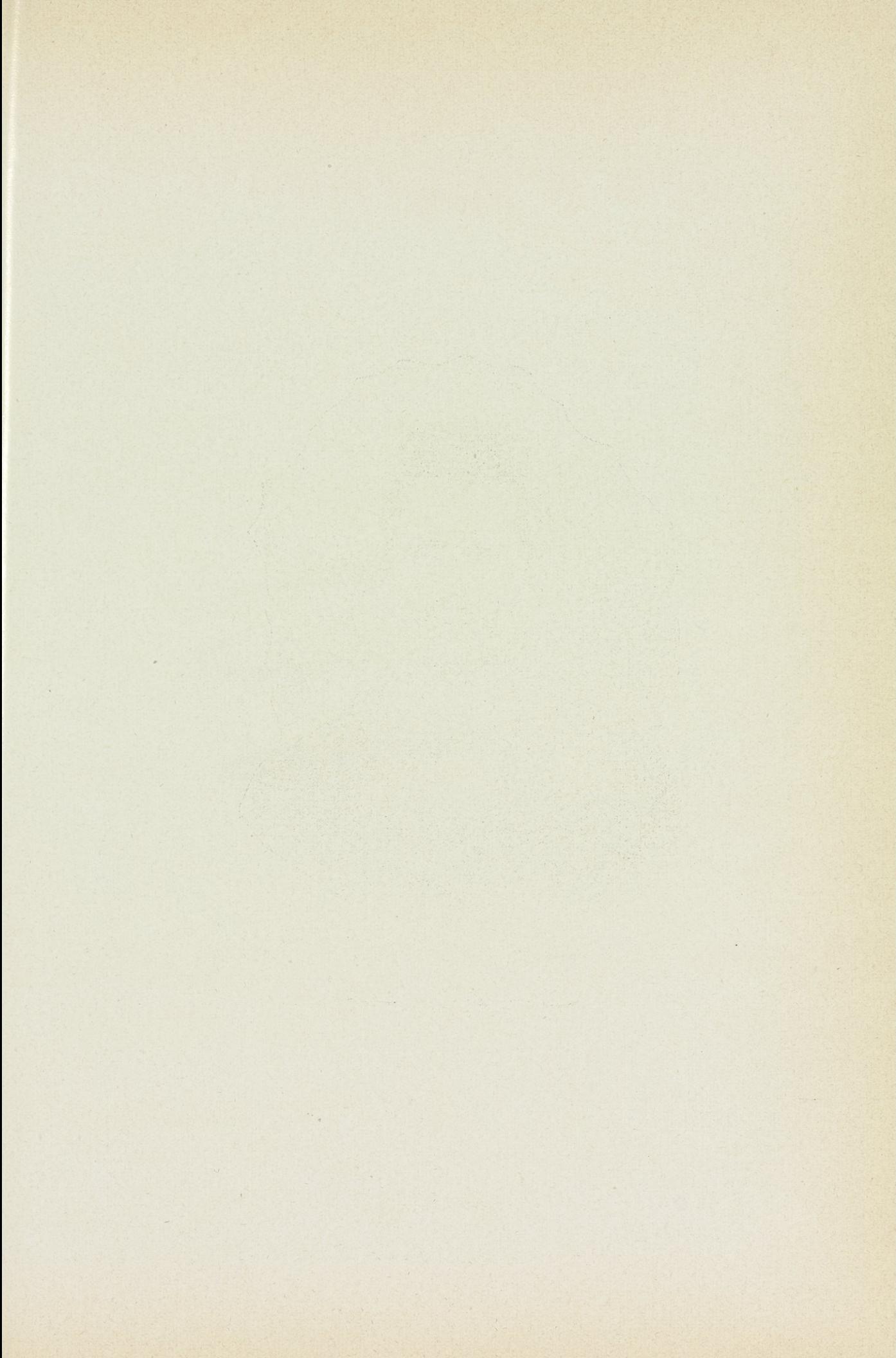
وصولهـا الى سواكن

وقد قطعت الباحرة الطريق بسرعة وبدورن أن يعترضها فيه أى

(١) - هو أحد أئم الينان باشا المهندس الفرنسي المشهور الذي أحضره محمد علي باشا إلى مصر وكلفه بأعمال هندسية كثيرة منها القناطر الخيرية.



أوجست لینان دی بلقوت



عارض . وفي ٢٥ فبراير عند منتصف النهار شوهد ساحل سواكن وهو ساحل مستو لا جبال فيه وفي الساعة الثالثة بعد الظهر كانت الباخرة أمام سواكن . وحالات اجراءات مصلحة الحاجر التي كانت متخذة في ذلك الوقت تزول اعضاء الهملة الى البر قبل صباح اليوم التالي . وقابل علاء الدين بك الحافظ غوردون ومن معه مقابلة غاية في البشاشة والائيناس وأكرم وفادتهم أيا أكرام . وعلاء الدين بك هذا عين فيما بعد حكمدارا عاما للسودان ونال رتبة البشاورية . وهو الذي رافق هملة هكس باشا وكان من قتلاها .

قيامها الى بزر ووصولها الى الخرطوم

وفي ٢٨ منه ولت القافلة التي كان الحافظ قد أعد لها لهم وجهها شطر برب يحرسها ١٥ جندياً وبعد سير مضر ومستمر ليلاً ونهاراً على متن الجمال بلغت برب في ٨ مارس وبذلك تكون قد قطعت المسافة بين هذه المدينة وسوakin في ظرف عشرة أيام.

وقد استقبلهم الشيخ حسين خليفة مدير الناحية استقبلاً فجأة ورحب بقدومهم . والشيخ حسين هذا نال فيما بعد لقب باشا .

ثم أعدوا لوازمهن بسرعة واستعدوا في الحال لمبارحة ببر . وفي صبيحة يوم ٩ مارس استقلوا سفينتين نيليتين ويحملها الخرطوم . وفي ١٢ منه قابليهم باخرة كان حكمدار السودان العام اسماعيل ايوب باشا قد أعد لها لهم فتر كانوا مراكبهم البطيئة وركبوا فرحين مسرورين . وفي صباح يوم ١٣ منه بلغوا الخرطوم أي بعد ٢٠ يوما من مغادرتهم القاهرة .

واستقبلهم سعادة الحكمدار العام بزيـد الحفاوة واستعرضت أمـامـهم الجنـود
وحيـثـهم مـدافـعـها وـزـلـوا بـسـرـائـى وـاقـعـةـ شـرقـ المـديـنـةـ تـسـمـىـ سـرـائـى رـاسـخـ بكـ أحدـ
حـكمـدارـيـ السـوـدانـ السـابـقـينـ .

وفي ١٨ مارس دعـاهـمـ الحـكمـدارـ العـامـ إـلـىـ وـليـمةـ أـعـدـهـاـ لـهـمـ وـكـانـ يـوجـدـ
بـيـنـ المـدـعـوـيـنـ العـدـيـدـيـنـ عـدـاـ المـوـظـفـيـنـ ضـبـاطـ الـحـامـيـةـ وـقـنـاصـلـ الـدولـ .
وبـعـدـ ذـلـكـ يـوـمـيـنـ اـثـنـيـنـ دـعـاـ غـورـدـونـ نـفـسـ تـلـكـ الـمـهـيـاتـ إـلـىـ مـأـدـبـةـ أـقـامـهـ
لـهـمـ فـيـ السـرـائـىـ المـذـكـورـةـ .

إـزـالـةـ الحـكمـدارـ العـامـ السـدـودـ مـنـ طـرـيـهـاـ

وـقـدـمـتـ الـجـلـةـ الشـكـرـ إـلـىـ اـسـمـاعـيـلـ باـشـاـ أـيـوبـ الحـكمـدارـ العـامـ لـاتـزـاعـهـ
اـكـداـسـ الـحـشـائـشـ الـمـلـفـةـ وـالـمـشـبـكـةـ بـعـضـهـاـ مـنـ الـمـنـطـقـةـ الـمـعـرـوفـةـ بـالـسـدـودـ تـلـكـ
الـحـشـائـشـ الـتـىـ كـانـتـ تـحـولـ دـوـنـ الـاتـجـاهـ صـوـبـ الـجـنـوـبـ بـيـنـ بـحـرـ الغـزالـ وـبـحـرـ
الـزـرـافـ وـالـتـىـ أـعـجـزـتـ هـمـةـ سـيرـ صـمـوـيلـ يـيـكـرـ وـاضـطـرـتـهـ لـانـكـوـصـ عـلـىـ عـقـبـهـ
رـاجـعـاـ إـلـىـ التـوـفـيقـيـةـ فـيـ شـهـرـ أـبـرـيلـ سـنـةـ ١٨٧٠ـ .

فـقـىـ تـلـكـ النـاحـيـةـ عـمـكـرـتـ جـنـوـدـ صـمـوـيلـ عـلـىـ بـعـدـ بـضـعـةـ أـمـيـالـ مـنـ
مـصـبـ نـهـرـ سـوـبـاطـ بـجـوـارـ مـسـتـنـقـعـ وـبـيـءـ فـهـلـكـ مـنـ رـجـالـهـ خـلـقـ كـثـيرـ وـذـهـبـتـ
بـأـرـواـحـهـمـ الـمـهـيـاتـ . وـبـعـدـ ذـلـكـ ذـهـبـ الحـكمـدارـ العـامـ إـلـىـ تـلـكـ الجـهـةـ عـلـىـ
رـأـسـ أـورـطـةـ مـنـ عـسـاـكـرـ السـوـدانـ قـبـلـ قـدـومـ جـمـلةـ غـورـدـونـ بـيـضـعـةـ اـسـاـبـعـ
وـبـاـشـرـ اـنـجـازـ تـلـكـ الـمـهـمـةـ بـقـصـدـ فـتـحـ طـرـيـقـ لـلـمـوـاـصـلـاتـ مـعـ غـنـدـوـكـوـروـ
الـتـىـ كـانـتـ وـقـيـدـ تـابـعـةـ لـهـ وـوـاقـعـةـ تـحـتـ إـشـرافـهـ .

وـبـعـدـ بـذـلـ مـجـهـودـ عـظـيمـ مـتـوـاـصـلـ اـسـتـغـرـقـ ثـلـاثـةـ أـسـاـيـعـ مـعـ أـزـيلـتـ أـكـداـسـ

تلك المـواد النباتية المـائلة بهـمة هـؤلاء الجنـود الـ بواسـل المـخلصـين الـذين زـهـقت اـرواحـ كـثـيرـين مـنـهـم مـتـأـثـرـة بـحـمـى الـملـارـيـا وـالـجيـات الـأـخـرى الـخـيـثـة وـالـدوـسـنـطـارـيـا ثـمـ انـ كـثـيرـاً مـنـ أـولـئـكـ الـذـينـ بـقـواـ عـلـىـ قـيـدـ الـحـيـاةـ أـمـسـتـ حـيـاتـهـمـ مـهـدـدـةـ بـدـوـدـةـ غـانـةـ الرـهـيـةـ الـتـىـ تـسـمـمـ الـمـيـاهـ وـمـسـتـقـعـاتـ هـذـهـ الـأـنـهـرـ .ـ وـفـيـ الـلحـظـةـ الـتـىـ سـقـطـ فـيـهـ كـوـمـ الـاعـشـابـ الـكـثـيفـ تـدـفـقـ الـمـاءـ بـخـرـفـ التـيـارـ بـشـدـةـ قـوـيـةـ عـدـدـاـ وـافـراـ مـنـ أـفـارـسـ الـبـحـرـ الـتـىـ تـمـلاـ الـنـيـلـ مـنـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ إـلـىـ مـنـبـعـهـ وـغـلـبـهـ عـلـىـ أـمـرـهـاـ فـأـخـذـتـ تـصـيـحـ صـيـحاـ مـزـعـجاـ شـنـيعـاـ عـمـ الـفـضـاءـ لـمـ أـصـابـهـ مـنـ الـخـسـوفـ وـالـجـزـعـ .ـ وـفـيـ الـوقـتـ نـفـسـهـ اـرـتـطمـ مـرـكـبـ وـاخـتـفـيـ بـيـنـ تـلـكـ الـأـجـرـامـ الـمـضـطـرـبـةـ الـتـىـ اـنـشـرـتـ عـلـىـ مـسـافـةـ بـعـيـدةـ فـيـهاـ بـعـدـ وـحـلـهـ التـيـارـ مـعـهـ تـدـريـجـياـ .ـ

وارـتـاحـ الـحـكـمـدارـ الـعـامـ لـهـذـاـ الفـوزـ الـمـبـينـ جـدـ الـارتـياـجـ وـقـالـ لـأـعـضـاءـ الـحـملـةـ بـصـيـغـةـ التـوـكـيدـ أـنـهـمـ سـيـنـقـلـوـنـ عـلـىـ باـخـرـةـ إـلـىـ غـنـدـوـكـورـوـ مـبـاشـرـةـ دونـ أـنـ تـصادـفـهـمـ أـيـةـ عـقـبـةـ فـالـطـرـيقـ .ـ وـكـانـ لـابـدـ مـنـ مـقـاـبـلـةـ هـذـهـ الـبـشـرـىـ بـالـفـرـحـ وـالـابـهـاجـ إـذـ انـ وـسـائـلـ التـغلـبـ عـلـىـ هـذـهـ العـقـبـةـ كـانـ شـغـلـهـمـ الشـاغـلـ وـمـوـضـعـ تـفـكـيرـهـمـ وـاـهـمـاـهـمـ اـثـنـاءـ مـجـيـئـهـمـ .ـ وـقـدـ تـفـاءـلـتـ الـحـملـةـ خـيـراـ باـزاـلـةـ هـذـاـ العـائـقـ لـأـنـ ذـلـكـ يـعـكـنـهـاـ مـنـ اـنـ تـنـقـلـ فـيـ الـحـالـ إـلـىـ غـنـدـوـكـورـوـ مـرـكـزـ عـمـلـهـ .ـ

وصـولـهـاـ إـلـىـ فـاـشـوـدـةـ

وـكـانـتـ جـمـيعـ اـدـوـاتـ الـرـحـيـلـ قـدـ تـمـ اـعـدـادـهـاـ فـيـ صـبـاحـ ٢٢ـ مـارـسـ ،ـ وـكـانـتـ سـبـعـ بـوـاـخـ رـاسـيـةـ وـقـيـشـذـ فـيـ الـخـرـطـومـ مـهـيـأـةـ لـلـقـيـامـ بـالـخـدـمـةـ فـيـ مـديـرـيـاتـ خـطـ الـاسـتـوـاءـ بـيـنـ الـخـرـطـومـ وـغـنـدـوـكـورـوـ .ـ

هذا ومن الانصاف ان ننوه بأن سير صمويل يذكر كان قد استحضر من إنكلترا سفنا مفككة وركبها هنا تحت مباشرته وهي لا تحتاج الى مياه غزيرة للعموم وفي استطاعتها أن تذهب صعدا في النيل الى غندوكورو وهي من النقط الصالحة للملاحة وأكثرها ارتفاعا في الجنوب وذلك فيما عدا حقبة قصيرة في فصل الامطار حيث يستطيع المسافر في أثنائها ان يبلغ جبل الرجاف الواقع على بعد ١٥ ميلا من هذه الناحية جنوبا ولكن مع بعض المشاق .

وبعد تناول الطعام على النمط التركي مع الحكمدار العام توجه اعضاء الحملة الى الباخرة « تلحوين » التي كانت على تمام الاستعداد لنقلهم وأطلقت المدفع تحية لهم وودعهم الجموع الكثيرة التي كانت قد اجتمعت لتزود حكمدار خط الاستواء الجديد بالتجهيزات العظيمة للنجاح التام .

ومن الضروري أن نشير هنا الى التأثير السيء الذي أحدثه في نفس الحكمدار العام والموظفين وكل من كان يهمه أمر نجاح هذه الحملة ، خبر رجوع أبي السعود الى وظيفته وعلمهم أنه قادم في الطريق لينضم الى رفاق غوردون ثم يواصل السير الى غندوكورو بصفة ملحق بمصلحة مديريات خط الاستواء . وفي الواقع كان أبو السعود مشهورا في الخرطوم بأنه يسلك مسلكا مصادرا لمصالح الحكومة في تلك الأقطار .

وفي ٣١ مارس وصلت الحملة الى فاشودة . فنفلت متاعها وكل ما معها الى جوف الباخرة « بردین » وهي باخرة تفوق في النظام والترتيب الباخرة التي كانت الحملة تستقلها . وكانت هذه الباخرة عائدة من غندوكورو .

وفاشودة واقعة على صفة النيل اليسرى . وهي أبعد نقطة في ولاية الخرطوم . وعلى يسارها توجد قرية مأهولة بقـوم من قبيلة الشـلـك وهي مؤلفة من اكواخ من القـش . أما نفس المـديـنـة فليست إلا مجموعة من الاكواخ المبنية بالطين يضاف اليـها بعض أبنيـة من الحـجـرـ منها سجن وبناء للـحـكـوـمة .

ولما كانت تلك القـيـلـة وضـعـت تحت مراقبـة ضـابـطـ من شـيمـهـ الـحـلـمـ والـعـدـلـ والـرـفـقـ أـلـاـ وهو أمـيرـ الأـلـايـ يوسف حـسـنـ باـكـ فقد شـجـعـتـ تلكـ الصـفـاتـ الشـلـكـ وبـثـتـ فـيـهـمـ رـوـحـ العـزـىـةـ فـزـرـعـواـ الـأـرـضـ ذـرـةـ فـتـحـسـنـتـ حـالـةـ مـعـيـشـتـهـمـ تـحـسـنـاـ مـحـسـوسـاـ لـأـنـ تـرـبـةـ هـذـهـ الـنـطـقـةـ صـالـحةـ لـشـلـ هـذـاـ الزـرـعـ . وـمـعـ ذـلـكـ فـهـنـ فـاـشـوـدـةـ إـلـىـ غـنـدـوـ كـوـرـوـ لـاـ تـقـعـ عـيـنـ الـإـنـسـانـ إـلـاـ عـلـىـ بـحـرـ مـسـتـنقـعـاتـ وـفـيـ وـسـطـ هـذـهـ الـمـسـتـنقـعـاتـ الـمـلـوـءـةـ بـأـكـدـاسـ مـنـ الـأـوـحالـ يـسـيرـ النـيـشـلـ فـيـ مـجـرـيـ كـثـيرـ الـمـنـعـرـجـاتـ وـالـمـنـحـنـيـاتـ فـيـ مـسـافـةـ تـبـلـغـ ١٠٠٠ـ مـيـلـ .

بـلـوـغـهـ مـديـرـيـهـ خطـ الـاستـوـاءـ

وـفـيـ ٢ـ أـبـرـيلـ بـلـغـتـ الـجـلـةـ مـصـبـ نـهـرـ سـوـبـاطـ حـيـثـ تـوـجـدـ نـقـطـةـ عـسـكـرـيـةـ إـشـارـةـ إـلـىـ نـهـاـيـةـ حـدـودـ وـلـاـيـةـ الـخـرـطـومـ وـبـدـاـيـةـ مـديـرـيـهـ خطـ الـاستـوـاءـ . فـوـقـفتـ الـجـلـةـ فـيـ هـذـاـ المـكـانـ لـتـحـتـطـبـ .

وـفـيـ ٥ـ أـبـرـيلـ وـصـلـتـ الـجـلـةـ إـلـىـ الـمـوـضـعـ الـذـيـ كـانـ عـاقـتـ فـيـهـ الـحـشـائـشـ مـسـيـرـ يـيـكـرـ بـاشـاـ وـقـدـ ذـكـرـناـ ذـلـكـ آـنـفـاـ . وـوـجـدـتـ الـجـلـةـ طـرـيقـهاـ بـهـ مـسـلـوكـاـ . وـكـانـ يـوـجـدـ عـلـىـ مـتـنـ الـبـاـخـرـةـ الـتـيـ أـقـلـمـهـاـ بـعـضـ الـجـنـودـ الـذـيـنـ اـسـتـخـدـمـوـاـ

في نزع أعشاب السدود وفي سيقانهم الجراح التي أحدثتها دودة غابة وهي
تم عما قاسوه من الصعب والمشاق .

وفي ١١ منه انتهت الى «بور» Bor وهي محل لتجارة العاج وبها يوجد شرذمة من الدناملة وهي جزء من فرقه مستقلة مأجورة لجماعة تجار العبيد وتجار العاج بالخرطوم فاستقبلتها وحيثها .

وفي ١٧ أبريل سنة ١٨٧٤ خطت الجملة رحالتها في غندو كورو حيث استقبلتها بالحفاوة قائد الحامية أمير الألائى رعوف بك الذى كان مدير هذه المديرية بالنيابة من وقت سفر سير صمويل بيكر .

وصيف غوردون لهذه النواحي

ولقد وصف غوردون في خطاب أرسله إلى صاحب السعادة نوبار باشا ناظر الخارجية التأثيرات التي وقعت في نفسه في أول الأمر فقال :—

وإنى لا أريد أن اتوسع في ذكر ما يقوم بخاطرى من الأعمال غير
أنه في استطاعتي أن أقول إنه لا يوجد أمامي أية صعوبة يجب على تذليلها .
واضن أنه لا يلزم أن نصوب حتى ولا طلاقة واحدة من فوهه بندقية
سواء كان ذلك على الزوج أم على المشغلين باختطافهم وأعني بذلك

صيادى العبيد .

والمديريات الخاضعة الآن لصاحب السمو ليست على جانب عظيم من الأهمية ومحطاتها هي حامية غندوكورو وتتألف من ٣٠٠ عسكري سوداني و ١٦٠ جندياً مصرياً . وفatiكو و تكون من ٢٠٠ جندي سوداني . وقد عملت الآن كل ما في الاستطاعة عمله فترك حامية في بور لاحتلالها . وبور هذه موقع هام في شمال غندوكورو .

وجميع الحروب التي شب أوارها هنا في الزمن الماضي ليس لها إلا سبب واحد هو نقص المؤونة . ولقد قيل لي أن الزنوج لم يكونوا في مررة من المرات العتدين الأولين وإنهم ما قاتلوا قط إلا في سبيل الدفاع عن قطعائهم وأنه حتى في هذه الحالة ما كانوا يقاتلون بحماسة .

وقد كان من رأى رعوف بك محاربة القبائل غير أنه لم اشاركه في هذا الرأي كما أنه لم أقره على طلباته الخاصة بزيادة الجيش زيادة كبيرة . ومع ذلك ينبغي أن أصرح لسعادتكم أنه كان يجب أن يكون لدينا هنا أكثر من هذه الجنود الخمسة . هذا إذا كان صاحب السمو الخديوييرغب في مراقبة كل الأراضي التي يحتلها الآن صيادو العبيد من جهة حدود هذه المديريات . ولا أرى من المستحسن والصواب أن يكون عندنا قدر ضئيل من المصريين كالعدد الذي لدينا يقابله عدد كبير من السودانيين . وغندوكورو كما شاهدنا على مسافة غير بعيدة من القاهرة . ويوجد هنا جملة مواقع تستحق بلا ريب ما يبذل من المشاق في سبيل احتلالها .

واني لست مرتاحاً كثيراً لاستخدام غير النظاميين من الجند إلا ان

استخدامهم في الوقت الحاضر من الضروريات .

أما اسماعيل باشا أيوب فيستحق مني كل اعجاب وثناء لقيامه بفتح السدود
فبعمله هذا الحميد رد في الواقع هذه المديريات الى صاحب السمو الخديو » .

* * *

وكان يوجد أيضا خلاف حاميته غندوكورو وفاتيكيو اللذين ذكرهما
غوردون في خطابه الآنف الذكر حامية فويرا وكانت مكونة من ٢٠٠ جندى
سودانى من الجيش الن资料 كما يرى فيما بعد عند ذكر رحلة القائمقام شالية لونج
الى أوغندا وقد فات غوردون ذكر هذه الحامية .

وتم تقييد المخطة وحاميتها في زمن يسير وعلى جناح السرعة . وهذا
التقييد كان نتيجة طبيعية لقدم غوردون . وبعد ذلك عقد النيمة على أن يعود
إلى الخرطوم ليجعل مجيء أبي السعود الذى بارح القاهرة مع مؤخرة الحملة ثم
يرجع معه إلى غندوكورو .

واستقبل أمير الألائى غوردون فى غندوكورو رسلا قدموها من قبل
« متيسا » ملك أوغندا ومعهم هدايا من العاج واشياء أخرى متنوعة صنع
بلده برسم سمو الخديو . وأعرب هذا الملك فى الوقت نفسه على لسان رسلا
عن رغبته فى أن يرتبط مع حكومة مصر بعلاقات ودية وطلب ارسال
أحد العلماء كى يعلم وشعبه العقيدة الإسلامية حسب نص القرآن .

وأرسل الأمير الزنجى « ريونجا » رسلا إلى غوردون ليعلن هو الآخر
على لسانهم أنه راغب الرغبة الأكيدة فى صداقه الخديو .

ولما كان لا يعزب عن بال أميراللائي غوردون أهمية الحصول على موعدة واحترام هؤلاء الرؤساء الزنوج ارسل في ٢٤ ابريل سنة ١٨٧٤ القائم مقام شاليه لونج محلا بالهدايا لكل من « متيسا » و « ريونجا » ورد في الوقت ذاته الى متيسا جانباً مما بعث به من الهدايا وهو عبارة عن أطفال من العبيد وأصحابهم رسالة قال له فيها انه سوف يوضح له الداعي الذي حدا به الى رد هؤلاء الاولاد .

عودة غوردون الى الخرطوم

وبعد أن زود غوردون القائم مقام لونج بالأوامر اللازمة بشأن رحلته وأقرضه حصانه الخصوصى ليستخدمه فى سفره هذا وتحقق أن كل شيء أضحي على ما يرام ، بارح غندوكورو في ٢١ ابريل موليا وجهه شطر الخرطوم لكن يستعجل أثناء وجوده في هذه المدينة بما يبذله من الجهدات نقل المؤن المعدة لما سيقوم به من الاعمال . وبعد سفر دام أحد عشر يوما وصل الى الخرطوم .

وفي أثناء رحلته الى الخرطوم هذه انجز رسم مسودة خريطة مجرى النيل بين الخرطوم وغندوكورو وكان ابتدأ في عملها فيما سلف عند صعوده النهر .

وقال في خطاب كتبه وهو في الخرطوم بتاريخ ٥ مايو سنة ١٨٧٤ إنه وطد العزم على أن يقيم نقطة عسكرية على مقربة من مصب نهر سوباط ليشرف بطريقة مثلى على خطوط المواصلات بين مديرياته والعالم المتمدين وليحول بهذه الواسطة بطريقة أضمن دون مرور عصابات صيادي العبيد عند اقتيادهم لفرازهم البشرية وأيضا ليمعن تهريب الأسلحة النارية والذخائر

فـ في نفس هذه المديريات تلك الأدوات التي لا بد منها ولا غنى عنها في أعمال صائدى العبيد .

وـ كانت تساوره الآمال أيضاً أنه يستطيع من هذه النقطة مباشرة رقابة فعالة على تجارة العاج التي كثيرة ما كان يتستر تحتها النخاسون ويتخذونها ذريعة لممارسة تجارةهم المقصوـة .

وفي الخطاب المذكور إشارة إلى تأسيـس ثلاث مديريات والاعراب عن أملـه أن يحصل على جمال وجمير في المستقبل لاستعمالـها في نقلـ الذخـيرة والمؤـونة إلى تلك المديريات الثلاث في الذهـاب والعودـة واستغـاء نقلـ العاجـ إلى مـركـز الحـكمـدارـية ليـرسلـه بـطـريقـ النـهـرـ إلىـ الخـرـطـومـ . وبـذا يـستـغـىـ عنـ استـخدـامـ عـدـدـ كـبـيرـ منـ الـجـالـينـ كـالـعـدـدـ الـذـيـ كانـ يـسـتـخـدـمـ دـوـاماـ حـتـىـ ذـلـكـ التـارـيخـ . ويـظـهـرـ آـنـهـ مـاـلـ هـذـاـ التـرـتـيـبـ كـلـ المـيـلـ لـلـسـبـيـنـ الـآـتـيـنـ :

١ - انـ مثلـ هـذـاـ التـغـيـيرـ كانـ يـفـضـيـ إـلـىـ اـقـتصـادـ مـحـسـوسـ فـيـ وـسـائـلـ النـقـلـ .

٢ - بالـاستـغـاءـ عنـ جـيـشـ عـرـمـ منـ الـجـالـينـ لـاتـكـونـ هـنـاكـ حاجـةـ لـطلـبـ زـادـ فـيـ الـطـرـيقـ مـنـ الـاهـالـيـ لـتـموـيـنـ . أوـلـئـكـ الـجـالـينـ وـبـذـلـكـ يـزـولـ السـبـبـ الرـئـيـسـيـ الـذـيـ يـدـعـوـ الـاهـالـيـ لـلـتـذـمـرـ .

وـ قدـ أـوـصـيـ غـورـدوـنـ فـيـ ذـلـكـ الـخـطـابـ أـنـ يـلـفـتـ نـظـرـ سـمـوـ الـخـديـوـ إـلـىـ الـهـداـيـاـ الـمـرـسـلـةـ مـنـ قـبـلـ مـتـيسـاـ عـنـ يـدـهـ تـلـكـ الـهـداـيـاـ الـتـيـ بـعـضـهـاـ كـمـاـ يـقـولـ غـورـدوـنـ وـيـكـرـ القـوـلـ - يـدلـ عـلـىـ وجـودـ درـجـةـ مـنـ الـمـدـنـيـةـ بـيـنـ الـاهـالـيـ الـأـوـغـنـدـيـنـ . وـيـشـيرـ بـارـسـالـ شـيـخـ صـالـحـ مـنـ الـقـاهـرـةـ لـهـ المـامـ تـامـ بـنـصـوصـ

وذكر في خطابه أيضاً أنه أمر بزراعة النرة بدون تأخير وأنه من حسن الحظ أن كان ذلك في الموسم الملائم لهذه الزراعة وأنه بذلك يمكنه اجتناب المحاجة.

وقد أرسل غوردون مع هذا المكتوب ثلاثة مكاتب أخرى جاءته من متيسا.

وفي ١٨ مايو سنة ١٨٧٤ كان أمير الألای غوردون في ببر حيث أبجـز بنفسه الاحتياطات التي رأها لازمة للتأـكـد من شحن المؤنة والذخائر بانتظام .

ومن تلك الساعة أضحي هادئاً بالمال آمناً مطمئناً لانه لم يكن يوماً يشغله عن التفرغ تماماً مدة سنتين لاعماله الهامة في اواسط افريقيا بدون أن يرى نفسه في حاجة إلى ان يمارح صرة أخرى منطقة المديريات التي ألقى عليه مقايد حكمها قبل أن يكون قد وطد أساس نظامها توطيداً محكماً.

وفي تلك الحقبة كانت الاوامر قد أعطيت الى اورطة من الجيش

كانت تخدم تحت إمرة صاحب السعادة موتنجر بك Munzinger Bey الحاكم العام للسودان الشرقي وساحل البحر الأحمر بأن تنتقل إلى مديرية خط الاستواء لكي يستطيع غوردون أن يعتمد عليها في اجرااته القادمة عند الاحتياج إلى امداد .

وفي ٣١ مايو كان غوردون بالخرطوم وفيها لحق به البكباشى كامبل وهو من الضباط البحريين وكان قد طلب غوردون تعيينه للاستفادة من خبرته وانضم إليه أيضا بهذه المدينة عدد كبير آخر من الملحقين بالقيادة تحت أمره . ووقع اختيارة كذلك على ٤ بلوکات مسلحين بسلاح من طراز رمنجتون أقلتهم البواخر الآتى اسماؤها وهى : بردين و تلحوين و الصافية و المنصورة .

عودته إلى فاشودة واقامة محطة عند مصب نهر سوباط

وقد أفلعت تلك البواخر قبل سفر الحكمدار العام بعد ان زودها بتعليمات مقتضاهما ان تنتظره عند مدخل نهر سوباط . اما هو فقد بارح الخرطوم في ٨ يونيو سنة ١٨٧٤ على ظهر الماخرة الخديو وكان ابراهيم افندي فـوزى الذى أنعم عليه فيما بعد برتبة البشاوية يقود حرسه الخاص . وبعد مسيرة ٧ أيام ألقى سفينته مرسىها في فاشودة واستقبله يوسف بك حسن المدير بجميع انواع الحفاوة والاكرام اللائقين بشخص فى مرتبته . وبعد اقامته يومين في فاشودة عاود السير ممهما مصب نهر سوباط فوصل بعد يومين ووجد البواخر والجندي فى انتظار مقدمه .

وكانت مديرية خط الاستواء التى تولى غوردون حكمداريتها تبتدىء

عند هذه المنطقة . فعقد النية على أن يؤسس فيها محطة وفعلا خططها وأمر الجند بأن يستغلوا بعملها . وفي ظرف ١٥ يوماً تم عملها وعين لقيادتها اليوزبashi محمد افندي احمد وترك له بصفة حامية البلوك الذي تحت إمرته وذلك بعد أن وصاه بأن يعامل الأهالى المعاملة الحسنة ويرعاهم بعين رعايته ويراقب من جهة أخرى النخاسين مراقبة دقيقة ليستأصل تجارة الرق إذ ان مركز مصب نهر سوباط هذا كان له أهمية كبرى من هذه الوجهة أعني وجهة منع تجارة الرقيق .

وقد أقام غوردون في هذه الناحية شهرين تقريباً القى القبض في غضونها على كثير من المراكب المشحونة بالعاج والرقيق إذ كان تجار هذين النوعين يجهلون وجوده في هذه المنطقة وقد صادر الحكمدار العاج باعتباره محتكراً للحكومة . أما العبيد فأطلق سراحهم . وقام عدا ذلك بعدة استكشافات في تلك البقعة .

وفي أثناء اقامته عند نهر سوباط أرسل جيسى Gessi الذى نال فيما بعد لقب باشا وأنسون Anson ليقوما بجولة تفتيش على طول بحر الفزال وفي أثناء هذه الجولة أصيب الأخير أعني أنسون بحمى خبيثة لقي من جراءها حتفه .

وبعد أن رحل من نهر سوباط خط رحاله في شمبé Shambé حيث أقام كبار التجار مثل أبي عموري وكشك على وغطاس وآخرين غيرهم محطات هامة لتجارة لهم فاستقبله فيها بغایة الاحترام شيخ المركز وهو رجل دنكاوى اسمه الشيخ الحداد . وبعد أن أخذ راحته خطط رسوم محطة وأقامها ثم قلد قيادها اليوزبashi مصطفى فتحى افندي

وترك له بصفة حامية البلوك الذى تحت قيادته ووصاية نفس الوصاية التى أوصى بها قائد المحطة الذى قبلها .

عودته الى بور غندوكورو

وانطلق من هناك الى محطة «بور» فوجدها ٤٠٠ جندي من الجنود غير النظاميين التابعين للتجار فأمر بتجنيدهم في خدمة الحكومة ونبه عليهم بأن يقدموا له بياناً بعده الأسلحة وأنواع المؤن والذخائر التي في حوزتهم فصدعوا بالأمر وعدين لهم بالمركز بصفة قائد ومدير ضابطاً سودانياً كان من جملة الضباط الذين خدموا في حملة سير صمويل ييكر . ويسمى هذا الضابط آدم افendi عامر وقد ارتقى الضابط المذكور فيما بعد الى رتبة البكباشى وعند قيام ثورة المهدى كان مديراً في «بكبيه» وهي من ملحقات دارفور . ولما سقطت هذه المديرية سلم مديريتها لجيوش المهدى بأمر من سلاطين باشا الذى كان سلم قبله سلاحه .

وبعد أن سوى غوردونسائر الاعمال الخاصة بالمحطة تفصيلاً وأعطى أوامر مطابقة تماماً للاوامر التي أعطاها للمحطات السابقة ولـ وجهه شطر غندوكورو فوصل اليها في أوائل شهر سبتمبر سنة ١٨٧٤ .

وقد وجـد أمـير الـأـلـايـ غـورـدوـنـ عـندـ قـدـومـهـ هـذـهـ النـاحـيـةـ أـنـ جـمـيعـ الـأـوـامـرـ سـائـرـةـ حـسـبـاـ يـشـتـهـىـ وـذـلـكـ بـهـمـةـ القـائـمـقـامـ رـءـوفـ بـكـ الـذـىـ قـامـ بـوـاجـبـاهـ خـيرـ قـيـامـ وـقـدـ التـعـلـيمـاتـ الـتـىـ أـصـدـرـهـاـ لـهـ بـشـأـنـ الـحـطـةـ الـواـجـبـ اـتـيـاعـهـ تـجـاهـ الـأـهـالـىـ وـمـشـاـخـنـهـمـ فـكـانـ جـمـيعـ الـعـشـائـرـ الـضـارـبـةـ بـجـوارـ الـحـطـةـ عـلـىـ أـحـسـنـ مـاـ يـرـامـ مـنـ الـعـلـاقـاتـ مـعـ الـحـامـيـةـ .

ولكن كان القائم مقام رءوف بك قد قضى سفين عديدة في الخدمة في تلك الاصقاع ولذلك كان يحن إلى زيارة القاهرة فحمله هذا الحنين إلى طلب اجازة مداها تسعة أشهر .

وكان أمير الألائى غوردون لا يستطيع أن يستطع عن خدمة رجل محنك مثله ولكنه كان يرى من جهة أخرى أن العدل لا يرضى بأقل من إجابة هذا الطلب فكتب إلى نوبار باشا في ٥ سبتمبر سنة ١٨٧٤ ما يأتى :—

« أقدم لسعادتكم هذا الخطاب بواسطة رءوف بك الذى طلب مني التصریح باجازة قدرها تسعة أشهر ليزور فيها القاهرة .

وأخبر سعادتكم أنى أعربت لصاحب السمو فيما سلف عن ارتياحى لرءوف بك نظراً لما أبداه لى هنا من المعونة وتقديرى لما قام به من الجهودات فى وسط ظروف بلغت غاية الحرج وذلك فى سبيل حفظ وصون جنوده . وان هؤلاء يعتبرونه كأب نظراً للاصعب الذى تحملها فى سبيل راحتهم .

ويخامرنى الأمل بأن صاحب السمو الذى هو على يينة من كفايته وجدارته قبل الآن يتقبل شهادتى فيه قبولاً حسناً .

واكرر القول يا صاحب السعادة بأنه فيما اذا لو سمح سموه وتنازل برجوع رءوف بك إلى هنا فان ذلك يكون من حسن حظى وانا على يقين من ان اجد له دواماً محلاً يليق بمرتبته ويرتاح لوجوده فيه » .

عودة رءوف بك الى القاهرة

عاد هذا الضابط الباسل الى القاهرة وفيها كافأه سمو الخديو على
شهادته في تأدية وظيفته بترقيته الى رتبة لواء معتمداً في هذه المنحة على
شهادة أميرالألai غوردون . وروع باشا الذى صار فــلا من ذلك
الوقت يلقب بهذا اللقب لم يعد الى مديرية خط الاستواء بل عهد اليه
فيما بعد قيادة منفصلة وقائمة بذاتها فى منطقة أخرى وهى منطقة هرر حيث
أدى اعمالاً لسمو الخــديو تذكر فتشكر وبذلك حقق مرة أخرى الرأى
الذى أبداه غوردون فيه .

وبعد سفر رعوف باك نصب غوردون الباشا الطيب عبد الله افندى قائدا لغندوكورو ومنحه رتبة قائم مقام وهو الذى كان يقود الاورطة السودانية في حملة سير صمويل ييكر ثم نقله الى «لادو» عند ما تقرر جعلها عاصمة لمديرية خط الاستواء وعين كذلك الصاغقول أغاسى عبد الله افندى قائدا فاتيكيو بنفس هذه الوظيفة في الرجاف وقما أنشئت فيها محطة.

وفي هذا الحين - ٥ سبتمبر سنة ١٨٧٤ - أى عند ما بارح رءوف بك مديرات خط الاستواء كان جميع أولئك الذين يجب بحكم الطبيعة أن يعول أميراللائي غوردون عليهم تأدية مأموريته الهامة غائبين وليس في استطاعته الارتفاع بأحد هم . فالقائمقام لونج كان غائباً في مأموريه في أوغنـدة والبكباشى كامبل الضابط البحرى والمستـر أجست ليـنان والمـستـر رسـل كانوا الثلاثـة يقاسـون آلام الجـى التى أصـيبـوا بها وحالـهم

خطة فكان يقضى أكثـر أوقاته في بذل العناية بهـم . وكان مع هـذا لا يفتر عن أـن يهـيء المشاريع والرسوم الـلـازمة لـتـرتـيـب وـتـنـسـيق الـأـقـطـار الـوـاقـعـة تحت سـيـطـرـته ويـسـتـعـد لـعـمـل اـسـتـكـشـافـات مـنـظـمة في الـأـرـجـاء الـتـي كـانـتـ ما زـالـتـ مجــهــولة منـ النـيلـ والـبــحــيرــاتـ الـكــبــرىـ كــاـنــهــ كانــيــعــمــلــ فــيــ ســبــيــاــ إــيــجادــ مــرــاكــزــ فــيــ نــقــطــ تــســتــطــعــ مــنــهــ حــكــوــمــتــهــ مــراــكــزــ الــمــراــكــزــ الــتــيــ كــشــفــتــ بــطــرــيــقــةــ ثــابــتــةــ وــمــســتــدــيــةــ .

وــكــانــ يــعــمــلــ أــيــضــاــ عــلــ إــيــجادــ مــوــاصــلــاتــ بــطــرــيــقــ النــيــلــ تــحــلــ مــحــلــ وــســائــلــ الــنــقــلــ بــطــرــيــقــ الــبــرــ الــمــنــهــكــهــ وــالــتــيــ كــانــتــ تــكــلــفــهــ تــفــقــاتــ باــهــظــةــ . وــهــذــهــ الــوــســائــلــ كــانــ لــاــ بــدــ مــنــهــ بــيــنــ مــعــســكــرــهــ الــعــامــ وــنــقــطــ نــوــاــحــ الــجــنــوبــ .

وــكــانــ مــشــرــوــعــ اــســتــخــدــامــ الــنــيــلــ لــالــنــقــلــ فــيــ جــنــوبــ غــنــدــوــكــوــرــوــ فــيــهــ شــئــ مــنــ الــجــازــفــةــ إــذــ كــانــ يــســوــدــ النــاســ لــغــاــيــةــ هــذــاــ الزــمــنــ وــذــلــكــ بــدــوــنــ ســبــبــ مــعــقــولــ ،ــ الــاعــتــقــادــ بــأــنــ الــنــيــلــ اــبــتــدــاءــ مــنــ جــنــوبــ الرــجــافــ لــغــاــيــةــ دــوــفــيــلــيــهــ غــيــرــ صــالــحــ لــالــمــلاــحةــ وــلــاــ يــكــنــ اــســتــعــالــهــ لــهــذــاــ الغــرــضــ .

وــكــانــ شــلــالــ دــوــفــيــلــيــهــ أــمــرــهــ مــعــلــوــمــاــ وــكــانــ مــنــ الــمــظــنــوــنــ اــنــ الــمــســافــةــ بــيــنــ الرــجــافــ وــدــوــفــيــلــيــهــ لــمــ تــكــنــ صــالــحــ لــلــســلــوــكــ إــلــاــ قــلــيــلاــ .ــ فــســلــ بــهــذــهــ الــفــكــرــةــ وــلــكــنــ مــؤــقــتــاــ فــقــطــ وــتــرــكــ خــصــ هــذــاــ الجــزــءــ مــنــ النــهــرــ الــوــاــقــعــ بــيــنــ الرــجــافــ وــدــوــفــيــلــيــهــ إــلــىــ مــاــ بــعــدــ وــكــانــ لــمــ يــزــلــ لــدــيــهــ بــقــيــةــ أــمــلــ فــيــ العــثــورــ عــلــ قــســمــ مــطــرــوــقــ وــذــلــكــ عــنــدــ مــاــ يــدــرــســ ســائــرــ التــرــعــ دــرــســاــ وــأــفــيــاــ .ــ فــأــرــســلــ إــلــىــ دــوــفــيــلــيــهــ مــعــ الــمــســتــرــ كــمــبــ الــمــهــنــدــســ الــمــيــكــانــيــكــ الــإــنــكــاــزــيــ أــجــزــاءــ بــاخــرــةــ صــغــيــرــةــ وــآــلــاــتــهــ بــقــصــدــ ضــمــ هــذــهــ الــأــجــزــاءــ وــتــرــكــيــهــ هــنــاكــ لــأــجــلــ اــســتــخــدــامــهــ .ــ وــكــانــ قدــ اــســتــخــضــرــ مــعــهــ مــنــ الــقــاهــرــةــ أــبــاــ الســعــودــ وــهــوــ ذــلــكــ الرــجــلــ الــذــيــ صــيــرــتــهــ أــفــعــالــهــ فــيــ عــهــدــ حــكــمــدارــيــهــ ســيرــ

صمويل يذكر أشهر من نار على علم .

ولما كان غوردون على بيته من أن أبا السعoud له معرفة تامة بجميع تلك الأقطار والقبائل الضاربة فيها وبسائر عصابات صيادي العييد التي يستخدمها التجار فقد كانت لديه أسباب وجيهة تدعوه لأن يعتقد أن ما نال أبا السعoud من العقاب الصارم بسبب ما بشه من الدسائس والفتنة في الزمن الغابر يرده إلى صوابه ويرئه من تصرفاته العوجاء فيما يستقبل من الزمان ويدرك في نفسه الرغبة في أن يبرهن للحكومة بأماتته وشرفه في خدمتها على أن شخصه في الحقيقة خير من سمعته .

فلكي يستفيد من معلومات هذا الرجل وخبرته ونشاطه استفادة تامة تجاه غوردون وجعله المعاون الأول له وكلفه بالمسؤولية الهامة إلا وهي مأمورية العناية الدقيقة بنقل أجزاء الباخرة السابق الكلام عنها والتي كان يعلق آماله على أن يجعلها تقوم بالللاحة فيما بعد بين شلال دوفيليه وبحيرة البيرت نيازا .

وتراءى بادئ ذي بدء أن أبا السعoud حقق ما ارتراه فيه غوردون بتقويضه إياه مركزاً ذا أهمية كبرى إذ أظهر الشيء الكثير من الدقة والمهارة والنشاط في تنفيذ التعليمات التي أ Cmd her بها رئيسه .

وقد قال أميرالألای غوردون في كتاب كتبه بتاريخ ٢٧ سبتمبر : « انه من حسن الحظ يمكن ان أقول انه في ظرف ١٠ أيام ستكون أجزاء الباخرة كما أرجو في محطة الإبراهيمية « دوفيليه » وما ذلك إلا بهمة ومجهودات أبي السعoud » .

وبتاريخ ١١ من الشهر المذكور كتب مرة أخرى يعرب عن ثقته
بأن أبا السعود والآخرين الذين كانوا في جيوش النخاسين ثم سرحوا
وانضموا بعد ذلك إلى خدمة الحكومة ستسفيه الحكومة من عملهم لا سيما
وقد تحققا أن الاشغال التي كانوا يمارسونها فيما سلف أصبح لا وجود
لها وستظل كذلك إلى ماشاء الله . ولما كانوا زيادة على ذلك ملمين الماما
تماما بالبلاد واحوالها فقد تهيأت لهم الفرصة التي تكمن في أن يرهنوا
للحكمـة على أنهم لم يبلغـوا في عدم الاستقامة والدناءة الدرجـة التي
ظفـهم بها .

ترتيب غوردون قيادة الجنـود وتقديم مشائخ القبائل الطاعة

وقد اتخذ أميرالأـلـاـيـ غوردون فوق ذلك احتياطـات حـكـيـمةـ ذلكـ أنهـ
مع وضعـهـ أباـ السـعـودـ وـرـجـالـهـ فيـ مـرـاكـزـ يـسـتـطـيـعـونـ فـيـهاـ تـأـديةـ خـدـمـاتـ
جـلـيلـةـ قدـ وـجـهـ عـنـيـتـهـ إـلـىـ تـرـيـبـ الـقـيـادـةـ بـكـيـفـيـةـ لـاـ تـجـعـلـ الجـيـوـشـ النـظـامـيـةـ
بـحـالـ مـنـ الـاحـوالـ تـابـعـةـ لـأـوـلـئـكـ الرـؤـسـاءـ غـيرـ النـظـامـ .ـ مـيـنـ بـلـ تـضـعـهـمـ
تحـتـ سـلـطـةـ الضـابـطـ النـظـامـيـ الـاقـدـمـ رـتـيـبـةـ الـذـىـ كـانـ عـلـيـهـ أـنـ يـرـجـعـ فـيـ كـلـ
الـأـمـورـ إـلـىـ الـحـكـمـدارـ العـامـ .ـ

وفي ١١ سبتمبر سنة ١٨٧٤ قدم ٢٥ شيخا من مشائخ قبائل الزنج
الضاربين حول غندوكورو ليقدموا لغوردون خصوصـهمـ وـحـسـنـ وـلـأـئـهمـ
فـأـكـرمـ وـفـادـهـمـ وـعـرـضـ عـلـيـهـمـ كـلـهـمـ الـذـهـابـ لـمـدـيـنـةـ الخـرـطـومـ لـزـيـارـتـهـ فـتـقـبـلـواـ
هـذـهـ الدـعـوـةـ بـشـغـفـ .ـ وـكـتـبـ غـورـدونـ أـنـ يـقـصـدـ مـنـ وـرـاءـ هـذـهـ الـزـيـارـةـ
لتـلـكـ الـمـدـيـنـةـ عـلـىـ مـتـنـ وـابـورـ بـخـارـىـ أـنـ يـتـنـسـمـ أـوـلـئـكـ الشـيـوخـ مـنـ

من خلالها ريح المدينة الأمر الذى لا بد أن يأخذ بالبابهم ويؤثر على مشاعرهم
ويراهم عدا ذلك السلطة والسيطرة المخولة له .

الصعب التي صادفها وتعلّمه على

وكان كل من البكباشى كامببل ومستر دسل مصاباً بالجى وحالتهما خطرة وحالى منتصف شهر سبتمبر سافراً بطريق النييل الى الخرطوم تبديلاً للهـــواء وليعالجا في مستشفاها . أما مسيو أوجست لينان السكرتير الخاص لاحـــكمدار العام فكان في حيز عدم الاستطاعة ارساله معهما كما كان ينهـــوى غوردون إذ انه ما كان يتحمل مشاق السفر بسبب اشتداد وطأة المرض عليه وضعيـــه بعد الاتكـــاس الذى أصيـــب به . وهذا الرجل المنكود الطالـــع فاض روحـــه في ١٦ سبتمبر . وعلى هذا ظل غوردون تقريـــباً وحيداً فريداً مع جيوشه الوطنية غير النظمـــية . وفي برهة يقل مداها عن شهر واحد نكب أيضاً بمرض أربعة من الأوريـــين الستة الذين كانوا معه قضـــى عليهم . أما الاثنان الباقيان فكان أحدهما وهو المستر كـــمب المـــهندس قد رحل مع قطعـــ البـــاخـــرة وأرسل الآخر وهو مسيـــو جيســـى الى الخـــرطـــوم لينوب عنه فيها بصفة وكيل عام له .

وغرت كثيرة هذه الحالة أبا السعود وكبار ضباطه غير النظاميين والحديثي الولاء وقام برؤوس أولئك الرجال أن الفرصة ستحت للاستيلاء على حكم الأقطار التي جابوها فيما سلف وأن يكونوا أرباباً لها . فانقلب أبو السعود بجأة وغير خطته وتظاهر أمام رؤوس الأهالي ورؤوس الجيش بمحضر الشدة والعظمة وربما فعل ذلك لاعتقاده أنه أصبح الآن في قدرته أن يجعل الحكمدار العام الجديد يخضع لأرادته .

ولقد ضل أبو السعود سواء السبيل وجهل الرجل الذي كان يريد أن يخدعه جهلا مطينا . ولم يلبث غوردون أن أدرك حالا رياه وسوء نياته كأدرك كفاءته فيما سبق . فمذ ظهرت أول إمارة منه تدل على سوء مقاصده نحو الحكومة رأى نفسه ممزولا من مركز المعاون الأول لغوردون ووضع تحت المراقبة في غندوكورو ومن ثم أرسل بطريق النيل إلى الخرطوم .

وبدا من صغار الضباط في أول الأمر الاستعداد لاظهار سوء شعورهم من هذا الابعاد إلا ان غوردون عند ما لاحت منهم بارقة التظاهر بعدم الرضا عاجلهم مع المدوع المشفوع بالثبات بأعلانهم بأن في استطاعته الاستعناء عن خدمتهم بسهولة في المديريات اذا لم يظروا تمام الطاعة والخضوع . وفي الحال رجعت المياه الى مباريها وانحسم الاشكال .

تعلیمه الاهالی التبادل بالنقود و تعمیم ذلك بیهم
وكتب أمیرالألای غوردون من الرجاف بتاريخ أول اکتوبر بشأن
الرؤساء الدنقالاويین ما يأئی :-

وفي ٢٦ سبتمبر سافر من هذه الجهة المستر كوب الى دوفيليه ومعه عساكر نظامية وغير نظامية والقسم الاكبر من قطع المركب البخاري . ومقتضى الخبر الوحيد الذى نقل الى بشأنه بواسطة بعض الزوج ان الاهالى قتلت البعض من رجالنا فى أثناء الطريق وجندلت العساكر خمسة منهم وان جنودنا ما فعلت ذلك إلا فى سبيل الدفاع والذود عن أرواحهم ويصبح من ذلك اثنا غير قادمين على حرب .

وكان المستر كامبل قد تلقى تعليمات تقضى عليه بأن يجتهد في معاملة الرؤوس الأهلية معاملة حسنة .

وفي ٢٦ سبتمبر أيضا ذهبت في النيل نحو الجنوب مسافة ٤ أميال فوصلت قرب جبل الرجاف . والارض هناك مرفوعة وهي مركز أصلاح بيكثير من مركز غوندو كورو الذى عولت على تركها لرداة مناخها وسوء اختيارها كعسكر عام .

وقد حاولت في عهد وصولي الى هنا تدريب الاهالى على المعاملة بالنقود ونجحت . وللوصول الى هذا الغرض دفعت أول يوم ثمان لاقش الذى استحضر لعمل المسakan عملة من الخرز .

وكانت العادة الجارية هي أن لا يعطى شيء للرجال بل تقدم هدية للشيخ . وهذه طريقة فاسدة لأن الرجال الذين كانوا اشتغلوا لم ينالوا شيئاً مقابل كدهم وجدهم . وفي اليوم التالي أعطيت كل رجل من الرجال الذين اشتغلوا قطعاً من النقود ثم استرجعت منهم النقود وقدمت لهم بدلها خرزًا . وهكذا صرت افعل حتى آل الامر الى أن فهموا ان النقود تضارع

الخرز في القيمة .

ولقد يخالجني الأمل ان آتى بهذه الوسيلة على طريقة الاقطاعيات التي فرضها الشيوخ . ومتى عرف الزنجي ان في استطاعته ان يكتسب نقودا لنفسه بواسطة عمله الخاص صفت درجة خنوعه لرئيسه وزادت بالعكس درجة تعلقه بالحكومة . ولم يلاحظ الشيوخ مع ذلك شيئا من كل هذا إذ انهم هم انفسهم مرتاحون لطريقة قبضهم النقود . وأتى اليوم شيخ ومعه ناب فييل وأراد ان يبادر عليه بجلجلين لدوابه فأبى ان أعطيهما اياه بل قدمت له ريالين في مقابل هذا الناب فقبل ثم عرضت عليه الجلجلين في مقابل رياليه فاشتراهما . وأحضر فيما بعد في اليوم نفسه نابين وعرضها للمبيع .

والآن لا يخامرني الشك ان في استطاعتنا من اليوم ان نشتري بالنقود دون ان نصادف صعوبة ، العاج والابنوس والذرة وغير ذلك . ولا بد من الاعتراف بأن الطريقة القديمة التي كانت متبعه هنا مناقضة على خط مستقيم لهذه الطريقة .

وقد دهش الزنوج حينما رأوا نطلق المدفع ونحن على بعد ١٥٠ ياردة منه وذلك بواسطة آلة كهربائية . ويسلك هؤلاء مسلكا حيداً . وحقا يستغرب الانسان كثيرا عند ما يجد ان سير صمويل يذكر كان يضطر لشن الغارات للاحتفاظ على مواشى في نفس قرية الرجاف هذه التي نعيش فيها هادئين آمنين والزنوج على أتم الاستعداد لاجابة مطالبنا » .

وفي ٦ أكتوبر سنة ١٨٧٤ كتب ايضا ما يأنى :-

« توجهت الي يوم الى غندوكورو ووجدت جميع الاحوال على غاية

ما يرام . والمأمول أننا تتمكن من تقرير طريقة المعاملة بالنقد فيسائر أنحاء المديريات » .

مكاتبات من أميراللائي غوردون في شؤون أخرى

وفي ٧ من شهر أكتوبر المذكور عاد إلى الرجناف ومنها كتب ما يأتي :

« رأيت اليوم لاركو Larco وهو الذي بدت منه امارات العدوان . وإنني لا أثق بهذا الرجل رغم مما يظهره من المرودة . فإذا رأيت من وارث هذا العرش الصغير حسن الاستعداد وأنه من الممكن أن تستفيد منه فاني أبعث « لاركو » واسرته إلى الخرطوم للإقامة فيها ومنت檄ه مبلغا صغيرا ليعيش به . ومتى رأى وارث أولئك المشائخ أن الحكومة مصافية لهم على شرط أن يكونوا هم ايضا لها مخلصين فاني أظن أنه لا يكون أمامنا إلا قليل من المصاعب .

وأظن أننا لا نلاقي أيضا مصاعب بخصوص توريد الذرة لنا ولقد اشتريت منها بالأمس ٣ أرادب ونصف أرادب أرسل لكم منها عينة . ومتى أعطيت الأهالي من ذرة الخرطوم ليزرعواها فسيكون في المستقبل هذا النوع هنا » .

وفي ٩ من الشهر عينه كتب ما يأتي :

« لقد استدعيت اليوم مرة أخرى إلى غوندو كورو بمناسبة وصول الباخرة بردين . وورد لي خطاب مع هذه الباخرة من القائمقام يوسف حسن باك مدير فاشودة يخبرني فيه بأنه قبض على ارسالية تحتوى على ١٦٠٠ من العبيد و ١٩٠

بقرة قادمة من محطات « غطاس » و « كشك على » الواقعة على بحر الزراف . ولقد أوضحت فيما مضى . أنى على يقين من أن هذه الارسالية سائرة في الطريق وتأسفت لعجزى عن القبض عليهم . ويخزنى عدم الاحتفاظ بأولئك العبيد برسم مديرية الفيوم ^(١) .

ولقد تصرف يوسف حسن بك أحسن تصرف . ويكون من حسن حظى أن تتكرموا سعادتكم وتلتمسوا له من الجناب العالى رتبة أميرالألائى .

ومن المهام جدا بذل همة عظمى لمنع جلب الأسلحة النارية والبارود الى هذه المديريات لأنى اعتقد أن الخراب قد حل بتجارة الرقيق من جراء القبض الذى حدث حديثا على هذه الارسالية . وسوف تكون عاقبة هذا الحادث زيادة عدد العاطلين من الدناءة . ويصبح من المحتمل ان أولئك سيذهبون أفواجا الى دارفور حيث يعرضون خدمتهم على سلطانها وفي ذلك بعض المكاره لحكومة الجناب الخديو » .

والسبب الذى جعل غوردون يقول هذا هو أنه كان عالما بالحملة التي كانت تجهز تحت قيادة اسماعيل أىوب باشا حكمدار عموم السودان والزبير رحمة الله باشا لفتح دارفور ولو توجه هؤلاء الاشخاص لسلطان ذلك الاقليم لزادوا قوته ضد قوات الحكومة المصرية .

وفي ١٥ اكتوبر سنة ١٨٧٤ كتب أميرالألائى غوردون من الرجاف ما يأتي :-

(١) - ذكرت مديرية الفيوم هنا لمناسبة عرض غوردون على الخديو اسماعيل مشروع مقنضاه ان العبيد الذين يقبض عليهم ويؤخذون من النخاسين بواسطة الحكومة يرسلون الى مديرية الفيوم ويقطعون اطيانا لا استغلالها .

« لقد آب بالأمس المستر كتب المهندس الميكانيكي ومعه الحاملون الذين أمدوه بهم أحمد الاطروش فلم يحتاجوا لا كثـر من ١٠ أيام لقطع المسافة بين الرجاف ودوفيليه وعلى ذلك يكون طول تلك المسافة ١٣٤ ميلاً انكليزياً قطعوها وهم حاملون القسم الأكبر من اجزاء البالغة .

ولم يبد الزوج في اثناء الطريق أية مظاهره عدوانية . ولكن الترجمة
الدناقلة هبـ—وا مساـكـن أولئك الزوج فقاوموهـ بـحـكمـ الطـبـيـعـةـ وـقـتـلـوـاـ مـهـمـ
اثـنـيـنـ أوـ ثـلـاثـةـ .

واستقبل شيخ الماديين Madis القافلة أحسن استقبال في « دوفيليه » وسر سرورا كثيرا إذ رأى جنودا منظمة معسكرة على مقربة منه بدلا من الدناقلة . ويوجد في دوفيليه كميات كبيرة من الذرة وساقيم بها أو على الضفة المقابلة لها محطة حسنة ومتينة . هذا وقد كان المستر كمب عند قدومه مرضا مرضانا شديدا إلا أن حالته قد تحسنت الآن .

وربما كان من الضروري أن تفسر لكم معنى كلمة « ترجمة » بهذه الكلمة تطلق على طاقة العبيد الذين أسرهم الدنائلة وهم حديثو السرت ثم لما شبوا وكبروا تزودوا ببنادق عتيقة . ويحتمل هذا الفريق من عدد خاطفيهم القدام أعني الدنائلة .

لأسيادهم القدماء.

ولقد لاحظت انه لا يوجد دواما عميق كاف من الماء بين الرجاف وغندوكورو ولذلك قررت ان يقيم نصف حامية هذه الجهة الأخيرة في جبل « لادو » Lado الواقع على بعد ٨ أميال منها شمـالا والنصف الآخر هنا . وانى ارغب كثيرا في سحب الجندي من غندوكورو للأسباب الآتية وهى : أن مناخ هذه الجهة غير صحي بسبب الفدران التي تكتنفها . وهذا عدا خلوها من الاخشاب التي تستعمل وقودا للبــواخر الــامر الذى يضطرنا للسير ساعتين أو ثلاثة للحصول عليه . وبالعكس لادو فان مناخها صحي وترتها جيدة فضلا عن أنها واقعة بالقرب من غابة . وعلى الرغم من هذا يلوح أن الكل هنا أى في غندوكورو كأنهم موثقون فيها حتى أنه ليتعذر اخراج الجنود منها للخدمة في جهة أخرى » .

وفي ١٨ أكتوبر سنة ١٨٧٤ كتب أمير الألای غوردون ما يأتى بعد ما جاءته تقارير القائم مقام لونج عن رحلته في أوغندا ذهاباً وإياباً ومكان لونج وقسطنطين بالقرب من غندوكورو وفي طريق عودته منها وقد وصل تقريراً في نفس الوقت الذي وصلت فيه تقاريره : -

وإن اتجاهت فألتئم من سموه أن يتفضل بالموافقة على ترقية هذا

الضابط الى رتبة أميراللأى إذ أنه لبث وقتا طويلا برتبة القائمقام . وأرى أنه قام باللأمورية التي أقيمت على عاتقه خير قيام . وقد كتبت لكم هذا المكتوب قبل أن يصل الضابط المشار اليه الى هنا حتى لا يفوتني البريد .

ولا يوجد لدى الآت شئ هام اذكره منذ خطابي الأخير اللهم إلا أن أقول لكم انى ازداد من الوقت يقينا بضرورة تطهير الناحية التي نحن فيها من الدنافلة وهذا ما سأفعله تدريجيا مع توالي الايام كلما أتننا جنود ليحلوا محلهم .

ولم يزل المستر كمب للآن طريح الفراش يعاني آلاما شديدة » .

وفي ١٩ من الشهر السالف الذكر كتب أميراللأى غوردون يخبر بوصول القائمقام لونج ويبين بإنجاز ولكن مع الإيضاح ما وقع أثناء رحلة هذا الضابط وما تلاها من العواقب . أما بيان هذه الرحلة فنجيل القارئ عليه في ملحق سنة ١٨٧٤ م الآتي بعد .

والآيات القرارات التي اتخذها غوردون بعد ان تلقى التقارير الكتايبة وسمع البيانات الشفوية من القائمقام لونج .

لقد أمرت بطرد سائر الدنافلة الذين في هذه الأحياء والقاء القبض على أبي بكر حال قدومه من قبل متيسا وابجاد نقط عسكرية في الجهات الآتية وهي : لا بوريه ، و دوفيليه ، « الابراهيمية » ، و فاتيكو ، وفويرا .

وأمرت علاوة على ما ذكر بارسال مفوض حاذق للملك متيسا واستبقاء كبار يجأ في مركزه مؤقتا .

ويقول القائمقام لونج الذي ساح في بحيرة فكتوريا إن عرض هذه البحيرة لا يتجاوز عشرة أميال . وقد عانى هذا الضابط مشاق كثيرة وصادف مصاعب شتى بسبب الدسائس التي دسها له الدنائلة . ومن المدهش حقاً نجاته من شر ما ألقى في سيله من المكائد والأشراك . وإنى لعلى يقين بأنه سيكافأ من الجناب العالى لأن العمل الذى أداه عمل جليل » .

وعند وصول هذا الخطاب نشر الأمر العالى الآتى :—

مكتب رئيس أركان حرب

القاهرة في ١٦ نوفمبر سنة ١٨٧٤

« هجم نحو ٤٠٠ رجل من اعدى سمو الخديو على القائمقام لونج وهو مسافر بقرب بحيرة البرت ولم يكن لديه سوى جنديين فصد هجومهم المتواترة وشتتهم بعد أن قتل منهم ٨٢ رجلاً . فنظرًا لهذا الفوز الباهر ونظراً لقيامه بال مهمة التي عهد إليه أمر القيام بها في أوغندا خير قيام رغمما عما لقيه من المشاق الكبيرة تفضل سمو الخديو فرقاه من درجة قائمقام إلى درجة أميرالإمداد في هيئة أركان الحرب » .

بأمر سمو الأمير ناظر الجمادية

رئيس أركان الحرب العام

الامضاء « استون »

وأرسل أيضاً الخطاب الآتى إلى أميرالإمداد غوردون الحكمدار العام لمديريات خط الاستواء من حضرة صاحب السمو الأمـير حسين كامل ناظر الجمادية « الحرية » في ذلك الحين :—

القاهرة في ٧ ديسمبر سنة ١٨٧٤

ناظرة الجمادة مكتب الناظر

يا حضرة الميرالاي

أراد سمو المخديو ان يقدم برهاناً لحضره القائم مقام لونج عن رضاه
نظراً لحسن سلوكه وقادمه وثباته في المعمعتين اللتين لقيتها في «مرولي»
بالقرب من خط الاستواء فأنعم عليه برتبة أميرالاى وقلده النيشان المجيدى .

وتجدون مع هذا براءة الرتبة فأرجوكم تسليمها لأميرالألای لونج بك
وتقدموا له من قبلى التهانى .

وتقيل ياحضرة الميرالى أحسن عواطف الود

الامضاء « حسين »

* * *

ولا يفوتنا هنا أن نذكر إن أورطة كانت تعمل مع صاحب العزة
مونزنجر بك قد صدرت لها الأوامر بالقيام بالخدمة في مديرية خط الاستواء
تحت إمرة أميرالألای غوردون . وهذه الأورطة مضى على وجودها في
الخرطوم مدة فأرسل غوردون أميرالألای لونج ليعد المعدات لاستحضارها إلى
لادو لتشغل بأعمال أخرى تخص مديريات خط الاستواء .

وفي ٢٩ أكتوبر بارح لونج غندو كورو لتأدية هذه المهمة فوصل الى الخرطوم في ٩ نوفمبر . وبعد أيام اقام شهراف في هذه المدينة رجع الى

لادو قييل آخر العام ليتولى قيادة القوة التي تقرر تخصيصها لضم بلد المكركة مكراكا « نيم نيم ». .

وفي ١٧ نوفمبر سنة ١٨٧٤ وصل الى معسكر أميراللائي غوردون العام الملازمان « وتسوت » Watson (١) و « شيندال » Chippendall من رجال الهندسة في الجيش البريطاني وعرضنا خدمتها عليه . وهذان الضابطان استقالا مؤقتا من هيئة الهندسة الملكية وتعيينا في الخدمة تحت امرة غوردون في الجيش المصرى .

وفي ٢١ من الشهر السالف الذكر كتب الحكيم العام من غندو كورو ما يأتي :-

«أُتشرف بِأنْ أحيطكم عالماً ولتعاموا بذلك الجناب العالى إن الملازمين
وطسون و شينيدال وصلا إلى هنا في ١٧ نوفمبر . وانى أرى نفسى عاجزا عن
الاعراب عما يخالج فؤادى من الارتياح والسكر لصاحب السمو نظرا لما أسداه
لى من المعونة بارسال هذين الضابطين .

فإن على عاتقى اشغالاً كثيرة تدعونى إلى وجودى هنا وفي جهة الشمال حتى
انه ليتعذر على بدون ان يكون لي معين ان اتقدم نحو الجنوب في اتجاه البحيرة
لأنه يبعض الاستكشافات على مسافات بعيدة .

فوجـود هـذين الضـابطـين الـلـذـين نـالـا مـن العـلـوم قـسـطا وـافـرا يـفـسـح أـمـامـي
المـجـال وـيـتـرـك لـى منـدوـحة اـتـقـرـع فـيـها لـلـعـنـاهـة بـالـأـمـور الـخـاصـة بـوـظـيفـتـي أـعـنـى تـرـتـيب

(١) — كان أحد الضباط الذين عيّنهم الحكومة المصرية في الجيش الجديد الذي أُلف بعد الثورة العرابية وكان فيه برتبة اللواء.

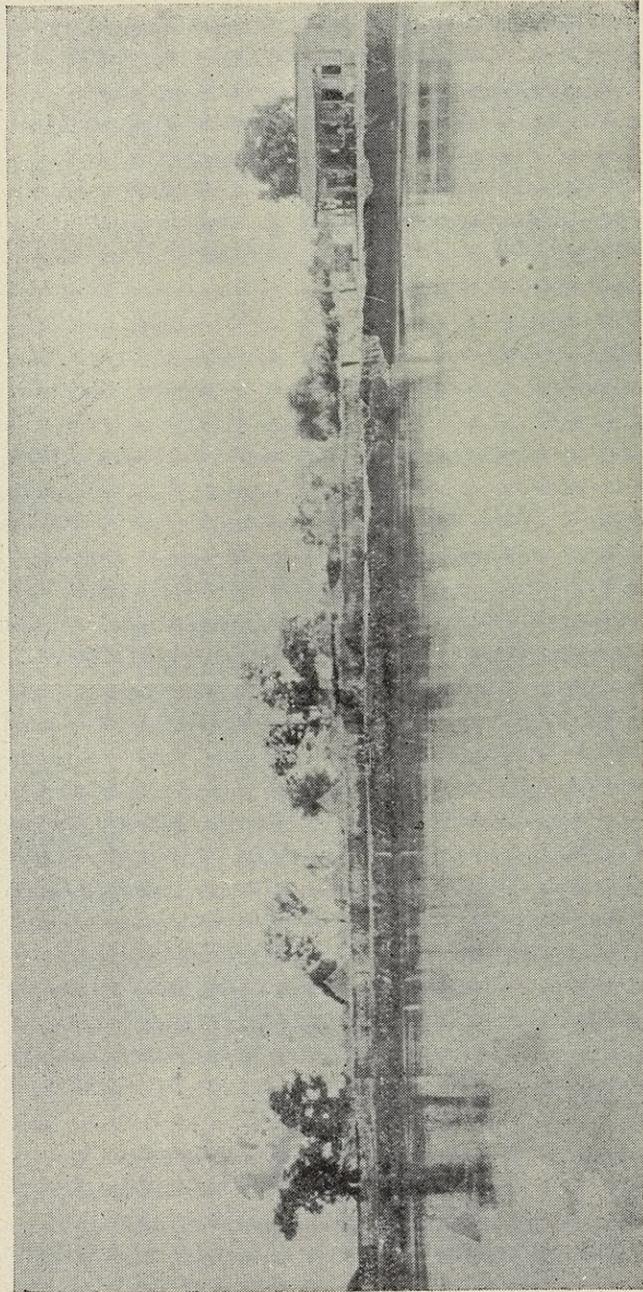
وادارة أعمال المديريات.

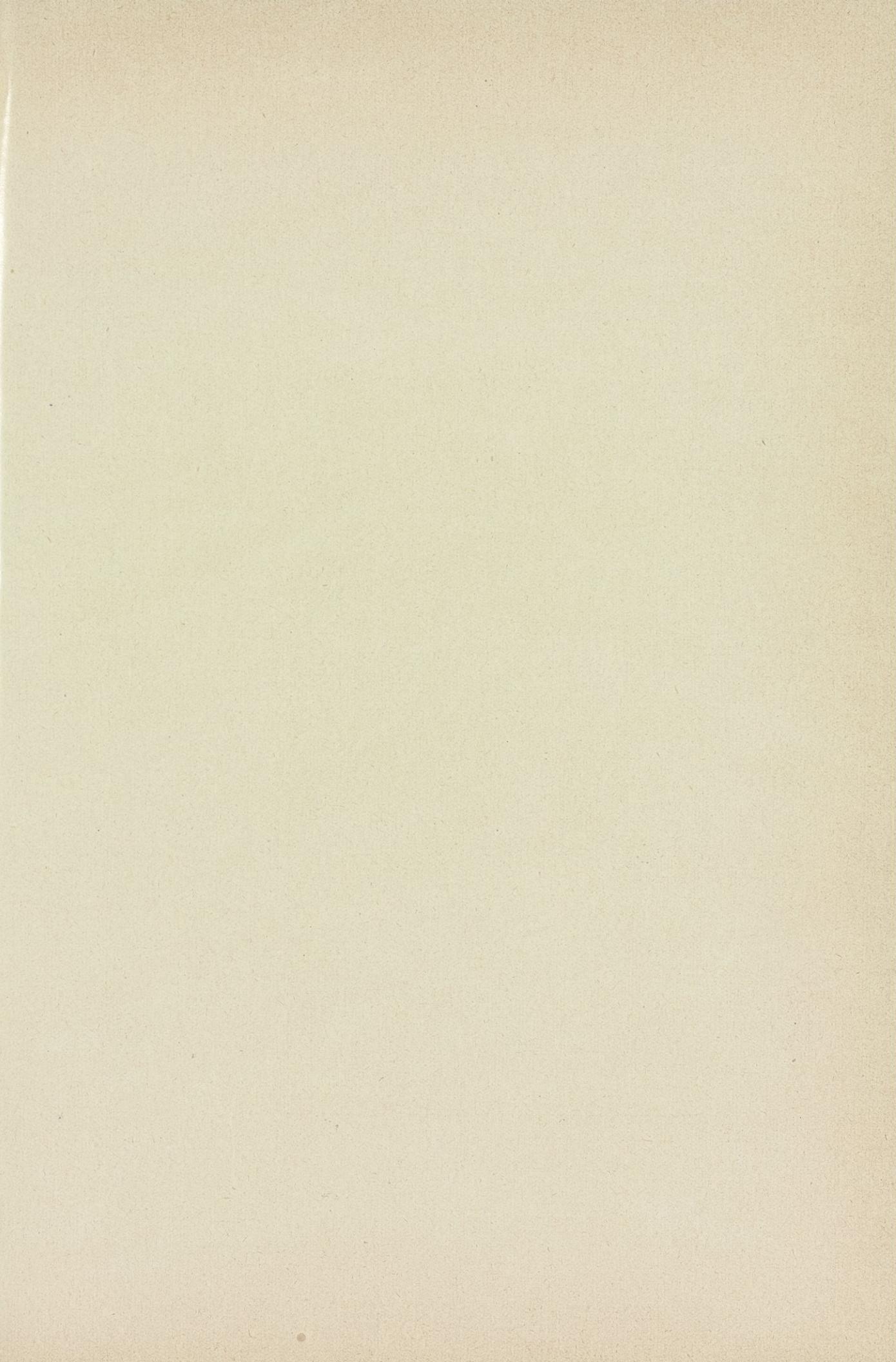
ولقد استقررنا الآت تقريرا في الراجف وفي لادو ولم يبق هنا في غندوكورو سوى حامية صغيرة . وان لادو احسن كثيرا من الوجهة الصحية ومتوافر فيها اشياء لا وجود لها في غندوكورو ففيها اخشاب كثيرة لوقود البواخر . ومازال رؤساء الأهالى يحضرون اليانا عاجهم وهذا شىء لم يكن معهودا في الزمن السالف .

وانى أرى نفسي سعيدا بأحاطتكم بأنى وطدت العلائق الحسنة مع قبائل « لوquier » Locquier فإذا حالفني النجاح في هذا السبيل اختصر الطريق بين غندوكورو و لاتوكا Latouka وأصبح الراحل يقطعه في ٤ أيام بدلا من عشرة كما هو الحال الآت إذ من الضرورى أن يرسم المسافر برا في طريقه من حينها كبيرا ابتغاء اجتناب جر عداوة تلك القبائل وانى كثير الرغبة في عقد وفاق مع أولئك القوم والغرض من ذلك شق طريق يذهب من بلدة لاتوكا وينتهى عند نهر سوباط . ولا ينبغى أن يتجاوز طول هذا الطريق سفر أكثر من ٦ أيام . ويجب أن يمر الخط التلغرافى المزمع إنشاؤه من هذه السكة .

وانى الآت أجز حملات للجنوب وتخامرني الآمال بأن تلك الحملات تكون على قدم الاستعداد للرحيل في القريب العاجل . وسأرسل احد المراكب الجديدة الى فويرا ل القيام بالخدمة بين هذه القرية و « أوروندوجانى » Urondogani وهذا الطريق اختبرها أميرالألائى لونج فوجدها صالحة للملاحة . وأوروندوجانى على مسافة لا تجاوز مسيرة ٣ أيام من سرای متيسا الذى سأوجه اليه الجواب والهدایا التي أرسلها برسمه

محطة « لادو » العسكرية عاصمة مديرية خط الاستواء





جناب الخديو . وسأعجل بارسال العالم الدينى مع المركب فيصل قبل
الجواب والمدايا .

وانى لم أشأ ان أرسله قبل الآن إذ ينبغي ان يصل عند متىسا بحالة
أفضل من حالة من سبقه من زوار متىسا - أعني الحالة المزرية التي وصل بها
سيك وغرات وأميرالألائى لونج .

ولقد كلفت المستر أرنست لينان (١) Ernest Linant بهذه المهمة .
وارنست هذا انضم الى وموکول له القيام بخدمتى الخاصة وهو شاب مشقق
ثقافه حسنة بديع الاسلوب . وبما أنه يتكلم اللغة العربية فلذلك يفضل
على من سواه في هذه المهمة .

وسأرسل المركب الحديد الثانى « والمركب الذى تكرم صاحب السمو
الخديو بتعيينه إذا أتى في الوقت اللازم » إلى الإبراهيمية « دوفيليه » ويقوم
بنخاطرى أنى قبل زمن طويل سأكون في حالة تكىنى من ان ارسل تغراضا
ل الجناب العالى أخبره به أن المراكب أقلعت قاصدة البحيرات . وانى في غير
حاجة ل كثير من الجنود كما بعثت لكم بذلك تغرافيًا - وإذا أحسنت
العواصر مسلكهم فإننا لانخشى أمرا من جانب الزوج » .

وانى أتعى لكم مع الاسف البكباشى كامبل بالخرطوم . وعلى ذلك
لم يسبق لدى من كبار الضباط غير أميرالألائى لونج . لذلك التمس من سمو
الجناب العالى ان يتكرم بالسماح لي بايقائه لدى حتى ولو بضعة شهور . وان

(١) — هو شقيق أوجست لينان ونجل لينان باشا المهندس الفرنسي المشهور الذى
ذكرناه آنفا .

هذا الضابط خدمى خدمات جليلة » .

وفي ١٥ ديسمبر سنة ١٨٧٤ أرسل الى القاهرة تقارير خاصة بـ ملاحظات علمية لاحظها الملازم وطسون وشيندل لغاية هذا التاريخ بشأن مرور كوكب الزهرة . وفي الخطاب الذى أرسله مع هذه التقارير كتب يقول : —

« إن المستر كوب ما زال مريضا . ومن جراء ذلك حدث بعض التأخير في تركيب البخارية إذ أن كوب هذا هو المهندس إلا أنه سيكون لدى قريبا المراكب الحديدية متأهبة للقيام بالخدمة .

وعندى الآن كمية وافرة من العاج وأملي وطيد أن أتمكن من دفع كل نفقات الادارة في المديريات وأن يبقى فوق ذلك لدينا شيء من المال زائدا » .

وكتب في حاشية هذا المكتوب يقول : إن « لاركوا » وهو من الرؤساء المحليين ما يشن الغارات على القبائل الخاضعة للحكومة فلذلك أقيمت القبض عليه وأرسلته إلى الخرطوم . وان هذا العمل كما يلوح أحدث تأثيراً حسناً في القبائل المجاورة ونال ارتياحاً عاماً .

وفي هذا الحين كان في استطاعة أميرالإلى غوردون أن يحرر بياناً بترتيبات مراكز الحكومة الواقعه على طول الخط الجنوبي النازل من الحدود الشمالية لغاية نيل فكتوريا .

والليك بيان المخطات الهامة .

١ — محطة نهر سوباط واقعة عند ملتقى نهر سوباط بالنيل . وعدد

حاميتها ٥٠ جندياً سودانياً نظامياً.

٢ — محطة نصر موقعها على نهر سوباط وعدد حامتها ١٠٠ جندي من
الدناقلة غير النظاميين.

٣ — محطة شمبي و عدد حامتها ٣٠ جندياً سودانياً نظامياً و ١٥٠
من الدناقلة غير النظاميين.

٤ — محطة مكراكا واقعة في بلاد المكراكا « نيم نيم » وعددتها ٢٠
جندياً سودانياً نظامياً و ٢٠٠ من الدناقلة.

٥ — محطة بور وعدد حامتها ١٠ جنود سودانية نظامية و ١٥٠
من الدناقلة.

٦ — محطة لاتوكا وعدد حامتها ١٠ جنود سودانية نظامية و ١٥٠
من الدناقلة.

٧ — محطة لادو « وهي المعسكر العام » وبها ١٨٠ جندياً سودانياً نظامياً
و ٥٠ جندياً مصررياً نظامياً.

٨ — محطة الرجاف وبها ٨٠ جندياً سودانياً نظامياً.

٩ — محطة الابراهيمية « دوفيليه » وبها ١٠٠ جندي من السودانيين
النظاميين.

١٠ — محطة فاتيكيرو وبها ٢٥٠ جندياً سودانياً نظامياً و ١٠٠ من الدناقلة.

١١ — محطة فويرا وبها ١٠٠ من السودانيين النظاميين و ١٠٠ من الدنائلة .

ووضعت الجيوش النظامية كلها تحت قيادة ضباطها انفسهم وبهذه الكيفية تمكّن هؤلاء بواسطة ما اكتسبوه من خبرة بأحوال البلاد وعادات قاطنيها ان يكبحوا جماح الدنائلة وان يحولوا دون تصرفاتهم القديمة مع الأهالى . والفضل في ذلك عائد الى وجود الضباط في النقط النظامية التي أسستها الحكومة فشعر الناس للمرة الأولى ان النظام قد استتب وشرع في تنفيذ منطوق القوانين في افريقيا الوسطى ..

ويعتبر خطاب غوردون الآسف الذكر خاتمة سلسلة التقارير الخاصة بعام

١٨٧٤ م .

النتائج التي أفضى اليها تولي غوردون حكم هذه الجهات

اننا اذا القينا نظرة على ما سبق وفكّرنا فيها كانت عليه الحال عند قدوم أميرالألای غوردون الى هذه النواحي أعني قبل ٩ أشهر ارتاحنا للنتائج التي حصلنا عليها في هذه المدة الوجيزه بل حق لنا ان نعجب وندعث .

والىك هذه النتائج : —

١ — رسم خريطة النيل الأبيض من الخرطوم الى الرجاف رسمها مصبوطاً ضبطاً تماماً .

٢ — إصابة النخاسة في النيل الأبيض بضررها قاتلة وهي ضربة لم يسبق لها نظير حتى أضحت هذه التجارة شديدة الخطر على من يزاولها للدرجة القصوى ولا فائدة ترجى من ورائها اللهم إلا فائدة تافهة إذا صادفها

حسن الحظ حتى ان أى تاجر عاقل مهما ترعت به شهواته الى ممارسة هذه التجارة لا يخاطر بنفسه في هذا السبيل طالما كان غوردون أو رجل آخر من عجیته مكلفاً هنالك بتنفيذ أوامر الجناب العالى بدقة تلك الأوامر التي تقضى بمنع النخاسة والغائها .

٣ - سيادة السلام وتوطيد الأمان وحلول الثقة بين الأهل إلى حوالي غندوكورو حتى أن القبائل التي كانت تناصب الحكومة أشد العداوة والبغضاء ولا تأمن الحكومة جانبها كلياً منذ ٩ أشهر لا أكثر فـ كانت تضطر أن تلتجأ إلى الخرطوم لتحصل على المؤن للجيش أو تشن الغارات على القبائل ، أصبحت الآن ترتع في بحيرة وحده من السلم والأمن جميعها فلا تناوىء أحداًها الآخر ولا تناصب الحكومة أية عداوة وصارت تأتي طائفة مختارة لتبيع في النقط ثيرانها وذرتها وعاجها .

٤ - الشروع بجد ونشاط في شق طريق بين غندوكورو والبحيرات الكبرى للملاحة والمضي في ذلك بخطوات واسعة .

٥ - فتح باب المواصلات مع متيسا وهو ذلك الرئيس القوى المسيطر على بلاد أوغندة الواقعة على صفاف بحيرة فكتوريا ولم يعد بعد هذا شك في الاتصال المباشر بين المجرى الآخذ من هذه البحيرة عند مساقط ريبون والمجرى الذي يصب في بحيرة البرت قرب ماجونجو إذ تحقق اتصالها ببعضها .

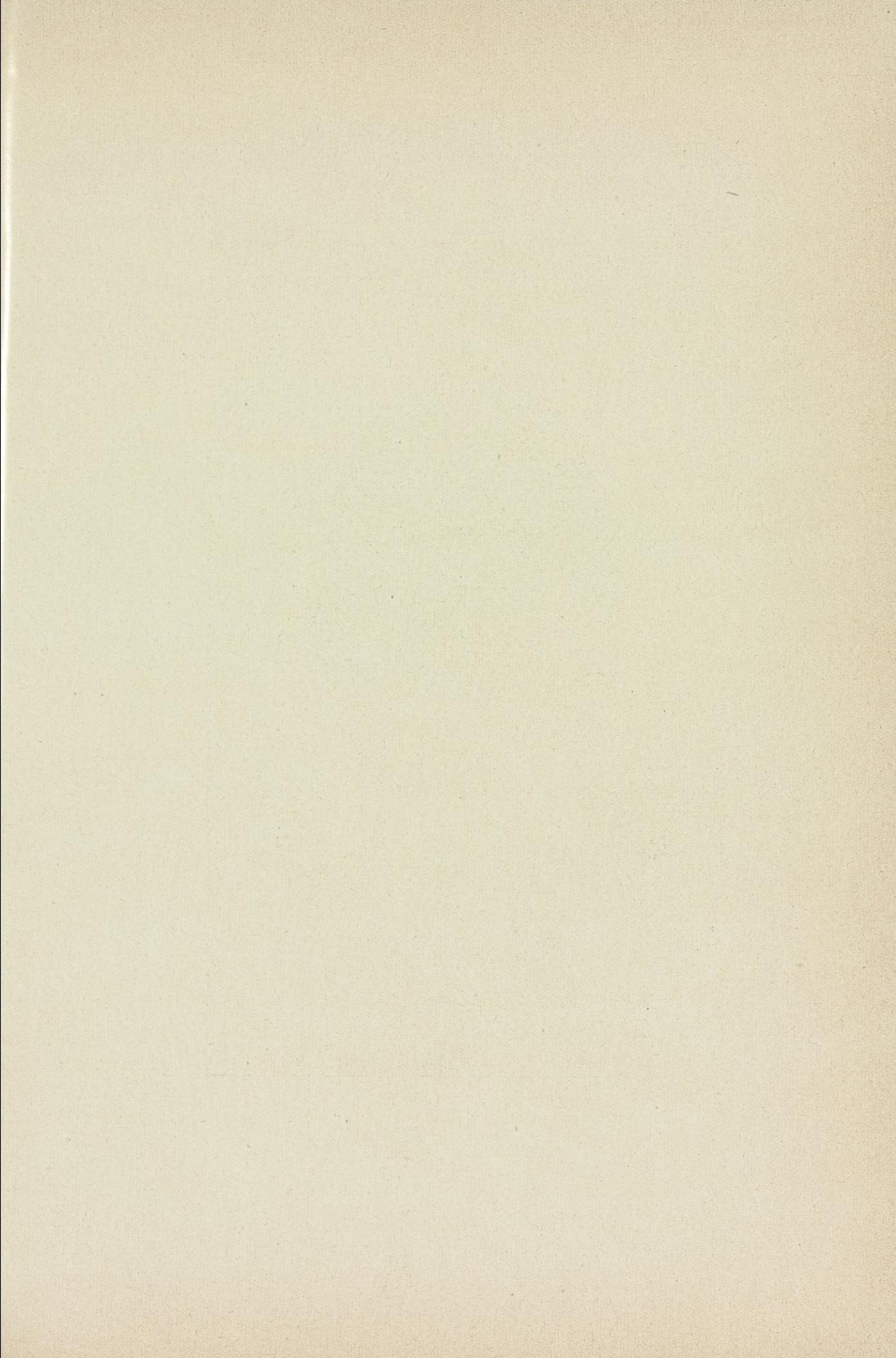
٦ - تشييد مراكز للحكومة في هذه الجهات وتنظيم أعمال هذه المراكز من أقصى حدود المديريات الشمالية إلى فويرا جنوباً وترتيب المواصلات بين النقط البعيدة والمطعة الرئيسية بطريقة مأمونة .

٧ - تجهيز المركبات الجديدة المعدة للترتيب والاستكشاف للشرع في
اعمالها عند ما تهل السنة الجديدة.

هذه هي أعمال تسعه أشهر وقد حازت ارتياح صاحب السمو
الخديو الذي تعطف وأنعم على أميرالألائى غوردون برتبة فريق وأرسل له
الوسام العمانى.



شالیمه لونج بک



١ — ملحق سنة ١٨٧٤ م

مأموريت القائم مقام شاليه لونج في أقليم أوغندا

من ٢٤ فبراير إلى ١٦ أكتوبر

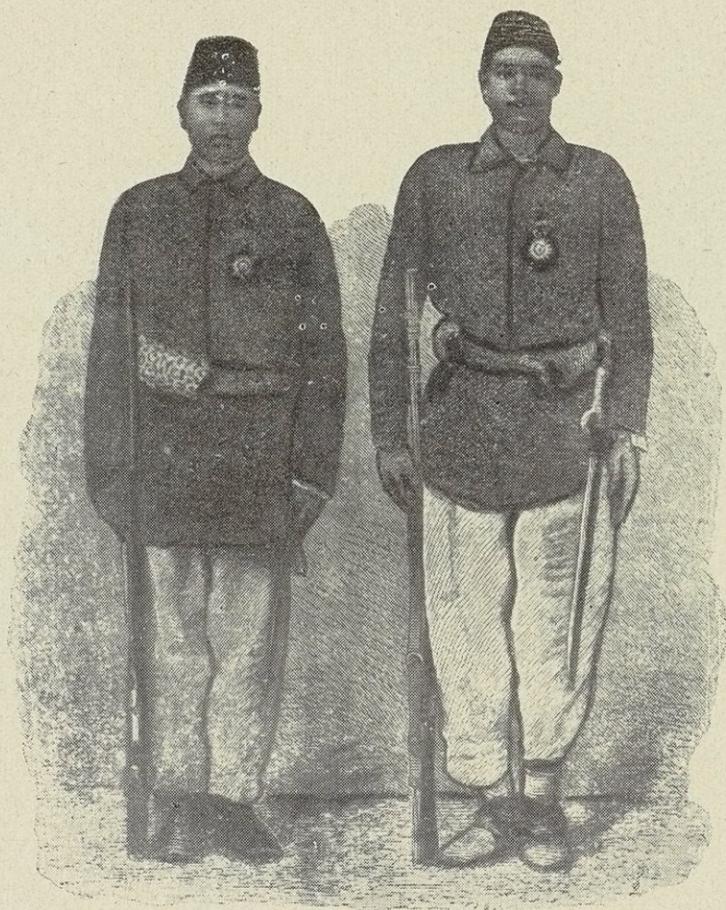
كلف الخديو اسماعيل القائم مقام شاليه لونج كما نوهنا بذلك سابقاً أن يقوم بِأموريَّة في أوغندا . وكانت هذه المأمورية سياسية أكثر منها عسكريَّة والغرض الحقيقى منها تمييد السبيل إما لضم هذا الأقليم إلى الديار المصرية أو وضعه تحت حماية هذه الديار . ففي ٢٠ أبريل سافر أميرالألائى غوردون إلى الخرطوم وألقى على عاتق شاليه لونج عهدة توصيل المدايا إلى متيسا وارتياز ذلك الأقليم في آن واحد .

وكان قد وصل إلى فويرا رسول من قبل متيسا يسمى أبا بكر يحمل هدايا برسم الخديو وخطاباً من الملك المذكور إلى سير صمويل ييكير . وكان الفصل مع ذلك غير موافق نظراً لاقتراب زمن الامطار إلا أنه لاح لشاليه لونج أن الفرصة مناسبة إذ تكنته من الاستفادة من مرافقة أبي بكر لهذا عند أوبرته إلى أوغندا .

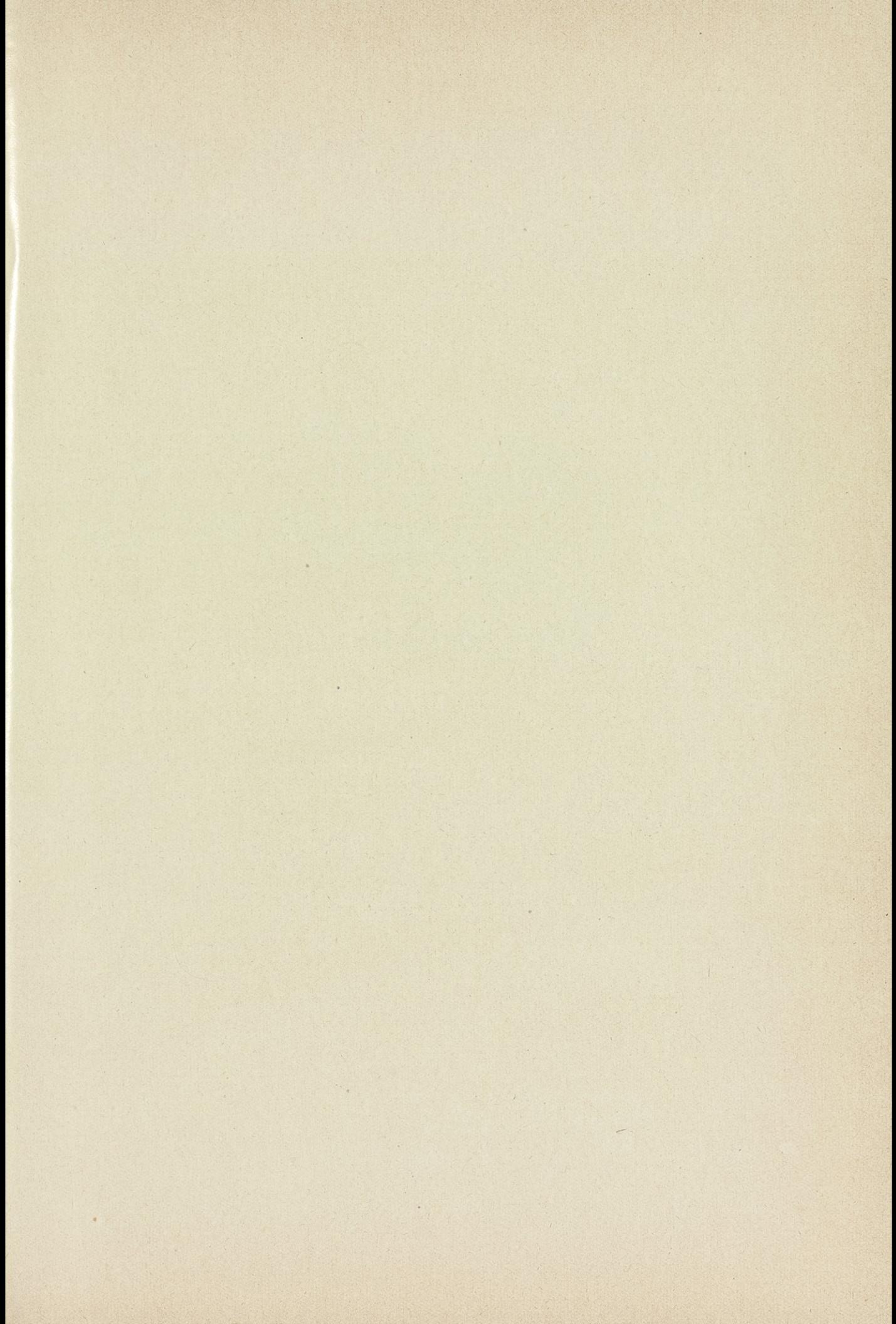
وبعد أن تزود لونج بتعليمات الحكمدار العام غوردون طلب من رعوف بك قائد حامية غندوكورو أن يعطيه حرساً . وبما أن الحالة تتطلب العمل باحتراس حتى لا تتطرق الريب والظنون إلى نفس متيسا تقرر أن لا يزود إلا بحرس قليل عدده وإن يكون هذا الحرس مؤلفاً من جنديين فقط حتى لا يشم منه رائحة حملة عسكريَّة وقع الاختيار على اثنين أحدهما يسمى سعيد

وانهز شاليه لونج فرصة إباب كتيبة عسكرية من غندوكورو الى فاتيكي مؤلفة من اثنين ملازمين ومن ٦٠ جنديا ومن سليمان ، وهو رجل من الدنائلة وقائد فرقه من العساكر غير النظامية ، و ٣٠٠ جمال فسافر معها الى هذه المحطة .

ثم عاودوا السير في اليوم التالي « ٢٥ منه » عند الساعة السادسة



إلى اليمين سعيد بقاره وبجانبه عبد الرحمن الفوراوي



والنصف وأخذ منظر الجهة يتحسن وسطحها يأخذ في الارتفاع شيئاً فشيئاً نحو الجنوب بكيفية ظاهرة . وعند الظهر عبرت القافلة خور الرملة وهو خور عمقه متر واحد ثم نزات في الساعة الثالثة في قرية مهجورة .

وفي ٢٦ أبريل انطلقاً في السير في الساعة السادسة والنصف وزاد في نظرهم منظر البلاد حسناً وأضحي جديراً برئاسة المصور وهذه الجهة تسمى بلاد ناشو Belad Nashou وأبدى شيخ الناحية روح الحبّة غير أن الأهل تعلقوا بأذىال الفرار وذلك بسبب ما عانوه من غارات الدناقلة فيما مضى .

وفي ٢٧ منه ارتحل المعسكرون في الساعة السادسة . وأصيب الملازم الذي يقود الكتيبة بمرض فأعطاه شاليه لونج شيئاً من العقاقير وعسكرت القافلة تحت هطل الامطار .

وفي ٢٨ منه شرعت في المسير في الساعة السادسة . وبعد مسيرة أربع ساعات تركت بلد البارين لتعمن في بلد الموجي . وفي الساعة الرابعة بعد الظهر بلغ مقدمة الكتيبة وجود جموع مختشدة من الأهل وأن هذه الجموع تتظاهر بالعداوة . وكان قد قتل في هذا المكان منذ عام ملازم وثلاثون جندياً بيد هؤلاء الأهل .

وما كاد المعسكر يأخذ أهليته والراس يستعدون حتى آتى إلى شاليه لونج خبر ذبح ثلاثة من الجنود كانوا قد جاؤوا حدود المعسكرون مخالفين بذلك أوامره . خفرج في ٢٠ جندياً إلا أن الأهل تشنّعوا أيدي سبا بعد بضم طلقات من البنادق . وبعد البحث عن جثث القتلى لم يعثر عليها ومع ذلك فقد قام الأهل بضيجة مزعجة رهيبة حول

العسكر فاضطر الجنود أن يظلوا طول الليل متأهبين بسلاحهم مستعدين للقتال .

وفي ٢٩ أبريل سافروا في الساعة السادسة . وقد أتعب رجال الموجي الكتيبة بالهجوم على جناحها اليسار وساقتها غير أن شاليه لونج أمر الجندي بعدم اطلاق النار معتبرا الغاية المقصودة نشر السلم لا المماربة .

وفي ٣٠ منه رفع العسكرية وكانت الأهالي ما زالت تتبع الجنود ومشت الكتيبة في أرض تكسوها الأشجار والخاشش العاليـة مدة ثلاثة ساعات وعند الظهر وصلت إلى « لا بوريه » وهي مستط رأس بعض الجبال فقدم ذووهم للتسليم عليهم وسلم والد أحد أولئك الجبالين على ولده بأن أمسك برأسه بين يديه وبصق على جبينه .

وفي أول مايو بدأت تسير في الساعة السابعة . وكان في عـدة سليمان سجين من أهالي تونس تسامـه من غـدوـكـورـوـ وـلـما رأـهـ وـقـعـ فيـ مـرـضـ تـرـكـهـ فـيـ عـدـةـ الشـيـخـ «ـ وـانـيـ »ـ Waniـ وـكـانـ هـذـاـ وـكـيـلاـ لـالـعـاجـ فـيـ هـذـاـ المـرـكـزـ .

وفي ٢ مايو هـمتـ لـالـرـحـيـلـ عـنـدـ السـاعـةـ السـادـسـةـ وـكـانـ الطـرـيـقـ كـثـيرـ الـمـنـحـيـاتـ وـالـنـعـرـجـاتـ يـمـرـ بـيـنـ اـدـغـالـ وـغـدـرـانـ . وـفـيـ السـاعـةـ الـواـحـدـةـ بـلـغـتـ الـقـافـلـةـ نـهـرـ أـسـواـ Asuaـ وـقـدـ عـبـرـتـهـ وـعـمـقـهـ مـتـرـ وـاحـدـ . وـقـالـ سـليمـانـ أـنـهـ بـعـدـ بـضـعـةـ اـسـابـعـ يـتـعـذرـ اـجـتـياـزـ هـذـاـ النـهـرـ خـوـصـاـ عـلـىـ الـاـقـدـامـ بـسـبـبـ هـطـلـ الـامـطـارـ وـقـدـ عـسـكـرـتـ الـكـتـيـبـةـ فـيـ السـاعـةـ الـثـالـثـةـ .

وفي ٣ مايو هـبـتـ تـسـيرـ فـيـ السـاعـةـ الـخـامـسـةـ وـبـعـدـ مـسـيرـ ثـلـاثـ سـاعـاتـ

وصلوا الى « أبودو » Appudo وهذا اتفصل سليمان بجيشه غير النظامي عن الكتيبة وولي وجهه شطر قابو Fabbo و فالورو Faloro .

وفي ٤ مايو شرعت الكتيبة تسير في الساعة السادسة . وكان منظر الناحية أشبه الاشياء بمنظرها في العشية . وكان السير بين الادغال والحسائش العالية صعبا عسيرا . وعند الساعة الواحدة والنصف عسكرت .

وفي ٥ مايو مات أثناء المسير اثنان من الحمالين المرافقين للكتيبة وبعض الذين كانوا عائدين الى أوغندا . وكانت أهالى فاتيكو أكثر الزنوج أمانة وخلاصا . وعسكرت الكتيبة في الساعة الثانية في ظل جبل « شوا » . وفي ٦ منه عند الساعة السادسة والنصف همت بالرحيل وبلغت فاتيكو في الساعة الحادية عشرة والنصف .

و مقابل أهالى هذه القرية مواطنهم وهم واقفون على الصخور بالترحاب والحماسة . واستقبلت الحامية المؤلفة من ٢٠٠ جندي سوداني شاليه لونج على باب الحصن وأدت له رسما واجبات التعظيم وحياته الضباط والجنود أحسن تحيية . وكان كثيرون من أولئك الجنود يحمل الأوسمة والشارات العسكرية التي أنعم عليهم بها جزاء خدمتهم في حرب المكسيك .

وكان القائد لهذه الحامية الصاغقول أغاسى عبد الله افندي الدنساوي وهو من الجنود الذين حاربوا في المكسيك وكان يحمل شارة « الایجيون دونور » التي نالها عند صدوره من باريس هو وآخرون غيره من الضباط حال عودتهم من الحرب المذكورة . وكانت هيئة ونظام أولئك الجنود على ما ينبغي وبالغين حد الكمال . وفي فاتيكو هذه انضم

سليم الى حاشية شالية لونج .

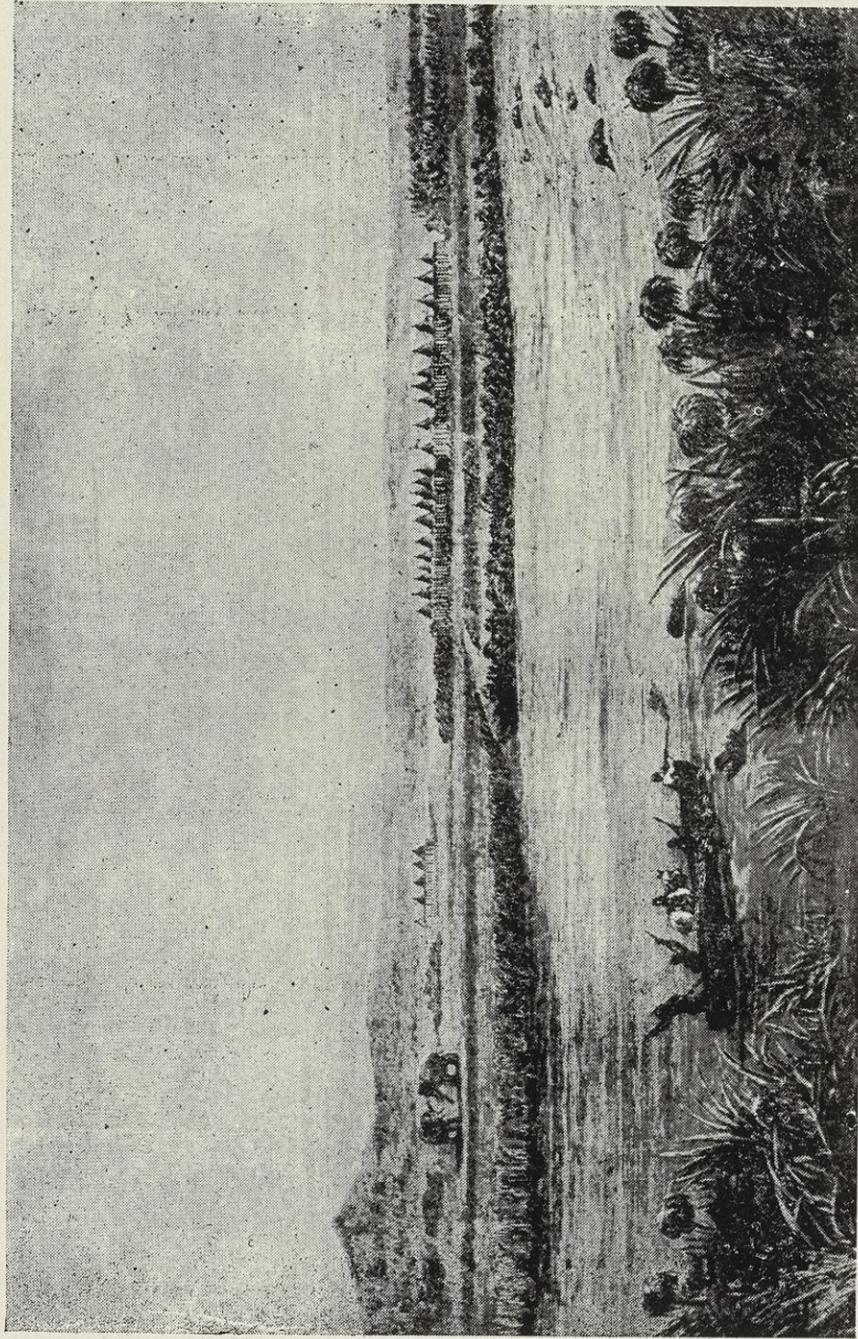
وفي ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ مايو لبث شالية لونج ومن معه ممن يتآلف منهم وفده الى متيسا مقيمين في فاتي~~يكو~~ للاستراحة من وعثاء السفر وليستروا قواهم ويستتموا معاداتهم في رحلتهم الخصوصية الى أغندة . وفي ١٢ منه سافر هذا الوفد عند الساعة الثامنة وراقهه واد الملك لغاية فويرا مع بعض جنود فاتي~~يكو~~ .

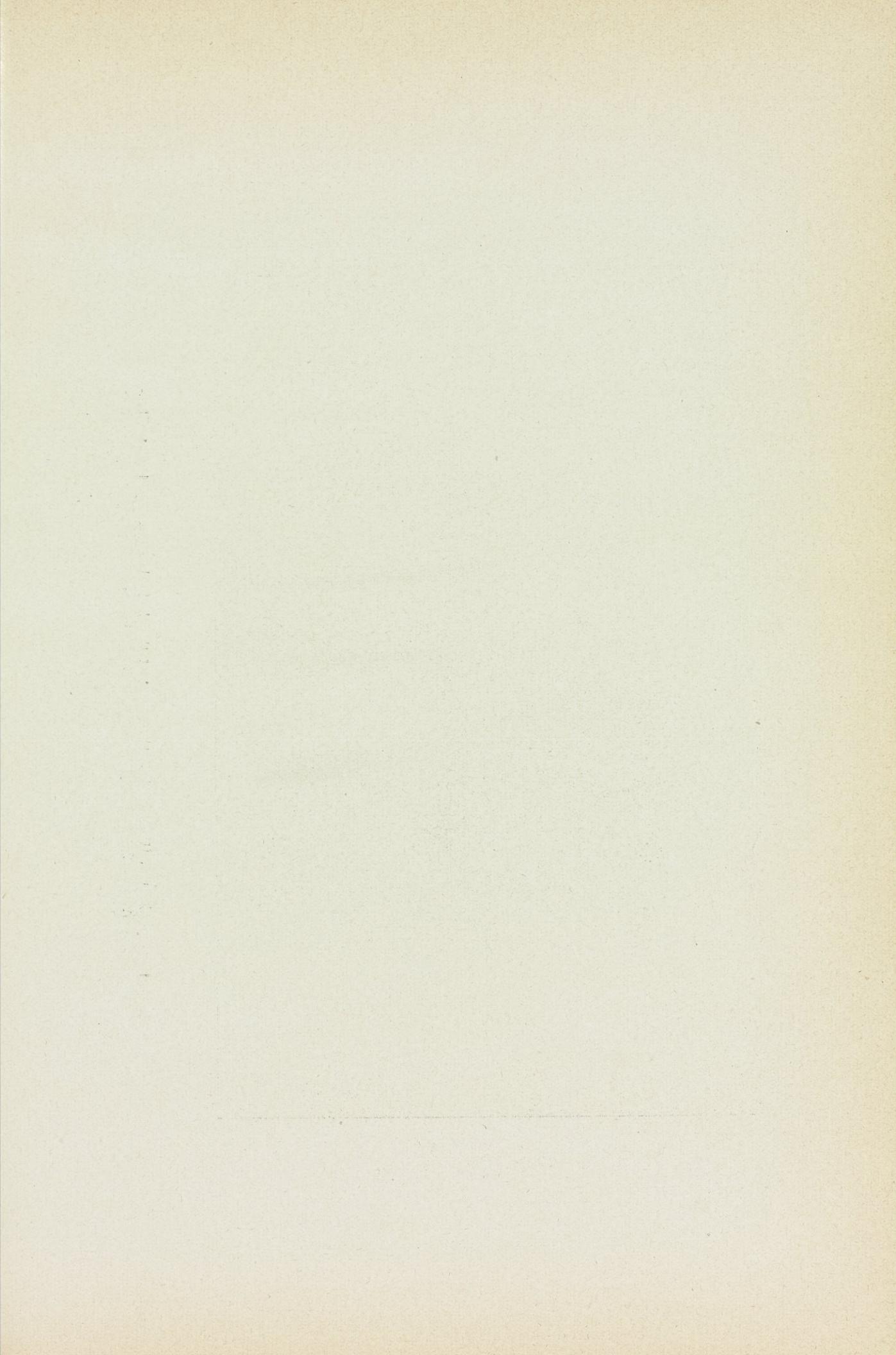
وفي ١٣ و ١٤ و ١٥ منه سار في جوف بلاد غير مأهول به كثير من المستنقعات . وفي ١٦ منه واصل سيره عند الساعة السابعة وفي الساعة الثانية مساء بلغ نيل فكتوريا تجاه فويرا . وكان اتساع هذا النهر في الموضع الذي ينبغي عبوره للوصول الى هذه المحطة زهاء ١٠٠ متر .

وقد قامت مصاعب في سبيل نقل حصان شالية لونج إذ لا يوجد هناك لعبور النهر سوى شبه زوارق وهي عبارة عن جذوع أشجار يحفر الجزء منها حتى يكون له جوف مثل الزورق ثم يرقوت مقدمه ومؤخره ويستعملونه للنقل والملاحة وأخيراً أدتهم الحالة الى تعطية عينيه ونزله في احد هذه الزوارق ووصله الى الشاطئ المقابل سليم .

واستقبال شالية لونج عند بلوغه محطة فويرا بنفس الحفاوة والتعظيم اللذين قوبلا بهما في فاتي~~يكو~~ من الحامية المؤلفة من ١٥٠ جندياً سودانياً نظامياً و٦٠ من الدنائلة غير النظاميين . وجميع هذه الجنود تحت إمرة الصاغقول أغاسي بابا تو~~كا~~ افendi الذي كان يحمل شارة « الاجيون دونور »

محطة فوراً ويرى أمامها في الطوف «المعدية» شاليه لونج وجواجه





هو وآخرون غيره من الضباط تلك الشارة التي حازوها لاشتراكهم في حرب المكسيك . وكان يحمل كذلك كثير من العساكر نياشين عسكرية أخرى . وكان المعسكر مثالاً في النظام والنظافة .

وقدم ريونجـا الذي كان فيما سلف ملـكاً ليزور شـاليةـه لونجـ. وهذا الملك خلعه من صرـوى مقامـه قديـماً مـلكـ أـونـيـورـوـ المـدـعـوـ كـراـزـىـ . وبعد وفـاةـ كـراـزـىـ استـمـرـ ولـدهـ وـخـلـيفـتـهـ كـبـارـيجـاـ يـقـاتـلـ رـيونـجـاـ حتـىـ اـضـطـرـهـ أـنـ يـأـتـىـ وـيـضـعـ نـفـسـهـ تـحـتـ حـمـاـيـةـ حـامـيـةـ فـوـيرـاـ وـانـ يـتـخـذـ لـهـ مـسـكـنـاـ فـيـ جـزـيرـةـ تـبـعـدـ زـهـاءـ ١٥ـ كـيـلوـمـتـرـاـ مـنـ هـذـهـ الـمحـطةـ .

وـقـضـىـ الـوـفـدـ أـيـامـ ١٨ـ وـ ١٩ـ وـ ٢٠ـ وـ ٢١ـ وـ ٢٢ـ وـ ٢٣ـ وـ ٢٤ـ مـاـيـوـ بـحـطـةـ فـوـيرـاـ وـفـيـ ٢٥ـ مـنـهـ تـحـركـ فـيـ السـاعـةـ التـاسـعـ وـالـخـذـ طـرـيقـهـ فـيـ السـفـرـ وـرـافـقـهـ الصـاغـقـولـ أـغـاسـىـ لـغـاـيـةـ كـسـمـبـواـسـ Kissemboisـ وـهـ مـحـلـ اـقـامـةـ رـيونـجـاـ الذـىـ أـكـرـمـ وـفـادـهـمـ وـاستـقـبـلـهـمـ أـحـسـنـ اـسـتـقـبـالـ . وـقـدـ قـضـىـ عـنـهـ شـاليةـهـ لـونـجـ وـمـنـ مـعـهـ يـوـمـىـ ٢٦ـ وـ ٢٧ـ مـنـ الشـهـرـ المـذـكـورـ .

وـفـيـ ٢٨ـ مـنـهـ اـمـتـنـعـ حـالـوـ أـبـىـ بـكـرـ عنـ السـفـرـ وـبـعـدـ مـنـاضـلـةـ سـاعـةـ مـنـ الزـمانـ أـجـبـرـهـ شـاليةـهـ لـونـجـ عـلـىـ مـتـابـعـةـ السـيـرـ وـمـشـىـ مـعـهـ الصـاغـقـولـ أـغـاسـىـ وـرـيونـجـاـ بـعـضـ مـسـافـاتـ ثـمـ اـسـتـأـذـنـاـ مـنـهـ وـرـجـعـاـ مـنـ حـيـثـ أـتـيـاـ . فـأـصـبـحـ شـاليةـهـ وـحـيدـاـ مـنـفـرـداـ مـعـ جـنـودـهـ الثـلـاثـةـ وـرـفـاقـهـ الآـخـرـينـ وـكـانـ الـطـرـيقـ مـارـةـ بـيـنـ غـابـاتـ وـأـشـجـارـ مـوزـ وـالـبـلـدـ سـطـحـهـ مـسـتوـ مـبـسوـطـ .

وـفـيـ ٢٩ـ مـنـهـ قـدـمـ الـجـالـونـ مـرـةـ أـخـرىـ أـعـذـارـاـ بـقـصـدـ اـعـفـاءـهـمـ مـنـ مـتـابـعـةـ السـيـرـ وـاـضـطـرـ شـاليةـهـ إـلـىـ اـخـضـوعـ لـأـجـابـةـ هـذـاـ الـطـلـبـ . وـلـاحـظـ أـنـ

حملى أو غندة يعدون في مقدمة كسائل العالم بأسره وينبغي أن يكون هو ومن معه بعزل عنهم وان استخدام الجنود والبغال لنقل الأئمدة خير من استخدامهم .

وفي ٣٠ مايو أمطرت السماء فكان الطريق أشبه بالمستنقعات . وبعد مسیر سبع ساعات ونصف ساعة حط الوفد رحاله وأخذ يبحث عن ماء للشرب فلم يجد إلا ماء آسنا . وفي ٣١ من الشهر المذكور أخذ في السیر وعند الظهر مر بجهة مرولي .

وفي ١ و ٢ و ٣ و ٤ يونيو أكرهوا على الوقوف والإقامة لأربع أصيروا بالجحى ومن بينهم شاليه لونج . وعند ما علم متىسا بقدمهم أرسل يستحث أبا بكر على الجحى بسرعة .

وفي ٥ منه تابع الوفد سيره غير أنه بعد مسيرة ساعتين طلب من شاليه لونج جميع رفاقه أن يحطوا رحالهم فأجاههم إلى مطلبهم لذا أن ابراهيم افندى لم يزل مريضا هو وكباره وآدم واضطر شاليه لونج أن يجهز طعامه بنفسه .

وفي ٦ منه ساروا خمس ساعات تحت أمطار منمرة مدرارة . وفي ٧ منه أخذوا طريقهم عند الساعة السابعة وعند الساعة العاشرة صباحا وقفوا بسبب هطل الأمطار التي حولت سطح الأرض إلى مستنقعات حتى كانت حواف الحصان تنزلق في كل خطوة .

وفي ٨ منه سافروا في الساعة الثامنة وواصلوا السير لغاية الساعة الثانية مساء . وكانت أهالى البلاد كلها دنوا منهم فروا من وجهوهم تاركين

أكواخهم . وكانت هذه البلاد أكثر عمارة بالسكان ويستدل من ذلك أن الوفد أضحي على مقرية من أوغندة والارض التي كان يسلكها أرض محایدة بين هذه البلاد وبلاد أونيورو .

وفي ٩ يونيو حمل متاعه عند الساعة السابعة وواصل السير لغاية الساعة الحادية عشرة صباحاً . وكان عندئذ في أرض أوغندا . وأغار الشيخ موراكو Morako على قرية مأهولة بـ ٣ وابعه ورجع رجوع الظافر ووجهه ٣ عينات و ٣ خراف و ٣ كلاب و ٣ نساء . وقد علم شاليه لونج من هذا الشيخ ومن سليم أن ميسا صرح للمتونحولين Mtongolis أى المشايخ بهذا تميزا لهم .

قدم الاستعداد لزيارته .

وفي ١٢ يونيو لبث شاليه لونج في مكانه متظراً قدوم الكاهو تا وفعلاً أتى هذا وزاره وقال إن متيساً أعد له داراً وأقام له أفراحاً كثيرة.

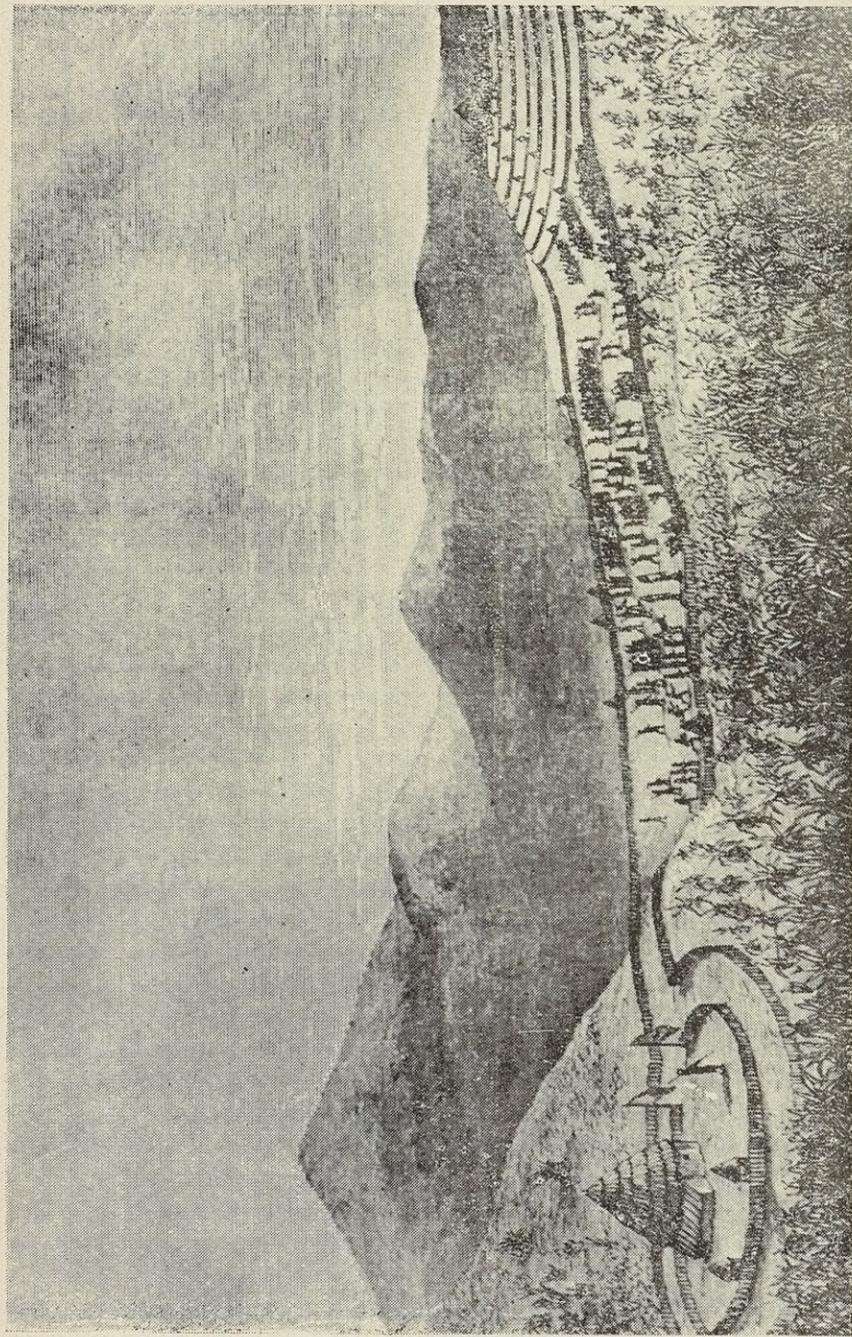
وفي ١٣ منه قامت أدلة على رياء ابراهيم افندي الترجمات وخياناته فألقى القبض عليه وقرر أن يظل في زريبة موراً كـ Morako الى ان يتسلّك من رساله الى فويرا . وفي ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ منه لم يتحرك الوفد من مكانه إذ ان جميع افراده كانوا مصابين بالحمى .

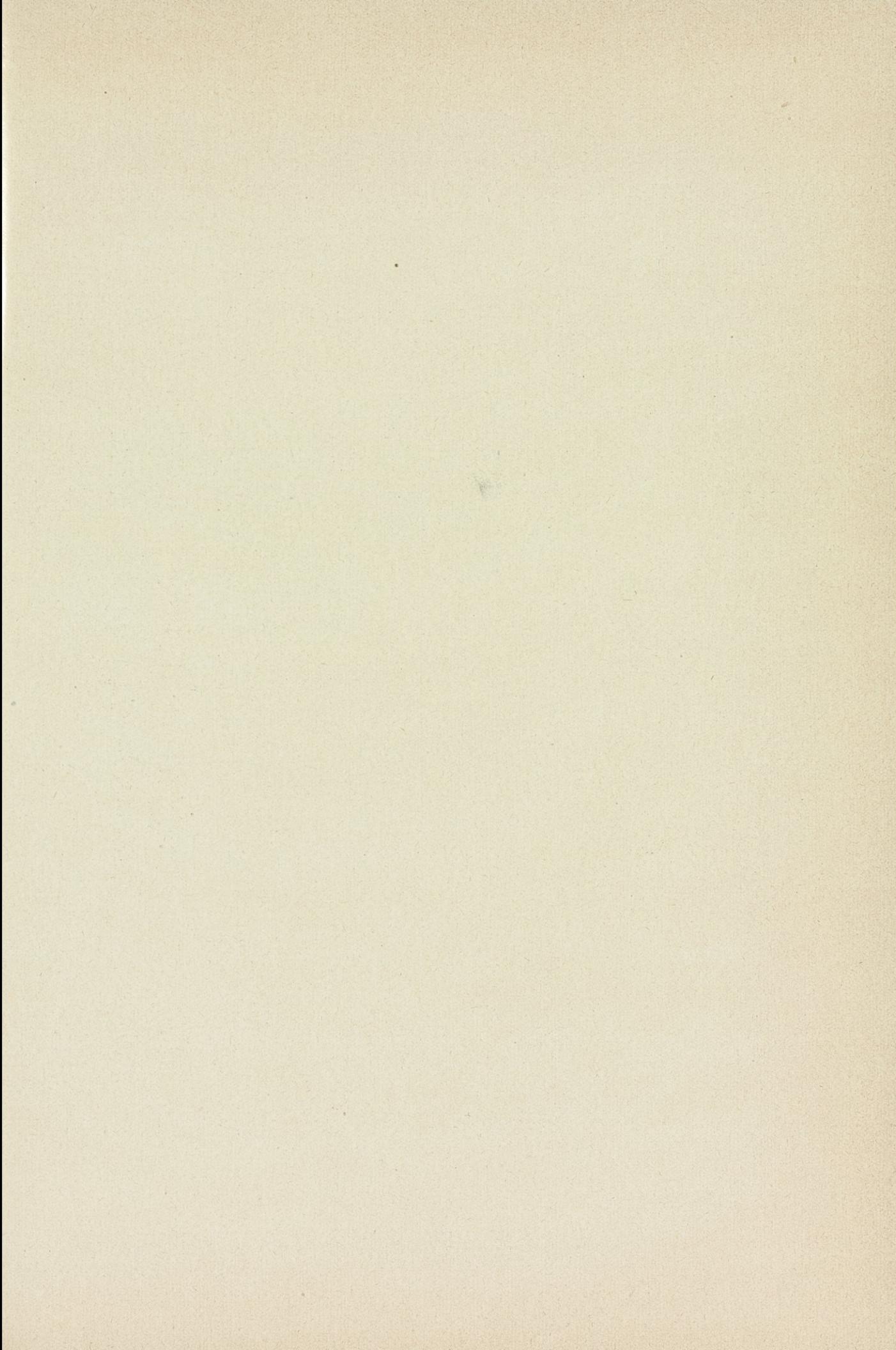
وفي ١٨ منه انطلق في المسير عـند الساعة السابعة . وقدمت رسـل من قبل مـتيـسا لـحـثـ الـوـفـدـ عـلـىـ سـرـعـةـ الـقـدـومـ لـأـنـ مـتـيـساـ كـانـ شـدـيدـ الرـغـبـةـ لـأـنـ يـرـىـ الرـجـلـ الـأـيـضـ أـيـ شـالـيـهـ لـوـنـجـ . وـفـيـ السـاعـةـ الـهـاـشـرـةـ وـالـنـصـفـ وـصـلـ الـوـفـدـ إـلـىـ طـرـيقـ وـاسـعـ عـرـضـهـ ٢٥ـ مـتـراـ وـهـذـاـ طـرـيقـ غـاـيةـ فـيـ النـظـافـةـ يـوـصـلـ إـلـىـ قـيـمةـ تـلـ مـشـرـفـ عـلـىـ مـنـظـرـ شـيـقـ فـاـخـرـ مـمـتدـ اـجـمـاهـ بـحـيـةـ فـكـتـورـيـاـ نـيـازـاـ . وـلـاـ كـانـ الـمـطـرـ قدـ أـخـذـ يـهـاطـلـ حـطـ الـوـفـدـ رـحـالـهـ فـيـ السـاعـةـ الـحـادـيـةـ عـشـرـةـ .

وفي ١٩ منه سافر في الساعة السابعة . وكانت الارض التي يجتازها
كثيرة المرتفعات والانخفاضات والطرق لا بأس بها . وفي الساعة التاسعة
بلغ ذروة تل تطل على النواحي التي حوله وهى نواح يأخذ منظرها
بالأباب لعظم جماله وبهائه . وقد أقام الوفد في هذه الجهة عند
منتصف النهار .

وفي ٢٠ منه سار في الساعة السابعة وكان متزرعا على حافتي الطريق

قصر متنسا ملك أونده ويرى أمير الالاى شاليه لونج بان وهو متوجه ازیارت
فی يوم ۲۰ یونیه سنّة ۱۸۷۸





مزوز فيخرج منه جموع كثيرة من الخلق رجالاً ونساء وأولاداً ليتمتعوا أنظارهم بالرجل الأبيض والحصان ذلك الحيوان الذي لم يسبق لهم رؤية نظيره. واستقبلتهم في أسفل الجبل شرذمة مؤلفة من ٢٠٠٠ رجل متشحين بأغرب الملابس وكونوا حرساً خلف شاليه لونج وأعضاء الوفد. أما الكاهوتاه فكان يمشي إلى الإمام يتقدمه علم أوغندة منشوراً.

وبهذه الكيفية كان الوفد في المقدمة. وأخذ أعضاء الحرس يقفزون ويسبون ويطلقون الأعيرة الناريه إلى أن بلغوا ذروة تل حيث يوجد قصر أم الملك وهناك وقف الجمع وتلقى شاليه منها التحيات وقابلها بمشها.

واستمروا في السير وبعد ساعتين تقريراً وصلوا إلى قمة تل آخر يرى منها على بعد مسافة ٥٠٠ متر تل آخر وعلى هذا التل أقام متيساً قصره. وقدم رسول من قبل هذا الملك وارتقاً على أقدام شاليه لونج ورجعوا به نيابة عن ملوكهم ورجوه ان يأتي ويطلع الملك على الحصان الذي يركبه فأخذ يجري بحصانه في اتجاه القصر إلا أنه لما رأى أن ذلك يرهب الملك ويرهب الجمع احتشد حوله عدل عن ذلك وآب إلى رفاقه.

ورافقه بعد ذلك المتوجوليون Mtongolis إلى الدار التي أعدت له وأرسل له الملك هدايا. وقد قطع المسافة من غندو-كورو إلى هذا الموضع في ٥٩ يوماً.

وفي الغد «٢١ يونيو» آتى رسول من قبل متيساً ليصحب شاليه لونج إلى القصر. وكان العلم المصري يرفرف فوق داره فليس شاليه كسوة التشريفة الكبرى وانطلق هو وأبو بكر والجنديان سعيد وعبد الرحمن وسليم إلى

وقد وجه شاليه لونج كلامه الى الملك قائلاً إنه قد بذلت
غندوكورو من قبل سلطان مصر الاعظم ليسلم على ملك افريقيا العظيم
وليعرب عما يكن له في قلبه من خالص الود فقبول هذا الخطاب بصيحات
الفرح من جميع الحاضرين قائلاً : كورنجي !! كورنجي !! ومعنى ذلك :
حسنا !! حسنا !! والمسوبحون يرددون خروا ركعاً وحيثما مشتبك الآيدي
صارخين : يازج !! يازج !! أعني يشكرون متىساً لأنَّه أحضر لهم أميراً بلغ
نهاية العظم ويعنون بهذا الأمير شاليه لونج .

وانتهى الاستقبال عند هذا الحد فهض شاليه لونج وهم بالانصراف إلا ان متيسا ألح عليه طالبا منه ان يريه نساء الملواتي يبلغ عددهن مائة فصحبه الى داخل القصر وأحاط به أولئك النساء وأخذن في فحص كسوته وزخارفها المذهبة . وبعد هذا أطلعه على جميع غرف وقاعات القصر وكانت نساؤه يتبعنه اثناء ذلك . وعند ما تم هذا استأذن من متيسا وانصرف الى داره .

وقد وقع الاختيار على يوم ٢٢ يونيو لتقديم المدايا . وأتى رسول من قبل متيسا عند الساعة الثامنة صباحا ليخبر شاليه لونج بأن الملك متضرر قدومه بفارغ الصبر فامتنى الجواب بعد أن لبس كسوة التشريفية الكبرى ومشي وخلفه حاشيته الى القصر .

وأخذ أبو بكر على عاتقه حمل المدايا بصفته رئيس تشريفات الملك . وعند ما وصل شاليه الى القصر قابله الملك في الحال وهو واقف وأجلسه على الكرسي الذي قعد عليه بالأمس . واستحضرت الصناديق التي بداخلها المدايا . وأمر أبا بكر بأن يضعها بجانب بعضها عند اقدام الملك وان يفتحها . وكانت تحتوى على أنسجة قطنية وأنسجة أخرى ذاتألوان قرمزية وبصمة وعقود وفتیخات « دبل » وأساور ومرآة كبيرة مذهبة وصندوق بداخله موسيقا واصناف أخرى كثيرة . فقوبلت كل هذه الأشياء بفرح شديد ولكن الشيء الذي وقع في نفس متيسا موقع الاستحسان العظيم بصدقية تعبأ برصاص ينفجر فقال لشاليه : حقا إنك لرجيل عظيم حتى أنك أتحفني بصدقية من طراز بدقتك . ألا يكفيك أن تقتل كباريحا إكراما خاطرى ؟ وهذا الموضوع كان يخلو له أن يردده والسبب في ذلك عداوة قديمة توارثها

بحكم التقليد ملوك أونيورو وأوغندة - فأجابه شاليه لونج بأنه يلزمها قبل أن يقدم على ذلك أن يستأذن باشا غندوكورو .

ثم صحووا بعد ذلك بعشرة أيام بالطريقة عينها التي فعلوها بالأمس وعندئذ استأذن شاليه لونج من الملك وانصرف في الحال ونفسه تتقرز من هذا النظر الشنيع .

وقد أقام شاليه لونج في ضيافة متيسا لغاية ١٤ يوليه . وكان يقابلة يوميا ولا يختلف عن زيارته إلا في الأيام التي يكون فيها مريضا وكان يعرب له أثناء تلك المقابلات عن رغبته في زيارة البحيرة فكتوريا نيانزا ومنها يعود إلى غندوكورو بطريق النهر .

فقبول هذا الطلب بعدم الرضا من جانب الوزراء وما ذلك إلا لأنه يرى على قلوب هذا الشعب اعتقاد فاسد فهم يتخيرون أن صفة البحيرة المقابلة لصفة بلدتهم مأهولة بالشياطين وأن أولئك الخلوقات مكلفة بحراسة مائها ، وأنهم كثيراً ما أمسكوا بآنس من أهالى أوغندة وأهل كوم . وبعد الحاح كثير آل الأمر بالسماح له بزيارة البحيرة وأبي الملك أن يصرح له بالعودة بطريق النهر بحججه أن النهر لا يتصل بمرولى كما يظن شاليه وأنه اذا قتل فسلطانه يأتي الى متيسا ويقتله أيضا .

وفي عشية يوم السفر ذهب شاليه لونج وودع متيسا وشكره على ما أولاه من العناية وحسن الرعاية . وأمر لونج كلرمان Kellermann وآدم أن يتوجهها رأسا الى أوروندو جانى ومعها الأئمة والجنود الذين زودهم الملك بهم وينتظروه هناك حتى يفرغ من عبور البحيرة ويصل الى الشاطئ

الشرقى ثم يولي وجهه بعد ذلك نحو الشمال ليذهب الى أوروندو جانى بطريق النهر غير أن هذه الترتيبات تعذر تنفيذها .

وفي ١٤ يوليه أخذ شاليه لونج سبيله موليا وجهه شطر البحيرة فبلغها بعد مسيرة ٣ ساعات . وهنالك يرى الإنسان من قمة راية مشرفة على خليج مرشيزون بحيرة فكتوريا نيانزا وماءها الرائق الصافى الهادئ الشبيه بساط من اللجين يعكس على صفحاته أمواج من الضوء فيتلاأل ذلك الماء تحت وهيج شمس الجنوب .

أتى المتونجولى « وهذا هو أمير البحيرة » ومعه ٤٠ زورقا وبكل زورق ٢٠ مجدا هذا عدا الموسيقيين والطبالين . وأمر شاليه لونج سليمان أن يقيم في هذا الموضع ؛ أيام ومعه الجواد وقال انه إذا لم يعد اليه عند نهاية هذه المدة فعليه أن يرجع الى متيسا ومن هنالك يتوجه الى أوروندو جانى وفيها يتظره مع الآخرين . وفي الساعة الخامسة أبحر مع الجنديين سعيد وعبد الرحمن وبعد أن ساروا مدة ولوا وجوههم شطر رأس واقع على الضفة الشرقية حيث قضوا ليتهم .

وفي ١٥ منه صباحاً بكرروا بالسفر وكانت صفحات الماء تلمع كالمراة وظهر من سبر غور الماء أن عمقه يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ قدماً . وحاول شاليه لونج عيشاً أن يحمل المتونجولى على عبور البحيرة لأن متيساً أسر اليه أن لا يفعل ذلك فاضطر أن يغفيه راضياً من الغنيمة باللاب قبيل الغروب فوصلوا الى مدخل خليج مرشيزون حيث قضوا ليتهم .

وفي ١٦ منه أبحروا في البكور ووصلوا الى محل الذى رحلوا منه يوم

١٤ وهو الموضع الذى أسر سليمانً وأن ينتظره فيه ومعه الجواب . وعاد منه موليا وجهه شطر متيسا فوصل عنده فى العشى .

وفي ١٧ يوليه بعث له متيسا بتحياته ووعده بأن يمده بمحالين غدا غير أن هؤلاء لم يأتوا في اليوم الموعود . وقضوا هذين اليومين في اعداد معدات العودة .

وفي ١٩ منه قدم الحمايون . وقام الوفد بعد أن ودع متيسا الذي أطل عليهم من باب قصره تكتفة نسأوه وكان اليوم مطراً . ومن ٢٠ منه إلى أول أغسطس أعنى التاريخ الذي وصل فيه الوفد إلى أوروندو جانى عانى شالية لونج صعوبات جمة من الحالين حتى انه أجبر مراراً أن يقف عن السير ويخابر متيسا بفاء الرد بأنه يقطع رأس كل الذين يعصون أوامره .

وكانت خطة شالية لونج ان ينحدر مع النيل في زورق من أوروندو جانى إلى مرولى وربما إلى فويرا .

وفي ٢ أغسطس طلب من المتونجولي الذي كان مرافقا له ان يحضر المراكب اللازمة فأجاب هذا بأن ليس لديه مراكب وان من اللازم الانتظار .

وفي ٣ منه قدم متونجولي آخر من قبل متيسا وكان لدى هذا أمر باستحضار المراكب . وفي ٤ منه قضى الوفد ذلك اليوم في معسكره فلم يتحرك منه . وفي ٥ منه بارح الوفد أوروندو جانى مع المتونجولي وأقنع هذا شالية لونج بأنه مع متابعة السير حذاء النهر الذى كان في ذلك الوقت صالح لسير السفن توجد مراكب حسنة .

وسار الوفد مع مجرى الماء وعنـد الظهر دخل في فضاء رحيب صريح
الشكل يتحقق فوقه علم أوغندا . وهذا المكان هو المركز العام لقيادة
الأسطول النهرى .

وفي ٦ أغسطس زار الأميرال شاليه لونج ووعده بأن يحضر له مراكب غداً وأعطى لونج أوامر لسليم بأن يسير بحصانه بمحاذة النهر على قدر استطاعته ثم يذهب إلى مرولي وينتظره فيه مدة ثلاثة أيام وفي حالة عدم قدومه يتوجه إلى فوراً ويبلغ الضابط المتولى قيادة هذه المحطة لكي يأخذ الاحتياطات التي تتطلبها الحالة.

وفي ٧ منه كانت أربعة مراكب واقفة ومتاهبة لنقلهم فنزلوا بها
ورافقهم المتونجولي وكان الماء عميقاً صالحاً لأن تختر فيه البوادر الكبيرة.
فأبحروا وقتاً وإذ بهم يرون مركباً كبيراً مشحوناً بالرجال يقترب منهم . وسائل
أولئك الرجال شاليه ومن معه : من أنتم وأين وجهتكم ؟ ولما رأوا أنهم لم
يحصلوا على جواب شاف انصرفوا .

وصرح المتونجولى ورجال الحرس بأئمهم بلغوا المنطقة المحايدة بين أونيونورو وأوغندة وعلى ذلك لا يستطيعون محاوزة هذا الحد . وأن المركب الذى دنا منهم هو من ممتلكات كبار يجا . ثم قال المتونجولى ان الاصوب هو الدنو من اليابسة لطلب الترخيص بالمرور فقبل شالية أن يعمل بهذا الرأى واقترب الفلك من الشاطئ وحط الوفد رحاله وندب شخصا لاقيام حامورية طلب الرخصة .

وفي ٨ منه انتظروا الجواب طول اليوم ولما لم يرد قرار شاليةه لونج

متابعة السفر في الغد . وفي ٩ أَغْسَطْس أَقْلَعَ هو ورفاقه في ثلاثة مراكب في الساعة الثامنة وتركوا المتونجـولي ورفاقه و قطر أحد المراكب المركبين الآخرين . وظلت المراكب الثلاثة تسبح بهم إلى الساعة الخامسة وفي هذا الوقت لاحت بوادر عاصفة فرسوا على الضفة ليقضوا عليها الليل . وهنا استغنو عن أحد المراكب وتركوه .

وفي ١٠ أغسطس أبحروا في الساعة السادسة . وأتى بعض الأهالي لزيارتهم غير أنهم ما لبשו أنف فروا واختفوا . وهطل المطر طول اليوم ولم يتمكنوا من الدنو من البر فقضوا ليتهم في جوف المركب .

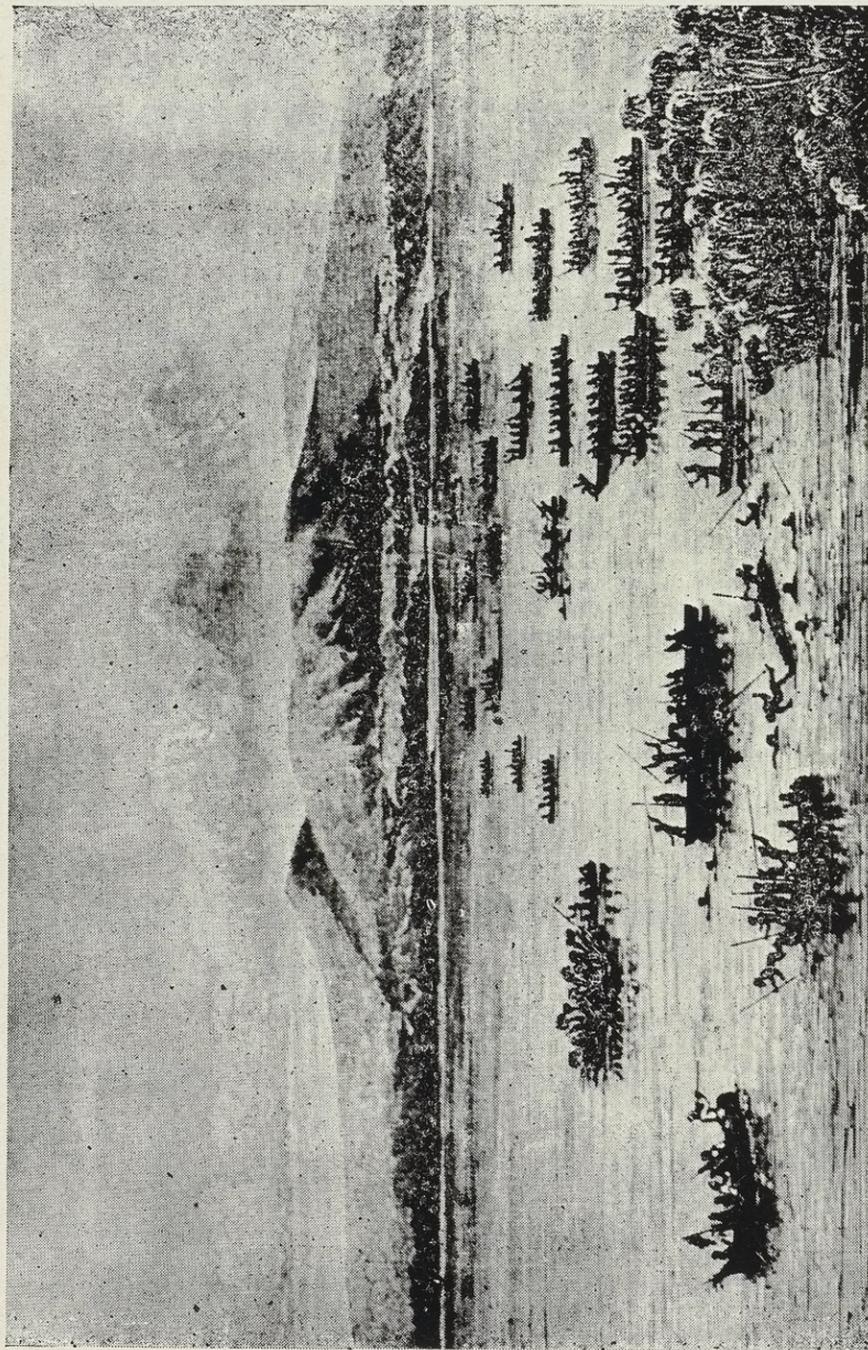
وفي ١١ منه أقفلت ب لهم المراكب في الساعة الرابعة وعند الظهيرة دخلوا في بحيرة وبعد أن ساروا فيها بعض الوقت صادفوا جزيرة عائمة مكونة من بذلة مائية وفوقها كوه مصنوع من الخيزران يسكنه بعض الصيادين . واستمروا في سيرهم ولما لم يتيسر لهم الاقتراب من البر قضوا ليتهم في المراكب .

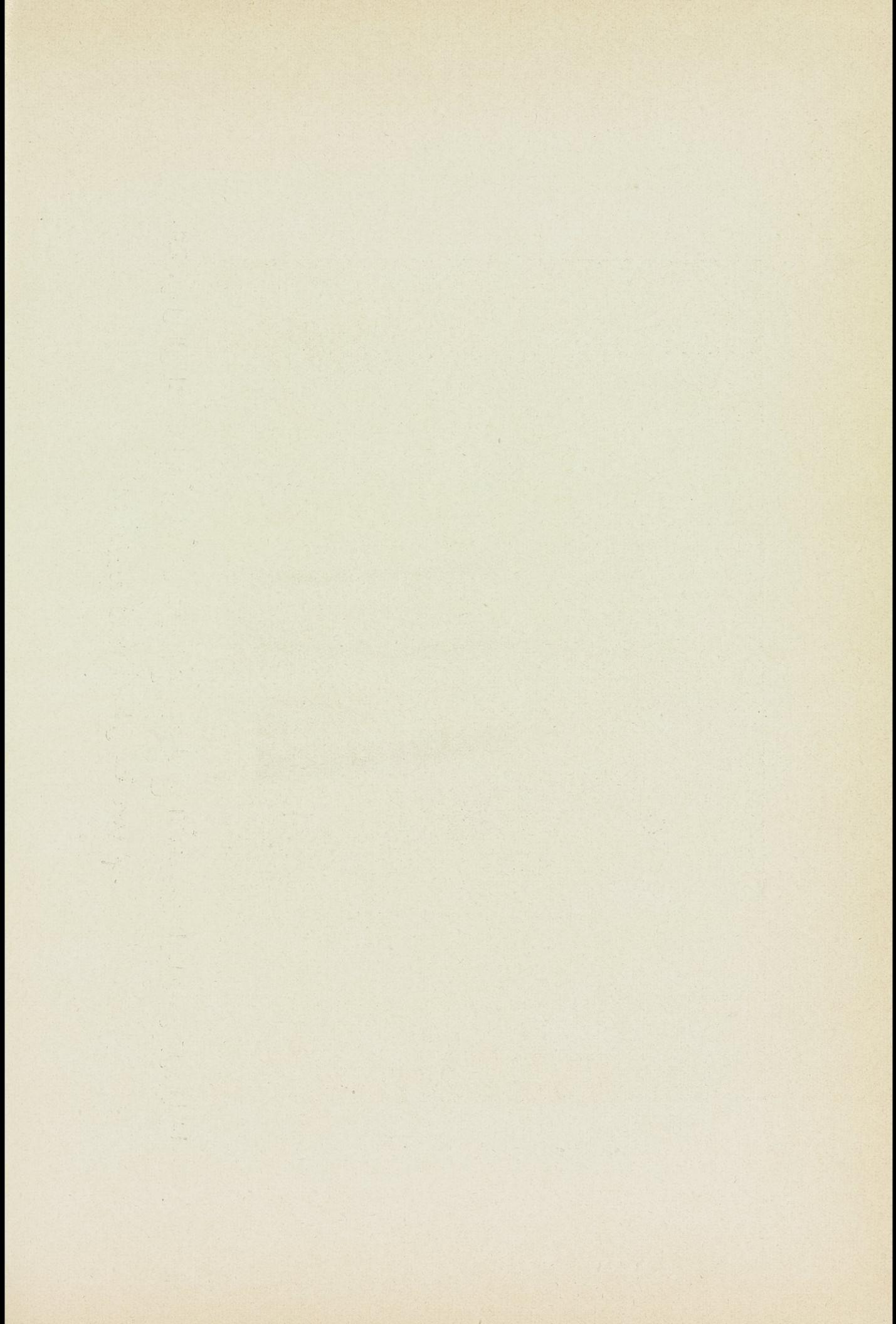
وفي ١٢ منه ألقعوا عند الساعة الخامسة مستعينين بالمجاديف حتى المساء . وبعد كثير من الجهد والعناء رسوا على البر وأقاموا تحت هطل الأمطار .

وفي ١٣ منه سافروا في الساعة الخامسة . وكان يوما عسيرا للدرجة
القصصوى إذ توالى فيه نزول الأمطار ولم تنقطع تقريبا وكان لا بد من نزح
المياه من وقت الى آخر من المراكب التي قضوا ليتهم فيها أيضا .

وَفِي ١٤ مِنْهُ سَافَرُوا طَوْلَ الْيَوْمِ بِوَاسْطَةِ الْإِسْتِعَانَةِ بِالْمُجَادِيفِ . وَفِي ١٥ مِنْهُ كَانَ الرَّيْحُ عَلَى مَا تَشَتَّهِ السُّفُنُ فَسَاعَدَهُمْ عَلَى السَّيرِ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يُسْتَطِعُوا الدُّنْوِ

وافته مروي الشي اشتباك فيها أمير الألادى شالية لو شر وجندياه مع الأونiorين المسلمين من قبل كبارها
ملك أونiorوف ١٧ أغسطس سنة ٤٨٧١ م .





من البر . وفي ١٦ أغسطس التزموا أن يعودوا إلى التجديف حتى المساء ولکنهم تکنوا من الرسو فجروا المراكب إلى اليابسة ورميواها على قدر الامکان لمنع تسرب الماء إلى جوفها . وقد قل الزاد فاضطروا أن يخضوا الجريمة إلى النصف .

وفي ١٧ منه أقلعوا في الساعة العاشرة . وقبيل منتصف النهار قام بفكر شاليه لونج انه على مقربة من مرولي التي أمر سليمًا أن يتظره بها فأطلق من بندقیته عيارین ناریین ودنا إلى الشاطئ فإذا به يدهش إذ رأى بين البردى النابت على ضفة النهر عدة مراكب مشحونة بالرجال المسلمين والمزاریق وكان يلوح من خلال احوالهم أنهم يرقبونه ويترصدون له . وفي الحال دوى صوت البوق ودقت الطبول . هذا مما لا يدع شكًا من جهة نياتهم ومقاصدهم إذ أن معنى ذلك صراحة : العداون .

وأمر شاليه لونج الوفد في الحال بالانسحاب فتبعهم ٤٠ مركبة بها زهاء ٤٠٠ رجل مزودين بالحراب . ولما رأى شاليه لونج أن مراكبهم تلاحقه وتوشك أن تلتحقه أمر بتبعة الاسلحة وربط المراكب بعضها .

وكان المتوجول الذي يقود قوة العدو في المقدمة واقفا في مركبه ويهدى حركات العدوان فأنذر شاليه بالانسحاب وأعلمه على غير جدوى ولا فائدة أن صلاته حسنة مع ملكه كباريجا ولما رأه آخذًا دواما في الدنو صوب نحوه رصاصة سكنت في صدره وأرده في جوف مركبه وأمر عساكره بطلاق النيران . ولما كان سلاح الاهالى الوحيد هو الحراب فالقراينات ذات المرمى البعيد لم تدع لهم سبيلا للتقدم وأقصتهم بعيدا وأهلكت عددا كبيرا منهم فضلا عن أنها أغرت كثيرا من مراكبهم .

وبعد ان حاولوا الاقتراب عبشا مدة ساعتين لاذوا في النهاية بأذىال الفرار
تار كين نحو ٨٠ قتيلا .

واستمر شاليه لونج ورفاقه في السير طـول الليل تفاديا من تكرار المجموع خصوصا بعد أن استنفدوـا .٤٥ ظرفا وبعد ان قل الزاد وصار من أصلـة الرأـي الابـتعـاد على قدر الامـكـان من أولـئـكـ الـقـومـ .

وفي ١٨ أغسطس استعمل المجداف طول اليوم مع ان الرجال كانت
منهوكـة القـوى خاوية البطون . ولم يفتروا عن التجديف إلا عند الساعة
العاشرة مساء وبعد ذلك رست المراكب فطوا رحالهم . وكان النهر واسعا
وعميقا وصالحا لأن تختر فيه البوادر الكبيرة . ولاح جبل كيكو نجورا
إلى شاليه لونج فساورته الآمال بأن يصل في العد إلى كسمبواس Kikungura
محل اقامة رونجا .

وفي ١٩ منه شرعوا في السير في الساعة السابعة بعد ان أتوا في العشى على آخر ما عندهم من الرزad . وكانت الريح على غير المراد فدعت الحالة للتتجديف واستمر الرجال هكذا يعملون الى منتصف الليل بدون تناول طعام . وقد ظن شاليه لونج في هذه اللحظة انه تجاه كسمبواس فأمر ان يطلق عيار ناري وردا على ذلك سمع دوى طبل . فأرسوا المراكب وأطلقت أعييرة أخرى . وفي هذه المرة سمع في وضوح وجلاء رنات عزف جيش نظامي تدق دقات الاجتماع . وبعد ساعة قدم فلك حاملا على متنه الصاغقول اغاسي بابا تو^{كا} افندى قائدا محطة فويرا وريونجا ومعهما طعام التهمه الوفد حال وصوله اليه .

وفي ٢٠ منه ذهب أعضاء الوفد إلى محل اقامة ريونجا حيث أحضر لهم فطوراً فاخراً فاكلاوا هنئاً وشربوا مربيعاً.

وكان سبب مجيء الصاغقول أغاسى بابا توكا اندى إلى هذه الناحية الحصول على العلف وكان مقرراً أن يعود إلى فويرا في نفس اليوم . وسافر الكل معاً فدخلوا هذه القرية عند الظهر . وتبين أن سليمان والجحواد لم يصلا إلى ذلك الوقت .

ومن ٢٠ أغسطس إلى ١٣ سبتمبر أعنى المدة التي أقامها شالية لونج في فويرا ما زال هذا يخامره الأمل بأن يصله إمداد يمكنه من أن يضم إلى قاعدة الاستشافات التي أتمها حل المسألة الخاصة ببحيرة البرت نيانزا فلم يصله أقل مدد لأن العيادة لا يريدون المجازفة باقتحام السير في فصل الأمطار .

وأرسل شالية لونج مكتوباً إلى كباريحا في مازندي ليستعلم منه عن السبب في هجوم رئيس بخاراته ورجاله عليه هجوماً متعمداً في مرولي . فلم يرد له الرد رأساً بل ورد له جواب من سليمان سفير مصر في أونيونورو القاطن في قصر كباريحا وهو جواب عباراته ملتبسة مبهمة تؤيد ما خامر شالية من الظنون بشأن مسلكه في هذه المسألة . وفي مدة اقامته في فويرا دخل المعسكر ثعبان هائل الجثة فقتلوه ووجدوا طوله ٩ أمتار .

وفي ١٣ سبتمبر وصل سليمان وسلام وسليمان والأسنان ومعهما الحصان والجحير . فتقرر السفر بعد الغد وكلف ريونجا بتقديم الحمالين . وانقضى يوم ١٤ من هذا الشهر في تجهيز معدات السفر . والتمس إبراهيم اندى وهو ذلك الترجمان

الذى رده شاليه الى هذه النقطة مغضوبا عليه ، الصفح عنـه فوعـدـه باعـادـه الى
غندوكـورـو مع وـادـ المـكـ الذـى سـيـذهبـ اليـهاـ بالـعاـجـ .

وفي ١٥ سبتمبر كان الحـمالـونـ وـفـرـيقـ منـ الجـنـدـ عـلـىـ استـعـدـادـ لـالـسـفـرـ .
وـأـخـذـ اـجـمـيعـ فـيـ السـيرـ عـنـدـ السـاعـةـ الثـامـنـةـ . وفي ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ منه
تابعـواـ السـيرـ فـكـانـتـ المـرـحـلـةـ الـيـوـمـيـةـ تـبـتـدـيـءـ عـنـدـ السـاعـةـ السـادـسـةـ صـبـاحـاـ
وـلـاـ تـنـتـهـيـ إـلـاـ فـيـ السـادـسـةـ مـسـاءـ . وـكـانـ عـلـىـ وـجـهـ عـامـ لـاـ يـنـقـطـعـ يـوـمـيـاـ المـطـرـ
المـدـارـ وـأـضـحـتـ الـادـغـالـ وـالـحـشـائـشـ الطـوـيـلـةـ الـأـلـيـافـ غـيـرـ الـمـأـهـولـةـ بـالـسـكـانـ
غـيـرـ مـسـلـوـكـةـ .

وفي ٢٠ منه بلـغـتـ القـافـلةـ فـيـ هـذـاـ يـوـمـ فـاتـيـكـوـ فـقـوـبـلـتـ بـمـزـيدـ الـحـفـاوـةـ
وـالـتـكـرـيمـ منـ الضـبـاطـ وـمـنـ الصـاغـقـولـ أـغـامـيـ عـبـدـ اللهـ اـفـنـدـيـ الدـنـسـاوـيـ قـائـدـ هـذـهـ
الـحـطـةـ . وـمـنـ ٢١ سـبـتمـبرـ إـلـىـ ٥ أـكـتوـبـرـ قـضـىـ الـوـفـدـ هـذـهـ الـأـيـامـ فـيـ فـاتـيـكـوـ
لـلـاسـتـراـحةـ مـنـ عـنـاءـ السـفـرـ وـلـيـتـعـافـيـ اـفـرـادـهـ وـيـسـتـرـجـعـوـاـ قـوـاهـ .

وـفـيـ ٥ـ أـكـتوـبـرـ وـدـعـ شـالـيـهـ لـوـنـجـ قـائـدـ الـحـطـةـ وـضـبـاطـاـ وـقـدـمـ لـهـمـ مـزـيدـ
تـشـكـرـاتـهـ عـلـىـ مـاـ خـصـوهـ بـهـ مـنـ الـأـكـرـامـ ثـمـ انـطـلـقـ فـيـ السـيرـ وـرـافـقـهـ ضـبـاطـ بـرـتـبـةـ
مـلـازـمـ وـ٦٠ جـنـديـاـ مـنـ الـحـطـةـ وـ٢٠ جـنـديـاـ مـنـ الـجـنـودـ غـيـرـ الـنـظـامـيـنـ وـ
مـنـ الـأـهـالـىـ لـتـمـلـ الـعـاجـ . وـكـانـ هـذـاـ حـرـسـ لـازـمـاـ لـدـاعـيـ مـاـ تـبـدـيـهـ قـيـيـلـةـ
الـمـوجـىـ مـنـ الـعـداـوةـ وـالـبغـضـاءـ . وـرـجـالـ هـذـهـ الـقـبـيلـةـ هـمـ الـذـينـ هـاجـمـوـهـ حـينـ
ذـهـابـهـ إـلـىـ الـجـنـوبـ .

وـفـيـ ٧ـ مـنـهـ وـاصـلـوـاـ السـيرـ مـنـ السـاعـةـ السـادـسـةـ وـفـيـ ٨ـ مـنـهـ بـلـغـوـاـ فـاجـرـينـيـاـ
Fagrinia . وـفـاجـرـينـيـاـ هـذـهـ هـىـ زـرـيـةـ لـلـدـنـاقـلـةـ وـكـانـ مـوـضـوـعـةـ إـذـ ذـاكـ تـحـتـ

مراقبة الحكومة المصرية ويديرها جندي قديم يسمى بخيتا . وقد قضوا ليتهم في هذه الزرية .

وفي ٩ أكتوبر وصلوا الى صفة نهير يقال له « أسوا » Asua . وفي ١٠ منه اجتازوه بلا صعوبة . وفي ١١ منه دخلوا لا بوريه . وفي ١٢ منه مرروا من بلد أهالى الموجى فلم يجد هؤلاء أى اشارة عدائية . وفي ١٣ و ١٤ منه واصلوا السير وفي ١٥ منه كانوا ازاء الرجاف غير أنهم لم يستطعوا عبور النهر لعدم وجود مراكب والتزموا أن يحطوا رحالهم .

وفي ١٦ منه استحضر القائمقام الطيب عبد الله باك قائد محطة الرجاف مركبا وقدم اليهم بها وقابلهم بفرح عظيم . ولما كان شاليه لونج شديد الحنين الى الرجوع حرك كتيبة ونزل الى المركب يرافقه الجنديان سعيد وعبد الرحمن وولوا وجوههم شطر غندوكورو ووصلوا اليها عند غروب الشمس .

وقد استقبلهم غوردون بها أحسن استقبال و قال لشاليه عبارات المدح والثناء وقال « لقد عملت فوق ما عمله أى انسان آخر في هذا البلد » . فكان هذا القبول تعزية لشاليه لونج وتعويضا لما عاناه من الصعب في سبيل استكشافاته .

سنة ١٨٧٥ م

فتح غوردون طريق المواصلات مع أوغندا

وكان غوردون قد أرسل في أواخر العام المنصرم الملازمين وطسون وشيبندال ليرتادا بحيرة البرت إلا أنه علم في أوائل شهر يناير أنها وقعا بين برائن المرض.

فبعث بياخرة لتأتي بها وعهد بهذه المهمة فيما بعد إلى مسيو جيسي وكان من الضروري أن يتوجه غوردون إلى جهة نهر سوباط إلا أنه لما كان جميع اركان حربه تشربها مصابين بالأمراض لم يتمكن من الذهاب إلى تلك المنطقة وقد قال إنه لا ينبغي لأى شخص أن يأتي إلى تلك الجهات إذا كانت سنه دون الثلاثين سنة. وكانت حركة العمل قد ازدادت وتضاعفت في إقامة المستودعات والورش في لادو التي أصبحت عاصمة ل مديرية خط الاستواء. وكان أمير الألای لونج قد وصل ومعه ٤٠٠ جندي من الخرطوم إلا أنهم كانوا لسوء الحظ من الجنود المصريين إذ أن غوردون كان يؤثر على هؤلاء جنودا سودانية ل تستطيع مقاومة المناخ لأن ال ٢٥٠ جنديا الذين كان استحضارهم معه عاجلت المنية نصفهم وأضطر أن يرجع إلى مصر مائة منهم. أما العدد الذي قدموا حديثا فنصفهم وقع في مخالب المرض في الأيام التي وصلوا فيها.

وتلقى غوردون تقريرا قبيلا آخر شهر يناير من الضابط المعين للقيادة في فويرا يقول فيه انه أرجع الجنود القدماء الذين كانوا تابعين فيما سلف

لأنه خاسرين وجهزهم سير صمويل يذكر باشا لاقيام بخدمة الحكومة لأنهم تواظئوا عمداً مع كبار يجاه ملك أوينيورو على الخيانة والاستيلاء على المحطة . ووصل أولئك الجندي البالغ عددهم ٥٠ جندياً بصحبة واد الملك وفي الحال جردهم غوردون من أسلحتهم ووجههم إلى الخرطوم وأرسل كذلك أمراً إلى محطة فاتيكيو بأن ترد من عندها من أولئك الجنود البالغ عددهم ٩٠ إلى لادو وعند وصولهم عاملتهم بالطريقة التي عامل بها جنود فويرا . ووطد العزم لوقوع هذه الحوادث على أن يعاصر دوريجا العدو المدود لكبار يجاه ضد هذا وان يضع الأول محل الثاني . والتمس من الخديو أيضاً أن يرسل على ظهره بآخرة ١٥٠ جندياً إلى خليج مدبسه الواقع على ساحل إفريقيا الشرقي ليقظيم هناك محطة ويفتح طرق المواصلات مع أوغندة وذلك ابتعاء تسهيل الاتصال بمدرنته .

وقد أجاب الخديو اسماعيل طالبه وأرسل حملة تحت قيادة ما كيلوب باشا احتلت فعلا تلك المنطقة ولكن نظرا لتشبث الحكومة الانكليزية بانسحاب هذه الحملة من هناك أمر الخديو بانسحابها وهذا العمل من الحكومة الانكليزية لم يكن إلا تمهيدا لغايتها الذاتية حيث أنها أعلنت حمايتها على زنجبار وملحقاتها في سنة ١٨٩٠ م كما سيمر باك ذكره فيما بعد .

الوسيلة يكون في حيز الاستطاعة حراسة كل ارسالية بعشرة من الرجال
 بينما كانت أخبار المخطات لا تصل الآن إلا في ظرف ستة أشهر
 هذا عدا انه كان من اللازم أن يرافق كل ارسالية مائة جندي لتدفع
 كل غائلة عنها .

وعند ما وصل الى سوباط في ٩ فبراير أرجع الملائم وتسوون الى
 إنجلترا لأن حالته الصحية لم تسمح له بالبقاء في السودان وقد أرجعه
 على كره منه لأن ذلك كان يخفي عدد أركان حربه الذي أمسى
 من قبل ضئيلاً .

وعاد غوردون الى لادو في ٥ مارس وفي ١٣ منه يعم محطة الرجاف .
 وكان يوجد على مقربة من هذه المحطة شيخ يقال له « بيدن » وكان
 هذا الشيخ لا ينفك عن اظهار العداوة والبغضاء للحكومة حتى في مدة
 وجود حكومة سير صمويل يذكر كان غوردون قد حاول أن يستجلب مودته
 بواسطة تحف وهدايا كان يرسلها اليه غير أن جميع مساعيه ذهبت أدراج الرياح .
 وبما أنه كان قد عول على تحفيض حامية هذه المحطة وكان لا يمكنه ان يترك
 قريبا منها نفرا يهدون للحكومة الكراهة فقد صمم على الاغارة على زرائب هذا
 الشيخ ونهب ماشيته بطريق المباغة .

فاللهذا الفرض كتيبتين احداهما من ٥٠ جنديا وقد سار
 معهما بنفسه والثانية من ٢٠٠ جندي وهذه الأخيرة كلفت بالاحتياط بالرأي
 ومحاصرتها .

وفي الساعة العاشرة مساء أخذت الكتيبتان في السير ووصلتا قبيل انشقاق

الفجر الى موضع الزرائب وبعد اطلاق عدة طلقات ولـى الخفراء الادبار وتركوا
بين يديه وتحت تصرفه ٢٦٠٠ رأس من المواشي .

وأغار في الغد على أرض شيخ من المشايخ المعادية يقال له « لوكوكو » Lococo واستولى على ٥٠٠ رأس أخرى . واستبقي عنده هاتين العتيمتين مؤملاً أن يرجع أصحابها عن غيهم ويبدوا شيئاً من المسالمة .

وفي ٣٠ مارس سافر من الرجاف الى نقطـة تبعد عنها ٤٠ كيلومترـا ليـتـيـنـى عـلـيـهـا محـطـةـ . وـكـانـ عـاـقـدـاـ النـيـةـ عـلـىـ أـنـ يـقـيمـ أـيـضـاـ محـطـيـنـ بـيـنـ هـذـهـ وـدـوـفـيـلـيـهـ وبـذـلـكـ تـمـيـ موـاصـلـاتـهـ طـلـقـةـ لـاـ شـيءـ يـعـوـقـهـاـ عـنـ فـاتـيـكـوـ .

وبعد وصوله إلى الرجاف ببضعة أيام وردت ارساليات الواحدة من
لاتوكا والآخرى من غربى مكراكا . وكان قد هل فصل الامطار .
وكان عليه أن يباشر نقل جميع الآلات الثقيلة وقطع الباخرة على مرحلة
١٥٠ كيلومترا في طرق مجهرولة . ففك أولًا في تأجيل هذا العمل إلى
السنة القادمة ولكن ذلك كان لا يأتى منه سوى تأخير مسألة كان ينبغي

أن تكون قد تمت في الأيام الخالية وعلى هذا كان ليس ثمة فائدة
ترجى من وراء التأجيل .

وقد نوى أيضاً أن ينشئ محطة على قيد مسيرة يوم من الرجاف ثم
ينقل إليها الآلات . ومتى وصلت هذه إلى تلك المحطة يكرر هذه العملية
وذلك بأت يقيم سلسلة من المحطات إلى أن يبلغ فوق الشلالات . غير أنه
قامت في وجهه مسألة تموين هذه المحطات وهي مسألة لا يستهان بها . وكان
أمامه حل آخر وهو أن ينشئ محطة في لا بوريه وان يشتري الماء من
الأهالي وهذا اعترضه أيضاً أمر عبور نهر « أسوا » إذ ان اجتيازه في
فصل الامطار ليس من المسائل الميسرة . حتى على فرض انه اجتاز ذلك
النهر يكون قد صار هذا خلفه ولا يكون هو متأكداً أن يحصل على
اقوات من الأهالي .

وآل الامر في النهاية إلى أن يوطن العزم على اختيار الحل الأول
مؤملاً أنه متى أقام المحطة على مقربة من لا بوريه فان الأهالي تأتي بالاقوات
ليبيعوها ولكنه في الوقت ذاته كان يرى أنه لا ينبغي الركون كثيراً
إلى هذا الحل وذلك لأن هذا الأوان كان أوان بذر الحبوب وبعبارة أخرى
كان وقت انتهاء الفصل وفي هذا الوقت لا يمتلك الأهالي بالطبع إلا النزر
اليسير من القوت .

وبما أنه لم يكن لديه متسعاً من الوقت فقد شرع في السير مع ٤٠
جندياً سودانياً و ٥٠ آخرين من أهالي نيام نيام من ناحية مكراكا
وأخذ معه زاد ١٥ يوماً . واستخدم أيضاً جمال ارساليتي لاتوكا ومكراكا

فِي الْغَرْضِ عِينِهِ .

وتقع في المحلة مسافة ٤٠ كيلومتراً تقريباً فوصلت إلى مكان يقال له كري Kerri واقع على شاطئ النهر . وبلغه عند وصوله إلى هذه الناحية أن الماشية التي أخذها غنيمة وهو يحسب أنها من ممتلكات الشيخ بيدن الذي يناسب الحكومة العداوة هي في الواقع ونفس الأمر خاصة بشيخ من المشايخ الموالين للحكومة . فدهش لذلك كثيراً واصلح في الحال هذا الخطأ برد الماشية إلى صاحبها الحقيقي . وقرر أنه لا يقدم من هذا الحين على عمل كهذا إلا بعد أن يتتأكد مما هو قادم على فعله .

وبعد أن قام المعسكر هبت عاصفة واستدعت الحال الاتجاه إلى الأشجار لاتقاء شرها على قدر الاستطاعة وعند ما بلغت تلك العاصفة أشدتها سمعت طلقات بعض الأعييرة النارية صادرة من الأهالي ولما رأى الجندي أن هذه الطلقات مصوبة إليهم جاوبوها بطلقات ردت المغيرين على اعتبارهم ونهبوا القرية القريبة من المعسكر على سبيل العقوبة لهم .

وأطلقوا أيضاً بعض الأعييرة صوب الأهالي المقيمين على الضفة المقابلة فجعلتهم أعداء بطبيعة الحال .

عودة غوردون إلى الرجاف

وعند ما أتم غوردون إقامة المعسكر رجع إلى الرجاف بطريق النهر ليتحقق من صلاحيته للملاحة فاتضح له ذلك .

وعند ما ألت سفينته مرساً لها عند الرجاف خرج وولى وجهه شطر جزر

ييدن لي Finch مضيق النهر فإذا به يرى بعض الأهالى جلوسا تحت شجرة فاتجـه نحوهم وسألهـم عما إذا كانوا من أتباعـه ودهش عند ما رأـهم يـشيرون إلى واحدـ منهم وهو رجل بلـغ من الكبرـ عـتـيا ويـوشـك أن يكون كـفـيف البـصر قـائـلين اـن هـذا هو الشـيخ عـينا وـذـاتـكـ فـاشـتـبـكـ معـه غـورـدونـ فيـ الحـدـيـثـ وـقـالـ لهـ أنهـ لاـ يـاخـذـ مـنـهـ شـيـئـاـ لـوـ سـلـكـ قـبـيلـتـهـ مـسـلـكـ حـسـنـاـ ثـمـ نـاـولـهـ صـفـارـةـ وـتـبـغـاـ وـحـثـهـ عـلـىـ أـنـ يـأـتـيـ لـزـيـارـتـهـ فـوـعـدـ الشـيخـ بـاجـابةـ هـذـاـ الـطـلـبـ . وـأـمـرـ غـورـدونـ جـنـودـهـ بـأـنـ لـاـ يـمـسـواـ شـيـئـاـ مـنـ مـاشـيـتـهـ . وـالـذـىـ بـعـثـ الطـمـانـيـنـةـ فـيـ نـفـسـ يـيدـنـ هوـ ردـ ماـشـيـتـهـ الشـيخـ المـسـالمـ لـلـحـكـوـمـةـ تـلـكـ السـأـلـةـ الـتـىـ نـقـلـ إـلـيـهـ خـبـرـهـاـ هـذـاـ الشـيخـ . اـمـاـ لـوـكـوـكـوـ وـهـوـ ذـلـكـ الشـيخـ الـآـخـرـ الـذـىـ كـانـ يـنـاصـبـ غـورـدونـ العـدوـانـ فـبـلـغـتـهـ أـيـضـاـ هـذـهـ الـحـكـاـيـةـ فـكـانـ ذـلـكـ دـاعـيـاـ لـجـيـئـهـ إـلـىـ الـمـسـكـرـ وـتـقـدـيـهـ الطـاعـةـ .

وـفـيـ ١٠ـ أـبـرـيلـ قـدـمـ يـيدـنـ إـلـىـ الـمـسـكـرـ فـبـاهـ غـورـدونـ بـنـجـةـ قـدـرـهـ ٢٠ـ مـنـ الـابـقـارـ وـمـقـصـ . وـهـذـاـ مـسـلـكـ كـانـ لـاـ بـدـ أـنـ يـؤـدـيـ فـيـ الـوـاقـعـ إـلـىـ عـوـاقـبـ مـحـمـودـةـ لـأـنـهـ عـنـدـ مـاـ يـنـتـشـرـ هـذـاـ الـخـبـرـ بـيـنـ الـأـهـالـىـ كـانـ تـسـوـطـدـ الثـقـةـ فـيـ تـفـوـهـمـ فـيـجـنـحـوـنـ إـلـىـ الـخـضـوـعـ وـيـنـبـتـ السـلـامـ بـيـنـ رـبـعـهـ .

وـفـيـ ١٧ـ مـنـهـ أـقـلـعـ غـورـدونـ مـنـ الرـجـافـ لـيـذـهـبـ فـيـ النـهـرـ صـعـداـ فـصـرـحـ رـئـيـسـ السـفـينـةـ أـنـ ذـلـكـ مـنـ رـابـعـ الـمـسـتـحـيـلـاتـ وـقـالـ اـنـهـ قدـ كـانـ حـاـولـ فـيـمـاـ سـلـفـ مـنـ الـأـيـامـ الـقـيـامـ بـتـقـلـ هـذـاـ الـعـمـلـ فـكـانـ الفـشـلـ نـصـيـبـهـ إـلـاـ أـنـ غـورـدونـ الـحـ لـكـيـراـ وـفـيـ الـنـهـيـةـ عـثـرـواـ عـلـىـ مـيـسرـ . وـكـانـ التـيـارـ السـرـيعـ يـمـتـدـ إـلـىـ

طول زهاء ٦ كيلومترات ووصلوا الى مكان يبعد ١٥٠ مترا عن النقطة التي تسهل منها الملاحة الى كرى . وفي هذه ال ١٥٠ مترا كان يوجد فرق في منسوب سطح الماء قدره خمسة أمتار وذلك مما يجعل صعود هذه المسافة عسيرا جدا ويستلزم نقل المشحونات الى مراكب اخرى وهذا كان يستدعي ايجاد اسطول آخر صغير في القسم العالى من النهر .

فعاد غوردون الى الرجال وهناك تلاقى مع الملازم الاول شينيدال الذى كان آتيا ومعه عدد كبير من جمالي فاتيكو . وكان هذا الملازم صعد النهر حتى صار على مسافة صغيرة من البحيرة . غير أنه لم يستطع الوصول اليها بسبب عدم امداده بأية معاونة من المدير . واتصل بغوردون علاؤة على ما ذكر أن كباريحا ملك أوينيورو كانت يقيم العقبات في سبيل انجاح مهمته وان متيسا ملك أوغندا أرسل اليه ساعتين لاصلاحها .

بناء محطة في بيدن وتحسين سبل المواصلات والأمن

وفي ٢٠ مايو رجع غوردون الى لادو ليسوى بعض أعمـال مصلحية وعاد الى كرى في ٥ يونيو . وكانت رجاله منذ زيارته الاخيرة قد تمكنوا من امرار ٣ مراكب صعدا من المضيق الشرقي فذهب الى هذا المكان ومعه ١٠٠ رجل ليبني محطة سماها باسم الشيخ بيدن . وقد لاقت ال ٣ مراكب مصاعب جمة في الصعود وكان يخشى عليها كثيرا من الغرق إلا أنه لحسن الطالع جرت الامور مجرها بدون ان يقع حادث مكدر .

وفي ١٣ يونيو آب غوردون الى لادو وكان الفيفيستان بلغ أشدّه وماء

وكانت الجملة التي كان يقودها المهندس كمب الى كري في شهر سبتمبر من العام الماضي لاقت أعيان ونصبا على طول الطريق بينما كان غوردون قد ذهب بمفرده ومعه ٥ من الجنود الى هذه الناحية في هذا العام بدون أن يصادف في طريقه ازعاجا ولا اقلقا . وكان لابد لكل مركب تسافر في العام المنصرم ان يكون معها حرس مؤلف من ٥ من الجنود أما الان فكانت تسافر السفن وحدها وبدون حرس ويمكن ان تعزى هذه الحالة الى الاوامر التي صدرت بمنع نهب القرى الواقعة على الطريق .

ولغاية ٥ يوليه أيضاً ما كانت البواخر وصلت وكان النهر آخذًا في الازدياد وكانت بحيرة واسعة شاسعة جنوب المحطة ولم يبق مكان يمكن السفن ان ترسو فيه للاتصال بالياضة إلا في سوباط ، وبور ،

وشير ، ولادو ، وغندوكورو ، والرجاف .

قيام العقبات في طريقه وتذليلها

وفي ٩ يوليه رجع غوردون الى ييدن وسبر غور الماء فوجد ان عمقه يكفى لمرور الباخرة « الخديو » فأخلى سبيل عدد من الجنود القدماء وجند ٧٠ جنديا جديدا .

وورد بعد كل هذا وذاك البريد وعلم منه اقسام الباخرة الكبيرة التي كان استحضرها سير صمويل ييكر وسماتها : « الاسمااعيلية » .

وولى غوردون وجهه في ٣١ يوليه شطر موضع واقع على مسافة ٣ كيلومترات جنوب كري ليصعد السفن من مرر صعب وتم له ما أراد إلا انه في أثناء القيام بهذه العملية هب عليهم إعصار شديد نالهم منه مكاره جمة .

وفي ٣ أغسطس فرغوا من عملية صعود ٣ سفن في تيار موجى السريع بعد أن نالهم من المتاعب والمصاعب مالا يحصى ولا يستقصى لأن سرعة التيار كانت ١٠ كيلومترات في الساعة . وبسبب قطع عدد كبير من الاحبال انسابت السفن وذهبت تختبط في النهر على غير هدى . واستلزم الحال البحث عنها في أماكن قصيبة . وبقى عليهم بعد كل ذلك قطع زهاء ١٠ كيلومترات حتى يكونوا قد اجتازوا بلاد قبيلة البارين الذين وان كانوا عاونوا غوردون في هذه الاعمال ولم تبد منهم أية اشارة عدوان الا انه كان يفضل ان يعبر بلادهم ليدخل بلد قبيلة الماديين التي هي اكثر وداعنة من القبيلة الاولى . وكان يرى فوق ذلك ان مروره من منطقة قبيلة البارين بدون قتال يعد فوزا مبينا .

وتحسن الحال في اليوم التالي واستطاعوا أن يقطعوا زهاء ١٥ كيلومترا غير أن الريب التي كانت تساور نفس غوردون وجهل ما يخبئه المستقبل في طريقه غرسا في مخيلته الهم والغم . نعم إن الاهالي لم تبد نحوه شيئا يومي الى سوء النية وفساد الطوية ولكن حالتهم كانت تسم عن مبلغ كبير من الخوف والفزع وما كان في حيز الاستطاعة الحصول منهم على أية دلالة أو أى ارشاد . وساورت غوردون تلقاء جميع هذه المصاعب الشكوك بصدق صعود الباخرة الهر هذا العام .

وحاولوا في ٨ اغسطس صعود الباخرة الخديوية تيار ييدن السريع فتم لهم ذلك بسهولة وبكيفية ما كانوا يحلمون بها وصعدت تلك الباخرة ذلك التيار براحة تامة بقوة البحار ومساعدة البحر بالحبال « اللبان » وبذلك تأيد انه في امكانها أن تصل الى كري لأنه لم يبق في طريقها شيء يعوق سيرها .

وفي ١٠ منه وقع حادث . ذلك انهم عبروا الاجزاء الصعبة المريرة ودخلوا في أقسام الماء الهادئ وإذا بركب قطعت أقلابها بسبب بلاهة وغباءة رئيسها وجرها التيار الى الماء السريع الجريان وشحذت على الصخور في منتصف المضيق وأرسلت مركب أخرى لإنقاذهما فكان حظهما نفس حظ سابقتها . وعما زاد في الطين بلة ان جميع الاحبال كانت في جوف هذين المركبين . غير أنه لحسن الطالع أمكن في اليوم التالي تعويذهما .

وفي ١٤ منه جاهر الاهالي بالعداوة وكان قد بدأ منهم منذ يومين بوادر تسم عن الاستعداد لنشر راية العصيان . فأخذوا يتسللون خلال الحشائش المرتفعة باذلين الجهود ابتغاء الوصول الى المعسكر غير أن الجنود كانوا يقظين وواقفين لهم بالمرصاد فآمكهم بواسطة القراءيات ذات المرمى البعيد أن يوقفوهم

على بعض المسافة منهم ويدعوهم الى تغيير ما قام برؤوسهم . وما كان لهؤلاء القوم عذر فيما أتوه وذلك لأنهم كانوا يعاملون معاملة حسنة إلا أنهم لما رأوا أن الحملة مشتعلة بجر المراكب أرادوا الاستفادة من هذه الحالة وأخذوا المعسكر على غرة منه وصرفوا النظر عن دعوتهم لسلوك المسالك الحسنة وإعطائهم الوعود بأن لا يمسوا بشيء .

وقدم في اليوم التالي ثلاثة من المشايخ وقدموا المعاذير فقبلت معاذيرهم وعافا لهم غوردون من الغرامات التي كان قد فرضها عليهم وتحصر هذه الغرامات في توريد عدد من الأبقار .

وقد كان يرتفب امدادا من لادو مكونا من ٢٥٠ جندية وعددا آخر من اهالي « مكديه » Makadé يمكنه بواسطتها تسخير الأعمال بسرعة عظيمة .

وكان الأهالي المقيمون على الضفة الغربية حيث تشتعل الحملة أعجز من أن يسوقوا لها ضررا كبيرا . لأنهم كانوا محصورين بين النهر شرقا والجبال الواقعة على بعد ١٠ كيلومترات من النهر ومحطات الحكومة التي في الشمال والجنوب غربا .

اما لو كانت الحملة تشتعل على الشاطئ الشرقي حيث الجبال واقعة على مسافة زهاء ٦٠ كيلومترا من النهر والأهالي أكثر عددا لشارت عليها كل قبيلة الباريين إذ أن الأهالي ما كانوا متاحين لأن يروا بلادهم تحتل احتلالا نهائيا .

وفي ١٧ أغسطس عبر غوردون النهر الى الضفة الشرقية ليرى اذا كان المضيق أكثر موافقة من الشاطئ الغربي . وعند ما سمع دوى صوت طلق

نارى يتجـاوب صدـاه فيـالقضاء صـوبـه غـورـدونـ إلى فـرسـ منـ أـفـرـاسـ الـبـحـرـ
أـدرـكـتـ الحـامـيـةـ رـهـبـةـ وـسـاـوـرـهـ الـظـنـونـ عـلـىـ حـيـاتـهـ لـأـنـ قـاطـنـيـ هـذـاـ الشـاطـئـ
كـانـوـاـ أـشـدـ عـدـاؤـ لـاـحـكـومـةـ مـنـ سـاـكـنـيـ الشـاطـئـ الشـرـقـىـ .

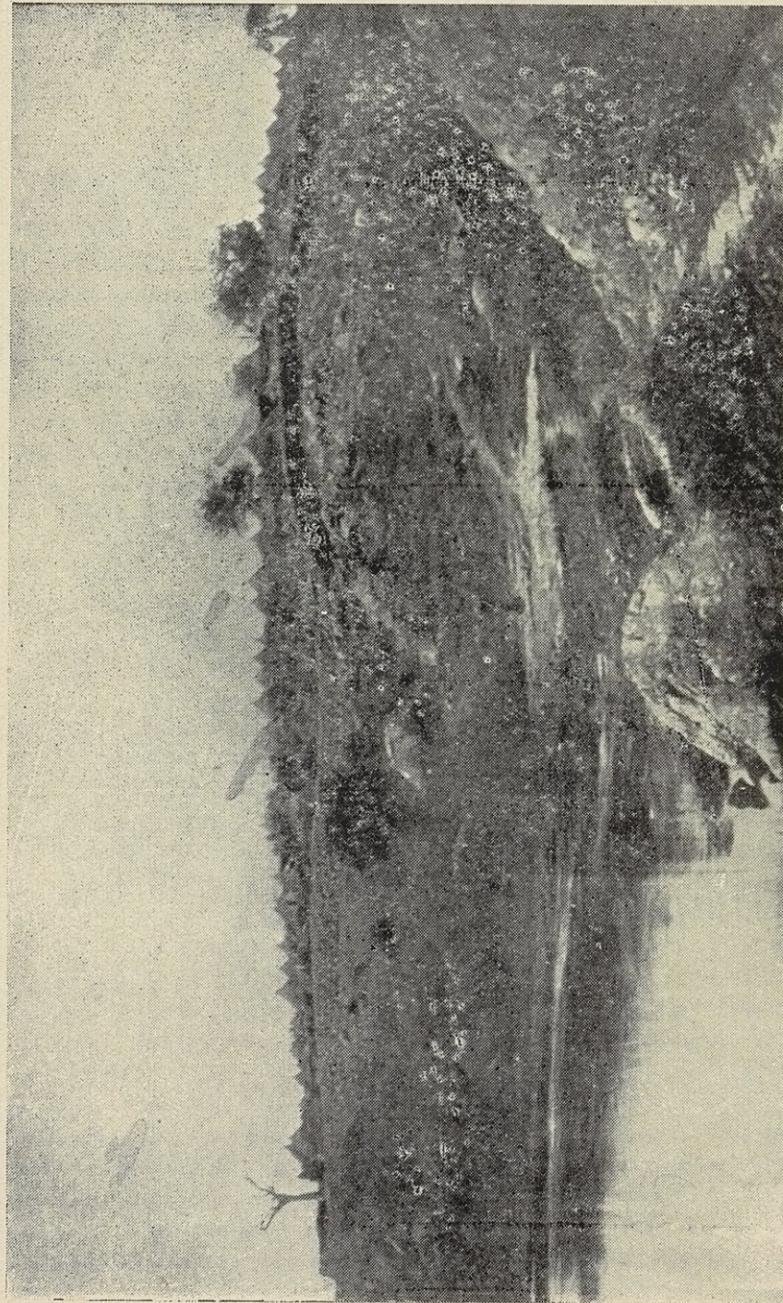
ورـجـعـ غـورـدونـ دونـ أـنـ يـقـعـ لـهـ أـىـ حـادـثـ وـلـكـنـهـ شـعـرـ بـأـنـ قـوـبـلـ مـقـابـلـةـ
مـجـرـدـةـ مـنـ الـمـوـدـةـ وـاـنـ هـذـاـ عـبـورـ صـادـفـ اـسـتـيـاءـ مـنـ الـأـهـالـىـ .

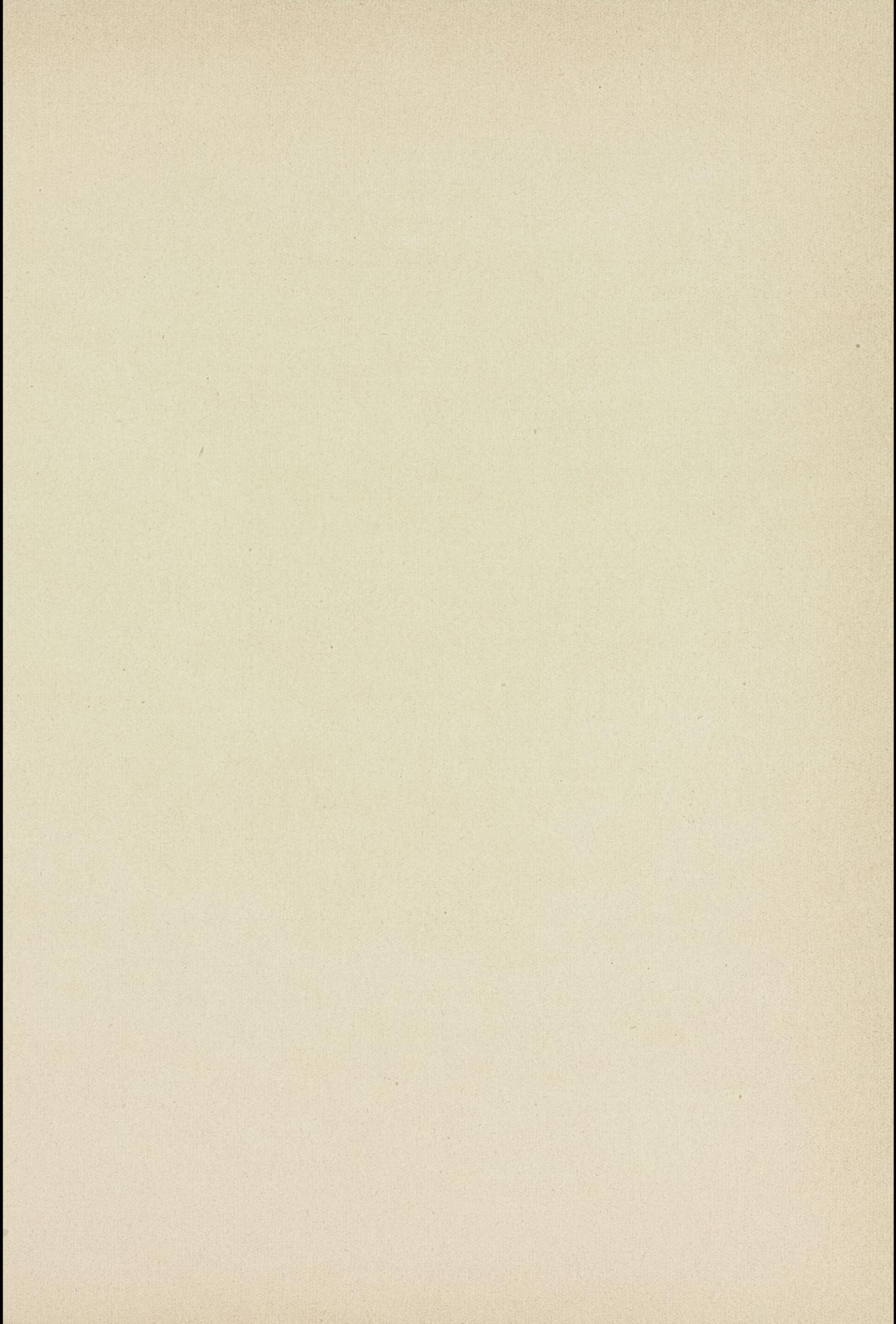
وـفـىـ ٢٠ـ آـغـسـطـسـ وـرـدـ إـلـىـ غـورـدونـ بـأـنـ الـحـطةـ الـوـاقـعـةـ عـلـىـ مـسـيـرـةـ
كـيـلوـمـتـرـيـنـ مـنـ الـحـطةـ الـتـىـ كـانـ يـقـيمـ بـهـاـ هـوـجـمـتـ فـىـ الـلـيـلـةـ الـمـاضـيـةـ إـلـاـ أـنـاـ
صـدـتـ الـمـغـيـرـيـنـ بـعـدـ أـنـ جـلـتـهـمـ خـسـائـرـ يـظـنـ بـعـدـهـاـ أـنـ لـاـ يـجـدـدـوـ هـجـوـمـهـمـ
الـذـىـ يـلـوحـ أـنـهـ كـانـ مـتـواـطـئـاـ عـلـىـ الـقـيـامـ بـهـ ثـلـاثـ قـبـائـلـ .ـ وـأـرـادـ غـورـدونـ أـنـ
يـعـطـيـهـمـ دـرـسـاـ قـاسـيـاـ يـوـقـظـهـمـ إـلـاـ أـنـ قـوـتـهـ كـانـ ضـئـيلـةـ لـاـ تـسـوـغـ
لـهـ الـقـيـامـ بـالـعـمـلـ الـذـىـ كـانـ يـرـمـيـ إـلـيـهـ .ـ نـعـمـ أـنـهـ كـانـ لـاـ يـضـمـرـ لـلـقـوـمـ أـيـةـ
عـدـاؤـ غـيرـ أـنـهـ مـاـ لـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ اـيـضـاحـ أـهـمـهـ إـذـ اـسـتـمـرـوـاـ فـىـ مـشـلـ هـذـاـ الـمـسـلـكـ
كـانـ يـضـمـنـ إـلـىـ قـتـالـهـمـ .

وـفـىـ ٢٢ـ مـنـهـ وـصـلـ الـأـهـالـىـ الـذـينـ كـانـ يـتـرـبـصـ قـدـوـمـهـمـ مـنـ مـكـدـيـهـ
بـرـفـقـةـ إـرـنـسـتـ بـنـ لـيـنـانـ دـىـ بـلـقـوـنـ باـشاـ .ـ وـكـانـ هـذـاـ الشـابـ سـافـرـ بـمـهمـةـ
إـلـىـ مـتـيـسـاـ مـلـكـ أـوـغـنـداـ وـقـدـ مـنـهـاـ .ـ وـكـانـ قدـ قـاـبـلـ فـىـ هـذـهـ الـمـلـكـةـ فـىـ شـهـرـ
أـبـرـيلـ اـسـتـانـلـىـ الـذـىـ كـانـ قدـ سـبـقـهـ إـلـيـهـ بـمـاـنـيـةـ اـيـامـ .

وـفـىـ ٢٨ـ مـنـهـ كـانـ غـورـدونـ فـىـ مـكـانـ يـقـالـ لـهـ مـوجـىـ وـاقـعـ جـنـوبـ
«ـ كـرـىـ »ـ الـتـىـ كـانـ قدـ تـقـرـرـ اـشـاءـ مـخـطـةـ بـهـاـ .ـ وـلـمـ عـلـمـ أـنـ الـبـاخـرـةـ وـصـلـتـ
إـلـىـ نـقـطـةـ تـبـعـ عـنـهـاـ قـلـيـلاـ مـنـ الـخـلـفـ وـقـرـيـبـةـ لـلـضـفـةـ الـشـرـقـيـةـ اـجـتـازـ الـنـهـرـ

محطة «كري Kerri» العسكرية عبد ربه خط الاستواء





وسار مسافة بقصد مقابلتها . غير أنه لم يره أصدر أمراً بتصعودها من الجهة الشرقية . ولدى وصول الباخرة إلى المضيق لم تتمكن بسبب وجود جزيرة مستطيلة أن تصل بالبر الغربي . وفي أثناء دخول غوردون في المضيق أرسل أمراً إلى ٣٠ جندياً من الجنود المقيدة في محطة ببور النهر إلى الشاطئ الشرقي .

وعندما رأىهم الأهالي قادمين أخذوا يقرعون طبولهم الكبيرة للتجمع والقيام بالهجوم . واندفعوا بقضمهم وقضيضم على الجنود . ولما رأى ذلك غوردون عجل بعبور النهر وانضم إلى جنده تماماً في اللحظة التي بدأ فيها نشوب القتال ورد الهجوم بسهولة .

وقد حاول أن يدخل معهم في مفاوضة فذهبت مجبروداته في ذلك أدراج الريح . فأمر قوته بالصعود إلى جيبل هناك فلما رأىهم الأهالي بذلوا جهودهم ليحيطوا بهم فتركهم الجنود يقتربون ثم أ茅روهم وابلا من الرصاص فارتدوا على أعصابهم الارتداد الأخير . وأظهر الأهالي في هذا الهجوم الفاصل كثيراً من الشجاعة والمهارة فكانوا يرحفون على بطونهم وعندما يرون العساكر تخشى سلاحها ينهضون ليركضوا نحوهم ثم ينطرون عند ما يرونهم مصوبيين عليهم النيرات . وانتهى بهم الأمر إلى أن بلغوا إلى مسافة ٨٠ متراً من خط النار . وقد حضر إرنست دي بلفون هذه الموقعة .

ولما كان غوردون يريد أن يستوثق من المكان الذي به الباخرة نزل قليلاً في الضفة الغربية ورجع إلى المعسكر بدون أن يهتم إلى موضعها .

ولم يرافقه إرنست في هذه الرحلة القصيرة بل ظل في المعسكر ليتشيء مكتايب . وطلب من غوردون في المساء السماح بجتiaz النهر مرة أخرى إلى البر الشرقي وإن يضرم النار في أكواخ الأهل المعادين . وبما أن غوردون كان يخشى أنه لو تركهم في هدوء وطأئينة لشنوا الغارة على الباخرة فقد أجاب هذا الطلب مؤملاً أنه بهذه المشاغلة يستطيع أن ينبعهم عن القيام بهشل هذه الغارة وأعطاه صابطين و ٣٦ جندية وصادقى جبهاته . هذا عدا ٣٠ رصاصة أودعت في جراب كل واحد من العساكر .

وقد أتت هذه الجملة في الساعة ٨ صباحاً وكان يسمع من وقت لآخر دوى بعض أعييرة نارية يرن صداتها في القضاء . وقيل الظاهر كانت الجملة فوق الروابي على بعد ٣ كيلومترات تقريراً من المحطة ورأى غوردون إرنست يليس قيضاً أحمر كان قد أعطاه له .

وكان يلوح أن كل الأمور تجري في مجرى حسن . وظللت الجملة في هذا الموضع لغاية الساعة الثانية مساءً ثم توارت عن الأعين . وخرج غوردون عند الساعة الرابعة والنصف للرياضة وإذا به يسمع صوت طلق مدفع من المحطة فارتدى على عقبه مسرعاً وأمسك نظارته وطلع وإذا به يرى زهاء ٤٠ نفساً من الأهل ينحدرون ركضاً في الضفة المقابلة فلم يعر ذلك انتفاته وظن أولئك أهلياً يرددوا الباخرة واستمر يتطلع إليهم فشاهدوا أنهم أخذوا ينسحبون وعندئذ أرسل عليهم بعض رصاصات . وبعد نحو ١٠ دقائق رأى وبالشوم ما رأى ! رأى على الضفة المقابلة جندياً مجرداً من سلاحه فأرسل قارباً ليأتي به في الحال وسأله : أين بندقيتك ؟ فأجاب : أخذها الأهل ثم سأله : ولماذا انفصلت عن رفاقك ؟ فأجاب : لم يذر الأهل منهم دياراً . ثم

سأله : وكيف حصل ذلك ؟ فأجاب : لأنهم استنفدوا ظروفهم .

ولم يكن لدى غوردون في هذه اللحظة سوى ٣٠ جندية و ٣٠ آخرين في محطة موجي وكان يظن انه يوجد ٩٠ جندية غيرهم مع الباخرة في المضيق الشرقي إلا أنه ما كانت توجد لديه أية وسيلة للاتصال بهؤلاء وكانت الساعة عندئذ ٦ مساء . وبما أن معسكره لم يكن محصنا قرر ان ينزل وينضم الى المحطة الأخرى . وبعد ان تكبد عناء جما في المسير ليلا وصل ومن معه الى محطة موجي في الفجر . وحال وصوله شوهد جندى آخر من العساكر التي صحبت إرنست الى الجزيرة المستطيلة على الجهة الأخرى فعبر غوردون بنفسه النهر ليأتى به وليري ايضا مافعل الله بالباخرة لأنه كان في هم وغم ناصب من جهةها .

ولما طاع الى الجزيرة داخلاه الفرح إذ رأى أن الباخرة رجعت الى البر الغربي بعكس الأوامر التي أصدرها . وعلى هذا رجم أدراجه ومعه الجندي الذي قدم للبحث عنه الى المحطة . ولدى وصوله اليها سر سروراً آخر إذ علم ان أربعة عساكر آخرين من جنود إرنست قدموها اليها . وذكر هؤلاء الجنود الاربعة أنه أحبط بالجنود وأنه بعد فراغ جيختاتهم هاجهم الآهالى وقتلوهم . وقتل بين من قتل إرنست متاثرا من الجروح التي أحدثتها حربتان إحداهما أصابته في عنقه والثانية في ظهره . غير انه اتضاح فيما بعد أن سبب تقاد الجيختة انهم كانوا قد أعادوا مقدارا منها الى المركب التي كانت في انتظارهم وقد استولى الآهالى مع الأسف على ٣٣ بندقية . والقبيلة التي اجترحت هذه الفعلة هي نفس القبيلة التي قتلت من رجال البكباشى الطيب عبد الله افندي ضابطا واحدا و ٢٨ جندية

سنة ١٨٧٢ م .

وكتب غوردون الى لينان باشا ينعي اليه ولده المذكور . فكانت هذه مهمة بالغة أقصى درجات الايلام إذ كان هذا الابن النجل الثاني الذي يفقد لينان في هذه الحلة .

وكان من الواجب ان لا تفت هذه المسألة في عضد غوردون وتدعوه الى تأجيـل إتمامه مشروع اقامة خط من المحطات يتـسـدىء من لادو وينتهي عند مكديـه إذ أنه لم يبق عليه لأـجل اـئـام هـذا الخط سـوى اـنشـاء محطة واحدة إلاـ أن اـنشـاءـهاـ كان يـسـتـوجـبـ تـأخـيرـ اـصـعـادـ الـبـاـخـرـةـ لأنـهـ كانـ لاـ يـسـتـطـعـ انـ يـكـونـ فيـ مـكـانـينـ فـيـ آـنـ وـاحـدـ .

ووصل الى غوردون إمدادات بلغ بها عدد الجنود الذين تحت إمرـته ٥٠٠ جندي . وقدم أيضا نور افندي محمد (١) مدير فـاتـيـكـوـ فـارـتـاحـ غـورـدونـ الىـ ذـلـكـ جـدـ الـارتـياـحـ إذـ أـنـهـ كـانـ يـعـتـبرـهـ صـابـطاـ منـ خـيـرـةـ الضـبـاطـ وـأـنـهـ سـيـوـفـرـ علىـهـ مـتـاعـبـ كـثـيرـةـ .

وبما انه قد أصبح لديه الآن العدد الكاف من الجنـدـ فقد رأـىـ أنـ يـجـمـعـ غـنـائـمـ فـأـرـسـلـ كـتـيـبـيـنـ منـ الجـنـدـ لـهـذاـ الغـرـضـ وـبـاغـتـ هـؤـلـاءـ الـاهـالـيـ واستـولـواـ مـنـهـمـ عـلـىـ ٢٠٠ـ مـنـ الـأـبـقـارـ وـ٥٠٠ـ رـأـسـ مـنـ الصـنـانـ .

وفي ١٣ سبتمبر بذلت محمودات أخرى في سبيل اصعاد الباخرة غير أنه

(١) — وصل فيما بعد الى رتبة أمـيرـالـأـلـاـيـ وكانـ قـائـداـ لـحـامـيـةـ سـنـارـ فيـ أـنـتـاءـ الثـورـةـ المـهـديـةـ وـعـنـ سـقـوطـ هـذـهـ المـدـيـنـةـ أـسـرـهـ الدـراـوـيـشـ . وـقـدـ عـاشـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ أـنـ تـوفـاهـ اللهـ .

بسبب خطأ وقع في العمل أفلتت الأحبال من أيدي الجنود الذين كانوا يعاونون في جر هذه البالاشرة فتراجعوا وارتمت على جانبها فوق الصخور . ولكن والحمد لله لم يحصل بها عطب وأنحصر الضرر في ضياع شيء من الزمن لتعويتها وهو زمن كان يمكن صرفه في أشياء أكثر منفعة . وفي غداعة اليوم التالي شرع في العمل ولم يمض سوى ٤ أيام حتى كانت البالاشرة تسبح فوق سطح الماء .

وفي ١٦ سبتمبر بدت من قبيلة من القبائل روح العداوة وفي ١٨ منه قامت ثلاثة من الجنود للاستيلاء على غنائم من هذه القبيلة غير ان الأهالي استندشت الخبر فرجعت الثلاثة بحقى حنين لأنهم كانوا قد هربوا الماشية فلم يجد الجند غير الأواني المنزلية فغنموها .

الإنشاء محطة لا بوريه ومحطات أخرى

وطد غوردون العزم على ان ينشئ قبل كل شيء محطة لا بوريه لكي يكون آمنا من جهة سيره الى الامام فسار من موجي موليا وجهه شطر تلك الناحية في ٢١ سبتمبر فدخلها في ٢٤ منه . واشتم من احدى القبائل رائحة العدوان فقررأيه على أن يستولى منها على غنائم وفعلا انطلق في المسير صبيحة ٢٧ سبتمبر غير أنه لم يستطع ان يغنم منها سوى ٢٥ بقرة ثم أضرم النار في الاكواخ .

وفي ٣٠ منه مشى نحو ١٠ كيلومترات جنوبا بين مناظر تأخذ بالالباب ورأى من الأهالي مودة أنسنته وقوت عزيمته كثيرا .

وكان أيضا مرتحا جد الارتياح لحيازته خطا من المحطات تربط جنوب

البلاد بشمائلها . وما زاده ارتياحا على ارتياح تأكده من صلاحية النهر
للملاحة طول أيام السنة لمراتك الصغيرة وشطرا من السنة للسفن الكبيرة .
وهذه الحالة أبانت له صواب الخطة التي اختطها . وكانت تساوره الآمال
بأنه سوف يتمكن في السنة القادمة من عبور الباخرة و ٦ أو ٨ مراكب
الشلالات وأن يقيم محطات على طول نيل فكتوريا في ماجونجو ، واتفينا
، وفويرا التي قد تم إنشاؤها ، ومرولي ، وعلى بحيرة فكتوريا . وكان
من ضمن الفوائد الجلى التي يجنيها من وراء تلك الخطة الحصول على الماء
الرائق الصاف طول الطريق وكذلك لما رأى الأهالى أن تشييد خط
المحطات أضفى في حكم الشيء الواقع جنحوا إلى المهدوء والسكنينة . هذا عدا أن
السير بمحاذة النهر يجعل الإنسان بنجاة من أن يضل الطريق . وفوق هذا
وذلك كانت الأخشاب توجد بكثرة والأمدادات سهلة وذلك بدون القاء كثير
من الجور على عاتق الأهالى .

وفي ٨ أكتوبر سافر غوردون من لا بوريه قاصدا دوفيليه وحط
رحاله فى أول يوم على قيد زهاء ٢٠ كيلومترا جنوب المحطة الأولى بين
صفين من الأطواط الشامخة فى المضيق الذى نوه عنه ييكر . وكان النهر ضيقا
جدا فى هذا المكان ويبلغ عرضه ٤٠ مترا على أكبر تقدير . وفي اليوم التالى
عاود المسير ووصل الى دوفيليه بدون ان يعترضه أى عارض من قبل الأهالى
الذين لبשו متمسكين بالهدوء والسكنينة طول الطريق .

وفي ١٧ منه بارح دوفيليه وانخذل سبيله فى الأقسام العالية التي تبعد
قليلا عن النهر وذلك ابتعاء تجنبه شواطئه المقطعة بالغدران . ثم عاد وسلك
طريقه على الشواطئ بعد ان قطع نحو ١٠ كيلومترات . وعندئذ تسى له

ان يسمع صرخة مثل قصف الرعد وكان يزداد هذا الصوت كلما سار الى الامام . وفي نهاية الأمر ارتقى صخرة مرتفعة ارتفاعا عموديا من جهة النهر ومن فوق هذه الصخرة تمثل امام عينيه منظر خم يفتن الالباب ويلقى في النفوس في الوقت نفسه فزعًا وجزعا .

وكان اتساع النهر من جهة العلية حيث ينحدر الماء يتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ مترا والماء فيها هادئ ساكن . أما أمام الصخرة فالنهر ضيق وينحصر انحدار الماء منه في مضيقين تبلغ سعة كل منها زهاء ٢٠ مترا وتنفصل أحدهما عن الآخر صخرة . ويستمر الماء في الانحدار بنسبة ٦ : ١ وهو يفور ويجريش الى مسافة ٣ كيلومترات . وما كانت تلك إلا شلالات فويرة الشهيرة باسم « مكديه » . أما تحت هذه المسافة فالماء ساكن . وكان يجب على المرء أن يصرف النظر بتاتا عن التفكير في الجر بالحبال طول هذه الكيلومترات الثلاثة بل كان لا بد من نقل جميع الأشياء جليها وحقيرها وهذه ولا ريب عطلة ينبغي إضافتها إلى ما سبقها من العطلات وضياع الوقت .

والآهالي في هذه الناحية يبنون أكواخهم مجتمعة مع بعضها عكس الباريين الذين يقضون معيشتهم في أكواخ متفرقة . والآهالون يجتمعون الى المدوء والسكنية أكثر من الآخرين . وهذا ما سر له غوردون .

وفي ١٨ أكتوبر ورد البريد من لا بوريه وورد معه نبأ نعى الطبيب فقد توفاه الله في ١٤ منه وبذا أمسى غوردون محرومًا من أية مساعدة طيبة . وحالات بفكه المصاعب التي يلاقيها الخديو في سبيل حكم البلاد بواسطة موظفين من الإجانب إذ أودت هذه الجملة بكثير من أركان حربه .

وفي ٢٢ أكتوبر جاء بريد آخر يحمل خبر قتل رجل بينما كان
ذاهباً من محطة إلى أخرى وتقريراً من الضابط المعين لقيادة لادو يقول
فيه إن الأهالي ينونون بهاجمة هذه المحطة . وبما أنه كان بها ٤ ضباط
و ٨٠ جندياً وهي قوة يراها غوردون كافية لصد هجمات المغربين فقد رد
عليه غوردون يقول :

« ماعليك أنت ومن معك إلا ان تكونوا يقظين وعلى حذر دواماً وأن
تكون المحطة محاطة بسياج » .

وكان يوجد أيضاً كمية كبيرة من العاج كان قد صادرها سير صمويل
بيكر أيام أن كان هو وأبو السعود يناسب كلّاًهما الآخر العداء وهذه
الكمية أمر غوردون بتصديرها .

وأصيب غوردون بحمى متقطعة فذهب إلى فاشيليه Fashelie الواقعة على
بعد ١٢ كيلومتراً شرق دوفيلية إذ ان سطح الأرض الأولى مرتفع عن أرض
الناحية الثانية التي تحيط بها الغدران والمستنقعات . وهناك أبل من مرضه .
وكان يبحث عن مكان يصلح لتركيب الباخرة فيه .

وفي ٣١ منه أتى بريد يحمل نبأً قتل جندي من الجنود ذلك ان هؤلاء
الجنود ارادوا ان يسلبوا شيئاً من الأهالي وانتهت المسألة بقتل ذلك الجندي .

وفي ١٠ نوفمبر ورد بريد علم منه ان الأهالي تهاصر جانباً من محطة
لاتوكا . نظر يساله ان المدير لابد أن يكون قد اقترف عملاً من الاعمال
ثارت له تقوسهم وإلا فما كانوا هاجموه . فأرسل في الحال الأوامر الى محطة
بور ان ترسل اليه مددًا .

وطلب مدير محطة أخرى بمنطقة وعلل طلبه هذا بأن قبيلتين تقتتلان وأنه يكره على أن يتدخل في الأمر فرد عليه غوردون يقول : بما أنه ليس لديك العدد الكافي من الجنود فما عليك سوى أن تلزم الأقامة في محطتك .

وكانت لديه مقدار من العاج تبلغ قيمتها ٤٥ ألف جنيه مصرى كان ينوى أن يرسلها مجزأة .

إخضاعه قبائل المروجى

وكانت ينوى أيضاً السفر نحو الجنوب غير أنه لما كانت القبائل التي تحيط بموجى لم تقدم الطاعة رأى أنه ليس في شيء من أصلة الرأى أن يقوم بذلك الرحلة قبل أن تخضع تلك القبائل . وعول على أن يجمع ٦٠٠ أو ٧٠٠ جندى ل القيام بهذا العمل .

وفي ١٤ نوفمبر رجع غوردون إلى دوفيليه ومنها عاد إلى موجى في ٢٠ منه فوجد فيها خطاباً من الخديو يقول له فيه إنه وضع تحت إمرته الأميرال ما كيلوب باشا وانه أرسل معه ٣ مراكب حربية و ٦٠٠ جندى بقيادة أميرالألائى شاليه لونج إلى « جوبا » Goba الواقعة على شاطئ افريقيا الشرقية ليحتلواها .

وقد ألغت هذه الحملة بناء على إيعاز من غوردون للخديو منذ مدة وذلك لفتح طريق المواصلات من هذه الناحية مع مديرية خط الاستواء لأنه كان يظن أنها من هذا الطريق أسهل منها من طريق ناحية السدود .

وعلم أيضاً بوقوع كارثة في ناحية فاشودة . ويظهر أن قبائل الشلак رفعت راية العصيان وطردت الجنود من محطة « حلة كاكا » Hillet Kaka واستولت على مدفع وان المدير يوسف حسن بك خرج ليعاقبهم فلقي حتفه وأنه لولا قدوم جيسي الى فاشودة على ظهر باخرة لكان فاشودة وقعت في أيدي الثوار .

وفي ١٠ ديسمبر سارت التجريدة التي أعدت لقتال قبائل الموجى غير أنها لم توفق في اعمالها ولم تفز بشيء من الغنائم حتى ولا بيقرة . والكتيبة التي سارت نحو الجنوبتابعت في مسيرها مجرى النهر بدلاً من ان توغل في داخلية البلاد وعلى ذلك وجد الأهالى مندوحة من الوقت للفرار بماشيتهم .

وفي ١٢ منه أعادت التجريدة الكرة وفي هذه الدفعة كانت أكثر توفيقاً إذ أنها غنمته ١٥٠٠ من الأبقار ، وأمل غوردون هذه المرة أن تقدم تلك القبائل الطاعة .

وفي ٢٢ منه رجع غوردون إلى لابوريه ليشتغل بمسألة نقل قطع الباخرة المراد نقلها . وفي ٢٩ منه تأكّد أنها سائرة في الطريق .

١ — ملحق سنة ١٨٧٥ م

تجريدة مكراكا (نيام نيم)

من ٣٠ يناير الى ١٤ مارس

إعداد التجريدة واحتلال بلاد نيم

بعد أن آب أمير الألای شاليه لونج من مأموريته في أوغندا أذن له غوردون بالذهاب إلى الخرطوم ليستريح من وعثاء السفر ثم يرجع ليتسلّم قيادة التجريدة المزعّم إرسالها لضم بلاد مكراكا « نيم نيم ». واتباعاً لهذا الأمر عاد في ١٠ يناير سنة ١٨٧٥ إلى لادو التي أصبحت مقراً لكرسي مديريات خط الاستواء . واستدعي عمل هذا التبديل زيادة عدد الوفيات زيادة فاحشة في غندوكورو صيرت هذه الجهة مقبرة حقيقية وثوى في تراها كثير من رجال الحملة من أجانب ووطنيين .

وطفق بمجرد قدومه يشتغل في تحضير لوازم التجريدة التي كان الغرض من إرسالها شق طريق وسط قبائل ينباري Yanbaris المعادية والتي حالت لغاية هذا الوقت دون المرور إلى بلاد المكراكيين وسدت طريق الوصول إليها في غرب النيل . وكان الغرض من احتلال هذه النواحي الاستفادة بمقدار من العاج الذي يوجد فيها بكثرة وتوطيد دعائم سيطرة الحكومة حتى تتمكن من تأدية مهمتها في نشر المدنية بين تلك الربوع .

ثم انه كان يوجد هنالك داع آخر الا وهو صحة الجنود المصرية التي أمست في حالة حرجة كثيرة . فقد اختار شاليه لونج في الخرطوم ٤٥ جنديا من اورطة مكونة من ٨٥٠ جنديا وصلوا بصحبة جيدة ولكن ما لبث ان وقع منهم عدد كبير بين بران المرض وهذا دليل واضح على أن أجسامهم لا يلائمها مناخ هذه النواحي .

ولما كانت بلاد نيم نيم مشهورة من الوجهة الصحية أنها جنة افريقيا الوسطى فقد تقرر احتلالها لاستغلال ثروتها واستئفاء الجنود بعليل هوائها .

والكتيبة التي تألفت لهذه التجربة كان مجموعها ٧٠٠ جندي بين مصريين وسودانيين والكل مسلحون بأسلحة رمنجتون .

وفي مساء ٣٠ يناير تمت كافة الاستعدادات وفي ٣١ منه بارح شاليه لونج لادو باكرا على رأس ثلة من الجنود يرافقه ٢٠ عسكريا سودانيا بصفة حرس خصوصي . وقبل ذلك بيضعة أيام أرسل كتيبة مثل هذه تقريبا معدة لنفس هذا الغرض وأمرها بأن تتقدم في مسيرها متصرفة وان تمشي الهوينا . وكان عقد النية على ان يلحق بها وينضم اليها قبل ان يدخل في بلد الينباريين الذي كان يتعين عليه حتما ان يختاره . وكان يرافقه الجنديان سعيد بقاره وعبد الرحمن الفوراوي و ١٥٠ حمالا من قبيلة الباريين ليحملوا أمتعة التجربة بأجرة بقرة لكل حمال منهم .

ونصبوا المعسكر في اليوم الأول على مد البصر تقريبا من غندوكورو التي كانت فيها سلف عاصمة المديرية على ضفة النهر الغربي .

وفي أول فبراير عند الساعة السادسة صباحاً اقتلت الجنود المضارب واستدبرت النهر وولت وجوهها شطر داخليّة اليابسة . والطريق التي ساروا فيها في اليوم الأول والثاني تناسب في بلد جميل المنظر كثيـر المرتفعات والمنخفضات وتنشر بين ربوـعه الأشجار الشامخة فيـرى الإنسان وهو يستظل بظلالـها الـوارفة قـرى بدـيعة تـتألـف من أـ��واـخ من القـش ذات شـكل مستـدير واهـراء مـلـأـي بالـحـبـوب .

وفي ٢ منه توغلـت التجـريـدة في بـقـاع تـغـطـيـها الأـدـغال أـرضـها ذات أـخـادـيد وجـافـة وآخـادـيدـها صـيرـت السـيرـ فيهاـما لـيـس صـعبـا فـحسبـ بل خـطـراـ أيضاـ . وـحرـها لـافـح يـشـوـى الـوجـوهـ والمـاءـ فيهاـما مـعـدـومـ ولاـ يـوجـدـ إـلاـ في جـنـدـوعـ الأـشـجـارـ في مـوـاضـعـ حـفـرـتهاـ الفـيـلةـ وـتـلـكـ المـوـاضـعـ تـعاـلوـهاـ الأـوـحالـ . وـكـانـ لـابـدـ منـ الـوقـوفـ مـرـارـاـ وـتـكـرارـاـ ليـتـيسـرـ أـخـذـ شـيءـ منـ الـراـحةـ للـجـنـوـدـ وـالـجـمـالـينـ الـبـارـيـنـ . وـقـدـ وـصـلـتـ التجـريـدةـ فيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ إـلـىـ خـورـ عـسـكـرـتـ بـجـانـبـهـ لـتـضـيـ فيـهـ لـيلـهـ .

وفي ٣ منه سارت في الساعة السادسة صباحاً ووصلـتـ فيـ مـنـتصفـ السـاعـةـ الثانيةـ إـلـىـ جـبـلـ مـرـىـ Gabal Meri وهناكـ قضـىـ الجنـوـدـ لـيـلـهـ . وفي ٥ منهـ بعدـ مـسـيرـ بـيـنـ أـدـغالـ لـاقـتـ بـسـبـبـهـ التـجـريـدةـ عنـاءـ جـمـاـ اـنـهـتـ إـلـىـ جـبـلـ المـيـاهـ حيثـ حـفـرـتـ فيـ مـسـيـلـ خـوـرـ نـاصـبـ حـفـرـاـ اـبـتـغـاءـ الغـنـورـ عـلـىـ المـاءـ . وـفـاضـ رـوحـ الـأـوـبـاشـىـ عـلـىـ جـلـلـ اـفـنـدـىـ بـعـدـ انـ شـعـرـ بـالـمـرـضـ قـبـلـ وـفـاتهـ بـيـضـنـ لـحظـاتـ فـوـارـوـهـ التـرـابـ عـنـدـ غـرـوبـ الشـمـسـ باـحـتـفالـ عـسـكـرـىـ . وفي ٦ منهـ مـاتـ جـنـدـىـ آـخـرـ مـتـأـثـراـ مـرـضـهـ بـالـجـمـىـ وـورـىـ التـرـابـ باـحـتـفالـ عـسـكـرـىـ كـذـلـكـ .

بِلَوْغَهَا بَلَدُ الْيَنْبَارِيِّينَ

وفي ٧ فبراير بلغت التجريدة حدود بلد الينباريين . وهذه العشيرة تعشى تقريباً بقعة ذات اتساع شاسع برمتها كانت واضعة اليـد علـيـها في العصور الخالية قبائل اكثـر منها رـكـونـا إـلـى المـدـوـء والـسـكـيـنـة فـقـتـلـهـا الـيـنـبـارـيـونـ أو طـرـدوـهـا . وـنـظـرـاً لـكـوـنـهـمـ قـومـ حـرـبـ وجـلـادـ غـلـاظـ الـأـكـبـادـ فقد نـجـحـوا فـعـلاـ فـي سـدـ المـرـورـ بـيـنـ النـيلـ وـالـغـربـ .

ومع ان شاليه لونـجـ لم تـحـدـهـ نـفـسـهـ أـنـ يـعـلـمـ عـلـيـهـ حـرـبـ إـلـاـ أنهـ ماـ كـانـ يـرـتـابـ فـيـ إـنـهـ سـيـهـاجـ وـنـهـ . وـعـلـىـ ذـلـكـ سـيـرـ التـجـرـيـدـةـ صـفـيـنـ وـسـيـرـ خـلـفـهـ سـاقـةـ ذاتـ قـوـةـ كـبـيرـةـ لـوـقـايـتـهـ وـأـعـطـيـ أـوـامـرـ مـشـدـدـةـ حتـىـ لاـ يـتـعـدـ أـحـدـ مـنـ الـجـنـودـ عـنـ الصـفـوـفـ وـارـسـلـ إـلـىـ الـمـقـدـمـةـ كـشاـفـةـ لـاستـكـشـافـ حـالـةـ الـادـغـالـ الـتـىـ يـتـخـذـ مـنـهـ الـأـهـالـىـ مـوـاـقـعـ صـالـحةـ لـالـجـوـمـ وـكـانـ يـرـىـ مـنـ خـلـالـ الـحـشـائـشـ زـرـائـبـ كـثـيرـةـ . وـهـذـهـ الـزـرـائـبـ الـبـنـيـةـ بـنـاءـ لـيـسـ فـيـهـ شـئـ مـنـ النـظـامـ يـحـيـطـ بـهـ سـيـاجـ مـنـ صـفـارـ الصـبـارـ يـجـددـ دـوـاماـ زـرـعـهـ . وـهـذـاـ الـنبـاتـ لـهـ اـشـوـابـ قـاطـعـةـ كـالـسـكـاكـينـ وـعـلـىـ ذـلـكـ فـالـسـيـاجـ الـذـىـ يـتـخـذـ مـنـهـ لـاـ يـكـنـ لـلـمـحاـصـرـ الـعـارـىـ الـجـسـدـانـ يـخـتـرقـهـ . وـالـسـائـلـ الـلـبـنـ الـذـىـ يـخـرـجـ مـنـهـ سـمـ قـاتـلـ يـغـمـسـ الـيـنـبـارـيـونـ فـيـهـ سـهـامـهـ وـحـرـابـهـ مـرـاتـ عـدـيدـةـ إـلـىـ انـ تـكـتـسـيـ طـبـقـةـ عـجـيـنـيـةـ مـنـهـ . وـالـجـرـوحـ الـتـىـ تـحـدـهـ هـذـهـ السـهـامـ وـالـحـرـابـ هـىـ جـرـوحـ قـاضـيـةـ وـلـمـ يـكـنـ مـعـرـوفـاـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ دـوـاءـ مـضـادـ لـهـذـاـ سـمـ يـنـجـيـ الـمـصـابـ بـهـ وـهـذـهـ الـقـبـيـلـةـ هـىـ الـوـحـيـدـةـ بـيـنـ قـبـائـلـ اـفـرـيقـيـةـ الـوـسـطـىـ بـرـمـتـهـاـ الـتـىـ تـسـمـ بـهـذـهـ الطـرـيقـةـ سـلـاحـهـ . وـفـيـ لـيـلـةـ هـذـاـ الـيـوـمـ نـفـسـهـ بـلـغـتـ التـجـرـيـدـةـ أـرـضـاـ مـكـشـوفـةـ وـنـزـلـتـ تـحـتـ دـوـحةـ هـاـئـلـةـ . وـلـمـ تـقـعـ عـيـنـ لـعـيـاهـ هـذـهـ

اللحظة على اليهوديين الذين كانوا يفرون فرار الآبق عند ما يلوح لهم
شبح التجريدية . ومع هذا لوحظ عند أ Fowler الشمس عدد كبير منهم
محبّم على الميسرة .

وفي ٨ فبراير حلت التجريدية رحالتها مبكرة . وابعد جندي من جنود
ساقها عن صفوف الجيش خالفا بفعلته هذه تعليمات شالية لونج وهو
عسكري سوداني يقال له اسماعيل داشا . وكان ابعاده هذا في اللحظة
التي أُوشكت أن تعطى فيها الأوامر بالوقوف . وفي هذا الوقت سمع
في الخلف طلاق عيار ناري فامتطي في الحال شالية دابته ورجع عدوا مع
العساكر السودانية فوجد الجندي سابحا في بحر من الدم الذي سال من
الجروح الهائلة التي أحدثتها بجسمه الشهان والحراب . وخف هو ومن معه
خلف أولئك السود الذين كانوا منهم على مرمى البصر وأصلوهم نارا حامية
وهم على وشك الاختفاء في جوف الادغال وبعد ذلك أضحت كل مطاردة
عنيمة . وعند ما وصلوا إلى المصايب ضمدوا جراحه وتبسر لهم ايقاف النزيف
ثم نقل على سرير « عنقريب » إلى المخطة حيث توفى بعد أربعة أيام متأثرا
من جراحه . وعقدوا النية على الاقامة في هذه المخطة وكان وصوّلهم
إليها في ١٠ منه .

وصولها إلى خور إيه

وعند ظهر اليوم العاشر من فبراير بلغوا شواطئ « خور إيه »
Khor El Yeh قرب زريبة الشيخ الأطروش وهو شيخ مصاف للحكومة
وهناك وجدوا الفصيلة التي أرسلت قبلًا . وقدم الأطروش والضباط ليقدموها
واجب التحية إلى شالية لونج وأخبروه أنهم أضعوا كثيرا من الرجال أثناء

الطريق بسب الحميات .

والاطروش هذا صياد من صيادي العاج القدماء قدم الى هذه البلاد منذ
زمن بعيد مع عصابة من الدناقلة واشتغل في تجارة العاج في بلد المكراكيين
« نiam نiam » ونجح فيها . وسار بعده حملات سيرا مرضيا وتوغل بها في داخلية
البلاد . ثم لما احتكرت الحكومة العاج انضم اليها ودخل في خدمتها .
وكان الصلات مع نiam نiam على أتم ما يمكن من الصفاء والمودة
وكان ينقصهم أمر واحد ألا وهو القوة العسكرية وكان شاليه قد
عقد النية على سد هذا الفراغ باقامة نقطة عسكرية مستديمة في ديارهم .

وكان نهر إل يه La rivière El Yeh ينساب متوجهاً إلى الشمال ويستمر في اتجاهه هذا إلى أن يبلغ شمالي وفيها تختلط مياهه ب المياه البحر الأبيض . وهذا النهر لا يصلح لسير السفن الكبيرة إلا في فصل الأمطار . وكانت محطة الأطروش واقعة على قيد ١٥ دقيقة من ضفته وعلى صفة مجرى صغير يصب في نهر إل يه .

وَقْسَمَ شَالِيَّهُ لَوْنِجَ كَسْتِيَّتِيهِ إِلَى أَرْبَعَ فَصَائِلَ كُلَّ فَصِيلَةٍ قَائِمَةً بِذَاهِرِهَا
مُسْتَرْشِدًا فِي ذَلِكَ بِتَجَارِبِ الْأَطْرُوشَ . وَوَضَعَ كُلَّ فَصِيلَةً تَحْتَ إِمْرَةً وَاحِدَةً
مِنَ الضِّيَاطِ وَزَوَّدَ كُلَّ ضَابِطٍ بِتَعْلِيمَاتٍ مُفْتَضَاهَا أَنْ يَبْذِلَ كُلَّ مِنْهُمْ مُجْهَودَهُ
فِي تَوْطِيدِ حَسْنِ الْعَلَاقَةِ مَعَ الْأَهْلَى وَأَنْ يَسْعِيَ فِي تَحْسِينِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ جَمِيعِ
الْوِجْوهِ . وَبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ تَقْسِيمَ جَنُودِهِ وَوَاجَهَ كُلَّ قَسْمٍ مِنْهَا الْوِجْهَةَ الَّتِي أَرَادَهَا
عَقْدَ النِّيَّةِ عَلَى أَنْ يَكْتُرَى ٦٠٠ حَمَالٍ لِتَرَافِقَهُ إِلَى الْبَحْرِ الْأَيْضِ وَلِتَنْقُلَ ٦٠٠
نَابَ مِنْ أَنْيَابِ الْفِيلَةِ طَبْقًا لِرَغْبَةِ الْأَطْرُوشَ .

وبسبب ما قاساه النiams نiam من ضروب القسوة وما عانوه من المشاق بسبب غارات اليهوديين على بلادهم التمسوا من شاليه لونج أن يأذن لهم باعلان الحرب على هؤلاء الآخرين . وجعلوا في هذا الاذن شرطاً لعودتهم معه . وكان هذا جل مراده أيضاً إذ انه كان يرغب أن يثار من اليهوديين لسفكهم دم اسماعيل داشا وكانت رفاق هذا يرغبون هم الآخرون فيأخذ الثار أضعافاً مضاعفة مما كان يرغب شاليه لونج وعلى ذلك تم الاتفاق على ان يذهب النiams نiam معه .

سفرها الى بلاد مكرaka

وفي ١٥ فبراير سافر الى محطة أخرى في الشمال الغربي يصحبه حرسه السوداني والاطروش . وهذه المحطة يقال لها مكرaka اسارية Makraka Assaria وبعد مسيرة أربع ساعات دخلوها بسلام . وشيخ هذه النقطة كان رجلاً أفغانياً اسمه احمد أغنا قدم هذه النواحي منذ اربعين عاماً كثيرة وعلق آماله بنيل الثراء بواسطة الدنانة . وزريته التابعة للاطروش كانت مثالاً في النظافة وحديقته الشاسعة الواسعة المعدة لزراعة الخضر والموز كانت برهاناً ساطعاً على ما تحلى به من حسن الفطن الامر الذي لم تتعهد رؤيته في افريقيا . وبما ان شاليه لونج كان ينوي أن يقيم هناك محطة وكان قبل ذلك قدم الى هذا المكان الضياء والجنود فتقدم هؤلاء وقدموا له شكرهم وأكدوا له أنهم يرثاحون جداً الراحة للإقامة في هذه الجهة . والظاهر أن في استطاعتهم أن يجدوا فيها عدداً من النساء لا حصر له .

وفي ١٨ منه بارح هذه المحطة في الساعة السادسة صباحاً يصحبه أيضاً الاطروش وولى وجهه شطر مكرaka الكبيرة حيث كان فيما سلف من

ال أيام قد أقام محطة . فكانت عينه تقع دائماً أبداً على مناظر لا تتغير ولا تتبدل والآهالي الذين يقابلهم في طريقه يبدون له ولاء ومودة . وانهوا من المرحلة الأولى الى تجده مستوى السطح تكسوه أكواخ من القش حسنة البناء حيث كان في انتظارهم الشيخ بارافيyo Parafio ليربح بقدورهم ويكرم وفادتهم . والشيخ بارافيyo هذا من اهالي النيل نعام وله ١٠٠ زوجة و ٢٥٠ ولدا . وبعد أن أكرم مثواهم وقضوا ليتهم انطلقوا في الغد يشقون الى ان بلغوا نقطة أمامية وضعت فيها ثلاثة من الجند . اما المحطة نفسها فكانت قائمة عند قاعدة جبل ينجبتير Lingeterre . ومن هذا المكان يستطيع المرء ان يرى جبل باجينسي Baginsi الذي وصل اليه الدكتور شوينفورث Dr. Schweinfurth عند ما قدم من بحر الغزال بصحبة أبي حامد . وهذا من المشايخ الدنائلة رافق الأول بصفة دليل في هذه السياحة .

وكانت طبيعة أراضي تلك الناحية حديدية وساكنوها يشتغلون باذابة المعادن وصنع مزاريقهم ذات الأسنان المثلثة . أما السبائك والأطواق النحاس التي يتخذون منها حلاهم فترتديهم من أقلام دارفورد الذي يمكن الوصول اليه بعد مسيرة ٢٥ يوماً في طريق يسلكه الدنائلة رواد الزبير رحمة الله باشا .

وكان هؤلاء دخلوا هذه الأرضي منذ سنين كثيرة بقصد استغلال العاج . وبين هذه الناحية ولادو قاعدة الحكومة على ضفة النيل مسافة ٢٥٠ كيلومتراً وذلك مما يجعل طريق الداخلية أكثر استقامه وبالتالي أقصر كثيراً . وهي فائدة عظمى للحكومة . غير انه كان يبقى بعد ذلك لتوطيد الأمان في هذه المسافة ايقاع العقاب بالبنباريين وخضـد شوكتهم بل ملاشاتهم

اذا دعت الحالة الى ذلك لأن وجود هؤلاء القوم كان ضربة قاضية على القبائل المجاورة .

وكان الزرية الموضوعة تحت اشراف كبير من كبار الزوج يقال له فضل الله لا تختلف في شيء عن مجموعة الاكواخ التي من القش المحاطة بسياج والمسماة بهذا الاسم .

وفي ٢١ فبراير رجم شاليه لونج الى مكرaka أساريا مبكرا بعد أن عرض الجنود . وكان عليه ان يظل في هذه الناحية يوما وكان ينوى بعد ذلك ان يعود الى « مكرaka موندو » Makraka Mundo وهي محطة الاطروش لكي يتخلص من الاجراءات الالزامية لايجد العدد اللازم له من النیام نیام ليرافقوه بصفة حمالين لنقل العاج .

وبعد مسافة أربع ساعات وصل الى زريبة صديقه پارافيو Parafio الذى أقمع الاطروش صديقه أن يطلب منه البقاء الى اليوم التالى فأجيب الى هذا الطلب وفي المساء أقيمت حفلة رقص كبيرة من نوع رقص الكنفو احتفاء به .

وفي الغد عند الساعة السادسة صباحا ودع شاليه لونج پارافيو وبعد مسيرة ثلاثة ساعات دخل محطة مكرaka أساريا تحت رذاذ من المطر واستقبله الشيخ احمد اغا بكثير من الابتهاج والفرح وأنباء أنه جمع كثيرا من العاج وأن مسألة جم الحمالين سائرة سيرا مرضيا .

وفي ليل ٢٣ منه أقام الشيخ مرقصا كبيرا على النمط الكونغى وجمع لهذه المناسبة سائر رجال حربه وأرسل دعوة الى كل عذارى النیام نیام .

وكان الشيخ وهو رجل قوى البنية شديد العضل يدير حركة مركب رجال حربه . وكان يحمل صارما عجيب الشكل رمزا لسيطرته . وظلت الحفلة حتى مطلع الفجر .

وفي ٢٤ فبراير رجع شاليه لونج الى مكراكا موندو وهي محطة الأطروش التي كان ينوى ان يجهز فيها امدادات السفر في أقرب وقت لأنّه كانت تتواتر ده رياح ززع عاتيّة تحمل في ثناياها بردًا منذرة بقدوم فصل الأمطار قبل الأوان . ونبأ الشیخ أن فصل الأمطار هناك يتقدّم شهرًا على زمن حاوله في غندوكورو .

معاقبـة شـالـيـه لـونـج لـايـنـيـهـارـين

وكان التجربة عندئذ قد بلغت مراده وأصابت المرمى الذي قدمت من أجله . وكان يحق له أن يعيبط بالنتيجة التي وصل إليها لأنّه وطد أركان الحكومة وثبت دعائهما وجمع معلومات قيمة خاصة بالبلد وسكنه ولم يبق على كاهله إلا أمر واحد ألا وهو إزالة القصاص عند أوبرته بعشيرة الينباريين . فوجّه كل ثقائه وحصر كل عنایته في تجنيد أهالي النيل نيام وهذه المسألة لم تكلّفه سوى شيءٍ زهيدٍ من العناء . ومهد له الطريق لبلوغ غرضه هذا منحه الأهالى بعض هدايا من نسيج القطن .

وفي ليلة ٦ مارس كان شاليه قد فرغ من تجهيز جميع المعدات . وأصر باقتراح كل ناب من ال ٦٠٠ ناب الفيل المتجمعة لديه الواحد بالآخر بواسطة حبل . وكان ٦٠٠ رجل من المكراء كيدين واقفين على أهبة السفر في الغد عند أول إشارة . ورغم الشيخ الأطروش الایاب معه وأن يستصحب

صيادي العاج الدنائلة غير النظاميين البالغ عددهم ٥٠ . وكان قد زاد عدد الحرس السوداني المكلف بحرافته من انضم اليه من الجنديين الجدد . وانضم كذلك الى حرسه الخاص كثير من أهالي نيم . هذا ، وبضم غير النظاميين والجنود الى من تقدم ذكره كان يبلغ عدد الذين تحت إمرة شاليه لونج ١٤٠٠ رجل . وقد ساوره شيء من الهم بشأن أقواته إلا أن الأطروش طأنه من هذه الناحية وقال له إنهم سوف يجدون الشيء الكثير من الرزق أثناء الطريق .

وكانت التجارب قد عامته أنه اذا أراد السفر مبكرا لزم أن يأخذ في السير من العشى . وعلى هذا أمر حمال العاج وغير النظاميين أن يذهبوا ليلا الى نهر إليه ويعسكروا بجانبه وان يتأنبوا للسفر في الفجر وهذا الاحتياط حال دون أي تأخير في المسير صباحا .

وفي ٧ مارس عند ما بُرِزَ قرت الغزالة بارح شاليه لونج المعسكر مصحوبا بالاطروش وبالجنوديين سعيد بقاره وعبد الرحمن الفوراوي وحرسه السوداني كي يذهب وينضم الى الكتيبة النازلة على صفة نهر إليه التي كانت متربعة قدومه لتعاوند السير معه متوجهة شطر البحر الأبيض . وشعر شاليه بتحسن في حالته الصحية بينما كان موليا وجهه نحو لا دو مع أنه كان هو ورجاله عرضة في كل يوم لنوبات الحمى . وما ذلك إلا لأن جسمه كان يتوق الى الراحة عقب عام قضاه في حركة مستمرة بين أوحال وأدغال والاختلاط بأقوام همج متوحشين . وبناء على ما تقدم كان يرى أن وصوله الى لا دو يضع حدا لمعابده .

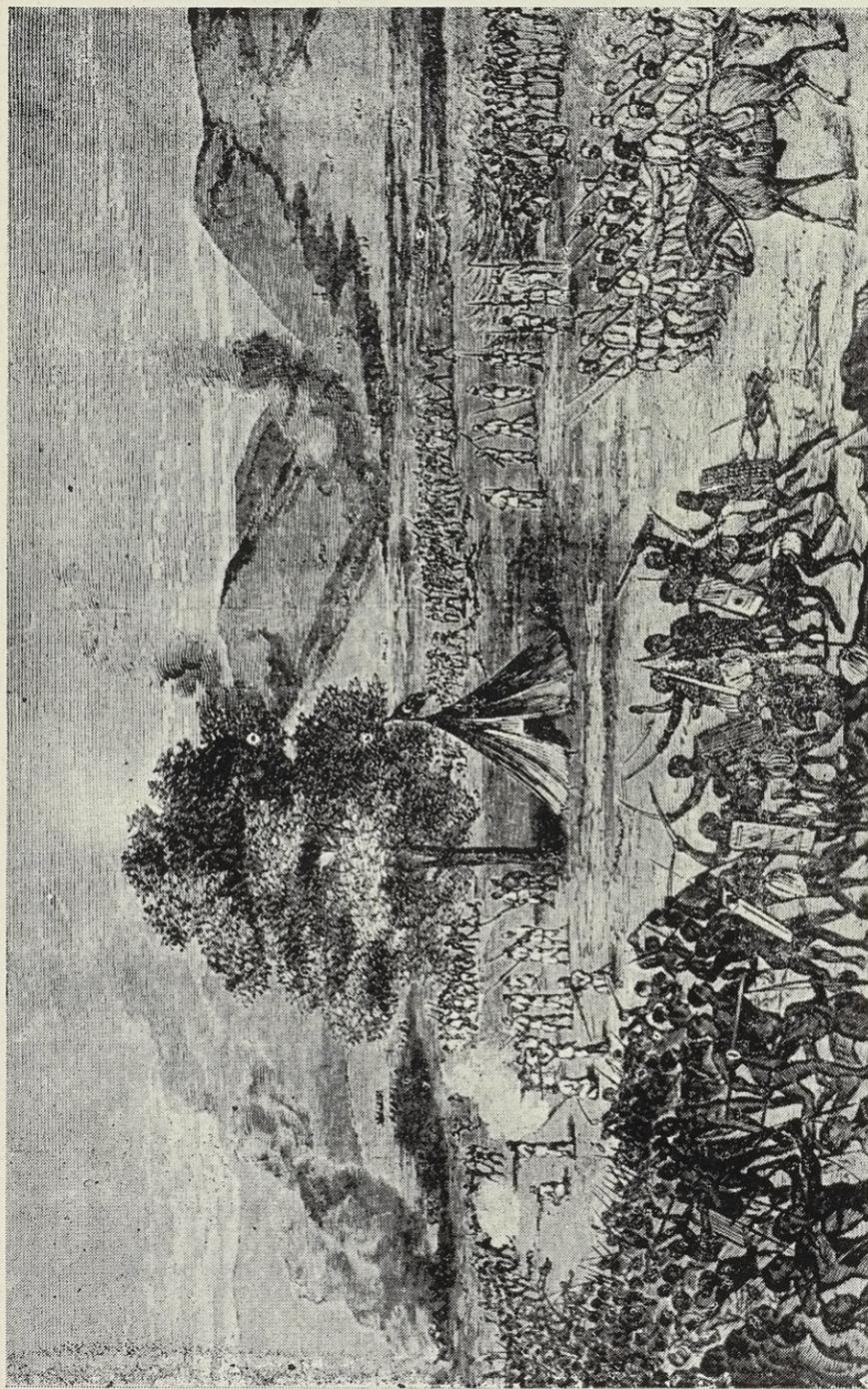
ولم يجد العساكر السودانيون أي تذمر من المسافات الشاسعة التي كان

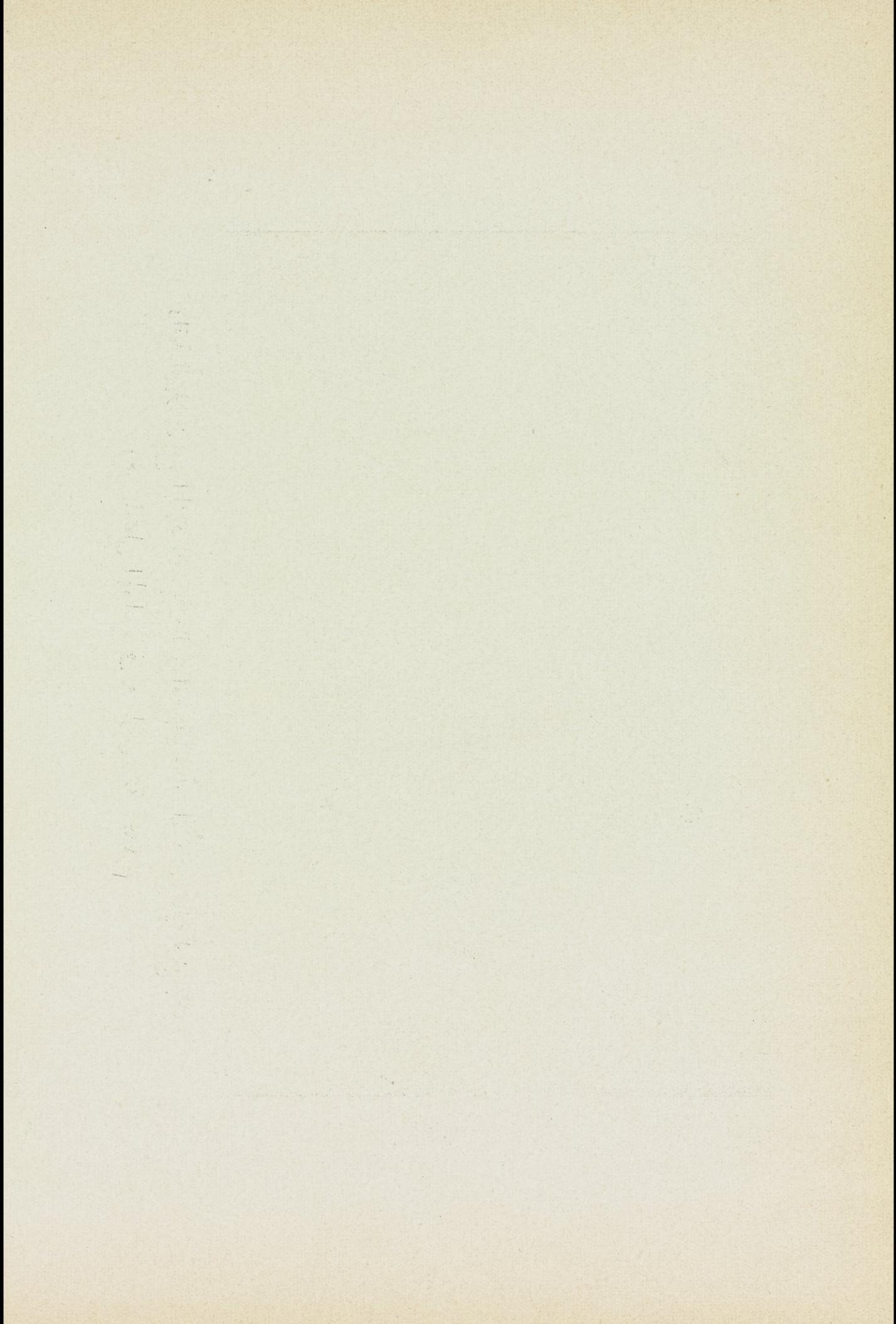
يكلفهم بقطعها . وهذه شهادة حق كان يقر لهم بها فرحا مسرورا . وفوق ذلك فإنه لم ير منهم ولا من الجنود المصرية في أثناء رحلات متعددة وطويلة إلا إخلاصاً ووفاء ونظاماً لا يسمى عليه نظام عند ما كانوا يقومون بأعمال تحت إشرافه .

وفي ٩ مارس قبيل منتصف النهار وصلت التجريدة قرب المكان الذي كان هوجم فيه الجندي اسماعيل داشا هجوماً فظيعاً لقى فيه حتفه . فتبيّج عند ذلك رفاقه السودانيون هيجاناً شديداً غير أنهم أطاعوا الأوامر التي وجهها لهم شاليه لونج ولم يخرجوا عند منطقتها قيداً ملأة . وكانت هذه الأوامر تقتضي بأن لا يقوموا بأى عمل دون أن يوافق عليه . وكان في نيته أن يتوجه إلى نجد ملاصق لجبل حتى إذا بلغه استحضر الشيخ الذي وقعت من رجاله الجناية وطلب منه تسليم القاتل . وأقيمت العقبات في سبيل بلوغ هذا الأربع وعند ما انتهى الجيش إلى المضيق الموصل إلى النجد الذي كان ينضم إلى الوصول إليه رأى أن الذروة اليمنى منه تحتملها قوة من اليهودين . وقابل هؤلاء الجيش بالصياح وتحرسوا لقتاله وعندئذ دفع شاليه القوة غير النظامية إلى الإمام بقيادة الأطروش لتطرد العدو من الأدغال الكثيفة التي كان يحتجب فيها ويهدى منها الجنود بسبابه المسمومة . وعند ما طرد شيخهم من مكمنه أصابته قذيفة في رأسه خر صريعاً على الطريق . وفي هذا الوقت كان شاليه لونج لا بدأ على صخرة مشرفة على الميدان يدير حركة القتال وما لبث الجيش أن طرد الأعداء من مكانهم واحتياز المضيق عدواً بدون خسارة واستمر يرسل النار بانتظام وهو يتسلق منحدر النجد .

وأمر شاليه لونج رجال ن iam أن يكبسوا العاج وأقام عليه فصيلة

وأقصى البيباريين مع الجنود المصرية والسودانية بقيادة أمير الألائي شاليه لوبيج بلوك وهو المحتل الجاد ، في ٩ مارس سنة ١٨٧٥ م





من السودانيين لحراسته وأحاط المعسكر ايضا بحرس بعد أن جمع بداخله غير المقاتلين . وطرد بواسطة العساكر السودانية والجنود غير النظامية اليهاريين من الأدغال التي تحيط بالناحية وأرسل رجال نیام نیام في وسط الأعداء لينازلواهم جسما لجسم . وفي الحال أخذ اليهاريون وهم لا يذلون بأذىال الفرار يبذلون الجهد لبلوغ الجبال القاعدة أمام الجنود .

وعند ما أرخى الليل سدوله شوهد لهب ودخان يتتصاعد في الفضاء ويحيط الوادي والجند بدائرة من النيران . ولم يرجع رجال نیام نیام إلا في الغد وذلك عند غروب الشمس بعد أن أشعلوا النار في ٢٠ قرية وغنمو ماشية . وبذا تلقى اليهاريون درسا يضمن عدم عودتهم في المستقبل لسد الطريق بين البحر الأبيض وأراضي نیام نیام الموادعين .

وصول التجريدة الى لادو

وفي صباح الغد ١١ مارس وات التجريدة سيرها فلم تر في طريقها نفرا من اليهاريين حتى كأنهم اختفوا بين سمع الأرض وبصرها . وفي عشية يوم ١٢ منه انتهت الى المكان الذي كان قضى فيه الانباشي على جلال أفندي نحبه ونزلت فيه عند ما توارت الشمس بالحجاب وكان التعب قد أنهكهها بعد مسيرة يوم كامل . ورغمما عن ال ٣٦ ساعة التي وقفتها في بلد اليهاريين تقدمت بسرعة مدهشة فوصلت الى لادو في ١٤ مارس . وانتشر خبر مقدمه وعند دخوله فيها استقبلته حاميتها المؤلفة من ٢٥٠ جنديا استقبلا عسكريا

نفما وأخـبره البكباشى على لطفى افندي (١) قائد المحطة بأنـه أمر بـأن يعمل هـكذا وألحـ عليه إلحاـ شديداـ بـأنـ يظهر أمام الجيش رغمـا عنـ انـ كسوـته كانت ملوـنة و Mizqah . فنزل شـاليه لونـجـ عنـ صـوهـ جـواـدهـ واتـجهـ نحوـ الجيش يـصـحبـهـ القـوـمنـدانـ وصـالـحـ اـفـنـدـيـ طـبـيبـ المـحـطـةـ فـقـدـمـتـ لهـ السـلاحـ تـكـرـيمـاـ وـتعـظـيمـاـ . وـفـيـ آـنـاءـ ذـلـكـ كانـ القـوـمنـدانـ يـتـلوـ الـأـوـامـ الـعـالـيـةـ التـيـ منـحـهـ يـعـقـضـاـهاـ كلـ منـ جـلـالـةـ السـلـطـانـ عـبـدـ العـزـيزـ وصـاحـبـ السـمـوـ الـخـديـوـ رـتـبـةـ أمـيرـ الـأـلـايـ وـالـنـيـشـانـ الـمـيـديـ منـ الـدـرـجـةـ الثـالـثـةـ مـكـافـأـةـ لـهـ عـلـىـ ماـ أـدـاهـ مـنـ الـخـدمـ المـبـيـنةـ بـالـخـطـابـ التـيـ سـيـذـكـرـ فـيـ بـعـدـ وـمـوجـهـ مـنـ صـاحـبـ السـمـوـ الـأـمـيرـ حـسـينـ كـامـلـ نـاظـرـ الـجـهـادـيـ إـلـىـ أمـيرـ الـأـلـايـ غـورـدونـ الـحـكـمـارـ الـعـامـ لمـدـيرـيـاتـ خطـ الـاسـتوـاءـ :ـ

الـقـاهـرةـ فـيـ ٧ـ دـيـسـمـبـرـ سـنـةـ ١٨٧٤ـ

نظـارـةـ الـجـهـادـيـ مـكـتبـ النـاظـرـ

ياـ حـضـرـةـ الـمـيـالـيـ

لـقـدـ تعـطفـ سـمـوـ الـخـديـوـ وـأـرـادـ أـنـ يـظـهـرـ لـقـائـقـامـ لـونـجـ التـفـاهـ وـحـسـنـ رـضـاهـ نـظـراـ لـمـاـ أـبـدـاهـ مـنـ حـسـنـ السـلـوكـ وـالـأـقـدـامـ وـالـثـبـاتـ فـيـ المـوقـعـيـنـ الـتـيـ حدـثـتـاـ عـنـدـ مـرـوـلـىـ بـالـقـرـبـ مـنـ خـطـ الـاسـتوـاءـ فـنـحـهـ رـتـبـةـ أمـيرـ الـأـلـايـ مـعـ الـنـيـشـانـ الـمـيـديـ .ـ

(١) — تـرقـىـ فـيـماـ بـعـدـ إـلـىـ رـتـبـةـ قـائـقـامـ وـأـرـسلـهـ عـبـدـ الـقـادـرـ باـشاـ حـلـمـيـ حـكـمـارـ السـوـدـانـ الـعـامـ عـلـىـ رـأـسـ فـرـقـةـ لـتـعزـيزـ حـامـيـةـ الـأـيـضـ الـتـيـ كـانـ يـحاـصـرـهـ عـنـدـ ذـاكـ الـمـهـدـيـ فـلـمـ تـمـكـنـ مـنـ الـوـصـولـ إـلـىـ الـجـهـةـ الـمـرـسـلـةـ إـلـيـهـ وـأـبـادـهـ تـقـرـيـبـاـ عـنـ آـخـرـهـ الـمـهـدـيـوـنـ بـالـقـرـبـ مـنـ بـارـهـ وـقـتـلـوـهـ هـوـ الـأـخـرـ .ـ

وتجدون مع هذا الفرمان الصادر بذلك فأرجوكم أن تساموه لأميرالألای
لو نج باك وتقدموا له في الوقت ذاته من قبلى التهانى .

وتفضيل ياحضرة الميرالاى بقبول تمنياتي الطيبة ۷

« إمضاء » حسين كامل

* * *

وفي ۱۷ مارس قام شاليه لو نج الى الرجاف ليقدم تقاريره ويتحدث مع
أميرالألای غوردون في عدة مسائل هامة تتعلق بأفريقية الوسطى . وكان يتمنى
أن يكون كباريحا عوقب وكان يعتقد ان تنصيب ريونجا ملكا في مرولى يمتن
رابطة المودة مع متيسا ويدعو كباريحا لزيارة البلد ويرى ان كوكبة من
الرجال ممتطية ظهور الجياد أو البغال تستطيع عندئذ أن تتکفل باخضاع تلك
البقاع وتعجل حل مسألة البرت نيانزا .

وتقرر في نهاية الأمر أن يرجع الى القاهرة للاستشفاء واسترجاع صحته التي
أمست في اسوأ حالة . وزوده الحكمدار العام بوصاية بلغت عباراتها منتهى
المدح لنيل قيادة تجربة كان تقرر قيامها من نقطة من النقط الواقعة على شاطئ
افريقية الشرقي ومسيرها الى أن تبلغ بحيرة البرت نيانزا .

ولم يبق عليه إلا أن يقدم للحكمدار العام وافر تشكراته لتقديره
ما قام به من الاعمال تقديرًا ساميًا وان يعرب له عن امتناجاته من
الأمل ببلوغ الأرب واتمام الاعمال التي أمست شغله الشاغل ألا وهي
ترتيب بآخرة في بحيرة البرت نيانزا وسفر غور ماء هذه البحيرة جميعه .

وفي ٢٠ منه عاد شاليه لونج الى « لادو » وبعد ان سلم جميع ما بعهده
وأخلى نفسه من كل المسؤوليات الرسمية أبخر منها في ٢٢ منه على ظهر باخرة
قادها الخرطوم واصطحب معه الجنديين سعيد وعبد الرحمن الى القاهرة
لأنه كان يريد أن يقدمها بنفسه الى الخديو مكافأة لما أبدى له من الاقدام
والبسالة والاخلاص .

وفي ٧ أبريل بلغ الخرطوم وفيها تلقى أمرا من خيري باشا بأن يتوجه
في الحال الى القاهرة عن طريق كروسكو . وبرح الخرطوم في ١٦ منه ممما
بربر وفيها قابل البكاشي بروت Prout الذي كان قد تقرر أن يخلف
أمير الألائى غوردون بصفة حكمدار عام لمديريات خط الاستواء .

وفي ٢٨ منه سافر من ببر وفي ٨ مايو وصل الى كروسكو ومنها
أبخر في الحال على متنه ذهيبة كانت قد أعدت له خصيصا لتنقله
إلى أسوان . وفي ١٦ منه وصل إليها فوجد الباخرة فؤاد راسية
بها متربصة قدومه من عدة أيام فركبها وسافر في اليوم الذي ولى
يوم مجئه وقصد اسيوط وهي الحطة الأخيرة لسكة الحديد فدخلها
في ٢١ منه .

وصوله الى القاهرة ومقابلته للخديو

وفي بكور يوم ٢٢ مايو ركب القطار الى القاهرة فوصل إليها في اليوم
عينه الساعة السادسة مساء . وبلغ الخديو خبر قدومه غداة اليوم الذي
وصل فيه فأرسل يقول له انه مستعد لمقابلته في الحال بسرای عابدين .
وعند ما أدخل عليه تقدم نحوه وصافه وشکره بعبارات مؤثرة على

الخدم التي أداها في إفريقيا الوسطى .

وبعد ذلك ببضعة أيام استدعاه مرة أخرى إلى قصر النيل حيث كان الخديو يحيط به وزراؤه وكتاب موظفي البلات وضباط الجيش فقابله بالإيساس والبشر والجاملة وانتهز شاليه لونج هذه الفرصة لتقديم مجموعة الأسلاب والغنائم التي رجع بها من حملاته .

وفي ٣٠ مايو أرسل الخديو يستدعيه مرة ثالثة في قصر النيل حيث اجتمع عدد كبير من الموظفين ملكيين وعسكريين والجنديان سعيد بقاره وعبد الرحمن الفوراوي المذاذ أمرا بمرافقته .

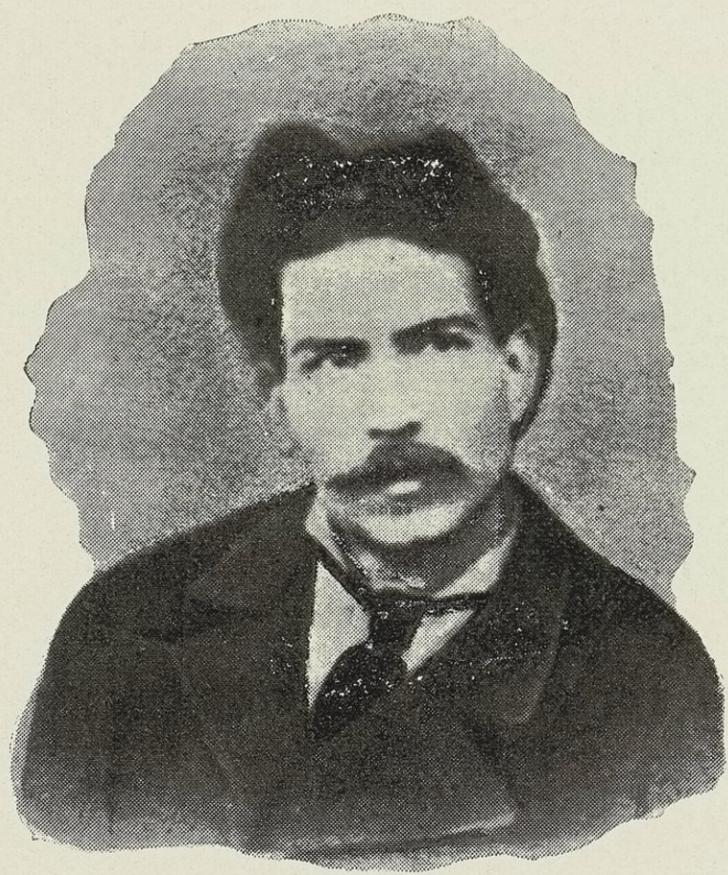
وألقى الخديو خطبة حافلة بعبارات فصيحة مؤثرة رددها جمل المدح والشاء على ما أبدوه من الاخلاص والبسالة في واقعة مرولى وما قاموا به من الخدم في الحملة الثانية . وقدم الجناب العالى كدليل على رضاه وارتياحه إلى شاليه لونج فرمانا بالانعام على الجنديين المذكورين برتبة باشجاويس والنيشان الحيدى من الدرجة الخامسة حتى يمكنه أن يعلقه بنفسه على صدريهما . وهذه أول مرة في تاريخ الخدمة تمنح فيها النياشين للجنود البسطاء .

والليك ما حدث فيما بعد لهذين الجنديين البطلين أثناء قيامهما بالخدمة :

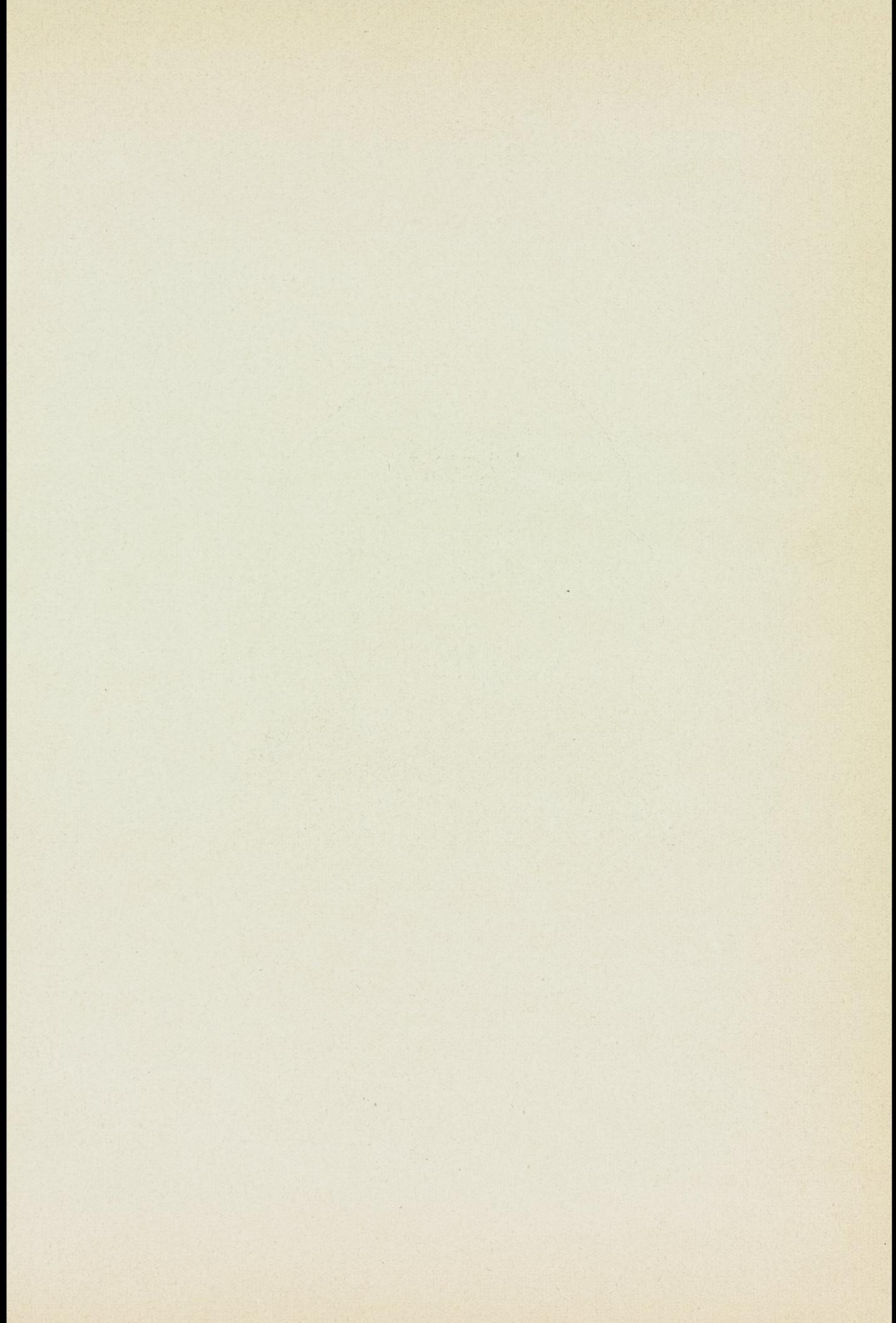
ترقى سعيد إلى رتبة ملازم وكان يقود فصيلة في محطة بور عام ١٨٨٨ م حين اغارة المهديين على مديرية خط الاستواء فهاجم هؤلاء نقطته واستولوا عليها وقتلو جميع الحامية بما فيها سعيد .

أما عبد الرحمن فبقى برتبة باشجاويس لغاية سفر أمين باشا من مديرية

خط الاستواء ولحق بأحد قسمى الجيش الذى انضم تحت قيادة سليم باك مطر
عند تقسيمه كما سيأتي ذكره .



إرنست لینان دی بلفور



٢ - ملحق سنة ١٨٧٥ م

مأموريت إرنست دى بلفون في أوغندا

من ٢٥ فبراير إلى ٢٢ أغسطس

إرسال وفد لربط العلاقة بين مصر وأوغندا

أراد أمير الألای غوردون أن يوثق عرى الصداقة والمودة بين مصر وأوغندا فوطد العزم على أن يرسل وفدا إلى ملكها متيسا يكون على رأسه إرنست دى بلفون لاعتام المأمورية التي قام بها أمير الألای شالية لونج في تلك النواحي في السنة الماضية .

وصول الوفد إلى فويرا

وفي ٢٥ فبراير سنة ١٨٧٥ بارح مسيو إرنست دى بلفون محطة فاتيكيو العسكرية التي كان بها ويتم محطة فويرا ومعه ٣٠ جندية سودانيا وسعيد أغا بصفة دليل . وعبر بادئ ذي بدء نجد فاتيكيو من الشمال إلى الجنوب . وامتداد هذا النجد في هذا الاتجاه يبلغ زهاء ثلاثة كيلومترات . وكان الفصل عند ذلك فصل الجفاف والأرض مغطاة بأعشاب جافة وهذا ما صير احتيازها سهلا . وكان يوجد في الغرب بعض قرى كبيرة موليدة ظهورها إلى جبال شاهقة . أما في الشرق فكان النجد متدا في الفضاء إلى ما وراء مرمى البصر . وينحدر الإنسان بعمق من النجد فيصادف أخوارا قليلة الاتساع .

وعلى بعد ١٤ كيلومترا من فاتيكيو توجد قرية « ساكا » Saka وتنسمى كل هذه البقعة بفاتيكيو . أما مركز ساكا فقد اصطلاح الدنائلة على أن يسموه وادى العجوز . Wadi El Agouz

ومركز فاتيكيو غنى فقيه الشيء الكثير من الحبوب والطيور والمعز والشاء وبه قرى عديدة ونواحية عاصمة وسكانه عائشون في بحبوحة من العيش هادئين ساكينين والحياة لا تدع يد السوء تصل إليهم فيعيشون متوجهاً لهم بلا خوف ولا وجع من حيف أو ظلم من الدنائلة الذين قد زالت أشباحهم واختفت آثارهم .

ولدى الوصول الى ساكا تنازل الأهل عن أ��واخهم لرجال الوفد بما فيها من الأدوات المنزلية وتركوا بها حتى النيران موقدة . والشيخ ساكا المسماة القرية باسمه هو ترجمان وادى العجوز قدم لهم دقيقاً ودجاجاً ويضا وكل ذلك عن طيبة خاطر ويدشاشة مبدياً ارتياحه لرؤية الجيش في دياره . وقضت الرسالية يومي ٢٦ و ٢٧ في ساكا .

وفي ٢٨ حملوا متعالهم عند الساعة ٥ صباحاً . وكان المطر قد هطل طـول الليل وبكل الأرض . ويم الوفد وجهـه شطر الجنوب الغربي وبعد مسيرة ١١ كيلومترا انتهى الى « خور الزلط » وهو خـور يمكن عبوره إذ انه لا يوجد به في هذا الأوـان إلا طبقة رقيقة من الماء ولكنه في فصل الأمطار ينـقلب سـيلاً عمـراً .

وبعد مسيرة ١٢ كيلومترا أخرى وصل الوفد الى « خور الطور » وهو نـهر يتجـه نحو النـيل الأـبيض ويصب فيه تجـاه فـويـرا . وفي جـنوب هـذا

الخور وعلى بعد ٨٠٠ متر منه يوجد مكان معسكر سير صمويل يذكر القديم ودوحة من شجر الجوز يطلق عليها اسم « شجرة الباشا » لأنَّه كان يعقد تحتها جلساته . وهذا قضى الوفد ليته .

وفي أول مارس حمل الوفد متابعاً عند الساعة الخامسة بعد ليلة ممطرة واجتاز نجداً واسعاً فياحا به غابات وبه تشاهد آثار كثيرة لأقدام الفيلة والجاموس . وعلى مرحلة ١٥ كيلومتراً من خاور الطور يصل المرء إلى بقعة مستديرة يقال لها « سجا » Sagga كان بها قديماً معسكراً للذاقلة وهي نقطة مفرق طريقي « فاتييكو » و « فابو » وفي وسطها شجرة وارفة الظلل حفر في جذعها : « شاليه لونج ١٨٧٤ م » .

وبعد مسيرة ١١ كيلومتراً من سجا يصل المسافر إلى خور يقال له « خور الكرفا » Khor El Korva وعند هذا الخور نزل الوفد . وكان المطر قد أخذ يهطل ولم ينقطع إلا عند ما آذنت الشمس بالغيب . وفي ٢ منه سار عند الساعة السادسة وعبر غابة وبعد سفر ١٣ كيلومتراً حط رحاله ليقضى ليته . وفي ٣ منه انطلق في السير عند الساعة السادسة . وفي أثناء الطريق فرغ من رجاله الماء ووعد الدليل أن يجد لهم ماء في بئر « الألبار » Elabar . وقد بلغ الوفد هذه البئر بعد أن قطع ١٠ كيلومترات غير أنه ألقاها ناضبة لا ماء فيها وعلى ذلك اقتضى الحال مداومة المسير لغاية « خور الكابولي » Khor El Kabouli الواقع على مسافة ١٥ كيلومتراً حيث وقف . وهاجمت بين هذين الموضعين جماعة من قبيلة يقال لها لأنجو Lango المتخلفين من رجاله ولكن نيران الحسنة الجنود الذين كانوا مكلفين بحرافقة هؤلاء المتخلفين بددت شملهم وجعلتهم يلوذون بأذial الفرار . وعند الساعة

السابعة هبت زوبعة عاتية وأرسلت السماء صاعقة وقعت على مسافة ٢٠٠ متر من المعسكر ونزل المطر مدرارا إلى الساعة التاسعة.

وكان الخبر قد بلغ مسامع ريونجا في العشية فأرسل عدّة زوارق ليجتاز الوفد النيل عليها وكان يوجد بين هذه الزوارق زورقان طول الواحد مترًا وعرضه ٥٠١ من الامتار فعبر الوفد النيل أمام فويرا.

و صدره محلى بالنيشان العسكري الذى أنعم عليه به لاشتراكه فى تحريدة المكسيك . وبعد تأدية حفلة الاستقبال العسكرية يوم المحلى أعد لزوله فوجده مستوفيا جميع أسباب الراحة .

وقضى يومي ٥ و ٦ مارس في فويرا . وجاء ريونجا ليزوره وأحضر له بقرة و خروف . فأهدى إليه إرنست ثوبا من الحرير و مسدسا و ظروف جبخانة . وأخبر ريونجا مضيئه ان رجال كباريجا في منطقة مرولى يمنعون أهالى مجنة دا M'Ganda من المرور في الأرض . فضاق صدره لهذا الخبر لأنّه خرى أن يكون ذلك سببا في تأخير سفره لمقابلة متيسا إذ يتذرع حينئذ وجود الجماليين .

و كان الشيخ اقينا قد أزوى في جزيرة على مسافة زهاء ٣٠ كيلومترا شمال فويرا وامتنع كلية من المجيء إلى المحطة خوفا من أن يقع أسيرا ويسلم إلى كباريجا . وأراد إرنست أن يقابلها ويزيل ما علق بذهنه من المخاوف .

وفي ٧ منه انطلق و معه ٢٠ جنديا و نزل النهر و سار بمحاذاة الضفة اليسرى وكان دليهم في هذه الرحلة رئيس من رؤساء سفن ريونجا أى « متونجولي » واجتازوا غابة من العوسيج والحسائش لا حد لها وبلغوا شلالات أساكا Assaka وفيها أقاموا معسكرا . وكلف إرنست سعيد اغا بأن يتوجه إلى الأمام مع ثلاثة من الجنود ليذبح اقينا بقدومه . وشيدت الجنود سقية بعض من فروع الأشجار غير أنهم لم يحسبوا للمطر حسابا . وفي الساعة الحادية عشرة أخذ المطر يتتساقط و بلل كل المعسكر .

وفي ٨ منه جففوا متابعهم و ساروا متبعين مجرى النهر . و عند الظهر وصلوا أمام معسكر به ٢٠٠٠ من رجال قبيلة يقال لها لأنجو Lango غير أن مقدم

سعيد أغا ث في نقوشهم الطائنية في الحال . وكان الجنود عندئذ امام دار اتفينا . أما رجال قبيلة لأنجـو فكانوا عائدين من غزوة وجهوها ضد كباريـجا وكانوا يفعلون ذلك بأمر اتفينا فقتلوا خلقاً كثيراً وغنمـوا قدرـاً كبيرـاً من الماشـية .

وعند ما قدم إرنست بارح اتفينا جزيرته وأتى لزيارتـه . فبـث إرنـست في نفسه الطائـنية من نـحو نـيات الحـكومـة وأهدـى اليـه تـوبا وخرـزا من الزجاجـ . وبـعد ذلك ذهبـوا إلى اتفـينا فأعـد لهم ملـجاً وأرسـل اليـهم بـقرـة وخرـافـا وفـراـيجـ وبيـضا ودقـيقـا وذرـة وأهدـى إلى إرنـست أربـعاً أنيـابـ جـميـلةـ من أنيـابـ القـيـلةـ .

وفي ٩ مارس رجم اتفـينا معـه ليـتعرف بـحـكمـدار فـويـرا وأعـطـاه دـابةـ وهذه الدـابةـ عـبـارةـ عن ثـورـ فـسرـ بها كـثيرـاـ وعلمـ اتفـينا عـلمـ اليـقـينـ عـنـدـ ما دـخلـ فـويـراـ حيثـ يـسودـ النـظـامـ والنـظـافـةـ أـنـ الجـيوـشـ التـيـ أـمـامـهـ هـيـ بلاـ جـداـلـ جـيوـشـ الحـكـومـةـ وقررـ أـنـ يـعينـ نـائـباـ عـنـهـ مـسـتـديـماـ فـيـ هـذـاـ المـكـانـ وـيـجـلبـ فـيـهـ العـاجـ وـالـدـقـيقـ .

وفي ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ منهـ لم يـسـتـطـعـ إـرـنـستـ أـنـ يـيـاـشـرـ عـمـلاـ ما لـانـحرـافـ صـحـتهـ . وفي ١٤ منهـ تـقدـمتـ لهـ شـكـوـيـ منـ بـعـضـ الجنـوـودـ يـطـلـبـونـ فـيهـ الـاتـصـافـ مـنـ ضـابـطـهـ وـيـتـهـمـونـ بـأـنـهـ قـالـ لـريـونـجــاـ أـنـ الجنـوـودـ مـاـ هـمـ إـلـاـ عـيـدـ لـهـ أـرـقـاءـ . فـشـكـلـ جـمـلـاـ لـفـحـصـ هـذـهـ الشـكـوـيـ وـالـبـيـتـ فـيـهــاـ . وـلـفـتـ نـظـرـهـ شـيءـ وـاحـدـ وـهـوـ أـنـ عـساـكـرـ السـوـدـانـيـنـ لـاـ شـيءـ يـشـيرـ ثـائـرةـ الغـضـبـ فـيـ نـقـوـشـهـ أـكـثـرـ مـنـ تـسـمـيـهـمـ عـيـدــاـ بـلـ هـمـ يـعـتـبـرـونـ هـذـهـ التـسـمـيـةـ أـكـبـرـ مـسـبةـ .

وفي ١٥ مارس وصل وفد من أهالي أوغندا مؤلف من ٤٠٠ رجل .
وقتها زايلوا أوغندا لم يكن عندهم علم بقدوم إرنست . وهذا الوفد كان
مرسلاً من قبل متييسا إلى غوردون باشا ومعه مكتوبات بطلب أرسال حلاق
ومقرئ . وكان متييسا يطلب غير ذلك عقاقير طبية ويرجو أن يؤذن بتصليح
 ساعتين له . فذهب ثانية من المتوجهين في هذا الوفد لزيارته وقراروا أنهم
 لا يذهبون إلى لادو بل يرافقونه عند ملوكهم .

وكان غوردون قد سمح لارنست أن يستولى على ناحية مرولى عنوة ويولى
عليها ريونجـا الذى كان صاحبها فى الأصل ثم انتزعها منه كمرازى والـ
كباريجـا . ولكن بعد أن فكر إرنست فى الأمر مليا رأى أن ريونجـا
لا يستطيع أن يثبت أقدامه فى هذه الجهة إلا إذا أقيم فيها حامـيـة . وفوق
ذلك فان قوات النقط كانت ضعيفة كثيرا والذخيرة غير وافية إذ لم يكن لدى
كل جندى سوى ٣٠ طرفا . ورأى أيضا أن الحالة ستكون عند الایاب على
غير ذلك إذ تكون المؤونة والذخيرة قد وردتا من فاتيـكو فلا يكوت عندئذ
ما يمنعه من البقاء فى مرولى الوقت اللازم لتنظيم المحطة الجديدة . وعلى ذلك

صحت عزيته على الرحيل في غد اليوم التالي إلى أوغندا .

وقدم وفد جديد من أوغندا وكان يقوده شيخ من كبار المشايخ يسمونه القاضي . وقد دخل هذا الشيخ المحطة وزار إرنست . والظاهر أن متيسا كان يتضرر بفارغ الصبر قدومه . وكان هذا الشيخ يتخيّل أنه سلطان كبير ولكنه صار يدرك الآن أنه لا سلطان في إفريقيا إلا واحد وهو سلطان المسلمين . وطلب أن تقدم له جميع الوسائل لدخول رعایاه في الدين الإسلامي فأجابه إرنست بأن ملائكة سيرسل حتما كل ما يلزم لتشقيقه وتهذيبه .

وفي ٢٧ مارس رأى إرنست أن صحته قد تحسنت فأخذ يجهز معدات السفر في الغد . وقدم الأوغنديون ليتفقّوا على مسألة الترحال وكانت عددهم يربو على ٤٠٠ رجـل وكان من المحقـقـأن يوجد العدد الكافـ من الجنـالـينـ . وأتـى ريونجا لـ مقابلـتهـ والـحزـنـ يـطـفحـ عـلـيـ وجـهـهـ إـذـ رـأـهـ مـتـهـيـاـ لـ السـفـرـ قـبـلـ أـنـ يـقـرـهـ فـيـ مـرـوـلـيـ . وـكـانـ سـيرـ صـمـوـيلـ يـسـكـرـ وـبـعـدـ شـالـيـهـ لـوـنـجـ وـعـدـاهـ بـاتـمامـ هـذـهـ مـسـأـلةـ وـلـمـ يـفـيـ بـذـلـكـ وـهـاـ هوـ الـآـنـ يـرـىـ لـلـمـرـةـ الثـالـثـةـ الـاخـلـالـ بـالـوـعـدـ . وـشـقـ ذـلـكـ عـلـىـ إـرـنـسـتـ وـأـعـطـيـ عـلـىـ نـفـسـهـ عـدـاـ بـأـنـهـ عـنـدـ إـيـابـهـ إـذـ شـاءـ اللهـ يـعـدـ بـالـمسـاعـدةـ .

وفي ٢٨ منه في الساعة السادسة كانت معدات السفر قد جهزت وأخذ الأوغنديون يتذبذبون الأئمة وقد حدث اختلال وضجيج صريح لـكـثـرةـ عـدـدـهـمـ . وـسـافـرـواـ فـيـ نـهاـيـةـ الـأـمـرـ عـنـدـ السـاعـةـ الثـامـنةـ . وـعـلـلـ إـرـنـسـتـ النـفـسـ بـالـأـمـالـ أـلـاـ يـتـجـدـدـ هـذـاـ المـشـدـ كـلـ يـوـمـ وـتـرـكـ فـيـ فـوـرـاـ حـمـيرـهـ لـأـنـهـ مـاـ كـانـ يـرجـىـ مـنـ وـجـودـهـ مـعـهـ سـوـىـ حدـوثـ العـرـاقـيـلـ . وـجـوـادـهـ الثـانـيـ كـانـ قـدـ تـفـقـ عـلـىـ أـئـرـ لـذـعـةـ ذـبـابـةـ وـلـمـ يـأـخـذـ غـيـرـ الـثـلـاثـةـ الـبـغـالـ .

ولوا وجوههم شطر الغرب تاركين النهر خلف ظهورهم . وكانت السماء محجوبة بالسحب والشمس تطل من ورائها بين حين وآخر وترسل عليهم أشعها . ودخلوا غابة بها أشجار يسر مرآها الأعين وعند ما خرجوا منها توغلوا في غابة أخرى تختلف عن الأولى . وهاتان الغابتان عبارة عن أشجار موز غایة في الجسام تكون من مجموعها بساط من الخضر لا يدرك البصر نهايته وتعجز أشعة الشمس عن اختراقه . وكان مسيرهم تحت هذا البساط .

وبعد ٤ ساعات اتجهوا شرقاً وساروا حتى أفضوا إلى شاطئ النهر تجاه الجزيرة التي يقيم فيها ريونجا . وأخذت الغيوم التي كانت تجتمع ترسل ماء تجاجا فوق رؤوسهم وساروا ساعة تحت نزول هذا المطر الهطال ابتغاء الوصول إلى « كسامبوا » Kissembois . وهو الملح الوحيد الذي يستطيعون أن يجدوا لهم فيه عاصماً من الامطار . وهذا المكان عبارة عن زريبة لريونجا ومحطة أيضاً للاوغنديين الذين كان عددهم فيها ينوف على ٨٠٠ رجل بما في ذلك الرجال التابعون لارنست . ووصل عشيّة اليوم رئيس من رؤساء بحارة متيسا ليستتحث الوفد على الاسراع في القدوم . وجاء أيضاً ريونجا من جزيرته ومعه رأس من الضأن برسم إرنست وبقرة للجنود . واحتل القوم بعض الأكواخ ودقوا شيئاً بواسطة النيران على قدر ما استطاعوا .

وفي ٢٩ مارس علم إرنست بوفاة جندي يدعى مرسال في غضون الليل وكان هذا الجندي يشكوك وهو في فويرة ألم المرض فأمر بالبقاء فيها إلا أنه لم يطع وهكذا قضى نحبه ومات شهيد أداء الواجب ووري التراب بعد القيام بعمل ما تقضي به شعائر الإسلام وتأدية الاحتفال العسكري الواجب لشخص في مركبته . وبعد الفراغ من ذلك انطلق الوفد في سيره واتجه غرباً بين أشجار

شائكة فكان شوكها يمزق الوجوه والأيدي ثم من بعد ذلك من غابتين من شجر الموز وأفضى في نهاية الأمر بعد أن جد مسيرة ٣ ساعات إلى « فانياتورى » Faniatori وهي زريبة عتيقة من زرائب ريونجا والآت أصبحت خاوية وذهب كل ما كان بها إلا نحو ١٠٠ من الأكواخ الصغيرة أقامها الأوغنديون ليتخذوها محطة لهم.

وفي ٣٠ مارس سافر الوفد مبكراً وعند الساعة السادسة جابوا نجداً في حالاتكسوه نباتات تستوقف محاسنها الأ بصار وبه كثير من الفيلة وفيه تصاد. وشوهد في ربوة سرب منها لائذا بأذىالقرار ماداً خرطيمه في الهواء.

وبعد رحيل ٤ ساعات انتهى الوفد إلى « مسعودي » Massoudi وهي محطة لريونجا وقد أمست خالية تنبع فيها الغربان. وعند الظهيرة بلغ « طيطي » Titi وهي عبارة عن معسكر للأوغنديين وحمد القوم السرى إذ وجدوا بها أكواخا تقىهم الأمطار التي بدأت تنزل مدراراً.

وصوله إلى مرولي

وفي ٣١ مارس بارح الوفد طيطي متوجهـاً شمالاً في وسط سهل كثير الأخداد. وفي الساعة التاسعة صباحاً بعد أن جاب ١٠ كيلومترات دخل في أرض « مرولي ». ومرولي هذه إقليم كان يملأه فيما سلف ريونجا غير أن كرازي استولى عليه بمعونة الدناقلة. وهذه الناحية غنية بالأنعام والحبوب وكثرة السكان. ويوجد شرق الطريق سلسلة من الزرائب الواحدة تلو الأخرى بلا انقطاع وتعرف باسم « حلل نيكـا » Hellal Nyéka.

و « حلل موجا » Hellal Moga ويوجد في ظهر هذه القرى طود شامخ والنهار يجري تحت قاعده . وفي هذا الموضع هو جم شاليه لونج وطورد .

وبعد مسيرة ساعات أفضى الوفد إلى نهر « كافو » Kafu فعبره ونزل في « حلل كافو » على مسافة ٣ كيلومترات من النهر . وكان الأهالي يتركون أ��واخهم عند ما يدنو رجال الوفد حاملين ما استطاعوا حمله فيحتلها هؤلاء ويقتاتون بما يجدونه بها . والظاهر أن هذه عادة اعتادها الأهالي هذه المنطقة . وقد عاد على الوفد تصرفة هذا بالراجحة التامة إذ لو لا ذلك لعاني كثيرا من الصعب نظرا لنزول المطر مدرارا طول تلك الليلة .

وفي أول أبريل كانت الأرض زلقا يصعب المشي فيها . وأخذ الوفد يجوب بلا انقطاع قرى تحدق بها الحدائق وأشجار الموز وحقول واسعة بها شجيرات اللوبيا وغيرها . وكان الأهالي في كل مكان يفرون من وجهه هاربين تاركين كل شيء ولا يلوون على شيء .

وصوله إلى حلل « واكيتو كو » و « أرجو »

وفي الساعة التاسعة بارح الوفد اقليم مرولي ليدخل في « واكيتو كو » Wakituku وهي من أراضي كباريجا وفيها يوجد كثير من الحدائق . وفي الساعة الحادية عشرة نزل في « حلل واكيتو كو » وكان الأهالي قد أخلوها . وطريقة السلب هذه كانت لا تخلو في عين إرنست ولكنه كان مضطرا أن يعمل كما عمل الآخرون ومع هذا فإنه يرى أن من واجبه أن يوفى جنوده حقهم من الثناء لامتناعهم عن النهب .

وفي ٢ أبريل حملوا رحالمهم في الساعة السابعة . وكانت حالة الناحية
حالها بالأمس وقطعوا في مدة ثلات ساعات ١٥ كيلومترا فقط وحطوا عند
« حمل وارجـو » Wargu . وفي ٣ منه ساروا عند الساعة السادسة وعبروا
سهلا أرضه مبللة بماء المطر الذي سقط في الليل الأمر الذي سير السير عسيرا
وجعل الأقدام تزلاق في كل خطوة . وبعد أن ساروا نحو ساعة في الأحوال
حمدوا الله إذ وجدوا الشمس قد أشرقت ومتاعهم أخذ يجف . وعند ما خرجوا
من هذا السهل الذي صير المطر أرضه أشبه شيء بالمستنقعات دخلوا في سهل
آخر ومشوا فيه ما يزيد على ٦ ساعات دون أن تصادفهم أية قرية أو أى
كوخ وأفضوا في نهاية الأمر بعد مسيرة ثمان ساعات إلى « حمل ميرمبا »
و فيها حطوا رحالمهم . Hellal Merimba

دخته وله أراضي أو غندة

وفي ٤ أبريل دخل الوفد مركز « كاجانجو » Kagangu وهو أول منطقة من أراضي مملكة أوغندا وشيخه المتونجولي موريكو من رجال حاشية إرنست . أما الناحية فمنظرها تستوقف العين محسنة . وبها من الذرة والبطاطا والقرع وغيرها الشيء الكثير . وزلوا في جحوف غابة من الموز . والشيخ عمر الذي كان يتألم من قرح في قدمه طلب منهم أن يظلوا في كاجانجو اليوم التالي . ولم يكن لدى إرنست مانع يمنعه من إجابة طلبه .

وقضوا يومه في كاجانج و وفي ٦ منه طفقوا يسيرون عند
الساعة السابعة . وهنا يتسرّب البلد حلاً أجمل رونقا وأكثر بهاء فلم
تعد تفعم العين بعد لا على سهول ولا على غابات بل على ربي تكسوها
أشجار الموز ووديان صفراء جميلة بها كثير من القرى . وبعد أن

عبروا منطقة « كارمورى Karmouri كلهما بلغوا « لوجابالا » Lugabala فنزلوا بها.

وفي ٧ أبريل حملوا متعهم وولجوا في منطقة « بيراما ز كنجاؤوني Biramaz Kangaouni وكانت أوصاف هذه الناحية كاوصف الناحية التي قبلها ثم أفضوا إلى « برياكى Briaki وبها وجدوا جدولًا مأوه رائق فقرر إرنست المبيت عنده.

وفي ٨ و ٩ منه ساروا في طريق عرضه ٢٠ مترًا شيد متيسا في قلب مملكته وعن يمينه ويساره أقيمت قرى كبيرة وغرس النباتات البهيجية. وعسكرروا في ذلك اليوم في « حلل سفارجا » Hellal Safarga . وفي يوم ١٠ منه وهو اليوم الأخير في هذه الرحلة تابعوا مسيرهم في طريق الملك وعند الساعة الحادية عشرة نزلوا على قيد كيلومتر واحد من قصر متيسا.

وفي ١١ منه عند منتصف النهار جاء رسول من قبل الملك يحمل سلامه. وشرع رجال الوفد يسيرون في طريق عرضه ٤٠ مترًا وكان مرأى العساكر السودانية بسترهم الحمراء وسرابو لهم البيضاء مؤثراً تأثيراً لطيفاً . وكان المتونجوايون يسيرون في المقدمة يدقون بنقارياتهم ويلوحون باعلامهم . وكان في اثناء ذلك يحيط بالموكب جمع مؤلف من بضعة الوف من الأهل واله هو يركض ويغنى ويقفز . ولدى المرور أمام قصر الملك وقف الموكب ليبعث بسلامه إليها وحتى ترد إليه السلام كما هي العادة المتتبعة في مثل هذه الحالة ثم عاود المسير . وكان في كل ربع ساعة يأتي ساع وهو يلهد من الجرى حاملا سلام الملك ويرجع بلا توان ومعه الجواب . ولاح في نهاية الأمر قصر الملك وهو قائم على منحدر رأية من ناحيتها الشمالية إلا أن هذا اليوم لم يكن

اليوم المعين لشول إرنست أمام متيسا فرافته حاشيته إلى المتنزى الذى
أعده له .

مقابلة إرنست لملك أوغندا

وكان يوم ١٢ أبريل هو الموعد المضروب لمقابلة إرنست للملك متيسا غير
ان المطر الذى أخذ يسحى الى ان انتصف النهار حال دون ذلك . وعند الساعة
الثانية تكشفت السماء وانقطع المطر فأرسل متيسا رسولا ينبيء إرنست بأنه
استعد لاستقباله . فأخذ الوفد في السير حسب النظام والاحتفال الذى جرى
بالأمس . وبعد نصف ساعة بلغوا باب القصر الخارجى ثم باب آخر وهكذا الى
أن عبروا خمسة أبواب فترجل إرنست واستقبله الملك وهو واقف أمام قاعة
الاستقبال وصافحه . وكان على يسار الملك في ذلك الوقت شخص أوربى ظنه
إرنست لأول وهلة كروف Cameron وهو في الحقيقة استانلى .

ودخل متيسا قاعة الاستقبال وجلس على عرشه وأجلس إرنست على يمينه
واستانلى على يساره . وكان مرتدية الشياطى كأن متسللا بها حين زيارته
شالية لونها ومتقدما ذات السيف الذى كان يتقدماه وقت تلك الزيارة . وعرضت
المداعيا ولكن متيسا أظهر عدم الالکتراث لأن مركزه السامى لا يسمح له
بنفحص مثل هذه الأشياء .

وبعد محادثة دامت بعض الوقت استاذن إرنست بالانصراف . وعند ما
صافح استانلى دعاه لتناول الطعام فلبى دعوه . وقدم قبل المساء وظلاوا
معا الى الساعة الخامسة عشرة يحدث كلابهما الآخر بما وعاه وقيده
اثنان رحلته .

وفي ١٣ أبريل ذهب إرنست لتناول الطعام على مائدة استانلى وأعطاه هذا معلومات جغرافية لها أهمية كبيرة . وفي ١٤ منه انتقل إرنست الى قصر متيسا فأطلعه على محتوياته وتمتع نظره بالنظر الباهر الذى يشرف عليه قصره من الجهة الجنوبيّة وهو منظر بحيرة فكتوريا نيانزا .

وأدى استانلى لتناول العشاء مع إرنست وفي هذه الليلة عقداً النية على أن يذهبان في الغد الى البحيرة . وفي ١٥ منه سافر استانلى ليخطط رسمًا لقسم البحيرة الغربي . وتأهب إرنست لرافقته لغاية الموردة التي سيبحر منها في خليج مورشيزون وانطلاقاً معاً . وبعد مسیر ساعتين تسلقاً تلا رأياً من قمة منظراً يهر الأ بصار لفخامتها ألا وهو منظر صفحة ماء البحيرة المجنينة ترسل عليها الشمس أشعاتها فتشعكش شرراً والجزر الخضراء النضرة يتكون منها نطاق من الزبرجد في خليج مورشيزون . وعاودا السير الى أن وصلاً الى شواطئ هذا الخليج بعد ساعة .

وكان من المقرر أن يرافق رئيس ربابنة متيسا استانلى بثلاثين مرکباً إلا أنه ما كان يوجد هناك شيء مما ذكر . ووردت له الأنباء بأن كل شيء سيكون على استعداد في اليوم التالي . وقضيا الليل في اكواخ قامة على الشاطئ .

وفي ١٦ منه لاح هناك عند الساعة الرابعة فقط شبح الاسطول ثم ركباه ابتعاد النزهة لأن استانلى قرر السفر في الغد وبعد ذلك رجعوا الى المعسكر .

وفي ١٧ منه ايقظتهم الطبول في الساعة الخامسة وفي الحال تم المعدات ورافق إرنست استانلى الى الاسطول وتصالحاً وركب هذا الاخير السفينة

وخرجت به في اليم واخذ عند ذلك كلًاهم يلوح للآخر بمنديله برهة ثم قفل ارنست راجعًا متخدًا طريق «روباجا» حيث يقيم متيسا فوصل إلى قصره عند الساعة الحادية عشرة . ثم ما لبث أن لزم الفراش لاصابته بالجى .

وفي ١٨ أبريل قابله الملك وألقى عليه أسئلة مختلفة خاصة ببناء السفن والمساكن . وفي ١٩ منه قابله رمضان كاتب يد الملك ليجلس نبضه ويرى إذا كان يقبل هو وجيشه الانضمام إلى متيسا لمهاجمة كباريجا فأجابه أن العساكر ليست له بل خديو الديار المصرية وأنه لا يمكنه أن يتصرف فيها في مأمورية أخرى غير المأمورية التي كلف بها .

وفي ٢٠ منه ذهب إرنست إلى قصر الملك وعرض الجنود السودانية أمامه ساعة بناء على طلبه وعقب ذلك طلب أن ينصح كل جندي عشرة من العبيد غير أن إرنست مانع في ذلك . وفي ٢١ و ٢٢ و ٢٣ منه تحدث متيسا معه في شؤون مختلفة إذ أنه طلب منه معلومات شتى عن دول العالم على أنواعها من جهة عبادتهم وتأليف حكمائهم وقوائم الحرية وغير ذلك من الأمور .

وفي ٢٤ منه وهو اليوم المضروب لمقابلة أم الملك جاء «شمبانجو» رئيس الوزراء الذي ندب ليقدم لها إرنست عند الساعة السابعة وأخبره أن الملك ذهب لزيارة والدته ولذلك تأجلت المقابلة . وفي ٢٥ منه استدعى الملك إرنست وفقيه الخطيرية في آن واحد وحضر محادثته في القرآن دون سواه فارتباك الفقيه واحتار في أمره ولم يدر كيف يجاوب على جميع الأسئلة التي وجهها إليه .

وفي ٢٦ منه قابلت أم الملك إرنست في حفلة حافلة . وكان شمبانجو مكلفا بتقدیمه لها . ولدى وصوله الى قصرها وجد الباب مغلقا وما أمامه يسوده سکوت عميق يشبه سکوت أهل المقابر . وبعد انتظار نصف ساعة فتح الباب بعنة واخذت نحو ٢٠ نقارة ترن وعدد آخر مثله من الطبول يدق ثم دخلوا في حوش كبير يوجد في نهايته كوخ وتجاهه الموسيقا .

وهذا الكوخ - وان شئت فقل قاعة الاستقبال - مبني من الخيزران وترتكز قبته على فروع من فروع الاشجار . وكانت الملكة جالسة على الارض فوق ثوب من نسيج القطن وثيابها تتألف من قطنية تلتف حول جسمها ومشبوكه بأعلى صدرها . وثوب آخر من هذا النسيج يحيط برأسها وعقد من الخرز متهم للكسوة . وكان فريق من الضباط واقفا من ناحية وطاقة من العذاري واقفة في الجانب الآخر .

وبعد التحيات وفص المدايا التي قدمت اليها قال ارنست شيئا من العبارات المعتادة للمجاملة في مثل هذه الاحوال فكانت أقواله توجه الى سليم وهذا يتوجه الى شمبانجو وهذا ينقل نفس العبارة الى وزير الملكة فيننقلها بدوره اليها . وعلى هذا كان لا فائدة مطلقا من وجود الوزير ولكن المقام الملكي يترفع عن التفاصيم المباشر . وبعد تبادل بعض العبارات بالكيفية والصيغة التي سلف ذكرها استأنف ارنست بالانصراف وودع بالطريقة التي قوبل بها .

وفي ٢٧ أبريل استدعاه متيسا وسأله عن الشمس والقمر والسماء فاضطر لكي يفهمه حركات الاجرام السماوية ان يرسم صورا على لوحه ومثل الاجرام السماوية بكرات دقيقة من الزجاج . وكان المجتمع قليلا عده اذا انه

لم يكن يضم غير الوزير « كاتيكيلو » و « شمبانجو » وأربعة من الضباط والكتابين وبعض الندماء .

وكان متيساً منشرح الصدر فكان كلما سمع شيئاً من ارنست شرحه بنفسه للحاضرين فتبعدوا على وجوههم سمة الدهش والاستغراب .

وفي ٢٨ أبريل بعثت له الملكة ١٠ أبقار ومثل هذا العدد عنزات و ٨٠ حملة من الموز هدية . وفي ٢٩ منه أحاط متيساً ارنست بتاريخه أغذدة . وفي ٣٠ منه تفرغ متيساً للصيد ف كانوا يعتقلون على مسافة ما تارة بقرة وطوراً عنزاً ثم يتمرن الملك وهو جالس في كوخ على اطلاق النار . وهذا ما يسمى في عرفهم بالصيد الملكي .

وقضى ارنست يوم ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ مايو في معالجة المرض في المعسكر ولسوء الحظ ونـكـدـ الطـالـعـ كانوا كثـيـرـينـ والـضـابـطـ هـمـامـ اـفـنـدـيـ كانـ مـصـابـاـ بـالـتـيفـوـسـ وـكـانـ يـائـساـ مـنـ شـفـائـهـ .

وفي ٦ منه طلب متيساً من ارنست أن يرافقه هو وجيشه وبروجيته وطلبه في رحلة نوى القيام بها لمعاينة طريق أمر بتميدها . فاعتذر إرنست بالحراف صحته وأرسل إليه البروجية وبعض الجنود وذلك ما حمد الله فيما بعد لأجله لأن الجنود عند العودة أخبروه أن الرحلة كانت شاقة جداً .

وفي ٧ منه جاء الوزير « كاتيكيلو » من قبل الملك ليزوره ويسأل عن صحته وليخبره بأنه سيسامه الدناقلة العشرة الفارين من معسكره الذين عنده . وفي ٨ منه توجه متيساً للصيد فانهزم ارنست هذه الفرصة وذهب لزيارة « كاتيكيلو » المتزوج من أخوات الملك الأربع وابنته فوجده في داره فدار

يبيّنها الحديث وعلم انه عنده من النساء ما يربو على ٢٠٠٠ امرأة .

وفي ٩ مايو استقبل متيسا ارنست واستعلم منه عن كيفية تخنيط الاجسام والملدة التي يمكن ان تظل فيها الجثة محفوظة وأبدى رغبته الشديدة أن يرى عنده انسانا لهم دراية بهذه الصناعة . وفي ١٠ منه استدعاه متيسا واخذنا يتجادلنا الحديث وكان الكلام يدور بينها حول النساء وابدى ارنست رغبته في العودة الى فورا إلا أن متيسا طلب منه أن يمد مدة اقامته شهرا .

وفي ١١ منه زار ارنست « كاتيكيرو » فاستقبله وسط جموع من النساء وقدم ارنست الى مضيقه بعض الخرز على سبيل المهدية فقدم اليه فراء من جلد فأر وكسوة من قشور الشجر .

وفي ١٢ منه قابل ارنست الملك وشكاه من الاهالى الحالصل فى تموين عسكره فوعده انه سيعضع حدا لذلك . وانصرف بعد ان سمع نوبة موسيقية عزفت ادوارها جماعة من اهالى « السوجا » Sogas على الفيشارات .

وقضى يوم ١٣ و ١٤ و ١٥ منه في معسكره . وفي ١٦ و ١٧ منه اشتباك ارنست مع متيسا في محادثة طويلة بخصوص واجب الرجل نحو نفسه وواجبه نحو اقاربه . والامر الذى كان يهم له بنوع اخص هو ان يعرف ماهية الجنة وماهية النار والملائكة . وain مركز هؤلاء من العالم وما هي انواع المتع التي يتمتع بها الانسان أو العقاب الذى يناله بعد الموت .

وانقضى يوم ١٨ و ١٩ و ٢٠ منه في تصليح وترميم الاكواخ التي كانت ينزل المطر من سقوفها لبنائها على عجل . وفي ٢٤ منه حصل ارنست من الملك اثناء محادثة طويلة جرت بينها على أمر يحظر بيع

وشراء الرقيق في مملكته . وأبان له انه مدام يرغب في ربط صلاته بالدول التمدينة فيجب عليه بادئ ذي بدء أن يعمل وفق مبادئ الهيئة الاجتماعية الأولية أعني حرية الإنسان .

وحصل منه أيضا على أمر ببيع سلع أغوندة في محطات الحكومة المصرية وعلى تصریح بزيارة « أوسوجا » Usoga وكان وطد العزم على ان يسافر في العد وأن يصعد في النيل لغاية خروجه من بحيرة فكتوريا نيانزا .

وكانت يوم ٢٥ مايو الموعد المضروب لسفره . وفي ٢٦ منه لم يظهر أى شيء لغاية الساعة الثامنة . ووصل في نهاية الأمر « عيد » كاتب متيسا ومه شيخان وقال انه قد تقرر أن يرافقا الوفد وأن يقدموا لارنست ما يلزم من الحرس ثم انصرفا بدعوى استحضار ذلك الحرس غير انهم لم يعودا . وانقضى طول اليوم ولم يرد أى نباء بخصوص سفره .

وفي ٢٦ منه علم ارنست ان عيـدا الذى تعين لمرافقته سافر الى مزارعـه فكتب خطابا الى متيسا يقول له فيه انه مأموريته انتهت واضحي من واجباته الاياب الى غوردون باشا . فطلب منه الملك ان يقابلـه لأنـه لا يريد أن يراه مسافرا وهو غير منشرح الصدر ولكنـه أبـي وأرسل سليـما ليعتذر نيابة عنه ويبدى انشغالـه في تجهـيز معدـات السـفر لأنـه قـرر قطـيعـا الرحـيل غـدا مـيمـها « اوروندو جـانـي » فأرسل اليـه متيسـا مؤـنا لجـنـودـه .

وفي ٢٧ منه عند الساعة العاشرة حضر شقيق الملك بنفسـه وـمعـه ضـابـطـ من كبار الضـباطـ وـعـدـ كـبـيرـ منـ الرـجـالـ يـقالـ لهمـ « مـرونـجـوليـ » Mrongolis وـهمـ الاـشـخـاصـ الـذـينـ تعـيـنـواـ لـمرـاقـفـتهـ فـشـكـرـهـ اـرـنـسـتـ للـرعـاهـةـ الـتـىـ شـمـلـهـ بـهـاـ المـلـكـ

و سافر في الحال غير ان الطريق كانت رهيبة يسير فيها الانسان دواما بين ادغال تمزق اليدى والوجه . هذا عدا معاكسسة الامطار . وبعد سفر بطيء شاق وصل عند الساعة الثالثة الى « كيسيجولا » وفيها قضى الليل .

وفي ٢٨ مايو بارح « كيسيجولا » Kissigula وعبر عدة مجاري مياه وكان اجتيازها متعبا وشاقا دواما . وآخر مجرى عبره يقال له « لواجارى » Luagari وهذا هو المجرى الوحيد الذى يستحق الذكر من بين المجاري التى اجتازها ابتداء من روجاجا حيث ينبع منها وبعد عدة لحظات افضى الى املاك عيد حيث توجد ابقاره ومعزه وفيها قضى الليل .

وفي ٢٩ منه لازم ارنست المعسكر ولم يتحرك منه يمنة ولا يسرا وعزم على ان ينطلق الى الصيد في الغد وعلى ارتياح منابع مجرى « لواجارى » .

وفي ٣٠ منه ذهب لصيد النمر واصطاد واحدا بدمع الشكل . وعشر ايضا على منبع « لواجارى » غير انه لاحظ ان ما ينبع منه من الماء يسير جدا فلا يكفى لتغذية هذا النهر وعلم من الاهالى ان له منابع اخرى تتدفق اثناء جريانه .

وفي ٣١ منه أتى الى ارنست نبا بأن النار شبّت في قصر متيسا وان ضابطا مصر يا و معه عترة جنود قادمون لمقابلته ومعهم شيء كثير من المtau وان هذا الضابط يوجد الان في منطقة « موريكىko » Moreko وهذه الظروف حملته على أن يرتد على عقبه الى « روجاجا » .

* * *

هذه هي خلاصة « رحلة ارنست دى بلفون » التي دونت في نشرة

الجمعية الجغرافية الخديوية « الملكية الآن » في السلسلة الأولى لعام ١٨٧٦ م لغاية ٣١ مايو . أما القسم الذي بعد هذا التاريخ لغاية إيه إلى لا بوريه في ٢٢ أغسطس فلم يكننا العثور عليه . وكل ما علم عن هذه المدة الأخيرة مسطر في ملخص الخطاب الآتي الذي كتبته إرنست إلى والده بتاريخ ٢٣ أغسطس أى قبل وفاته ثلاثة أيام وقد سبق ذكر تفصيلات هذا الحادث الحزن ، قال :-

تركت متيسا في ١٥ يونيو بعد مشقة عظمى لأن هذا العانى العشوم كانت ارادته الوحيدة ابقاءه في خدمته مع حرسى وكان لا يريد ان يتحول عن ارادته هذه قيد أهلة . وكان لا يدرك ان مملكته برمتها لا تقدر ان تعوضنى الاقامة عنده اسبوعا واحدا . ولما رأى أن في غير استطاعته بلوغ أربه من طريق الاقناع صمم على أن يسلك مسلك الشدة وإراقة الدماء . واتفق مع كبار يجا ملك اوينورو الذى قاتل ييكر باشا لادراك غرضه هذا .

وفي ٥ يوليه عند الساعة السابعة صباحاً الذى وصولى الى شاطئ نهر « كافو » الذى كانت مياهه تفيض من على جوانبه فتسد في وجهى الطريق هاجمنى خلائق كثيرة يبلغ عددهم ٨ أو ١٠ ألف رجل تقريباً وكان حرسى مؤلفاً من ٤٦ رجلاً . وطفقنا نقاتل من الساعة ٧ صباحاً الى الساعة ٣ مساء واستوليت على أكواخ المغيرين قبل الساعة العاشرة صباحاً . وبما ان هذه الأكواخ مبنية من القش فكان من السهل اتلafها . وصنعت في لمح البصر رمضاً واحتاز اتبعى النهر عليه . وفي الساعة الثالثة لم يبق معى إلا ١٠ جنود وكلهم يحسنون السباحة . وعندئذ صوبنا آخر طلقات الى اعدائنا ثم القينا بأنفسنا في الماء بعد أن وضعنا أسلحتنا على الرمث واحتزنا النهر سائعين بدون أن

يعترضنا والله الحمد حادث ما .

وبعد عدة أيام بلغنا فاتيكيو وفيها أخذنا شيئاً من الراحة . ثم زايلت هذه الناحية وسرت وجبال شوا Shua إلى أن أدركت نهير « أسوأ » لأن الطريق من « فابو » كانت في هذا الفصل غير مطروقة . فوجدت أن مياه هذا النهير تطفح من فوق شواطئه ومكونة سيلاً عرماً جارفاً وبذا انقطع خط السير أمامي . وكانت من العبر التفكير في عمل رمث أو اجتياز النهر سباحة أو محاولة عبوره في أي نوع من أنواع الفلك إذ أن كل ذلك كان من الأمور الصعبة في فصل الأمطار . فيئست من الوصول إلى لادو قبل نهاية هذا الفصل . وبينما أنا كذلك إذ أخبرت بأن الجنرال غوردون صعد النيل في سفينة لغاية لا بوريه . وفي الحال اجترت النهر عند الإبراهيمية « دوفيليه » وسرت والضفة الشرقية ونزلت في لا بوريه وفيها قابلت الجنرال المذكور وعلمت منه أن محطة غندوكورو أزيلت واستعيض عنها بمحطة بور وانخذت هذه مقراً للمعسكر العام وأقيمت بالتبع لها محطات في « إلياب » Eliab و لاتوكا و ميكراكا . وانه شيدت أيضاً محطات على بحر سوباط .

وبعد أن تم إنشاء محطة لادو و الرجاف صعد الجنرال غوردون النهر من هذه المحطة إلى لا بوريه مع أن الناس كانوا مجتمعين حتى الآن على أن هذه المسافة لا يمكن اجتيازها . نعم كان يوجد عدد عديد من السيارات السريعة في هذا القسم ولكن استطاع الجنرال عبورها بصعوبة ويايلت هذه الصعوبة كانت منحصرة في هذه العوائق الطبيعية بل زاد الطين بلة ما كان يديه قاطنةً وشواطئ النهر من ضروب العدادة . ومع ذلك فقد عثر الجنرال بالمضيق الصالح لعبور المراكب واضطجع اليوم يوجد في النهر عند لا بوريه

وابور بخارى و ٣ مراكب كبيرة . وعلى هذا يرى ان هذا العام كان مجديا وجنبيا في غضونه انمار يانعة . ومن ناحية اخرى فان المواصلات مع الخرطوم أصبحت يومية لانها صارت بطريق النيل . وقد جعلت الطريق في غاية من الامن محطة « ييدن » و « كري » الجديدان أقيمتا بين الرجاف و لابوريه .

وقد عهد الى الان بمهمة جديدة ذلك انني سأسافر بعد بضعة أيام لأقوم بانشاء محطات بين فويرا وبحيرة « موتان » Mutan - بحيرة البرت نيانزا - على فرع سومرست . وسأدخل في البحيرة وارجع منها في النهر والحدر فيه بركب لغاية مساقط « ماكيدو » Makedo حيث التقى مررة اخرى بالجزر الـ غوردون الذى يكون قد وصل في ذلك الحين الى هذه الناحية التي سنستخدمها مركزا لدائرة اعمالنا . وأؤمن ان اكون قد اتيت من عملى هذا في ٣ أو ٤ أشهر على اكثـر تقدـير . وسنضع بعد ذلك الوابور البخارى في البحيرة ونأمل انه بعونـة الله تعالى سيكون لنا بعد مرور ١٥ شهرا أو سنتين صركـب تجـاري على بحـيرة « اوـكريـو » - بـحـيرة فـكتـورـيا نـيـانـزا .

سنة ١٨٧٦ م

سفر غوردون من فاتيڪو الى ماجونجو

والخطة التي رسمها

قدم غوردون الى فاتيڪو الواقعة على قيد ٨٠ كيلومترا من « فاشيليه » Fashelie في ٣ يناير ورحل عنها في ٩ منه ميمما فويرا فدخلها في ١٣ من الشهر المذكور . وكانت المنطقة التي سار فيها عبارة عن برية متراصة الاطراف شاسعة واسعة توج بالادغال والشجيرات ليس بها ديار ولا نافخ نار . وبعد أن سار اليوم الأول دخل في أرض لا يوجد بها ماء إلا في العدران . وكان عرض النهر تجاه فويرا ٢٠٠ متر ومؤه راكدا والغران منبئه في سائر أرجاء صفتة الجنوية .

وهذه هي خطة السير التي كان رسمها غوردون لنفسه :—

يقطع في ظرف ٣ أيام المسافة إلى مرسى الواقعة على بعد ٥٠ كيلومترا من جنوب النهر فينسى بها محطة ثم يتبع السفر إلى أوروندو جان فيقيم فيها محطة أخرى . ويولى بعد ذلك وجهه شطر شلالات ريبون عند أول مخرج النيل من بحيرة فكتوريا نيانزا فيستنى ثالثة وعند إتمامها يقفل راجعا إلى فويرا ومنها يذهب إلى « ماجونجو » حيث كان ينوى أن يؤسس محطة وبعدها يهرب بطريق النهر إلى دوفيليه . وكان قد أقام صرح آماله على أن يجد البآخرة والسفينتين المصنوعتين من الحديد وسفينة أخرى جاهزة ومستعدة فوق الشلالات فتنقل المئونة إلى ماجونجو فيدخل جيسى في البحيرة ويرتادها وبدأ

يكون قد رفع العلم الخديوي فوق البحيرتين . وكان عليه بعد ذلك أن يقوم بتفتيش في « مكراكا » ومن ثم يرجع إلى الخرطوم فالقاهرة .

هذه هي الخطوة التي كان قد وضعها غوردون . وعلى ذلك بدأ يسير من ١٨ يناير قاصداً مرولي وكان السير عسيراً جداً في أرض غير مسلوكة لابد للمنبعث فيها أن يشق له طريقاً بين الأدغال . ولا تقع العين في هذه المنطقة على مخلوق من البشر والماء لا يوجد فيها إلا في المستنقعات . أما النهر فلا يمكن الوصول إليه لحيلولة الغدران المسوقة على صفتة . وكان غوردون يريد سرعة الوصول إلى بحيرة فكتوريا نيانزا ليرفع هناك علم الخديو حتى يستطيع أن يثبت حقوقه عليها . وكان قد نبذ ظهرياً مسألة فتح المواصلات عن طريق البحر الأحمر لأنَّه كان يرى أنَّ جنوده لا تستطيع القيام بهذا العمل وأنَّه لو استمر عاقداً النية على فتح هذا الطريق لاضطر الاميرال ماكيابو وأميراللائي شاليه لونج أن يتضطراً مع حملتها زمناً طويلاً .

وقد استرجع الخديو فيما بعد هذه الحلة بناءً على طلب إنجلترا التي حتمت على مصر استدعاءها حتى أنها تمهد السبيل لوضعها تحت حمايتها كما حصل بالفعل .

وفي ٢٢ منه جد غوردون في السير إلى أن أفضى إلى صفاف الكافور Kafour أمم مرولي ولدى وصوله أشعل رئيس المنطقة وهو من اتباع كبار بجا ملك أونيورو النار في مسكنه وتعلق هو وقومه بأذیال المهرب وزلوا في مازندي على مرحلة يومين من مرولي ودخل غوردون هذه الخطوة بعد أن عبر نهر الكافور وأرجع ريونجا خصم كبار بجا إلى مركزه الذي عينه فيه سير صمويل يذكر عام ١٨٧٢ م وكيلاً للحكومة عوضاً عن كبار بجا الذي كان خلده منه . وعين كذلك القائم محمد ابراهيم بك المكنى بابن جمعه ومن مواليه

السودان قائداً للمنطقة . ورحل غوردون من مرسولى في ٢٤ يناير ميمما فويرا بطريق النهر على متن زورق فوصل إليها في يوم ونصف يوم . وفي ٣١ منه بارح هذه الناحية قاصداً دوفيليه لأن وجوده في هذه كان مهما ضرورياً لاسباب جمة . وكان يريد أيضاً أن يرسل المؤن صعداً في النيل قبل أن يهاجمه فصل الامطار الوشيك الحالو .

وفي ٣ فبراير قدم غوردون إلى فاتيكيو بعد أن قطع المسافة التي بينها وبين فويرا البالغة ١٢٠ كيلومتراً في ظرف ثلاثة أيام ونصف يوم . وسمع لدى وصوله أن كباريحا حين سمع بعمده بارح مازندي عاصمة مملكة متابطاً عرشه السحرى لأن العقيدة السائدة بين قومه هو أنه إذا فقد عرشه فقد معه سيطرته وضاع تفوذه .

وفي ١٠ منه وصل غوردون إلى دوفيليه وأدركه أسف شديد لعدم استطاعته قياس فوهات نيل فكتوريا إذ أنه كان يرى أنه لا يوجد ما يبرر استعمال وسائل النقل التي في حيازته للاستكشاف بينما الجندي في مختلف الحطاطات ينقصها كل شيء . وتلك الوسائل كانت ضرورية ولا بد منها لتمويل أولئك الجنود الذين يجب أن تعطى لاحتياجاتهم الأفضلية على كل ما سواها وأنه حتى فيما إذا كان انتهى العمل من الباخرة يكون من غير المستطاع استخدامها في ارتياح بحيرة البرت نيانزا إلا بعد أن تتحرر بعض الزمن بين دوفيليه وماجونجو لنقل الزاد والذخيرة للجنود . ولدى وصوله إلى دوفيليه وجد أن الاعمال تقدمت تقدماً كبيراً وإن سفينة من السفن الحديدية كان انتهى العمل منها وأخرى على وشك التمام وأما الباخرة فكانت الاعمال فيها سائرة سيراً مرضينا .

وفي ٢٣ فبراير بعث غوردون من دوفيليه الى مرسولى بكلمة من المؤونة . وكان مر تاحا جد الارتياح من سير الاعمال . وكان قد تقرر ايضا سفر جيسى بعد بضعة أيام الى ماجونجو بالسفينتين الحديديتين ومعه قدر من الميرة ثم يبحر منها فيطوف بدائير البحيرة . وكان غوردون متربدا في السماح له بالقيام بهذه الرحلة غير أنه لشدة إلماحه أذن له بالارتحال . وبما أن ثلث الباخرة كان قد تم وجميع الخطات تقريبا كانت انشئت ساورة غوردون الامال باز لا يقع جيسى في أنياب المرض فيضطر عند ذاك أن يذهب هو بنفسه لارتياد البحيرة .

وفي ٧ مارس سفر غوردون جيسى في السفينتين الحديديتين من دوفيليه الى ماجونجو ليذهب منها الى البحيرة ثم بعد أن أرسل في ٨ منه قافلة الى لابوريه توجه الى هذه الناحية سيرا على الأقدام بمحاذة النهر ومر بشلالات فولا ليتمم خريطة . وكان ماء النيل ينساب من ثغرة ضيقه متدهورا من ارتفاع ٢٥ مترا ويجرى تياره مسرعا مدى ٣ أو ٤ كيلومترات يستحيل على أي انسان اجتيازها لسرعة جريان مائه . ولما كان ارتفاع كلتا الضفتيين ١٥ مترا وتقطعهما الخيران العميقه كان من الممتنع المسير عليهما وسحب المراكب بالأحبال .

وحمل له البريد الذي جاءه من فويرا خطابا من مهاتسا ملك أوغندا يصف فيه ما حاق به من المهم والغم ويقسم انه مخلص لمصر . أما كبار بجا فقد سافر يحمل عرشه شطر الجنوب وأخلي القسم الشمالي من مملكته .

وفي ١٢ منه شخص غوردون الى « كيري » Kerri ومر في طريقه على « موجى » Moogi ونظرا لما صادفه من الصعوبات في سبيل الحصول على

حالين استحضر زهاء ٤٠ جملة بقصد التجربة . وكانت تساوره الآمال بأن يفلح باستعمال هذه الطريقة وفاته ان ذلك يشير حنق الأهالى .

وفي ٢٣ مارس رحل غوردون الى « لادو » حيث دعت بعض الأعمال إلى وجوده .

وفي ١٠ أبريل رجع الى ييدن وقرر أن ينشئ محطة صغيرة على نهر « طيو » Tyoo لأن المسافة بين لابوريه ودوفيليه ٤ يوم ونصف فكان ينشأ من جراء ذلك أن العساكر التي تسير بين هاتين المحتطتين تضطر الى المبيت في الطريق وتستولى من الأهالى على أشياء ليس لهم حق في أخذها وكان ينتيج من ذلك تغريب الأهالى وبغضهم للحكومة . وفوق ذلك فان هذا النهر كان لا يمكن خوضه في فصل الامطار وكان يحول دون عبوره مخاطر كبيرة وهذا ما دعا غوردون أن يشيد محطة صغيرة في هذه النقطة ويعين بها ٤ جندية ومركبا وبهذه الكيفية يقضى الجنود الذين يحتاجون لهذا الطريق الليل فيها .

وفي ١٢ منه بارح ييدن ميمما كري . فوجد الناحية مليحة جدا الا أنه لا حظ ان ابقار هذه الناحية لا تعيش في فاتيكي ولا في الجهات الجنوبية وإن الخيل تنفق ايضا وبالعكس تعيش الهمير والبغال .

وفي ٢٩ منه قدم الى كري جيسي ليلى غوردون إذ انه كان قد فرغ من ارتياح سواحل بحيرة البرت نيانزا . وأتم هذا العمل في ظرف ٩ أيام فوجد طولها ٢٢٥ كيلومترا وعرضها ٨٠ وان الضفة الغربية لا يمكن الاقتراب منها نظرا لما يضممه الأهالى من العداوة والبغضاء . وانه لا يخرج من البحيرة أى نهر

من ناحية الضفة المذكورة وان الماء في القسم الجنوبي قريب الغور والضفة تكسوها المستنقعات . وهبت عاصفة هو جاء فألقته على شاطئ جزيرة بها رجال من قبائل كباريجا واضطرب الجندي أن يرمونه بالمقدوفات النارية ليبعدوهم . وكان جيسي بحارا ماهرا ومع ذلك قال انه لم ير قط شيئاً كهذا . وجاهر البحارة بأنهم لا يعودون الى البحيرة مقابل ما ينالونه من اجر مها بلغ الاجر وانهم يؤثرون الهروب من الجنديه على الرجوع الى البحيرة . وحاول جيسي أن يفواض الأهالي فأبوا واصروا على عدم حصول أية مفاوضة قبل ان ينصرف لأنهم يعتبرونه كشيطان لبياض لون بشرته .

وارتاح غوردون جد الراحة من هذه الريادة . وفي ٢٠ مايو قفل راجعا الى لادو فعلم ان الباحرة سيفرغ العمل منها بعد مرور ٣ اسابيع . وفي أول يونيو حضرت باخرة من الخرطوم تقل ٤٠ رجلا من الدناقة .

وفي ١١ منه انتقل الى كري وفيها علم ان الرحالة « پياجيما » Piaggia كشف بحيرة بين مرولى و « اوروندوجانى » على نيل فكتوريا طولها ٨٠ كيلومترا وكان أميرالألای لونج قد تحدث عن هذه البحيرة غير ان غوردون ظن ان هذه لم تكن سوى منخفض من الأرض مغمور بالمياه . وقال « پياجيما » انه رأى فرعا آخرا من البحيرة وان هذا الفرع لابد ان ينصب مأوه إما في سوباط أو في أسوأ .

وفي ٤ يوليه وصل غوردون الى لابوريه وكان قد استعاد صحته وزالت من أمامه جميع العوائق . وأخذ يتأهب لفك الباحرة « الخديو » التي جوهرتها ١٠٨ أطنان في « موجى » لكنه يعيده تركيبها فوق الشلالات في « دوفيليه » واعدادها للملاحة في بحيرة فكتوريا نيانزا وكان يطمئن أن يفرغ من هذا

العمل في أبريل القادم في ضمن بذلك ملكية البحيرة للخديو.

وكان قد ورد إليه ٢٥٠ جندياً أخذت تتأهب للذهاب إلى أونيونرو لتعزز مركزه في تلك الأقطار. وكان يشعر بشيء من الارتياح إذ آنس من ضباطه وجندوه الشراح وسروراً من عدالته وحسن طويته. وها هو قد مر على معاشرته لهم واحتلاطه بهم أكثر من عامين وكان همه الوحيد في أشائدهما السهر على راحتهم واسعادهم على قدر ما في استطاعته ومراعاة أحواهم وغضائهما وكافة احتياجاتهم.

وصوله إلى ماجونجو

وفي ٩ يوليه رحل غوردون إلى دوفيليه فوجد أن البالغة « نيانزا » على قدم الاستعداد فاعتلى ظهرها ومحرت به عباب النهر في ٢٠ منه تقطر السفينتين الحديديتين. وكان عرض النهر يتراوح بين كيلومتر واحد و ٥ كيلومترات ومية راكداً. وكانت جزر البردي متشردة في سائر أرجائه وتمتد بطول ضفتيه أوحال من الطمى تحول دون الدنو منها إلا بصعوبة كبرى. وهاتيك الرابع تكاد تغص بمن فيها من السكان.

وفي ٢٨ منه وصل غوردون إلى ماجونجو عند مخرج نيل فكتوري في بحيرة البرت نيانزا وقضى ليته هناك. وكان يحجب مدخل النهر عدة جزر من شجيرات البردي. وكان قصده أن يذهب من ماجونجو إلى فويرا فيرسم خريطة تلك الارجاء لأنَّه قرأ في صحيفة الدكتور شوينفورث يقول فيها إنه قد يجوز أن تكون بحيرة « البرت نيانزا » تابعة لخوض النيل. ولكن هذا الأمر لم يقِم عليه دليل ما لأنَّه كان لا يزال إلى ذلك الوقت نحو ١٠٠ كيلومتر

بين فويرا وبحيرة البرت لم يرتدتها أحد . وانه بناء على ذلك ليس فى استطاعة أحد أن يجزم بأن النيل يخرج من بحيرة البرت إذ أن هذه المسألة كانت لا تزال الى تلك الساعة من الأمور المشكوك فى صحتها .

وكتب غوردون يقول إنه من المختلف فيه أن النيل يخرج من بحيرة فكتوريا ويجرى مارا ببحيرة البرت نحو الشمال بل انه يخرج نهير من بحيرة فكتوريا وآخر من بحيرة البرت ثم ينضمان الى بعضهما فيكونان النيل . ويقول ان هذا البيان لا يمكن نفيه بتاتا بمجرد القول بأنه إلى الآن لم يتبع أحد مجرى النهر من فويرا الى ماجونجو . وهذا هو السبب الذى حداه للقيام بهذا العمل ومتابعة مسیر النهر مع احتمال كثیر من المشاق ليفصل فى هذه المسألة .

وأتصفح له أيضا انه ابتساد من فويرا أو من مساقط « كاروما » Karuma الى مساقط « مورشيزون » وهي واقعة بين بحيرتي فكتوريا نيانزا و البرت نيانزا وأقرب من البحيرة الثانية بكثير ، توجد سلسلة مساقط اخرى يختلفى بسببها تدريجيا فرق الألف قدم الذى فى منسوب المياه بين « فويرا » و « ماجونجو » .

وبعد تأدية هذا العمل كان يسوى غوردون أن يمم مرولى ثم يذهب من هذه الى اوروندوجانى ومن ثم الى مساقط ريبون حيث يرفع العلم المصرى على بحيرة فكتوريا نيانزا وبعد ذلك يتم خريطة النيل من هذه المساقط الى اوروندوجانى ومنها الى مرولى . والمسافة الأولى طولها ٦٥ كيلومترا بطريق البر لأن الملاحة ممتنعة بين هاتين النقطتين وذلك بخلاف المسافة الثانية فإنه ممكن اجتيازها بطريق النيل وقد سبق لغوردون أن مخر عبارها . وبهذا العمل

تكون خريطة النيل قد تمت .

الأعمال التي قام بها بعد ذلك

وفي ٢ اغسطس ورد من مرسلي ومذكرة بريد فعلم منه ان متيسا يطلب باللحاج ان تقام في عاصمته رواجا - الشكبة التي أرسل غوردون الضابط نور محمد افندى ليقيمهما في « اوروندوجانى ». ولما كانت هذه رغبته لى غوردون هذا الطلب وأرسل اليه الـ ١٦٠ جندية وقد جال عندئذ بخاطر غوردون أن احتفاظ متيسا باستقلاله لم يكلفه شيئاً أكثر من احتلال جيشه خط اوروندوجانى - مساقط ريهيون . أما وقد أضعع الآن ذلك الاستقلال فبخطئه لا بخطأ سواه وليس له ان يلوم غير نفسه .

وكان يرى غوردون انه يصيب من وراء وجوه في مركزه هذا مزية اخرى ذلك انه يستطيع اعتمادا على وجود حامية له في عاصمة مديسا ان يكشف بتعيين عدد قليل من الجنود في المطبات الاخرى وانه اذا ظهر روح التمرد ~~امكنته~~ ان يأمر بأخذه أسيرا ويقبض بكلتا يديه على أزمة التجارة بمحاذيرها مع زنبار.

ورسخ في ذهن غوردون أن متيسا لم يطلب إقامة الشكينة في عاصمتها إلا بقصد أن يغري الضباط والجنود ويسوّل لهم أن يهاجموا معه أعداءه . واستدل على صحة استنتاجه هذا بأن متيسا سبق أن طلب من إرنست دى بلفون لما كان عنده أن يهاجم سكان جزيرة كبرى يقال لها جزيرة

ساسيه Sassé وذلك بسبب ما بينه وبينهم من العداوة . وكان هؤلاء القوم من مهرة الغطاسين وكانت كلما أرسل اليهم زوارق وزودها برجاله ليها جوهم غطس أولئك تحت الزوارق وقطعوا عيadan الخيزران المؤلفة منها تلك الزوارق فتغرق بمن فيها من رجال متيسا .

وفي ٥ اغسطس كان غوردون على قيد خمسة كيلومترات غرب مساقط مورشيزون وكانت ضفاف النهر تكسوها الغابات البالغة غاية الكثافة وماهه يسمى بيطاء وكانت شجيرات البردى تعطى كلتها حافتيه كما هو الحال في دوفيليه ولذا لم توجد إلا أمكنة قليلة يستطيع الإنسان الدنو فيها من البر . وكان عرض البحر لا يتجاوز ال ٢٠٠ متر . وقدمت طائفة من اتباع كبار يجا ليفسموا يمين أخلاصهم لاحكمه فأراد اتفينا وهو من رؤساء القبائل المتحابة وكان عندئذ بصحبة غوردون أن يذبحوا فانع غوردون في ذلك بطبيعة الحال .

وفي ٦ منه كان قد رسم خريطة النهر على طول ١٥ كيلومترا غير أنه اضطر أن يمشي والمطر يهطل فوقه ضعف هذه المسافة بين الأدغال حتى أهلك قواه . وعلى بعد ١٠ كيلومترات من المساقط تقع العين على نجد مرتفع تكسوه الغابات وبأسفله تلادع يفصل الواحدة عن الأخرى خور عميق يهبط لغاية مستوى النهر . ومن كبريات المخازفات عبره مشيا على الأقدام وكان النهر صالح للملاحة لغاية المساقط وقد أمكن الباخرة أن تصل إليها بالفعل .

وفي ٧ منه سار ٢٥ كيلومترا ورسم خريطتها وقد صادفه في هذه المسافة نفس الصعوبات التي صادفته بالأمس بعد الدرب عن مجاري النهر

مسيرة ٥ كيلومترات . وفي ٨ أغسطس قطع نفس المسافة وقام بالعمل عينه الذي قام به أمس . وفي ٩ منه رسم ٣٠ كيلومترا لقى في خلالها ما لقيه في الأيام التي قبلها ونزل على ضفة النهر .

وفي ١٠ منه بعد أن خطط ٢٥ كيلومترا وصل إلى زريبة مهجورة لأنفينا . وتجاوزت الصعوبة التي لقىها في هذا النهار حد الصعوبات التي عاناهَا في الأيام السابقة لأنه لم يجد دربا يمشي عليه وسقط عدة مرات على الحضيض .

وفي ١٣ منه وصل غوردون إلى فويرا . وكان عند ما رحل من مرولي في ٢٥ يناير أمر صابطا من ضباطه أن يستعلم من متيسا عما إذا كان يريد جيشا في أوروندو جاني فإذا كان الرد بالإيجاب يتوجه لزيارة أما إذا كان سليميا فيذهب ويحتل نيمبيونجو Nyamyongo التابعة لـ كبار بجا وبالاستيلاء عليها تصبح مرولي من ممتلكات الحكومة . وكان يظن عند ما قدم أن الأمر قد تم وإذا بالضابط يكتب له الآن يعلمه بأن متيسا يرغب في الحصول على الحامية في روجاجا عاصمة مملكته وأنه لي طلبه وبعد أن وصل إلى هذه الناحية صرف جماليه ارتكانا على وعد متيسا بأن يقدم له ما يلزمه من الجنود . غير أنه لم يبر بوعده حتى هذه الساعة وأبدى لذلك اعتذارا أوهى من بيت العنكبوت وأنه - أى الضابط - أقام شكنا وأنه في انتظار ما يصدر إليه من الأوامر .

وعلم غوردون أن متيسا يختار كميات كبيرة من البارود يبتاعها من زربار فتخيل أنه عقد النية على القيام بعمل عدائى وقام بفكه أن الأصوب أن يذهب بنفسه إلى روجاجا ويسحب منها الحامية ويضعها كما

كانت عزيمته متوجهة في بادئ الأمر في نيميسونجو الواقعية على قيد
١٥ كيلومترا شمال أوروندو جانى حيث يسكنه منها أن يرقب مجرى الحوادث .
وكان النهر صالح للملاحة بين فويرا وأوروندو جانى ومن اللازم اصعاد
أحدى البوادر للملاحة في هذه المرحلة . وكان الضابط قد أخبر غوردون بأن
متيسا أضحي أقل اسرافا في القتل منه من قبل .

وصوله إلى مرولي

وفي ١٨ أغسطس وصل غوردون إلى مرولي وفي أثناء الطريق عدل عن
فكرة ذهابه إلى « روباجا » للأسباب الآتية : —

- ١ — تأكده أن متيسا لا يستطيع مطلقا ان يحول دون عودة جنوده .
- ٢ — اذا ذهب هو نفسه فمن الممكن حدوث ارتباكات من المستحسن
اجتنابها .
- ٣ — ان المسافة طويلة شاسعة ومنكهة والأمر لا يستحق هذه المشاق .

وعلى ذلك اكتفى بأن أرسل ٦٠ جنديا إلى نور محمد افندي وهذا
العدد مضافا إليه ال ١٦٠ جنديا التي لديه من قبل كان يجعل في استطاعته
التعلب على جميع الطوارئ .

وفي ٢٣ منه قرر وهو في مرولي ما يأتي : —

يأخذ لدى رجوع الجنود من « روباجا » ١٠٠ جندي منها ويرسم خريطة
النهر بين مرولي و « نيميسونجو » وأوروندو جانى . أما قسم النهر الذي بين

أوروندوجاني وبحيرة فكتوريا فقد رأى نفسه مضطراً أن يؤجل رسمه مؤقتاً اجتناباً لحدوث قلاقل وارتباكات قبل أن يستعد . وقد اسف لذلك جد الأسف إذ أن هذا كان القسم الوحيد من النهر بين بربور والبحيرة الذي لم يكن قد خطط خريطة . وقادته حصافته إلى أن يضم قوته ليعززها بدلاً من أن يفرقها فيضعفها .

وفي ٢٨ أغسطس وردت الأنباء بخالع السلطان عبد العزيز وإحتلال السلطان الجديد محله . وفي ٢٩ منه أحدث هذا النبأ هرجا ومرجا بين صفوف الجندي .

وفي ٣٠ منه عرض غوردون على متيسا عقد محالفة يعترف فيها باستقالة أوغندة ووعده أن يصبح سفراوه إلى القاهرة وكان يقوم بفكه أن هذا أحسن ما يستطيع .

وفي ٢ سبتمبر كتب غوردون من مرسولى مذكرة إلى البعثة الدينية الانكليزية في أوغندة ليعرفها الخطة التي يجب عليها اتباعها إذا كانت ترغب أن تقييد متيساً فائدة مستديمة فقال : « إن المصريين أخذوا يديرون للإنكليز اكتافهم ويولونهم إعراضهم . وأنه أضحي من الحق أنهم لن يصبروا طويلاً على احتمال ما يرسمونه لهم من الخطط إذ أن كل حادث صغير يحدث يذكي في تقوفهم نار الكراهة للإنكليز ويزيد في شناهم لهم . فداخلة الإنكليز في زنبار والحبشة وارسلهم الآن أيضاً هذه البعثة التي يتجلى من كيفية تأليفها أنها بعثة لا دينية أكثر منها دينية كل ذلك مما يزيد في جفاء المصريين لهم . وقال أيضاً لها أنها إذا لم تتصرف في أعمالها بالعقل والحكمة فسوف تجدر الخراب على متيساً وإنما بالعكس إذا تصرفت حسب مشورته »

فأن تصرفها يعود عليه بالخير . وانه يجب عليها أن تسمى في توثيق عرى
الاتحـاد والمودة بينه وبين مصر إذ ان وقوفه في موقف المعارضة يعرضه
لأوـخم العواقب . وانه منها كانت جنـود متيسا منظمة ومزودة بالسلاح
فإن جنود مصر لا تثبت أن تنتصر عليهم وتلحق بصفوفهم المهزـمة . وعلى
البعثة أن تفهم أنه يقصد من هذا القول مهمتها الدينـوية لا الدينـية وهو
يسألهـا إلى أى الأمـرين يجب توجيه نظر متيسـا : أـلى تسليح رجالـه أمـ إلى
التـكـفـير عن ذـنبـه ؟ إن أولـئـكـ الذين يأخذـون الناس بالسيـفـ يـؤـخذـونـ .
انـهـ أـىـ غـورـدونـ يـعتقدـ اـعـتـقـادـاـ لـاـ يـتـسـرـبـ إـلـيـ الشـاكـ أـنـ اللهـ تـكـفـلـ
برـعاـيةـ الـأـمـورـ الـدـينـيـةـ أـمـاـ إـذـ ماـ هـوـيـ الـإـنـسـانـ فـاخـذـ الـوـسـائـلـ الـدـينـيـةـ فـمـنـ غـيرـ
الـمـسـتـبـعدـ أـنـ تـصـادـفـهـ مـقاـوـمـةـ عـالـيـةـ »ـ .

وفي ٢ سبتمبر عند ما كان غوردون في مرولي طرأ على فـكرـهـ انـ
مـأـمـوريـتـهـ أـشـرـفتـ عـلـىـ النـهـاـيـةـ وـانـهـ بـعـدـ بـضـعـةـ أـيـامـ سـيـولـيـ وـجـهـ شـطـرـ بـلـادـ
الـأـنـكـاـزـ وـانـهـ لـمـ يـقـمـ بـعـمـلـ يـسـمـيـ عمـلاـ حـقـيقـيـاـ إـلـاـ سـنـتـيـنـ فـقـطـ بـدـايـتـهـاـ سـبـتمـبرـ
عـامـ ١٨٧٤ـ مـ وـنـهـاـيـتـهـ الشـهـرـ المـذـكـورـ عـامـ ١٨٧٦ـ مـ وـمـعـ ذـلـكـ سـلـمـ بـأـنـ مـاـ أـدـاـهـ
مـنـ الـأـعـمـالـ كـانـ فـيـ حـيـزـ الـاسـتـطـاعـةـ تـأـديـتـهـ فـيـ ١٥ـ شـهـراـ فـقـطـ بـدـلاـ مـنـ
عـامـيـنـ . هـذـاـ إـذـ لـمـ تـعـرـضـهـ رـدـاءـ الـمـنـاخـ وـتـرـايـيـ الـمـسـافـاتـ وـهـمـاـ الـعـلـانـ الـأـتـانـ تـقـفـانـ
عـثـرـةـ فـيـ سـبـيلـ تـقـدـمـ الـبـلـدـ بـسـرـعـةـ .

وفي ٩ منه قدمت الجنـودـ الـتـيـ كـانـ فـيـ عـاصـمـةـ مـتـيسـاـ إـلـىـ مـرـوليـ وـكـانـ
بـصـحـبـتـهـ طـبـيـبـ . وـكـانـ مـتـيسـاـ قـدـ طـلـبـ مـنـ هـذـاـ طـبـيـبـ أـنـ يـتـرـجـمـ لـهـ
الـسـوـرـاـتـ الـتـيـ كـانـ اـسـتـانـلـيـ قـدـ أـهـدـيـ إـلـيـهـ نـسـخـةـ مـنـهـ . وـلـاـ وـصـولـ إـلـىـ ذـلـكـ دـعـتـ
الـحـالـةـ تـرـجـمـتـهـ إـلـىـ ثـلـاثـ لـغـاتـ مـتـبـيـانـةـ . وـأـخـذـ غـورـدونـ يـتـسـأـلـ عـمـاـ

استطاع ان يفهمه متيسا بعد ذلك . وأزداد متيسا ات يحجز لديه الشيخ الذى أرسله اليه الخديو رغمما عن كونه خرج عن دينه واعتنق الديانة المسيحية ولكن غوردون لم يحبه الى مرغوبه .

سفره من مرولى الى نيماميونجو

وفي ١١ سبتمبر بارح غوردون مرولى وانتقل الى جبل ماروزى Marousi الواقع على مسافة ٢٥ كيلومترا جنوب مرولى ولدى وصوله تعلق الاهالى وهم من اتباع كبار يجا فيما سلف باذیال الفرار وتواروا عن الابصار في جوف الحشائش العالية القائمة على جروف النهر . وورد اليه تقرير من أحد ضباطه كان قد ذهب لمقابلة متيسا وهو تقرير مضحك . ويلوح ان هذا الملك استاء أشد الاستياء عند ما علم بقدوم غوردون الى ما جونجو بالباخرة .

وزايل متيسا اعتقاده في الاسلام والنصرانية فأرسل في طلب السحرة وتحادث معهم زهاء خمس ساعات دون ان يحصل على نتيجة طيبة . ثم بعث بعد ذلك وراء الضابط وأقسم له انه لا يضرم لغوردون إلا المودة والحب العظيم ثم وجه الى الضابط وابلا من الاسئلة عن الموجب لقدمه دون أن يحصل من ذلك الضابط على جواب مطمئن . وكان نصف بنادقه بشطف ولم يكن لديه رصاص ولكنه كان يعمل خردا من الحديد . وكان لديه ٥ مدافع صغيرة من البرونز بدون جرار من الطراز الذى يوضع في اليخوت لتأدية السلام .

وكان متيسا اضعاف ثقته من الناس قاطبة فما لبث أن غير ضباطه وكان جميع ما في حوزته من البنادق ٨٠٠ بندقية مختلفة الطراز . وخشي غوردون

ان يكون متيسا تعلم من جنود مصر كيفية تشييد الزرائب غير انه يلوح
انه هدم الزريبة التي أقامها هؤلاء الجنود .

و كانت بلاده مكشوفة من جميع نواحها وبها الشيء القليل من الحشائش
عكس بلاد المشايخ الآخرين الجانحين للعداوة والخصام الامر الذي كان
يلقى المصاعب في سبيل كبح جماحهم . ومن باب الاحتياط ابعد غوردون
عن البحيرة وكان المصريون معتاذين أشد الاغتياظ لميل متيسا للديانة
المسيحية . وقد استدعي متيسا الطيب وكان المانى المتحدى ويدين بالديانة الإسلامية
وتسمى باسم امين افندى وترقى فيما بعد الى رتبة باشا وصار حكمدار مديرية
خط الاستواء . وبعد أن أراه ناقوسا قال له ان عرب زنبار حجروا عليه
أن يدقه في أوقات الصلاة وطلب منه أن يعلمه ماذا ينبغي عليه ان
يعمله . فسألته الطيب عن الدين الذى يعتقده فأجابه انه نصراني فقال له انه
ينبغى عليه ان يدقه وقت الصلاة فأجابه بأنه سيفعل ذلك . وبعد سفر الطيب
استدعي متيسا الشيخ الذى كان بعث له به الخديو وأمره بأن يقيم الصلاة
جبرا حسب الشعائر الإسلامية .

وفي ١٣ سبتمبر مسحى غوردون ٣٠ كيلومترا وكان الحر شديدا .
وكان عليه ان يسير علاوة على ذلك يوما ونصف يوم نحو الجنوب ليتمم
رحلته ثم يقف راجعا نحو الشمال . وفي ١٤ منه قطع مسافة ٢٥ كيلومترا
مشى ال ٨ كيلومترات الاولى منها بين حشائش عالية وأدغال كثيفة
وهجم عليه من الأدغال شرذمة من الأهلى فرد غارتهم بنوبة طلقات من افواه
البنادق بعد ان جرح من عسكره جندي واحد . وفي ١٥ منه وصل الى
نياميونجو وكانت الاراضى كثيرة الآجام والغابات .

عودته الى مرولي

وصمم على ان يقفل راجعا في الغد الى مرولي التي تبعد عن نيميونجو ١٢٠ كيلومترا . وكان في كل هذه المسافة لا يمكن الرسو بجانب صنفاف النهر بسبب شجيرات البردى والمستنقعات إلا فيما يقرب من الكيلومترتين . وتبعد مرولي عن فويرا هذه المسافة عينها ولا يمكن الدنو فيها من البر إلا في نقطتين اثنتين . وبين فويرا ومساقط مورشيزون يوجد أكثر من نقطتين . ومن هذه الى ماجونجو مسافة ٣٠ كيلومترا لا يوجد أكثر من ٣ رسوات . ومن الناحية الأخيرة الى دوفيليه كان يوجد رسوات في مسافة ٢٢٠ كيلومترا . وفيما وراء مساقط فولا الى الرجاف أى مسافة ١٧٠ كيلومترا كانت السفن تستطيع الرسو أينما أرادت . ومن الرجاف الى لادو مسافة ٤٠ كيلومترا لا يمكن الدنو من السبر إلا في غندوكورو لا غير . ومن لادو الى بور مسافة ١٤٠ كيلومترا لا توجد إلا رسوة واحدة في بلد الشير . ومن بور الى سوباط مسافة ٦٠٠ كيلومتر لا يمكن الرسو إلا في محل واحد هو محل البعثة الفرنسية . ومن سوباط الى فاشودة مسافة ١٠٠ كيلومتر لا توجد أية رسوة .

وفي ١٧ سبتمبر وصل غوردون الى مرولي وكان النهر أشبه شيء بالبحيرة ومؤه رهوا . وشرع رجال كبيرة يهدونه بالهجوم غير ان بعض طلقات من البنادق ردتهم الى الصواب وحملتهم على العدول عن الاغارة . وكان احتياز المعابر الضيقه أمرا فيه شيء كثير من الخطر لأن في استطاعة الأهالى الاختفاء بين الاعشاب العالية وتصويب حرابهم نحو المراكب بدون أن يستطيع من بها أن يراهم .

ووجد غوردون لدى وصوله مكابيات من متيسا ردا على ما كان
حرره له بشأن ما عرضه عليه من عقد الحالفه وقد التزم متيسا في رد
الصمت عن هذا الأمر وأخذ يوجه إلى غوردون الاستعطافات وطلب
منه بنادق .

سفره الى مازندي

وفي ٢٠ سبتمبر أخذ سبيله في البر ممما مازندي وسار إلى أن وصل
في ٢٢ منه إلى نجد مرتفع يقال له « كيسوجا » وكان غوردون ارسل
من فويرا قبل ذلك أيام تجريدة لاحتلال مازندي وكان رغم مما بلغه من
التوكييدات بقصد احتلال التجربة له تساوره الشكوك في صحة الاخبار
التي وصلت اليه . أما الآن وهو على قيد زهاء ٢٠ كيلومترا من مازندي
فقد تحقق ظنوته وثبت لديه أن الناحية التي احتلها باسم مازندي
ما هي إلا قرية تبعد عن هذه مرحلة يوم وكان ساعتها شطر مازندي معتقدا
أن جنوده محتجلة ربوعها . ولما وصل إليها وجد أنه بقي بينه وبين جنوده
مرحلة يوم وكان يصحبه ١٠٠ جندي وكان يأمل أن يصل إليها السلام .
وبعد أن جالت رأسه هذه الأفكار ارتأى أن هذه الحالة ربما مهدت له
سبيل توزيع الجنود بطريقة أكثر فعها وأنه على كل حال لا يقع في ملكه
سبحانه وتعالى إلا ما أراد .

وفي ٢٤ منه اجتاز مسافة ٢٥ كيلومترا . وكان الأهالي يحذقون بجنوده
طول عصر هذا اليوم وهم يدقون الطبول وينفحون في الابواب اشارة لما
يبحذقون إليه من مناصبته العداوة والبغضاء وعلامة على نيتهم الاغارة عليه .
وكان ما زال عالقاً بذهن غوردون مسألة انسحاب سير صمويل يذكر من

مازندي ولذلك ما كان مطمئن الخاطر ولا مستريح البال لا سيما ان
ال ١٠٠ جندى التي كانت برفقته كان من بينهم ٣٠ جنديا من الجنود
الحديشة لا تتجاوز سن الواحد منهم ١٦ عاما . وفي الواقع كانت الحالة
داعية لعدم الطمأنينة موجبة للاشفاق لان الجنود كانت تعبر منطقة تكسوها
الحشائش العالية للشديدة الكشافة تحيط بها الاهالى من كل ناحية . وكان
هؤلاء صوبوا ذات مرة النيران على الجنود غير انه لحسن الحظ جرت
جميع الامور في مجرى حسن وتم كل شيء على غایة ما يرام فقدم غوردون
الشكر على ذلك لله وحمده من سويدة قلبه

وأخطر ضابط القوة التي كانت أرسلت لاحتلال مازندي بأن يحضر
ل مقابلة غوردون وكانت الآمال تساور غوردون بأن يتحدث معه عشية
اليوم اذ انه كان دهشا لاقتاده هذا الضابط على ان يؤرخ مكتاباته من
مازندي ويرسل إيه الاخبار بالاستيلاء عليهما . وكان غوردون يظن انه
استولى على « كيروتو » في الالغاب . ولما علم كبار بجا به قدم غوردون بارج
مازندي وولى وجهه شطر بحيرة البرت .

وفي ٢٥ سبتمبر قطع ١٥ كيلومترا في نواحي معطاه بالحشائش المتباينة
في الكشافة وكان يأمل ان يصل في الغد الى الجهة التي يقال لها مازندي .
وفي ٢٦ منه قطع ايضا ٢٠ كيلومترا بين غابات كثيفة ظل في جوانها
فارسل ادلة للبحث عن « كيروتو » التي قيل انها مازندي وانتهى الامر
بالعثور عليها ودخلوها في اليوم نفسه بدون ان يحضر أحد من الحامية
ل مقابلته فأنب غوردون ذلك الضابط على ما حدث منه وعنده تعنيفا
شدیدا الا انه نظرا لعدم طروع اي حادث مكدر وانقضاء الحالة على ما يرام

عفا وصفح عنه .

وقد عزم غوردون على مناؤة كباريغا وترصد حتى تجف الحشائش فيحرقها ثم يؤلف كتاب لهذا الغرض بالكيفية الآتية : —

تؤلف الكتبية الأولى من ١٥٠ جنديا و ٣٠٠٠ رجلاً من قبيلة «اللانجو» وتذهب من مرولى إلى كيسوجا .

وتؤلف الثانية من مثل هذه القوة وتسير من كيروتوا إلى مازندى .

وتقيم هاتان الكتبيتان زرائب في كيسوجا وفي مازندى . وهذا العمل يستغرق ٤ أيام ثم بعد ذلك يجوسون خلال الديار في سبيل البحث عن كباريغا .

وتقلع الكتبية الثالثة على ظهر الباحرة ميممة شطر بحيرة البرت نيانزا ومنها تذهب إلى فاكوفيا فتحتها بقصد تهيئة كباريغا وتضليله .

وكان غوردون يتساءل عما إذا كان ينبغي عليه أن يتذكر وقتاً ما ليسير هذه الكتب .

وبعد أن قتل هذه المسألة بحثاً وتجيئاً رأى أن ترصده لاتمام هذا العمل ليس ضروريا لأن القوة التي تحت تصرفه من الرجال للقيام بهذا المشروع تضمن نجاحه . نعم يوجد لدى كباريغا عدد كبير من الاتباع ولكن عند ما يهاجم من كل صوب وناحية لا يستطيع البتة الخلاص من المهزيمة . ولعله على ذلك فإنه بعد ما يزود الضباط بالتعليمات والأراء الالزمة وتغدو في حوزتهم جميع الوسائل المؤدية لتنفيذها فإنهم يقومون بالعمل

على الوجه المرضى أحسن مما لو كان معهم غوردون إذ أن وجوده بينهم يغلي أيديهم ويحصر دائرة أفكارهم فلا يتصرفون إلا حسبما يوحيه إليهم ويأمرهم به . وكان وجود السياغات في كيسوجا و مازندي سندًا للجنود و عضداً كبيراً لهم . ثم إن احراق الحشائش يزيل جيئ مع الأخطار إذ به تنكشف الأرض فيما تد البصر ويرى الاشياء على مسافات شاسعة . و فوق هذا وذاك فان اهالى هذه النواحي بعكس الباريين لا يشنون غارات البتة في الليل .

وقد تألفت التجريدة السابق ذكرها بعد ذهاب غوردون و طارت كباريجا وعادت بعثام كثيرة من الماشية إلا أن الجنود ما كانوا ينسحبون من البلد حتى رجع كباريجا اليه .

وبالرج غوردون في ٢٨ سبتمبر « كيروت » Keroto وسار ٣٠ كيلومتراً ثم عاود المسير في الغد (٢٩ منه) حتى وصل في هذا اليوم عينه إلى ماجونجو . ومن هذا يستنتج أن صحته كانت على ما يرام .

وكان من عادته انه عند ما يصل إلى محطة يجمع الجنود ويسألهم عما إذا كان لديهم ما يشكون منه . وكان يفعل ذلك اتقاء لوقوع جور على الجند . غير أنه في هذه المرة لم يفعل ذلك إذ انه رأى ان جمع الحامية عقب وصوله في الحال من سفر ٦٠ كيلومتراً عمل غير سديد .

وذهب في الغد لمشاهدة مساقط مورشيزون فوجد ان ليس لها من الأهمية ما كان يتخيله أولاً . وفي ٢ أكتوبر بارح ماجونجو قاصداً « شيبيرو » Chibero الواقعه على بحيرة البرت نيانزا وقد عقد النية على أن يعود

الى حيث سافر بعد ٤ أيام . وألقيت المرساة على قيد ٢٥ كيلومترا من « ماجونجو » .

وكان البحر مأوه رهوا غير ان توجهه كان يشعر به . وهذا يدل على ان عاصفة قرية العهد مرت به . وأخذت الباحرة في الليل تتمايل بين فيها على الجانبين ومن الأمام الى الخلف وبالعكس بسبب مرور عاصفة الأمر الذي جعل غوردون يدرك أن البحار على تلك البحيرة مع ملاحين مجردين من الخبرة لا ييزون رداءة الجو ولا كيف يعدون الموافق الموافقة للرسو ، شيء لا تحمد عقباه .

وفي ٣ أكتوبر واصل السفر الى ان بلغ بقعة تجاه « شيبورو » وأبصر جبال مازندي على بعد زهاء ٤٠ كيلومترا . وكان صياد من الأهالي يصطاد في زورق ففاجأته الباحرة على حين غرة منه ولم يرها إلا بعد ان دنت منه . وحاول عندئذ الهرب إلا انه لم يجد الوقت الكافي لذلك وقبض عليه وسيق الى ظهر الباحرة . ودهش الرجل إذ أن بصره لم يقع قبل الآن على شيء كهذا . واعطاه غوردون خطابا برسم كباريجا الذي كان يوجد في داخلية الأرض على مسافة بضعة أيام وأعطى له كذلك بعض المديا وأطلق سراحه فانصرف وقد تلعم لسانه وأخذ يسير بدون أن يلتفت وراءه لشدة ما أصابه من الذهول الى ان اختفى في الحشائش .

وكان غوردون ينسى من وراء هذه السياحة أن يقيم محطة في شيبورو لكي ينظم خط موصلات بين البحيرة ونيل فكتوريلا ولذا أصدر أمرا لجنوده بالعودة عند ما وصل الى الموضع الذي كان يرى وصوله اليه لازما .

عودته من ماجونجو الى لادو

وفي ٦ اكتوبر رحل عن ماجونجو ميمما وجه شطر الشمال ابتغاء العودة . وفي ١١ منه بلغ لادو . وبعد بضعة أيام من وصوله اليها وردت له انباء من « لاتوكا » منبئه بأن طائفة من الزوج هاجمت السيد احمد العقاد وتجارا آخرين وأن هؤلاء جميعاً أمسوا في أخرج المراكز محاصرين من جميع النواحي وأخذ زادهم ينضب .

وتقول هذه الأخبار أيضاً ان لدى أولئك التجار كميات كبيرة جداً من السلع الغالية عظيمة القيمة وانهم يتمسون الاسعاف في أقرب وقت وإلا فصيرون الأسر أو القتيل ومصير بضائعهم ومتاعهم السلب والنهب . فاضطر غوردون ان يعد تجريدة ويسيرها الى تلك الربوع بقيادة الصاغ محمد عبد الكافي افندى وهو ضابط سودانى من ضباط الجيش المصرى .

وانطلق ذلك الضابط ووجهته « لاتوكا » في طريق تخلله الجبال الوعرة وأراضي يسكنها زوج متواحشون فكانوا يقطعون عليه الطريق ويضطرون به لحاربهم وايقاع الهزيمة بهم بواسطة الأسلحة النارية .

واستمر سائراً على هذا الحال الى ان ادرك المكان الذى يقصده فوجد طه بن محمد وكيل السيد موسى العقاد وفريقاً من المصريين خلصهم من الورطة التي كانوا واقعين فيها والمأذق الحرج الذى كان محققاً به ورجع ومعه أولئك الاشخاص بأمتعتهم وبضعة آلاف من جير لاتوكا وهي حمير ذات لون اخضر تشي بيضاء فهى تشبه في مشيها الابقار وتدر لينا كما تدر هذه وتفنى لهذا الغرض لا للركوب وحمل الاثقال .

وقد دهش الجنود لما رأوا هذا النوع من الحمير بهذا الشكل وهذا
اللوك الغريبين . وزع غوردون هذه الحيوانات على الضباط والجنود وأوصى
بتدريجها على حمل الاتصال والانسان ودربت فعلاً الى أن استعملت لذلك
ولكن بعد صعوبه كبرى .

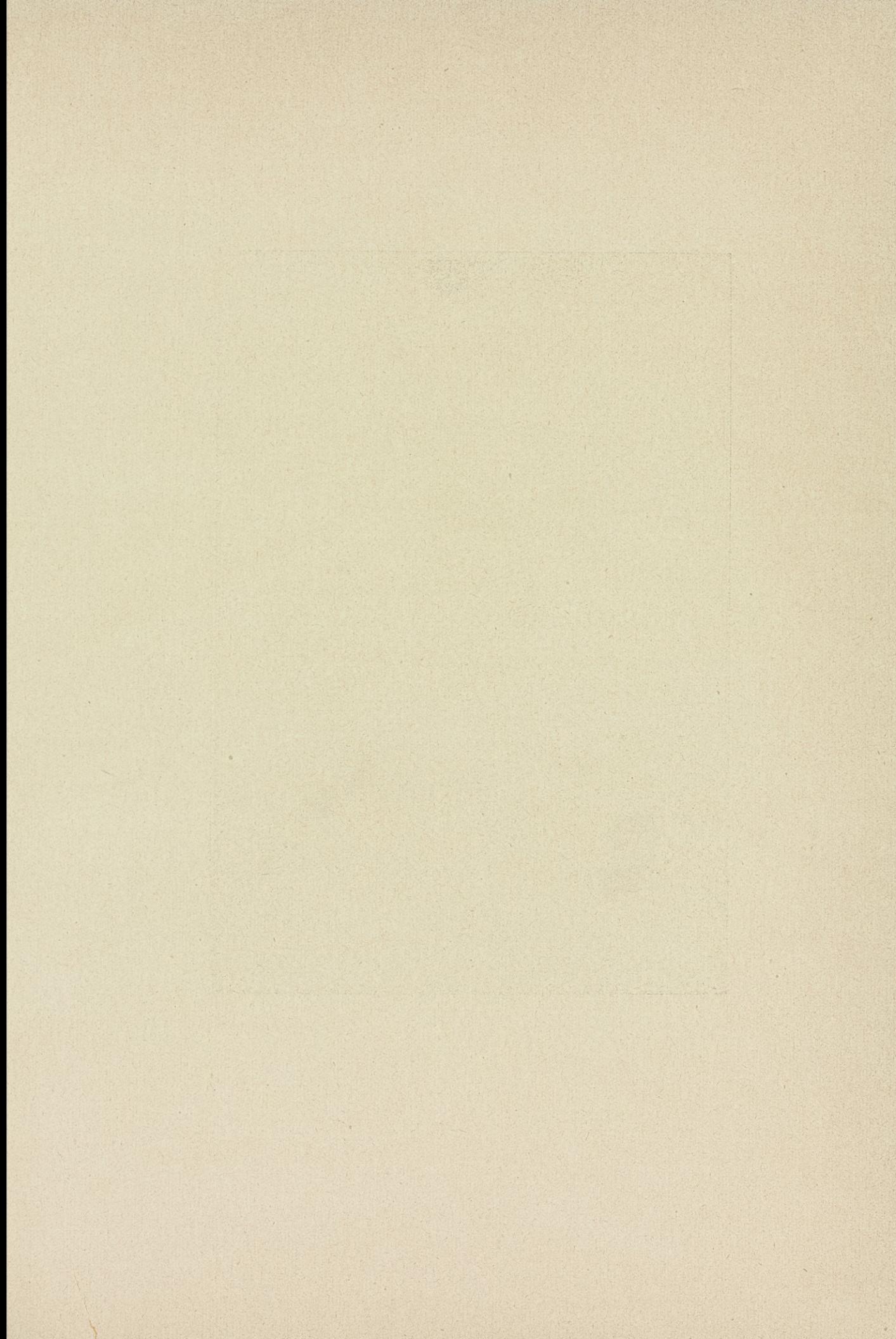
سفره الى الخرطوم ثم القاهرة

وفي ١٦ اكتوبر بارح غوردون لادو الى الخرطوم فبلغها في ٢٩ منه .
ثم سافر من الخرطوم في ١٢ نوفمبر موليه وجهه شطر القاهرة فدخلها
في ٢ ديسمبر .

وإلى هنا انتهت حكمدارية غوردون لمديرية خط الاستواء وقد دامت
من الوقت سنتين وشهرين وثمانية عشر يوماً .



جیسی باشا مدیر مدیریة بحر الغزال



١ — ملحق سنة ١٨٧٦ م

رحلة جيسي وارتياده لبحيرة

البرت نيانزا^(١)

من ٧ مارس الى ٢٣ أبريل

تكليف جيسي كشف بحيرة البرت نيانزا

كان أميرالألای غوردون يحاول حل اشكال بحيرة البرت نيانزا من الوجهة الجغرافية أثناء وجود جيسي في نواحي بحير الغزال وكان يريد أن يتحقق مما إذا كانت هذه البحيرة هي آخر خزان للنيل أو تابعة لمجموعة « الشيرى » أو الكنغو المائية .

و قبل هذا كان سير صمويل يذكر قد كشف من عهد غير بعيد وجود اتصال بين فكتوريا نيانزا وبحيرة البرت أعني نيل فكتوريا ، وأكده أنه يوجد محى ماء شمال نيل فكتوريا الذى هو عبارة عن خزان وأنه من الجائز ان هذا المجرى لم يكن سوى النيل بين دوفيليه وغندوكورو .

غير أن بعض علماء تقويم البلدان ارتابوا في وجود هذا المجرى الشمالي الذى لم يستطع سير صمويل يذكر أن يجزم برؤيته رأى

(١) — راجع كتاب « سبع سنوات فى السودان » مؤلفه جيسي باشا من ص ٩٩ الى ص ١٣٦ .

العين . وكان هؤلاء العماماء يؤيدون ان نيل فكتوريا يخرج من بحيرة فكتوريا نيانزا ويسير محاذيا لبحيرة البرت من جهة الشمال الشرقي بدون أن يختلط ماء هذه البحيرة . ويوجد بالفعل عدة خرائط مخططة في ذلك العهد وفيها نيل فكتوريا مرسوم على يمين بحيرة البرت .

وعلى هذا كان يهم غوردون بنوع خاص أن يفصل هذا الأشكال لما في ذلك من الفوائد العالمية عامة والفوائد الاقتصادية والسياسية خاصة التي تعود على الحكومة المصرية . إذ أنه لو تحقق ان النيل يخرج من بحيرة البرت لاستطاع السودان المصري بواسطة هذا المنفذ النيلى العظيم أن يمد نفوذه وممتلكاته إلى قرب خط الاستواء لغاية مملكة كباريجا شرقاً ومونبيتتو Monbettu وأكاكا Akka والاقطار التي لم يرتدها أحد إلى ذلك الوقت غرباً .

وقد أرسل لهذا الغرض اثنين من أفضل ضباط الانكلترا وهما المستر وطسون وشيندلر وكلفهما أن يصعدا مع النيل لجسم هذا الأشكال . فسافر وطسون وبعد أن سار بعض مراحل غير مجده رجع إلى دوفيليه التي سافر منها . أما شيندلر فتابع السير وأخذ يرتاد التواحي إلى أن بلغ وادلأى . وهنا علم أن مرض الجدرى منتشر في أعلى النهر الذى كان يرتاده . ولما لم يكن مزودا بأية آلة من آلات التلقيح وكان يخشى على حرسه من الملاك آب هو أيضا إلى دوفيليه بدون أن يتمكن من انجاز مأموريته .

وعندئذ فكر غوردون في استدعاء جيسي الذى قبل القيام بهذا المشروع العسير . وكان جيسي فى هذه الأونة فى الخرطوم فاستقدمه غوردون إلى غندوكورو فى شهر أكتوبر سنة ١٨٧٥ .

اعداد حملة لهذا الغرض

حضر جيسى وأخذ يشتعل في اعداد وترتيب الحملة . وترود لهذا الغرض بياخـرة ومركـبين مصنوعتين من الحديد احداهما اسمها « دوفيليه » والآخرى « ماجونـو » هولتها معا زهاء أربعة اطنان ونصف طن . وهاتان المركـبات كانتا في غندوـكورو من نحو سنة واستقدمـها سير صمويل يـكرـم امر بـفكـها . وكان نقلـها الى دوفيلـيه وهـى النقطـة المـزـمع الـاقـلاـع منها لا يـخـلو من الصـعـوبـة . واضطـرـ جـيـسـى لـاتـمام عـمـلـية النـقـلـ ان يـجـمـع ٧٠٠ رـجـلـ من مـكـراـكاـ واستـحـضـرـهم خـصـيـصـاـ من بلـدـهم لـهـذا الغـرـضـ وـجـمـعـ من غـنـدوـكورـو ٣٠٠ من الـحامـلـينـ . وكان الـطـريقـ بـأـسـرـه مـحـفـوفـاـ بـالـمـصـاعـبـ . وكان على الحـمـلةـ ان تـجـتـازـ جـبـالـاـ شـامـخـةـ وـغـابـاتـ لـيـسـ بـهـا مـسـالـكـ مـطـرـوـقةـ وـمـخـاضـاتـ وـتـقـتـحـمـ عـقـبـاتـ شـتـىـ .

ووصلـتـ الحـمـلةـ أـخـيرـاـ الى دـوـفـيلـيهـ وـفـيـ الـحـالـ شـرـعـ جـيـسـىـ فـيـ تـرـكـيبـ البـاخـرةـ وـالـمـرـكـبـينـ بـهـمـةـ كـبـيرـةـ حـتـىـ انـ غـورـدونـ لـمـ قـدـمـ بـعـدـ شـهـرـ لـيـعـاـنـ الـاعـمـالـ وـجـدـ انـ المـرـكـبـينـ قـدـ تـرـكـيـبـهـاـ وـانـ الـعـمـلـ فـيـ تـرـكـيبـ الـبـاخـرةـ سـائـرـ شـوـطاـ بـعـيدـاـ .

وهـذـهـ تـرـجـمـةـ مـذـكـراتـ جـيـسـىـ التـىـ كـتـبـهـاـ بـالـقـلـمـ الرـصـاصـ يـوـمـاـ يـوـمـاـ فـيـ خـلـالـ رـحـلـتـهـ المـحـفوـفةـ بـالـأـخـطـارـ :ـ

سفره من دوفيليه

في ٧ مارس سنة ١٨٧٦ أقام من دوفيليه و معه سفينتان من الحديد

وهما « دوفيليه » و « ماجونجو » وكانتا مساحتين وبها ١٨ ملاحا من الدنالقة و ١٢ جنديا . وانضم الى جيسى حينما شرع في القيام بهذه الرحلة « كارلو پياجيا » Carlo Piaggia وكان كلف هذا برفقة الحلة لغاية « ماجونجو » على أن يحاول بمفرده القيام بارتياح نواحي بحيرة كاپيكي Kapeki .

وقضى جيسى الليل في زريبة بخيت ومنها اكتفى مترجمـا . وفي الغد هدأت الريح فخررت بهم السفن النهر بسرعة أعظم منها في اليوم السالف غير أنه عند ما أشرفت الشمس على الأفول هب إعصار اضطر الحلة الى الرسو عند زريبة . وصاد جيسى وعلا وفرقه على رجاله .

وفي ٩ مارس أتت الرياح بغير ما تستهـى سفن الحلة إذ اخذت تهب من الغرب والجنوب الغربي . واقلت المراكب عند الساعة الثانية والنصف صباحـا وداومت السير الى الساعة ٦ مساء فقطعت ١٨ ميلا .

وفي الغد عاود جيسى الابحار عند الساعة ٥ صباحـا . وفي الساعة العاشرة صباحـا لاح للحملة بعض جزر مغطاة بأشجار الموز ولكن الحشائش العالية حالت دون الاقتراب منها . وفي الساعة الثانية والنصف مساء عصفت رياح عاتية من الغرب مصحوبة بالامطار واستمر هذا الحال الى الساعة الرابعة والنصف مساء . وفي الساعة ٧ اخذ ثانية في المسير إلا أن زوجة أخرى مالبت ان ثارت فعاقت سير المراكب في الحال .

وفي ١١ منه بينما كانت المراكب تخـر عباب الماء عند الساعة ٥ صباحـا اصطاد جيسى حيوانا يقال له « بيرينجي » Piringi غير انه لم يستطع ان ينتسله لـكثرة الحشائش السابحة . وعند الساعة العاشرة مررت المراكب أمام

زريبة « بارو » Baro . وتشبه الأرض المرتفعة في هذه الناحية جزيرة بارزة في وسط المستنقعات تكسوها غابة على حافتها تقوم القرية . بحال في خاطر جيسي أن هذا المكان يصلح كثيرا لبناء محطة والحصول على الوقود اللازم للملاحة . وقد تعلق اهالي تلك الجهة بأذیال الفرار .

ويوجد في هذه المنطقة عدة مسطحات من الأرض صالحة كثيرا لزراعة وأشجار جمة من شجر الموز والنهر فيها عميق تستطيع فيه المراكب ان تدنو بعضها من بعض بسهولة . ومن « بارو » الى دوفيليه أى مسافة ٧٣ ميلا يوجد دواما بالنيل العمق الكافي رغمما عن ازدحامه بالجزر السائحة ازدحاما خارقا للعادة ولا يوجد بهذه الجزر كثبان من الرمل بل كلها مكونة من الاعشاب ونباتات البردى ذات الجذور المشتبكة اشتباكا عظيما ويبلغ عرض الجزيرة الواحدة منها على وجه العموم ٤ أو ٦ ياردات ولكنها غير صالحة للسكنى والبعض منها يمتد في الطول ٣ أو ٤ أميال بدون أن تتعوق مع ذلك الملاحة . وكثيرا ما كانت تنتقل هذه الجزر من مواضعها . فإذا ثارت عاصفة عاتية اكتسح الهواء الجزر امامه وسيرها بسرعة ٤ أو ٥ أميال في الساعة ثم يلقيها على جزر أخرى من نوعها أو على حافات النهر فيقبلها في الماء .

فلهذه الاسباب كان منظر النهر يتغير دائما ويتعدى رسما على الخريطة رسما محكما . وعلى ذلك كانت الخريطة التي شفعها جيسي برحلته لا يمكن أن تكون مضبوطة من حيث دلالتها على مجرى القنوات . وكان كذلك من المتعسر ذكر سرعة جريان الماء فقد كانت تبلغ في بعض المواقع ميلا واحدا في الساعة وفي مواقع أخرى كانت تتراوح بين الميلين والثلاثة أميال . ويمكن تقدير متوسطها بنحو ميلين في الساعة .

وكان صفتان النهر وبخاصة الضفة اليمنى مأهولة بكثير من السكان . وبشرة الأهالى سمراء كلنوت البرنز والجيمع بدون استثناء يكسون جانبا من أجسامهم بجلد الماعز أو جلد الوعول . وهم من مهرة الزراع . سلاحهم المزاريق والقصي . ومساكنهم فى القرى لم تك متفرقة ومشتتة على مسافات بعيدة كما هو الحال في الجانب الأكبر من الأقطار الأفريقية بل مجتمعة مع بعضها ومحاطة بسياج من الأخشاب .

وفي الساعة ٣ مساء وصلت الجملة إلى مصر كثير الاخطار ليس له منفذ نحو الجنوب . وكانت المراكب التي يجرها الرجال تلاقي صعوبة كبيرة في احتيازها هذا المهر وبعد معاناة الأهوال مدة ٥ ساعات دخلت في المجرى الأصلى غير أن جيسى عندئذ أدرك أنه ضل الطريق وأنه لابد أن توجد قناة أخرى فكان عليه أن يدرس الموضع درساً أولى ما دامت الطريق التي سلكها لا تصلح لاتجاه الباخرة صوب البحيرة .

وفي صبيحة ١٢ مارس حصر همه في البحث عن القناة التي يجب عليه أن يمر منها فاھتدى إلى ترعة صالحة للملاحة رغمما عن كون مدخلها تقاد النباتات المائية تحجبه عن الأ بصار .

وزايل هذا المكان في الساعة الثامنة والربع صباحا واتجه شمالا مغربا وسار بمحاذاة الضفة المأهولة بقبيلة « مادى » Madi . ووقع نظره على مكان مرتفع به غابات يصلح كثيرا لإقامة محطة فيه . ويواوح أن الأهالى على جانب عظيم من الجين إذ أنهم ما وقعت أبصارهم على أفراد الجملة حتى لاذوا بأذى الفرار إلى داخلية البلاد خوفا وجزعا تاركين ضياعهم وقطعانهم . وإن هي إلا أن انسحبوا الجملة بعد ذلك حتى رجعوا إلى مساكنهم .

ولم يكن الهواء موافقاً وكانت المراكب تسير ببطء وألقت مرايسها في الساعة ٦ مساءً . وفي ١٣ مارس أقلعت عند الساعة ٥ صباحاً . وكان الهواء يهب على غير المرام جنوباً مغرباً فأخذت البحارة في التجديف . وانكشفت أمامهم قرية جهة اليسار على مد البصر وعلى مسيرة ساعة . وأهالي هذه القرية مختلفون اختلافاً كلياً عن قبائل « الأردرود » Ardrus لائن مئات منهم لا حق المراكب جيسي ولما رأوا أنه لا ينوي الوقوف أخذوا في الصياح . ويقول جيسي إنه مع شدة رغبته في التفاهم معهم لم يتوصل إلى ادراك شيء مما كانوا يقولون . وركب ثلاثة منهم قارباً ونجحوا في الوصول إليه فاستقى منهم الاستعلامات التي كان يريد الحصول عليها بصدق بلاد وادلاب .

وفي الساعة العاشرة من اليوم المذكور وقفت الجملة عند قرية واقعة على الضفة اليسرى بين القرية السالفة الذكر وجدول ماء صغير . فتبادل أهلها بأن أعطتهم أشياء وأخذ في نظيرها دجاجاً وبعض المأكولات وانطلق براكبه يخرج عباب الماء . وبعد مسيرة نصف ساعة وجد الطريق مسدوداً . وكانت سرعة التيار في هذا المكان ميلين في الساعة والريح فيه تهب من الجنوب فتحول دون تقدم المراكب . وبعد بعض ساعات عاودت الجملة البحار ثم ألقت عصا التسيير عند قرية « اديلاب » Adilai الكبيرة التي شيخها شقيق وادلاب . وهذه القرية واقعة على ضفة النهر اليسرى . وحضر أكثر من ٤٠٠ نسمة من الأهالي وهم عزل من السلاح لاستقبال الجملة وصاخوها ووجوههم طافية بالبشر دلالة على الارتياح . وأزال عدم حملهم الأسلحة كل ريب من النفوس لدى الجملة . وكان جيسي قد علم عند ما بارح دوفيليه أن مدير هذه الناحية غاب عن ذهنه أن يزود جنوده

بكمية من النرة تكفى مدة شهر وسافر الجنود بدون أن ينسوا
يلنت شفة .

وقد حدث به الحفاؤة التي قابلها بها الأهالى أن يأمل منهم الحصول على
شيء من الزاد . وبالفعل أمدوه بكمية وافرة من الدقيق وجانب من البطاطة
وعدد من الدجاج وعندئذ أقام سرادقه ليقضى ليلته ممتنعاً براحة هنية .
وفي ١٤ مارس حضر عدد آخر من الأهالى في الصباح وقدم ميرة غير التي
أحضرت بالأمس . وبعد أن اختار جيسي منها ما رآه لازماً وضرورياً أصدر
أمره بالرحيل . وفي هذا الوقت علم أن الترجمة الذين استحضارهم الشيخ بخيت
اختفوا عن الأبصار . واستطاع جيسي بعد كثير من الترغيب بالوعود والمدايا
أن يحصل على رجل هرم من الجهة يقتادهم إلى وادلإ .

وأقلعت المراكب في الساعة ٨ صباحاً وكان النهر في أديلاي عميقاً وماؤه
يجرى بسرعة ميلين في الساعة بين صفتين مرتقبتين اليسرى منها تكسوها
نباتات . وارتفاع الضفتين مائة قدم تقريباً . وكانت أراضي هاتياث البقاع عامرة
بالسكان والأدغال وقرها ليست عديدة إلا أنها تفوق في الاتساع كل القرى
التي وقعت عينه عليها في أواسط افريقيا .

وفي نهاية الأمر وصلت الجملة عند الساعة ٤ مساءً إلى مسكن شيخ وادلإ
وكان غرض جيسي من هذه الزيارة الحصول على ترجمان .

وفي الساعة ٦ مساءً أرسل الشيخ يقول أنه سوف يأتي غداً واشترط
لحصول ذلك أن يرسل له جيسي جنديين إذ أنه كان يخشى أن يقلع هذا قبل
قدومه . وعلى هذا جاوبه جيسي أنه باق في انتظار مجئه .

وأرسل جيسى جميع الملائين في بكور صباح الغد الى الشاطئ حتى
يتمكنوا من نزح ماء المطر المدار الذى هطل في جوف المراكب . وبعد
ان أتموا ذلك أرجعوا السوارى الى مواضعها . وقبيل الساعة ٦ مساء كان
كل شيء في مكانه والبحارة انتظروا في أماكنهم . وكان جيسى يريد بعمله
هذا الاستفادة من الوقت الذى اضطر الى ضياعه في انتظار هذا الشيخ الذى
يرغب كثيرا في لقياه ومن المتعدد جدا مرآه .

وطلب شقيق وادلای من جیسی هدایا . بغير هذا خاطره ومنجه عطايا
مؤلفة من اشياء متعددة مثل بطمة وادوات نحاسية وخيط وجوابعير (١)
وغير ذلك وعلم منه ان وادلای وان كان رئيسا ذا قوه وبطش فهو لم

(١) — الجماعور لعبه للاولاد من الحشب او غيره وهى اشبه بالخدروف ولها يد رأسية يقبض عليها باليد وتهز فتدور ويصدر من دورانها صوت اجش.

يخرج عن كونه واليا من اتباع كبار يجاه ملك «أونيورو» وان وادلای يتنزل عن جميع ما يجمعه من العاج الى الملك ويرسله اليه على ه أو ٦ دفعات في العام ويحتاج في نقله كل مرّة الى ٢٠٠ أو ٣٠٠ جمال . وأن كبار يجاه يقطن في جزيرة ومنها يدير شؤون مملكته . وكل هذه التفصيات نقلت الى جيسي بواسطة الترجمان ومع هذا لم يستطع أن يفهم اسم الجزيرة . وكان جيسي شديد الشغف والشوق لمحادثة وادلای وكانت تساوره الآمال بأن يأخذ عنه معلومات أوفى واخباراً أصح .

يصطحب جيسى الى حيث يقيم سيده .
ولاح فى نهاية الامر رجل وطni هرم مرتد ثوبا قطنيا قرمزيا تتبعه
حاشية مؤلفة من ٣٠٠ رجل . وخطر فى بال جيسى فى بادئ الامر
ان هذا هو الشيخ ولكن ما عالم ان تذكر ان الاوصاف التى تلقاها
بصدق وادلائى تنبئ بأنه رجل بادن قوى الجسم فأدرك فى الحال ان هذا
الذى حضر لم يكن سوى رسول . وقدم هذا الرسول جرتين من المريسة
وعنزة وقال ان وادلائى مريض فلا يستطيع المجرى وانه كلف بأن
Merissa

ويئما كان جيسى مرتبكا مختارا في اختيار المسلوك الذى يسلكه مع
هؤلاء القوم اذا بذلك الرسول الذى حاده بالأمس يقترب . وان هو إلا
أن وقعت عين ذى الشوب القرمزى على جيسى حتى تملص من ثوبه وفر فرار
الآبق . وعندئذ أيقن جيسى أن أمامه عصابة لصوص وعقد اليمامة
على الانتقام .

واستدعى شيخ زريبة تبعد نحو ٦٠٠ قدم عن الهر وأمره أن يخبر
وادلای بأنه اذا لم يرد إليه هداياه قبل غروب الشمس ولم يحضر الترجمان

قبل الغد أضرم النار في الزرية وأحدث من الخسائر جهد ما يستطيع .
ولم يلبث جيسي بعد هـذا التهديد إلا قليلا حتى قدم الشيخ وادلـى . وهو
شخص بادن غير أن هـيئته لا تم على شيء من الوحشية . وأحضر وادلـى
معه إلى جيسي على سبيل المـدية جرتين من المـريسة وهي ضرب من الجـمة
يسـتعملها الأـهالـى ، وعـزـتـين وجـانـبـا من المـوز .

وتحـادـثـ في نـهاـيـةـ الـأـمـرـ معـ الـحـمـلـةـ وـبـذـاـ اـسـطـاعـ جـيـسـيـ أـنـ يـأـخـذـ
مـعـلـومـاتـ مـنـهـ بـصـدـدـ فـرعـ مـنـ النـهـرـ يـتـفـرـعـ مـنـ النـيلـ وـيـنـسـابـ مـتـجـهـاـ نـحـوـ
الـشـمـالـ الـغـرـبـىـ . وـاتـسـاعـ هـذـاـ فـرعـ عـلـىـ مـاـ يـقـالـ ٦٠٠ـ قـدـمـ وـعـقـمـهـ يـتـرـاوـحـ بـيـنـ
الـ١٨ـ وـ٢٥ـ قـدـمـاـ . وـقـالـ وـادـلـىـ جـيـسـيـ إـنـ تـيـارـهـ شـدـيدـ جـارـفـ وـلـكـنـهـ
لـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـدـلـهـ عـلـىـ مـدـخـلـهـ . وـأـنـهـ يـجـرـىـ تـحـتـ سـفـحـ الـجـيـالـ فـيـ بـلـادـ
«ـالـلـوـرـىـ»ـ وـاـنـ هـؤـلـاءـ هـمـ عـبـارـةـ عـنـ قـبـائـلـ رـحـلـ غـارـقـينـ فـيـ بـحـورـ
الـتـوـحـشـ وـالـمـهـمـجـيـةـ . وـأـرـدـفـ ذـلـكـ فـقـالـ إـنـهـ لـمـ يـسـتـطـعـ قـطـ أـنـ يـخـاطـرـ بـالـتـوـغـلـ
فـيـ حـدـودـ أـرـاضـيـهـ ثـمـ طـفـقـ يـشـكـوـ مـنـ هـبـ هـؤـلـاءـ الـقـوـمـ لـمـاشـيـتـهـ وـاحـرـاقـ
قـرـاهـ وـذـبـحـ رـعـاـيـاهـ .

وـبـعـدـ أـنـ قـدـمـ جـيـسـيـ لـشـيـخـ وـادـلـىـ بـعـضـ هـدـاـيـاـ مـنـ الزـجاجـ وـالـأـوـانـىـ
الـنـحـاسـيـةـ وـالـمـدـيـدـيـةـ وـالـأـنـسـجـةـ الـقـطـنـيـةـ انـقـلـبـاـ صـدـيقـيـنـ حـمـيمـيـنـ لـدـرـجـةـ أـنـ الشـيـخـ
عـرـضـ عـلـيـهـ أـنـ يـتـبـادـلـ الدـمـ . وـلـمـ كـانـ هـذـهـ الصـدـاقـةـ تـفـيدـ كـثـيرـاـ جـيـسـيـ
قاـومـ مـاـ كـانـ يـجـيـشـ بـصـدـرـهـ وـتـغـلـبـ عـلـىـ مـاـ كـانـ تـشـعـرـ بـهـ نـفـسـهـ مـنـ الـأـشـمـئـزـازـ
مـنـ حـفـلـةـ تـبـادـلـ الدـمـ وـاـمـتـشـلـ لـشـعـائـرـهـاـ مـاـ دـامـ اـنـ ذـلـكـ يـعـتـبرـ عـنـهـ بـثـابـةـ
يـمـينـ الـاخـاءـ .

وـهـذـهـ كـيـفـيـةـ الـقـيـامـ بـتـبـادـلـ الدـمـ حـسـبـ اـصـطـلـاحـ أـهـالـىـ أـءـالـىـ الـنـيلـ :

بعد أن توثق ذراعاً متحابين يتبدلان الدم من جرح صغير يحدثه في القسم الأسفل من الذراع فيمتصل كل منها دم الآخر.

وفي ١٦ مارس عاودت الجملة السير في الساعة الرابعة صباحاً إلا أنه عند ما وضج ضوء النهار أدرك جيسي أنه أخطأ الطريق وتوغل في راوفد من روافد النيل خاله أنه المجرى الرئيسي . وأدت الحال إلى مسيرة ساعتين حتى استطاعت الجملة الاهتداء إلى الطريق اللازم أن تسلكه غير أنها اضطررت إلى الوقوف بسبب ريح صرصر هبت من الجنوب الغربي .

وقوم في هذه الناحية على الضفة اليسرى سلطة وادلای محل سلطة الشيخ « ياكو Yako لأن هذا كان في حرب مستمرة دائمة وعلنية مع « اللورين ». وكان هؤلاء نازلين في الجنوب الغربي وقاموا أخيرا بحملة شعواء فاجروا بها قوم ياكو وأثخنوه ذبحا وتقسلا ثم بادلوا بعد ذلك الأسرى بشiran . وكان ياكو لهذا مثل وادلای من اتباع كباريحا ويورد له ما يجمعه من ولاته من العاج .

وكان ضفاف النهر مرتفعة من كل ناحية ولا يمكن الدنو منها إلا في مواضع قليلة إذ كان يوجد بينها وبين مجرى الماء الصالح للملاحة لسان من الأرض مفروش بالنباتات المائية . والجانب المتعد من النهر بين « دوفيليه » و « بيرا » Bira متسع وعميق وهو بحسب رأى جيسي أصلح الأقسام التي مر بها .

ويوجد على ضفاف النهر قرى عديدة عامرة بالسكان فيها يسرح ويمرح الأهالي في سعة من العيش واليسار مما لم تقع عين جيسي على مثله في بقعة أخرى من بقاع أواسط افريقيا . وزراعة الذرة في تلك الجهات قليلة نادرة بل تكاد تكون معدومة . أما الموز فيقطع وينشر ويجفف ويقوم مقام القمح . ويزرع مع ذلك كميات وافرة من أنواع الفاصوليا والبطاطة . ويباع الدجاج والبيض بأثمان بخسة . فيخمس عشرة خربة من الزجاج يستطيع الملحوظون أن يأكلوا أكلة دسمة مشبعة . ولقد توغل العرب أو النخاسون الدنائلة في غاراهم في العصور الغابرة وواصلوا السير إلى هذا المكان ولكن هذه الغارات كانت قليلة .

وفي ١٧ مارس دفع نسيم خفيف الحملة إلى أراضي مملكة اللانجو Langos وفيها يزداد عدد القرى عن الملك الأخرى . وأحصى جيسي ٢٧ قرية في ميلين . والارض مرتفعة من جانبي النهر ويعم الخصبسائر الارجاء . وكانت الضفاف عارية من الاعشاب . ويبلغ عرض النيل في هذه الجهة ١٥٠٠ قدم وعمقه ثابت على حالة واحدة وهو أحسن مجرى ماء رأته عين جيسي في افريقيا وربما في أوربا .

وفي ١٨ مارس أخذت السفن مجرها عند الساعة ٤ صباحا . وكان

النهر متسعًا في بعض الجهات اتساعاً كبيراً جداً حتى أنه كاد يتعدى على العين تحيز صفائحه.

ورأى جيسي بعض الأهالى من بعد يصطادون خاول ان يقترب منهم
إلا انهم كانوا حذرين فلم يشاعوا ان يتريشاوا ولاذوا على عجل بالفرار . وبعد
ذلك لما رأوا انه لم يطاردهم وقفوا عن كثب ولكنه لم يستطع أن يحصل منهم
على المعلومات التي كان يطمح في الحصول عليها .

واظلمت النساء وَاكْفَهْرَ الجَهَوْنَ وَلَاحَتْ بُوادر العاصفة فَأَلْقَى الملاحون
المراسي في مكان أَمِينٍ . وأَخْذَتْ تَهْبِي ريح الاعصار عند الساعة ٨ وَاشتدتْ
حتى تخيل المرء ان السموات قد فتحت فروجها . وَقَضَتْ الْجَهَلَة طول
ليَهَـَا تَحْتَ مَطْرَ كَأْنَهُ الطوفان مصحوب بريح صرصر عاتية حالت دون
نَصْبِ المضارب .

وفي ١٩ مارس لاح نور النهار والمطر ما زال يجاجا ولم يبرز قرن الغزال إلا عند الساعة ٨ صباحاً. وامكن البحارة وقتئذ ان يعرضوا ملابسهم لأشعتها ليجففوها. وكانت المراكب ملائى بالماء فأخذوا في نزحها وعند الساعة ١١ كانت المراكب انسابت تسير في اليم ودخلت في الفرع الموصل الى ماجونجو. وكان الهواء يهب من الجنوب باعتدال. وعلى هذا قام بخـلد جيـسى ان يصل في اللـيل واـسكن سـرعان ما تـبـدـ هذا الأـمـلـ إذـ انـ

زوبعة أخرى أتت من ناحية ماجونجو فاضطراب الماء وتلاطم الامواج في مدخل البحيرة وعلى ذلك رمى الملاحون المراسى عند الساعة الثانية .

وفي ٢٠ مارس كانت اعاصير مناطق خط الاستواء المتواصلة تعمق تقدم الحملة . وانهزم جيسي مع ذلك في هذا اليوم وقتا هدأت فيه الريح وحاول ان يجتاز المسافة الواقعة بين مكان الحملة و « ماجونجو ». وبعد عبور ٤ ساعات كاملة وصل الى الضفة الشرقية . وعلى بعد ٤ أو ٥ أميال من البر لاقت الحملة بضم جزائر وكثبان من الرمل غير أنه لما كان عمق الماء لا يقل عن ٦ أقدام أمكنها المرور من بين هذه العقبات . ولمح في هذه الجزر سطوح بعض ا��واخ لاذ سكانها بأذیال المهر ومعهم انعامهم ودخلوا في الارض اليابسة حيث الضفة يتكون منها خليج يلتتجأ اليه من هبوب رياح الجنوب .

وفي ٢١ منه كانت الحملة على أهبة الرحيل عند الساعة ٤ صباحا . وعلى مقتضى حساب جيسي كان لابد ان يكون نهر « ماجونجو » غير بعيد بعدها كبرا . ووصلت الحملة الى شبه جزيرة كبيرة . وإن هي إلا أن وقعت عين سكانها عليها حتى هرع منهم ألف الى الشاطئ يلوحون بشارات تدل على التهديد والوعيد . ورأى جيسي أنه من الرزانة والحيطة أن يجعل بينه وبينهم مسافة . وسألهم عما اذا كانت الشقة الى « ماجونجو » لم تزل بعيدة . فأجابوا مرارا وتكرارا قائلين : نحن رعايا كباريجا . وهذا ما جعله يظن أن كباريجا يقطن هذه الاصقاع أو في النواحي التي تحيط بها مباشرة .

وعند ما كات جيسي مع شيخ « وادلائى » حضر رسول من قبل

السلطان كباريحا وطلب ارسال جميع الرجال الذين تحت يده الى مازندي لنقل العاج المجتمع فيها الى محل امين لأن العرب أخذت في الاقتراب من ممتلكات السلطان . وكان كباريحا مع سائر رجال الحرب التابعين له يتهدّون في غضون ذلك لمحطة اتفينا . وكانت وادلای قد وعد بالشىء الكثير من الزاد والمؤونة غير انه لم يرسل شيئاً .

وعلى هذا سار كباريحا نحو الشمال على رأس قوة كبيرة إذ روت له الانباء ان مراكب العدو الحربية لاحت . ولم تكن تلك المراكب سوى مراكب حملة جيسي . وهذا الخبر الفجائي غير المتظر انقض على رؤوس جميع رجال القبيلة افلاضا الصاعقة فكان كلما اقترب جيسي ورجاله من القرى الواقعة على شاطئ النهر ينادي المنادى بين اهاليها : الفرار !! الفرار !! المهر !! المهر !! وفي الحال ترك السكان اكواخهم حاملين متابعيهم وسائقين أمامهم أنعامهم واختفوا في الادغال الكثيفة او فوق قرن الجبال . وكانوا يداومون على النفح في الابواب ليلاً ويستدعون الحاربين بواسطة إشارات مصطلح عليها فيما بينهم ويسبون النار فوق المرتفعات . وفسر ترجمان جيسي هذه العلامات التي كان على علم بها فقال : إن ناراً واحدة معناها اقتراب عدو . ونارين لأحداها تبعد قليلاً عن الأخرى معناهما الاحتراس والتحصن في أماكن منيعة . وثلاث نيرات بثلاثة استدعاء للتجمع والاستعداد للقتال . وأربعاء تقييد تقدم العدو وهكذا .

وكان كباريحا قد دخل قلبه الرعب فاستنجد بالسلطان متيسا و طلب منه عقد محالفه وامداده بالمعونه غير ان متيسا استصوب معالجة المسألة وتسوية الحالة بارسال مكتوب الى أمير الألای غوردون . وكان هذا المكتوب مسطرا

بلغة انكليزية رديئة جداً . وقد ظن جيسى أن كاتبه خادم انكليزى تركه استانلى فى «روباجا»^(١) عاصمة السلطان متيسا ليحفظ بجميع الاشياء التي تركت فيها على سبيل الامانة .

وهذا مغزى الكتاب المذكور : -

«أنا متييسا سلطان سلاطين أوغندة نهت لكم هذا الخطاب لاخبركم بأن لا تشبووا نيران الحرب على كباريحا لأن ذلك يكون بمثابة إعلان الحرب ضدى أنا. وكباريحا هو ملك أونيونرو . ولقد عامت انكم شيدتم مراكب حربية . وسأذهب الى بومبای . وان ملك ملوك أوغندة يهدى اليكم سلامه »

هذا ، ولربما أراد متييسا باخبار غوردون أنه مزمع السفر الى بومباي لإشعاره
بأنه سيضم نفسه تحت حماية الحكومة الانكليزية .

(١) — كانت عاصمة أوغندا وهي كمبالا Kampala والآن أوروندو جاني .

فقد وضعت جثة الملك في حفرة على طبقة من الاحياء وما كانت هذه الطبقة إلا نساءه . ومن المدهش ان يرى نساء هذا البلد ونساء أرجاء أخرى جنوب البحيرة يستسلمن للدفن أحياء كما علم جيسى وذلك محبة في بعولتهن . وهذا برهان على الحب والاخلاص أشد هولا من ذلك البرهان الذى كانت تقدمه في الأزمان الماضية أرامل المهنود لازواجهن بالقاء أنفسهن في المواعد التي كانت تعد لاحراق جثث أولئك الأزواج .

وقال جيسى لا بد أن يأتي يوم يدخل فيه التمدن هذه البلاد ومتى تتأصل في أوغندة فأول الاصلاحات التي يجب القيام بها ابطال هذه التضحيه البشرية الوحشية .

ولنرجع الآن الى متابعة الكلام على رحلة جيسى وارتياده لبحيرة البرت فنقول :

كانت الأهلية متجمعة على مدى طول الشاطئ الجنوبي الشرقي والوحام شديدا . وكانوا متسلحين بالحراب يرمون رجال الحملة بالنبال ويدعونهم الى النزول من المراكب ويلوحون لهم في الوقت نفسه بالحراب ليりهم كيف ستكون مقابلتهم . لكن جيسى تركهم وشأنهم فاستمروا في متابعة الحملة وحالوا دون رسوها في أي خليج من الخليجان .

وتحيرت حالة الجو وأخذ المطر يهطل والرياح تشور ولاحت بوادر الشر وحرب الموقف . وفيما كانت المراكب على أبهة الدخول في مأوى يعصمها من الرياح اذا بعثات من الرؤوس تطوف فوق سطح الماء . فكان لا بد من الاسراع الى القيام بعمل حاسم . ولم تدع الحالة لتشتيت شمل أولئك

الساحرين الى اكثـر من طلقتين من فوهـة قرينة جيـسى .

وفي ٢٢ مارس قضـت الجـلة ليـلـتها في هـدوء وـسـكـينة تـحـمـيـها فـرـضـة صـغـيرـة وـتـقـيـها شـدـة رـيحـ الجنـوب جـبالـ شـامـخـة . وـكـانـت سـلـسلـة الجـبـالـ المـمـتدـة من لـسانـ الـأـرـضـ الـذـى اـنـخـذـهـ كـبـارـ يـجـاـ مـقـراـ لهـ الى مـسـافـةـ ٤٠ مـيـلـاـ مـنـ الشـاطـئـ جـرـداءـ عـارـيـةـ تـقـرـيـباـ مـنـ الغـابـاتـ . وـجـمـيـعـ روـوسـ الجـبـالـ صـاعـدـةـ صـعـودـاـ عمـودـيـاـ وـضـفـةـ النـهـرـ ضـيـقةـ وـمـبـشـوـةـ فـيـ أـرـجـائـهـ حـجـارـةـ السـاقـطـةـ مـنـ عـلـ . وـكـانـتـ تـوـجـدـ قـطـعـةـ مـنـ الـأـرـضـ مـنـفـصـلـةـ مـنـ الشـاطـئـ وـمـرـتفـعـةـ اـرـتـفـاعـاـ تـدـرـيـجـيـاـ بـحـيـثـ تـسـكـونـ مـنـهـاـ شـبـهـ جـزـيرـةـ أـقـيمـ عـلـيـهـ عـدـةـ زـرـائبـ . وـيـؤـخـذـ مـنـ الـمـعـلـومـاتـ الـتـىـ اـسـتـقـاهـاـ جـيـسـىـ مـنـ أـحـدـ أـهـالـىـ هـذـهـ النـواـحـىـ اـنـ عـدـ الـوـفـيـاتـ فـيـهـاـ كـانـ كـبـيرـاـ جـداـ بـيـنـ رـعـاـيـاـ كـبـارـ يـجـاـ .

وـكـانـ أـوـلـئـكـ القـوـمـ مـلـزـمـيـنـ أـنـ يـقـتـصـرـواـ فـيـ تـغـذـيـتهمـ عـلـىـ الـاسـمـاكـ مـحـرـومـيـنـ مـنـ المـوزـ لـيـلـهمـ مـنـ الـانـعـامـ إـلـاـ القـلـيلـ التـافـهـ مـتـكـدـسـيـنـ عـلـىـ بـعـضـهـمـ أـلـوـفـاـ فـوـقـ لـسـانـ ضـيـقـ مـنـ الـأـرـضـ فـلـاـ عـجـبـ إـذـ اـنـ تـتـابـهـمـ جـمـيـعـ الـأـمـرـاضـ وـتـفـتـكـ بـهـمـ .

وـاستـمـرـتـ الجـلةـ فـيـ سـيـرـهـاـ نـحـوـ الجـنـوبـ وـفـيـ السـاعـةـ ٣ـ مـسـاءـ اـظـلـمـ الجـنـوـ وـغـامـتـ السـيـاهـ فـيـ اـتـجـاهـ الجـنـوبـ فـاعـتـصـمـتـ الحـامـيـةـ بـسـفـحـ تـلـ مـتـوـقـعـةـ هـبـوبـ الرـعـاعـ وـنـزـولـ المـطـرـ مـدـرـارـاـ وـلـحـسـنـ الطـالـعـ أـخـذـ الـرـيـاحـ وـجـهـةـ اـخـرىـ وـكـفـىـ اللهـ الجـلةـ شـرـهـاـ هـذـهـ المـرـةـ .

وـاعـتـصـمـ اـهـالـىـ قـرـيـةـ مـجاـورـةـ بـالـجـبـالـ وـاخـذـ غـيرـهـ وـكـانـوـ مـسـلحـيـنـ يـرـمـقـونـ الجـلةـ عـنـ بـعـدـ وـلـاـ رـأـواـ اـنـهـ لـاـ تـعـيـرـهـمـ التـفـاتـاـ اـقـدـمـوـاـ عـلـىـ الـمـجـيـءـ لـغاـيـةـ الشـاطـئـ

ولو حوا لها بالابتعاد والانصراف وحلوا في الوقت ذاته الجبل الذي كانت مربوطة به السفينة واخذوا يضاغون حركاتهم ويهددون جيسى بالهجوم . وحاولوا في آخر الأمر ان يقطعوا بحراهم طرفا من الجبل ولما هددتهم جيسى بقرارينته عدلوا عن ذلك وانصرفوا وهم يكررون حركاتهم التي يريدون بها أن يحملوا الحلة على مبارحة المكان .

وفي ٢٣ مارس قضت الحلة عدة ساعات في اصلاح أدوات السفينة ثم لما لاح ضوء الفجر عاودت المراكب الابحار بعد أن قضت الحلة ليلة مدحمة قد أزعجها فيها طائفة كبيرة من افاسس الماء فلم تترك لها فرصة للراحة . وكانت الجبال المحدقة بالنسبة لا تدع أملأ البتة في الحصول على وقود . غير أنه كان في حيز الامكان الحصول على هذا الوقود بعد مشقة وعناء من شاطئ البحيرة الجنوبي .

وقد عارضت تقدم الحلة ريح شديدة هبت من الجنوب فاضطرتها إلى الوقوف في الساعة الثانية بعد الظهر . وفي ٢٤ مارس قضت ليتهمـا قرب قرية لها فرصة صغيرة وقال الأهالى أنها تجاه « فوكواش » Foquash وبالقرب من « فيجارو » Faigaro وأنها غير بعيدة عن ماجونجو . فالتزمت الحلة أن ترجع أدراجها إلى القرية التي قضت الليلة الماضية بالقرب منها نظرا لقيام زوبعة أخرى في البحيرة حين خلاة .

وعاودت الحلة اجتياز البحيرة في الساعة ٦ صباحا . غير أن ريحًا صريرا عاتية هبت من الجنوب الشرقي فاضطرتها إلى طى أشرعتها . ولما كانت المراكب تتحرر في موج كالجبل وكانت الحلة منذرة بالخطر فقد آتى إلى ملجهها المعتمد . واقتراح جيسى على ترجمانه أن ينزل من المركب ويدهب ليعدم

استشارة مع رؤساء الناحية فقبل وبارح الجملة .

ولما لم يعد بعد ظن جيسي أنه صار في عداد الغاربين رغمـًا عن أنه في ذلك اليوم لم يظهر ديار من الأهـالى . وزايل هذه الرسوـة في نفس المسـاء والقى المراسـى في محل آخر يبعد عن الأول مسـافة ثلاثة أمـيال شـمالاً بـدون اـن يـدـنوـ مع ذلك من الشـاطـىء حيثـ كان جـمـعـ غـفـيرـ من الأـهـالـى آخـذـ في الـازـديـادـ مـسـلـحاـ وـمـهـدـداـ الجـملـةـ .

وـعـنـدـ السـاعـةـ ٣ـ مـسـاءـ تـغـيـرـ مـهـبـ الـرـيـحـ مـنـ الـجـنـوبـ إـلـىـ الشـرـقـ وـصـارـ مـنـظـرـ الـبـحـيرـةـ مـعـ عـظـمـ سـعـتـهاـ وـارـتقـاعـ الـأـمـواـجـ فـيـهاـ وـتـلاـطـمـهاـ أـشـبـهـ شـئـ بـمـنـظـرـ الـبـحـيرـ عندـ ماـ تـشـورـ الزـعـازـعـ . وـكـانـ الـوقـتـ قدـ أـمـسـىـ وـلـمـ يـعـدـ هـنـاكـ وقتـ كـافـ للـوـصـولـ إـلـىـ مـحـلـ يـعـصـمـ الجـملـةـ مـنـ المـاءـ .

ونـقلـ جـيـسـىـ كـلـ مـنـ كـانـ بـالـمـراكـبـ فـيـ مـؤـخرـهـ لـكـىـ يـخـفـ مـقـدمـهـ عـلـىـ قـدـرـ الـامـكـانـ . وـلـكـنـ هـذـهـ المـراكـبـ الـوـاهـيـةـ كـانـتـ تـتـلـىـ بـالـمـاءـ عـلـىـ الدـوـامـ وـلـمـ تـعـدـ بـعـدـ فـائـدـةـ مـنـ مـجـهـودـاتـ الـرـجـالـ الـذـينـ كـانـوـاـ يـدـأـبـونـ عـلـىـ الـعـمـلـ فـيـ نـزـحـهـاـ وـلـمـ يـنـقـطـعـ الـمـطـرـ فـيـ صـبـيـحـةـ يـوـمـ ٢٥ـ مـارـسـ عـنـ الـمـهـطـلـ إـلـاـ عـنـدـ السـاعـةـ الثـالـثـةـ فـابـتـلتـ ثـيـابـ جـمـيعـ رـجـالـ الجـملـةـ وـكـانـ مـنـ العـبـثـ مـحـاـولةـ تـغـيـرـ مـلـابـسـهـمـ .

ولـمـ كـانـ الـمـوـضـعـ الـذـىـ فـقـدـتـ فـيـهـ الجـملـةـ تـرـجـانـهـ عـرـضـةـ لـمـهـبـ الـرـيـحـ وـضـفـتـهـ مـغـطـاةـ بـالـصـخـورـ قـرـرـ جـيـسـىـ تـرـكـهـ . وـسـافـرـتـ الجـملـةـ عـنـدـ السـاعـةـ الثـانـيـةـ وـاخـذـتـ تـبـيـثـ عـنـ مـكـانـ صـالـحـ لـرـسوـهـاـ وـكـانـ الـجـوـ يـهـدـدـ بـالـنـوـءـ وـالـبـرـقـ يـشـقـ

أعنان السماء فيستطيع نوره على صفحات الماء .

ووُجِدَتِ الْحَمْلَةُ فِي نِهايَةِ الْأَمْرِ عِنْدَ السَّاعَةِ ٨ مِسَاءً نَقْطَةً سَهْلَةً لِلْمَدْخُولِ وَصَفَّهَا رَمْلِيَّةً غَيْرُ أَنَّهُ فِي السَّاعَةِ ٢ عَادَتِ الْأَنْوَاءُ وَغَيَّرَتِ الرِّيحُ الَّتِي كَانَتْ تَعْصِفُ مِنْ جِهَةِ الْيَابِسَةِ اتِّجَاهَهَا بُخْرَاءً وَأَخْذَتْ تَهْبَ منَ الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ وَلَعِبَتِ الْأَمْوَاجُ بِالْمَرَاكِبِ وَاسْتَحْالَ عَلَى الْمَلَاحِينِ اقْتِلَاعَ الْمَرَاسِيِّ وَالْاَقْلَاعَ مِنَ النَّقْطَةِ الرَّاسِيَّةِ بِهَا .

وَرَفَعَ جِيَسِيُّ شِرَاعًا فِي الْمَقْدِمَةِ لِيَحُولَ عَلَى قَدْرِ الْإِسْتِطَاعَةِ دُونَ دُخُولِ الْأَمْوَاجِ فِي الْمَرَكِبِ وَاغْرَاقِهَا إِلَّا أَنْ مَرْسَاهُ السَّفِينَةِ « دُوفِيلِيهُ » لَمْ يُسْتَطِعْ تَتِيهُهَا فِي مَوْضِعٍ مُعَادِنٍ لِجَمِيعِ سَلاسلِهَا كَانَتْ مَلْقَاهُ بِالْمَاءِ وَكَانَتْ كُلُّا تَمَايِلَتْ عَلَى جَانِبِهَا اِنْسَافَتْ صَوْبَ الضَّفَةِ . وَعِنْدَ السَّاعَةِ الْثَّالِثَةِ وَالْمَنْصُفِ شَحَطَتْ وَبِعِجْرَدِ مَا هَاجَمَهَا أَوْلَ مَوْجَةً اِمْتَلَأَتْ بِالْمَاءِ وَغَابَتْ بِرْمَهَا فِي جَوْفِ الْبَحِيرَةِ وَلَمْ يَبْقِ ظَاهِرًا مِنْهَا غَيْرَ جَانِبِهَا مِنْ مَؤْخِرِهَا . فَفَقَرَ الرَّجُلُ فِي الْمَاءِ إِذْ كَانُوا عَلَى قِيدِ ٥ أَوْ ٦ أَمْتَارٍ مِنْ الْبَرِّ . وَطَفَقُوا يَجْمَعُونَ الْمَوْءُونَ الَّتِي كَانَتْ بِالْسَّفِينَةِ وَسَقَطَتْ مِنْ عَلَى حَافَّهَا . وَقَدْ اِنْتَشَلُوا فِيهَا بَعْدِ مَؤْوِيَّةِ أُخْرَى غَيْرِ أَنَّهَا كَانَتْ مَبْتَلَةً بِالْمَاءِ . وَلَقَدْ فَقَدَ كُلُّ شَخْصٍ بَعْضَ مَلَابِسِهِ وَمَتَاعِهِ إِلَّا أَنْ أَعْظَمَ الْخَسَارَةَ حَاقَتْ بِلَا مَرَأَةٍ بِالْمَسِيوِ جِيَسِيِّ . وَالَّذِي أَحْزَنَهُ أَكْثَرُ حِرْمَانِهِ مِنْ بُوْصِلَتِهِ وَسَاعَتِهِ وَمِنْظَارِ الرَّصْدِ « تَلْسِكُوبُ » وَتَأْلُمَ كَذَلِكَ أَشَدُ الْأَلَمِ مِنْ التَّلْفِ الَّذِي حَصَلَ لِلآلاتِ الْعَامِيَّةِ . وَشَرَعَتْ أَعْصَاءُ الْحَمْلَةِ فِي الْحَالِ فِي تَجْفِيفِ الْمَلَابِسِ وَالآلاتِ الْخَاصَّةِ بِعِرْفَةِ اِرْتِفَاعِ الْأَماَكِنِ وَعِنْدَ الظَّهَرِ أَرْسَلَتِ الشَّمْسُ عَلَيْهَا أَشْعَرَهَا .

وَكَانَ أَوْلُ شَيْءٍ وَصَعْدَهُ جِيَسِيُّ نَصَبَ عَيْنِيهِ فِي غَضُونِ زَمْجَرَةِ الْعَاصِفَةِ

افتقد جمیع لوازم السفر . فبعد أن كد وجد ساعتين تماماً وفرغ المركب من الرمال التي كانت تجمعت في باطنها رآها وهو يكاد يبكي من شدة الفرح تسبع على سطح الماء وتلاطم الامواج .

وصولهـا الى ماجونجو

وفي ٣٠ مارس وصلت الحملة الى ماجونجو واستحصال عليهما أن تتعثر على محل للنزول فيه الى البر لأن الترعرع التي حفرها الاهالى كانت قربية الفحور كثيرة . فاجتهدت ان تذهب في النهر صعدا إلا أنها لاقت من المعاوائق ما لاقته أولا . ولدى رجوعها الثلاثة الامميات التي كانت قد قطعتها عثرت على المرسى الذى نزل فيه سير صمويل يذكر غير أن شجيرات البردى قد طمرته . وإن هو إلا ان لاحت للاهالى الحملة حتى دققوا الطبول ونفخوا في الأبواق علامة على الاستعداد لايحرب وأخذوا يركضون الى الشاطئ وكان عددهم زهاء الـ ٢٠٠٠ .

وذهب جيسى على متن المركب الصغيرة وسار حتى اقترب منهم وأخذ يشرح لهم الحالة ويقول انه لم يأت ليلحق بهم أى أذى وان ليس لهم ان تخافوا منه شيئا غير انهم أغاروا كلما تاه أذنا صماء ولم يشاءوا أن يصدقونه وأخذوا يرشقون النبال وما كاد يرجع الى السفن حتى استدعوه وطلبوه منه النزول الى الشاطئ . وبينما هو عائد اليهم اذا بالحملة تتسلل اليه انت يرجع قائلين له ان الاٌهالى مصوبة اليه سهامهم . وكان بالفعل كثير منهم مختلفين في آجام المستنقعات وشرعوا يجعلونه هدفا لقذوفاتهم ولو لم ينسحب في الحال لكان عاقبته غير محمودة .

ولما لم يكن لديه ما يجب عليه أن يقوم بعمله وكان يرغب في أن يتبرأ إلى أن يتمكن من الاتصال بواحد الملك صمم على أن يواصل السير إلى مساقط مورشيزون مؤملاً أن يعثر على طريق مؤدية إلى قرية يمكنها إيوانه أكثر ألفة وإن يجد أيضاً وسيلة تمكنه من إرسال مكتوب إلى واحد الملك.

وفي ٢ منه رأى الحلة على ممد البصر المساقط . وقد كان منظرها عجيبة وهي من أبهج ما وقعت عليه الأعين . وكانت الجبال النضرة تكتنفها من جميع النواحي والماء يتدهور إلى الحضيض من بين صخور بارزة ومنبسطة على صرفات شامخة ويتتصاعد من خلال الماء المزبد ضباب لونه أبيض ناصع كالثلوج . كل ذلك ودوى الماء الذي يصم الآذان أذهل جيسى وقتا ما . وكانت توجد تجاه المساقط صخرتان ارتفاعهما ٢٠ قدما وشكلها هرمي تخالهما

الرأي من صنع يد الانسان .

وفي اثناء ذلك طلب سكان القرى المجاورة ان يؤذن لهم بالدخول من الجملة وان يبيعوا لها ما تحتاج اليه . وبعد حوار طويل ارتدوا الى قراهم ورجعوا بدون سلاح علامة على جنوحهم للسلم ومعهم دقيق وجاج . وتوصل جيسى الى ان يعلم منهم ان واد الملك كان في انقينا وان الجنود زايلت مازندي وان عساكر كبار يجها في ضواحي ماجونجو . وسأل عما اذا كان في الامكان ان يتحادث الى الشیخ فكان الجواب بالابحباب . وعلى مسافة ٢٧ ميلا تفرق مصب النهر من المساقط ولم يدر جيسى لماذا كانت الخراط تحمل هذه المسافة اثني عشر ميلا ونصف ميل فقط .

وفي ٣ أبريل عند الساعة ٧ صباحا قدم الشیخ فطلب منه جيسى رجلا ليوصل خطابا الى انقينا في مقابلأجر يتقادمه . فتقدمن شخصان من الأهالي لتأدية هذه المهمة وسافرا فعلا . وقد قال في هذا الخطاب لواد الملك انه حضر ومعه أدوات للمحطة وعليه أن يبعث بمن يلزم لتسليمها .

وفي عصر ذلك اليوم هطل المطر وكان الموضع الذي تختله الجملة ضيقا جدا فقرر جيسى ان ينحدر قليلا . وأحضر له الأهالي ميرة فوق الكفاية . وفي ٥ أبريل بلغ جيسى خبر اياب الرجلين اللذين ذهبوا الى انقينا .

وفي الساعة ١١ صباحا أخبره ترجمانه من قبل واد الملك ان رئيسها على وشك ان يعلن الحرب على اتباع كبار يجها في شبه الجزيرة التي سبق ذكرها . وزادا على ذلك بأن قالا ان هذا الرئيس سيكون عند مدخل النهر بعد يومين .

وفي الغد استعد جيسي لمقابلة وادى المك . والآن ترك هذا الاخير سائرا في طريقه الى ماجونجو ونذكر بعض تفصيلات نقلها عن جيسي بشأن بلد واد المك وسكانه وحاصلاته وهذا هي :

يؤكد جيسي ان من ببر الى ٢٠ ميلا فوق دوفيليه لا توجد منطقة احسن من هذه المنطقة نهاية ماجونجو وانه لا يقصد بكلامه هذا المناطق الواقعة في داخلية البلاد لانه لم يرها بل يريد الاراضى التي يقطعها النهر . ففى هذه الاراضى لا يرى الانسان جبال لادو و دوفيليه الجدباء ذات النبات الضئيل القليل ولا الزرائب الحقيرة المأهولة بالسكان الكسالى الذين يكاد يقتلهم الجوع . وقد رأى جيسي في هذه المنطقة شعبا لديه استعداد كبير لقبول المدنية . ولما كان الأهالى متعودين احترام سيطرة الرؤساء فقد كانوا يطعون الأوامر ويؤدون الرسوم المفروضة عليهم سواء أكانت عينا أم عيضا . وأخذ منظر قراهم بجامع لب جيسي فاستشف من وراء ذلك انهم يسرون امورهم في طرق منظمة . ويعيشون كذلك عيشة داخلية هنية . فلديهم الادوات الخشبية والاواني للمطابخ . وهم يبدعون الجلود ويصنعون الاحبال ويفزلون الشباك لصيد الاسماك باتقان واحكم ويخيطون الجلود احسن مما يخيطونها في روسيا وتركيا . وتألف ثياب الأهالى من جلد واحد أو جلدين من جلود الوعل أو الماعز .

واما المحصولات فأواعها وكثياراتها اكثرا مما هو في وادى دوفيليه . وتوجد النرة البيضاء والبطاطس والفاصوليا بمقادير وافرة . وزراعة الدخان منتشرة ونوعه من أجود ما يزرع في السودان . وتعادل أحجام الشيران ضعف ما يوجد منها في « كري » و « لادو » . وعدد الماعز في تلك المنطقة يجاوز الحد المعتمد في الجهات الأخرى .

وقد رجع واد الملك من الجزيرة التي احتجب فيها اعداؤه بعد ان قتل منهم ٤٠٠ نسمة في ميدان الحرب وغنم ٧٠٠ رأس من الماعز . وركب جيسي الباخرة الصغيرة وذهب لمقابلته وأخبره عن ازماعه السفر في ١١ أبريل . وسافر في الواقع للقيام برحلاة إلى البرت نيانزا يوم الاثنين التالي .

وفي ١٢ أبريل سارت الجملة سيرا بطيئا بهدوء الريح غير ان النسيم اشتد فيما بعد واستقوى حتى انقلب إعصارا هائلا . وعشرين جيسي على جزيرة أمل ان يعتصم فيها من العاصفة إلا أنه رأى ان قوم كبار بجا الذين فروا من ماجونجو ونجوا من مطاردة واد الملك التجئوا إليها واحتلوها . وبدت من هؤلاء العداوة والبغضاء نحو الجملة وهددوها بالهجوم اذا لم تبادر بالانسحاب . ولم يمال جيسي بهديدهم ووعيدهم وعددهم وأطلق عيارين ناريين وألقى المراسى ونزل هو ومن معه الى البر وهكذا انقضت تلك الليلة بعواصفها وهم في راحة تامة .

وأخذ الأهالى يقتربون تدريجيا فأعلمهم جيسي أن من واجباتهم أن يعودوا بهدوء وسكنينة الى مساكنهم ويبيشوأوا بوفد منهم الى اتفينا ليقدم الطاعة والخضوع . فانصرف القوم في اليوم نفسه . وعلم فيما بعد ان ٢٠ منهم ذهبوا فعلا الى اتفينا .

وابى جيسي قبول ثورين كانوا يتبعون تقدیمها له على سبيل المهدية فوعدهم عندئذ أن يعودوا اليه بعد يومين بمقدار من سن الفيل . فأشار عليهم بأن يقدموا الى واد الملك . والجزر الآتقة الذكر على مسافة ٧ أميال فقط من ماجونجو .

وفي ١٣ أبريل بارح جيسي هذه الجزر عند الساعة السادسة والنصف صباحاً . وكانت الريح هادئة ولكن ماء البحيرة كان مضطرباً هائلاً عقب الزوبعة التي ثارت بالامس . ومرت الجملة أيام أرض منخفضة قد فرش جانب منها بالعوسيج وكان النزول إليها سهلاً . ولاحظ جيسي قرية كبيرة بها عدد هائل من الثيران وغيرها من الانعام . وعلى قيد ٦ أميال داخل اليابسة كشفت الجملة جبال « بيسو » Bisso الواقلة إلى البحيرة ومتوسط ارتفاعها يبلغ زهاء ١٠٠٠ قدم .

وفي الساعة ٢ اعتصفت الجملة من زوبعة هي بمجانب جزيرة ساجحة . وكان يوجد على جزيرة صغيرة نحو ٣٠ كوكخا تركها أربابها قبل بضم دقائق بمجرد اقترابها منهم . وعشر النوتية على بعض الدجاج وقطع من الأحبار . وبعد ساعتين عاد الأهالي وأخذوا يقتربون شيئاً فشيئاً ويصيحون : انقينا !! انقينا !! فقدم لهم جيسي هدية من الخرز عوضاً عن الدجاجات التي أكلتها الجملة وأرجع إليهم الأحبار وقال لهم أنه ليس هناك من داع لاهرب عند اقتراب سفن الحكومة . وعادوا فعلاً إلى أماكنهم وصرحوا بأنه لم يعد لهم بعد علاقة بكباريجا ويعترفون لانقينا بالسيطرة عليهم . وكان المطر سجالاً والحالة الجوية سيئة إلا أن الجملة قطعت ٦ أميال .

وفي ١٤ منه أيقظ جيسي النوتية عند الساعة ٢ وكانت ذلك عند بزوغ القمر تماماً إذ أنه كان يتغى أن يمر بالنقطة المعادية التابعة لـ كباريجا بدون أن يشعر به أحد ويذهب لمعاينة المساقط التي رسمت على خريطة سير صمويل بيكر .

وساءت حالة الجو وأخذ قصف الرعد ولمعان البرق يشيعان الجملة أثناء مسيرها الذي استمر طول اليوم وقطعت في غضونه ٣٢ ميلاً وعبرت

ممتلكات كبار يجا إلا ان جيوشه توارت واختفت عند ما اقتربت منها الجملة . وكانت الرياح تهب طول النهار . وكانت الجبال التي يتكون منها الشاطئ شاسحة ووعرة المنحدرات تكسوها نباتات ضئيلة والماء عميقا . وشاهد جيسى حول الشواطئ تقريبا سيلان ينحدر من الجبال من ارتفاع ٣٥٠ قدما فكان أشبه شيء بالشلال . وقال له الأهالى ان هذا الماء لا ينضب قط ولم يستطع أن يتسلق المنحدر لوعورته .

وألفت الجملة مساء يوم ١٤ أبريل عصا التسيير قرب هذا الشلال . وهو موضع رأت أنه أكثر صلاحية لذلك من غيره . وفي الواقع كانت الجبال التي تكتنفه تقىء شر رياح الجنوب الشديدة التي هبت طيلة الليل . وفي ١٥ منه برغت الشمس ووضوح ضوء النهار والريح مستمرة المحبوب بشدة . وحاول جيسى ورجاله جر الباحرة إلى الشاطئ لتكون في مأمن اذا زادت حالة الجو سوءا إلا أنه رغم عما بذلوه من الجهد لم يتوصلا إلى مطلوبهم وذهبت مساعيهم ادراج الرياح .

وسفر الجملة وان كانت في غاية من الجودة إلا أنها لم تكن معدة لمثل هذه الرحلة إذ انه كان يجب ان تكون مسقوفة . نعم ان الأمواج في هذه الجهة لا يبلغ ارتفاعها الارتفاع الذى تبلغه أمواج البحر المتوسط ولكنها تتلاحم بسرعة هائلة فتدخل السفن . وكانت الرجال دواما مبتلة ان لم يكن بسبب الأمواج التي تسکسر على المراكب فمن الامطار المنمرة الدائمة . فلو كانت السفن مسقوفة وأحسنت قيادتها لتيسير عبور البحيرة والسير فيها في جميع الاتجاهات . والدناقلة قوم مهرة وحذاق للغاية في السفر على النيل غير انهم ليس لهم المام أو أية دراية بالبحيرة

ويتمسون دواماً متابعة البحار بجوار الشاطئ .

وفي عصر هذا اليوم « ١٥ أبريل » احتجب وجه السماء وراء الغيم - و
وأخذت تهب ريح شمالية غربية واستحال سحب المراكب . فترك جيسى الجنود
على اليابسة ونوتيا كان يقول إنه يدخله شيء من الخوف . وألقى مراسى السفن
وأخذ يرقب اعتدال الجنو . ولحسن الطالع بزت الغزالة من خدرها
بعد زمن يسير فعاد جيسى إلى قرب الضفة وأخذ يحاول مرة أخرى
سحب المراكب بالأحبال .

وصلت الجملة إلى مسافة ثلاثة أميال ونصف ميل من الشلال السابق ذكره
فوجدت شلالا آخر يقل عنه كثيرا في الأهمية . ووجدت بقرب هذا الشلال
قرية . وإن هي إلا أن وصلت إليها حتى هبت أهاليها من مساكنهم ليروها .
وقد زودوا جيسى بكل المعلومات التي طلبها منهم . فاكتدوا له أنه يوجد نهر
كبير آخر من نواع بعيدة من جهة أغنة يسمى « التيزا » Eltisa وبه
ثلاثة مساقط : الأول وهو الذي مر به جيسى ويسمى « هو يوما » Hoyoma
والثاني « وانبيبا » Wanbabia والثالث « نانزا » Nanza ، وماء الثلاثة
لا ينقص على مدى طول أيام السنة .

وكان الأهالى يعرفون أن هذا النهر يمر من أسفل جبل « انموكا » Anmoka
لأنهم سافروا عدة مرات في داخلية أغنة لينقلوا عاجا برسم
كباريحا غير أنهم لم يتبعوا السير لغاية منبع النهر . وكان يود جيسى
أن يرى هذا الجسرى الذى وصفوه له بأنه يصلح في عرضه وعمقه مبلغ
كثيرا . إلا أن الجبل الذى كانت الحالة تدعوه إلى تسلقه صخري وواقف
وقوفا رأسيا كأنه حائط وكان لا بد من القيام بعمل دورة كبيرة ليجد

له ممراً مطروقاً.

وفي ١٦ أبريل انہز جيسي هدوء الريح ليعاود السير عند الساعة ٤ صباحاً ورأت الجملة المسقط الثالث عند الساعة السادسة وهو يشبه تماماً المسقط الثاني. وتصلب هذه المساقط الثلاثة في البحيرة من الماء مقداراً وافراً جداً. وتنحدر هذه المياه من ارتفاع يتراوح بين الـ ٥٠٠ و ٦٠٠ قدم. وكانت ماء البحيرة كثير الاضطراب. والظاهر إن اعصاراً هب في ناحية ما أثناء الليل.

وتقصدت الجملة في ذلك اليوم في سيرها بواسطة المجاديف ولم تتعثر حتى الساعة الثانية صباحاً على موضع تلقى فيه مراسي المراكب. وكانت السماء متبلدة بالغيوم والبرق يشق بين آونة وأخرى عباب الجمو فينير وجه البسيطة إلى مد البصر. وحاول جيسي أن يدرك رأساً بارزاً في البحيرة على شكل مقدم سفينة أبصر به وقت الغروب. وكان منظر صفاف البحيرة كأنه أكمات مستديرة غطيت بالحشائش والآجام وغطست في الماء عمودياً.

وعلى مقربة من الشاطئ كان الماء كدراً بسبب ما يجلبه التيار من الطين الأصفر. وفي هذا الموضع تكثُر الأسماك كثرة ما عليها من مزيده. وكانت رجال الجملة يرونها تتبُّغ فوق سطح الماء على الدوام في كل صوب هرباً من مطاردة التمساح التي يوجد منها عدد وافر من ذوات الاحجام الهائلة في هذه المنطقة. أما افراس البحر فيندر وجودها فيها.

وعاد الجمو ينذر بتدفق الامطار غير ان جيسي عرف كيف يستفيد

من شدة الريح فكانت المراكب تسير باتظام بسرعة ٦ أميال في الساعة وفي مدة ٤ ساعات وصلت الحلة الى فرصة صغيرة لكنها ملائمة جدا عرضها ٧٥ قدما وعمقها ٨٠٠ قدم غير معرضة للرياح فسموها جيسى « فرصة شبرا » Port de Shoubra وهذه الدائرة واقعة حسب تقدير جيسى في وسط البحيرة تقريرا وفي الامكان بحسب رأيه استخدامها كمأوى للمراكب ومحطة للوقود .

وكان جيسى قد قطع الى هذه المسافة ٥٢ ميلا . وأحدث ذلك في نفوس النوية أثرا عظيا إذ أنهم كانوا موقين ان العاصفة لو باغتتهم وهم على مقربة من الشاطئ لما نجت من الغرق مطلقا . وسر أيضا جيسى لحدوث هذا الأمر . وبلغ الاعصار النهاية العظمى في الشدة وقاوم المركبان « دوفيليه » و « ماجونجو » هجماته مقاومة جديرة بالاعجاب . وأذن جيسى للملحين والجندي بالاستراحة في اليوم التالي مكافأة لهم على المشاق التي لاقوها في الليلة الماضية .

وفي ١٧ أبريل لما صادفت الحلة في اليوم السابق صفة موافقه خرج جميع افرادها ليجففوا ملابسهم ونزح الملاحون الماء الذي أغار على السفن ودخل جوفها ورمموا الأشرعة والاحبال وهكذا انقضى ذلك اليوم كله .

وفي ١٨ منه كان الهواء يعصف بشدة من الجهة الجنوبية الشرقية . وانطلقت الحلة في المسير عند الساعة ٦ صباحا . غير ان ماء البحيرة كان هائجا لدرجة اضطر جيسى معها ان ينقلب الى النقطة التي سافر منها .

وعادت الحلة المسير عند الساعة ٩ نظرا لهبوط هبوب الريح وتمشت بمحاذة

جبال ذات منحدرات وعرة نازلة الى البحيرة وبعد أن جابت زهاء الـ ٢٠ ميلاً وقمع نظر جيسي على جزيرة كبيرة ممتدة في اتجاه الشاطئ فتشر البحارة جميع الاشارة ابتعاد الوصول اليها في أقرب وقت . ورأى جيسي على حين فجأة ان ماء البحيرة انقلب من رائق شفاف الى لون أبيض فتسلى سارية سفينة ورأى لون الماء مشربا بالحمرة بالقرب من الضفاف المنخفضة التي كان بها اكداش جمة من شجيرات البردي . وهذا مما يدل بلا ارتياب على ان الحملة كانت بالقرب من نهر . وفعلاً عند ما حدق جيسي نظرة في الاتجاه الجنوبي الشرقي وقعت عينه على مصب التساعه ٤٠٠٠ قدم تقريباً فأمر بالولوج فيه .

وبعد ان سافرت الحملة في ذلك النهر ٦ أميال صعداً افضت الى موضع به مسقط كبير ماؤه زاخر . والنهر يقف عند اسفل هذا المسقط . وللتتمكن من فحص هذا خصاً اتم يم جيسي قرية صغيرة قائمة على الضفة اليسرى غير ان السكان امتنعوا عن الاقتراب من الحملة أو التحدث اليها . ولما رأى أن لا فائدة من محاولة ازالة ما علق بأذنهنهم من الخوف أمر بالقاء مراسي السفن تجاه القرية إذ أنه ما كان يريد ان ينصرف بدون ان يبذل كل ما في وسعه ابتعاد الوصول لحادته أولئك الاقوام .

وكان يأمل من وراء ربط السفن وعدم ابداء اية حركة ان يترك لهم وقتاً لتبييد مخاوفهم والرجوع عما بدا لهم في برهة مبالغة الحملة لقريتهم . وتناول جيسي قائمه وشرع بدون رحلته وإذا بالنوتية استدعوه وأروه فرس بحـرـ كـبـيرـ الحـجـمـ يـسـبـحـ وهو يـتـجـهـ الىـ الضـفـافـ وـرـأـسـهـ بـارـزـ منـ المـاءـ عـلـىـ قـيـدـ ١٠٠ـ قـدـمـ بـعـدـ القرـيـةـ . فـصـوـبـ اـلـيـهـ طـلـقاـ نـارـيـاـ اـصـابـهـ

في جهته وجّره النوتية والجند إلى البر . واقتجم أهالي القرية الخطر ودنوا مسافة تقرب من ١٠٠ خطوة من الجملة وأخذوا يرمون الفريسة بعين الشراءة متمنين الحظوة بمقدار من لحمها . فأمر رجاله أن يعودوا إلى ركوب السفن ثم اقترب من الأهالي بفترة وقدم لهم فرس البحر الذي اصطاده . وان هو إلا أن أتى بهذا العمل حتى انطلقوا يشرحون تلك الجثة المهاطلة وفي لمح عين أضحت قطعاً وتوارت . وفاز جيسي بالحصول منهم في نظير ذلك على المعلومات الآتية : —

ان النهر الذي ينتهي عند المسقط يأتى من جهات قصبة وتصطف على طول جوانبه قرى عديدة مهمة . وان هذا النهر ينضب مأوه والمسقط يقف جريانه في شطر من السنة ولكن في فصل الامطار يكون الماء عميقاً وعميراً وتبلغ سرعته في الساعة ٣ أميال . وان البلد يسمى « كواندا » Quanda وخاصع لسلطان كبار بجا .

وهو إعصار بلل أفراد الجملة بلا اختراق الجلد ووصل إلى العظم رغم وجودهم داخل مضرب وفي نفس هذه اللحظة بصرروا بجزرة كبيرة ساحقة مقبلة عليهم بشدة ولم تترك لهم من الزمن إلا الوقت الضروري للتنحى عن طريقها . ولو لا الحركة السريعة التي أجرأها رجال الجملة لوجدت نفسها بخفة في وسط حقل شاسع من شجيرات البردي عرضة للسحق أو الدفن بين أدغال الجزرية المتحركة أو أدغال جزيرة أخرى اصطدمت بها الجزرة الأولى .

وفي ١٩ أبريل تقدمت الجملة بمحاذاة امتداد شبه الجزيرة التي رأتها في اليوم الماضي وهي عبارة عن حطام نباتي . وصرف جيسي مقداراً

كثيراً من الوقت في البحث عن ممر وفي نهاية الأمر وجد نفسه على صفة النهر الأخرى . وكان الإنسان أيمنا سار يجد الماء كدراً وراكداً وعمقه زيد على ٣ أقدام . ولو نه الترابي ناشئ من إثارة الأمواج لقاعه المكون من الأوحال . وكانت رجل من رجال الحملة يتسلق من حين لا آخر سارية احدى السفن ويتطلع فـلا يرى شيئاً إلى مد البصر الالهم إلا أعشاش وحشائش . وكانت يرى على الشاطيء بجانب منه جبل لا يقل ارتفاعه عن ٤٠٠ قدم أطلق عليه جيسى اسم « جبل نوبار ». ويوجد في طرف البحيرة سلسلة جبال على شكل نصف دائرة فاستنتج جيسى من ذلك أن البحيرة تنتهي في هذه الجهة .

وأضاعت الحملة عدة ساعات في سبيل البحث عن منفذ يوصل إلى الضفة حتى يمكن الاتصال بالأهل إلا ان الصفاف كانت يتذر الإقتراب منها في هذا الموضع بسبب الحشائش وشجيرات البردي والخيزران الممتد على طولها بعرض ربع ميل . وفي نهاية الأمر بصرت الحملة بزورق للصيد إلا أنه ما لبث أن توالي بسرعة البرق .

وجد جيسى في أثر هذا الزورق متبعاً نفس الطريق الذي سلكه وبعد ساعتين نزلت الحملة إلا أن أهالي الناحية ما لبשו أن أتوا مهطعين مهددين طالبين رجوع الحملة إلى المراكب . وكان واد المك زود جيسى برجل يفهم لغة هؤلاء القوم ليزافق الحملة غير أنهم كانوا يحاوبون على كل سؤال أو طلب يوجه إليهم بقولهم : اليكم عنا !! انصرفوا !! نحن لا نقبلكم !! ولا يريدون أن يتحولوا قيد شعرة عن هذه الكلمات .

وفي أثناء ذلك أقبل الجنود الوطنيون يهرون من كل الزرائب المحطة

بالنهاية غير ان ذلك كان في وقت متأخر وصار من الضروري للحملة البحث عن مأوى تعتصم فيه ليلًا بعيداً عن متناول يد أولئك الفتاكين.

وفي ٢٠ أبريل بذل جيسي مجهوداً آخر فركب مركباً واقترب منهم وهرع اليه عدد كبير من الأهالي فوعدهم بواسطة الترجمان بهدايا إذا هم دلوه على الطريق التي يجب عليه ان يسلكهما. فأجابوه ان هذه الجهة هي نهاية البحيرة وأن التقدم الى ما وراء ذلك أمر محال.

ووجه اليهم هذا السؤال : وما هو غاية العمق في هذا المكان ؟ فأجابوا بالإشارة : لغاية الركبة .

وكان من المستحيل الحصول منهم على معلومات اكثراً من التي صار الحصول عليها فقد جيسي النية على أن يستقى معلومات أخرى ليتأكد من صحة ما رواه .

ووصلوا بعد ذلك بساعتين الى قرية غير القرية التي سبق ذكرها . ولدى اقتراب الجملة فر أهلوها واختفوا ولم يعودوا للظهور إلا بعد أن وضعوا أدوات مساكنهم وأنعامهم في أماكن منيعة .

وعقب أن آتوا عالمهم هذا أخذوا يقتربون شيئاً فشيئاً الى أن وصلوا بجانب السفينة التي بها جيسي فنحوهم بعض التحف فهذا ذلك روعهم وأصلاح مزاجهم . وانتهز جيسي هذه الفرصة ليوجه الى شيخهم نفس الأسئلة التي وجهها الى القرية الاولى . وكان هذا الشيخ قد بعده قدم بساعة وهو رجل طاعن وفي العقيد السابع من عمره . واعطاه جيسي بعض اللعب التي تهدى

لأطفال وقضيباً من النحاس وأشياء أخرى تافهة القيمة . وكانت أجوبته منطقية على تلك التي استقها من القرية التي سبق ذكرها . ولما لم يعد لدى جيسي شيء آخر يجب عليه تأديته عاود السفر .

وساعده في السير ريح خفيفة فمر في ثلاثة المساقط الواحد تلو الآخر .
ويوجد في هذه البقعة جبل لا يقل ارتفاعه عن ٤٠٠ قدم فأطلق عليه جيسى
اسم « جبل مدرج » Mont Modrog وجوانبه من كل ناحية تكاد تبلغ
١٥٠٠ قدم تكسوها الحشائش وسفوحها غاطسة عموديا في البحيرة .

و عند الساعة الثانية عشرة والنصف صباحاً تغير اتجاه الهواء فبعد ما كان يجب من الغرب صار يعصف من الشمال الغربي و اهتاجت البحيرة و شارت امواجاً و اضطررت اضطراباً ينذر بالويل والثبور فوات الحملة الادبار امام العاصفة مدة ١٢ ساعة متواصلة . و عند الساعة الخامسة والنصف اشتد الهواء اشتداداً ليس بعده من مزيد وابتداً يهب من الجنوب الشرقي . وفي وقت ما اشتد الذعر و تكمن الملح من نفس الحملة حتى كانت تتخيل أن امواج اليم ستبتلعها . و طوى النوتية بعض الأسرعة و حاولوا الاقتراب من الشاطئ

فلم يفلحوا في ذلك لأن حافة الجبل كانت نازلة في الماء نزولا رأسيا والامواج تتكسر على الصخور بعنف وشدة .

وفي صباح اليوم التالي عند الساعة ٧ دار الهواء وأخذ يهب من الجنوب وصار في حيز الاستطاعة توجيه مقدم السفن إلى جهة الشمال . وفي الساعة ٥ مساء وصلت الجملة أزاء ماجونجو وفي الساعة ٨ دخلت النهر .

وصولها إلى دوفيليه

وفي ٢١ أبريل كان جيسى قد قطع بحيرة البرت نيانزا . ولكن يتصور المرء السرعة التي قطع بها هذه البحيرة من اقصاها إلى اقصاها يجب أن نذكر انه أقطع في يوم ٢٠ صباحا وظل مسافرا حتى عشية اليوم التالي إلى الساعة ٨ فقط ميل ١٣٥ ميلا وباضافة ٥٠ ميلا قطعها عشاً وبدون فائدة و ٢٠ أخرى قطعها في النهر يكون المجموع ٢٠٥ أميال طواها في ظرف ٣٥ ساعة .

ويبلغ مقياس أكبر عرض للبحيرة حسب تقدير جيسى ٦٠ ميلا . ويقول جيسى علاوة على ما ذكر انه ابتداء من فرضة شبرا الواقعه شرقا إلى نهاية حدها الشمالي تكون ضفافها من سلسلة جبال متصلة ببعضها وجروفها نازلة في مياهها نزولا رأسيا . أما في الضفة المقابلة فالجبال تند إلى البقعة التي يصب فيها النهر الآتي من الجنوب في وسط الضيق الذي في البحيرة .

ويقول جيسى ايضا انه لا يستطيع أن يصرح بشيء يتعلق بداخل الأرض لأنه لم يكن في حالة تمكنه مع الحرس الصئيل الذي كان يرافقه

والمؤلف من ١٢ جندياً أن يتوجل في السير بين قبائل يضمرون العداوة والبغضاء ومن شيمهم الغدر ، ولو فعل ذلك لاضطر عندئذ أن يترك السفن بدون حرس ما .

وبذا قد توصل جيسي إلى الغرض الرئيسي من رياته .

وتأتي كمية الماء التي تصبها البرت نيازا في النيل من المساقط التي شاهدها جيسي وكذلك من مساقط مورشيزون القائمة على نيل فكتوريا . ويقول فوق ذلك أن كل من يعاين بحيرة البرت في نفس الفصل الذي سافر هو فيه ويرى الطوفان الذي ينزل من السماء ٢٠ مرة في النهار ويسقط كذلك أحياناً كثيرة في الليل لا يعجب قط من غزارة البحيرة .

وحلما دخل جيسي في البرت نيازا بين منسوب ارتفاع الماء بعلامات خطها على صخرة ليثبت من حقيقة الفيضان في مدة فصل الامطار . واستنتج من بعض العلامات التي نزل عنها الماء فيما بعد ان المنسوب نقص عن المنسوب السابق بضم بوصات . وحين عودته وجد ان الماء لم يرتفع إلا بضعة خطوط .

ولما كانت ضفاف البحيرة كما سبق القول معظمها عمودياً لم يصادف جيسي إلا القليل من الضياع ولكن المنطقة الواقعة وراء هذا القسم مأهولة كثيراً بالسكان ويشبه ساكنوها أهل أوغندا مشابهة تامة . ويقال ان العاج يوجد فيها بوفرة .

وتبين لجيسي ان المناخ مليح جداً رغمما عن الامطار ففي لادو وغندوكورو عانى كثيراً من وطأة الحمى . ولكن وهو على البحيرة كان يتمتع هو والبحارة بصحة تامة رغمما عن بقاءهم يومياً مدة ١٦ ساعة مغمورين

بالماء . وفي ٢٢ أبريل نزل والنيل متوجهًا إلى دوفيليه . وليس ثمة أخبار بعد ذلك . وفي ٢٣ منه وصل إلى دوفيليه .

ومنا تقدم يتبيّن أن الجنود المصرية كانوا أول من ارتادوا هذه البحيرة وأن المراكب المصرية التي أقتنهم إليها كانت أول المراكب التي مخرتها كما أن العلم المصري كان أول الأعلام الخالفة فوق هذه الجهة التي اغتصبتها من مصر بريطانية وحكومة الكونغو البلجيكية .

٢ - ملحق سنة ١٨٧٦ م

مأموریت الطبیب أمین افندی فی او غنڈہ

من ٣ يونيو الى ٧ سبتمبر

سفر الطبيب امين افندي الى دوفيليه

وفي ١٥ منه وصل إلى دوفيليه . ووصف أمين افندي هذه المحطة فقال أنها صغيرة يحيط بها متراس من التراب وواقعة في سهل مبشوّة في أرجاءه أشجار . ويوجد في النهر على مسافة قليلة فوق المحطة منحنٍ ظاهر كثيرا متدا في الاتجاه الغربي . وكل القبائل التي تحيط بها مصافية للحكومة .

وصوله الى مرسولي

وقام أمين افندى باستكشافات شتى حول دوفيليه ثم ولى وجهه شطر

الجنوب واستمر في سياحته فوصل إلى مرسولى في ٤ يوليه ويوجد بقرب هذه المحطة بقعة يحتملها ٥٠٠ رجل من اتباع متيسا . وطلب أمين افندي من هؤلاء أن يرخصوا له بالدخول في أرضهم وقضى عدة أيام في التفاوض معهم على غير جدوى .

وفي ١٠ يوليه صرحو في نهاية الأمر بأنه لا يمكنهم بدون أمر متيسا أن يسمحوا لأحد بالدخول في أرضهم ولا بطلب حضور حمالين .

ولم يأبه أمين افندي لمعارضتهم البتة واستمر في مسيره وبعد سفر ١٢ يوماً وصل إلى « رواباجا » عاصمة متيسا سليماً معاف رغم ما اعترضه من الموانع الأخرى .

ولدى وصفه لرحلة اليوم الأخير قال إن الجو كان رائقاً وكانوا يسيرون في طريق عرضه ٣ أميال وعلى جانبيه أشجار الموز ثم هبطوا من جبل وعر المنحدرات مختنقين قطعاً من الأرضي بها أصناف متنوعة من النخيل والموز البري وبعد ذلك أفضوا من درب ضيق مار بين الحشائش المرتفعة إلى جدول ماء صاف وهذا أول ماء رائق صادفهم في طريقهم من وقت مبارحةهم فويرا .

وبعد ذلك عبروا أرضاً بها كثیر من المستنقعات ثم صعدوا جيلاً ولدى هبوطهم منه مرروا بغاية من النخيل ثم في وسط سلسلة من الزرائب وأخيراً بلغوا فضاء مكشوفاً . وهنا أمر أمين افندي الحلة بالوقوف للراحة . وبعد أن استراحوا نصف ساعة افتقدوا « مريمًا » Mrema فلم يجدوه . ومرىما هذا هو الدليل المكلف بارشادهم . وكان السبب في عدم وجوده أنه تأخر في

بعض الزرائب ليحتسى قدرًا من « المريسة ». وأبى « Kitakka » دليل أمين افندى المسير مع الحملة محتاجاً لأن لديه أمرًا بانتظار حضور مريمى المكلف بالمسير على رأس الحملة . ورفض أمين افندى الانتظار أكثر من ذلك وأمسك بوصلته « بيت الإبرة » بيده وسار أمام الحملة هو وستة من الجنود .

وتابعت الحملة السفر في الطريق الملكي مارة في أرض متاخمة السطح وبعد ذلك بأوقات تسلقت تلا عاليًا قابلها فوقه حرس شريفي واقفاً هنالك يرتفب قدومنها وكان يرتدي رجال هذا الحرس ثياباً بيضاء وبعضاً منهم كان متسلحاً بالبنادق والبعض الآخر بالسيوف وكان معهم رسولان من قبل متيساً مكلفاً باستقبال الحملة بالترحاب وارشاد أمين افندى إلى المحل الذي أعد لإقامته .

وانطلق الجميع يسيرون والموسيقا في مقدمة هم وكلما تقدموا في السير ضخم الموكب إلى أن وصلوا إلى أرض مكشوفة قابلهم عليها آل ٢٠٠ جندى المصريون مصطفين لتقديم التحية العسكرية للحملة (١) . وكان هؤلاء الجنود قد قدموا لاحتلال « روپاجا » عاصمة أوغندا بقيادة نور افندى محمد وكان لدى أمين افندى أمر بسحبهم . وكان قائد هذه الحامية غائباً عند قيود الحملة ووكيله محمد افندى إبراهيم ذهب ليشتري بعض المرافق . وألقى أمين افندى خطبة وجيبة شكر فيها الحامية ثم استمر في طريقه

(١) — يلاحظ القارئ هنا أن جنود الجيش المصري النظامية كانت قد احتلت روپاجا عاصمة أوغندا .

مصحوبا بضابط و ١٥ جنديا ليصل الى سكنه .

وفي الساعة ٤ قدم محمد افندي ابراهيم ووضع نفسه تحت أوامره وأتى بعد ذلك في الحال وفد من قبل متيسا . وهذا الوفد مؤلف من وزيره ومن ثلاثة كبيرة من الوجاه . وكان يحمل مكتوبًا مخطوطا باللغة الانكليزية وفيه يصف أمين افندي بـ : « صديقى الغالى العزيز » . ويئنه ويتمنى له طيب الاقامة . وسأل الموقدون عما عساه يطلبه . فطلب منهم أمين افندي ميزلا أحسن من الذى أعد له وفي الحال وضع تحت تصرفه مسكن آخر أوسع من الأول وانتقل اليه . وقدم له من قبل متيسا عجلات وعنة وكمية من الموز وقصب السكر على سبيل المدية . وقدم هو الآخر لكل من الرئيسين قيضاً أيض وثلاثتها صندوقين بها صابون ثم عادوا أدراجهم مغتبطين ووعدوا بأن يصلحوا كل الأمور . وفي المساء ورد الى أمين افندي جرتان من الماء وكمية من الوقود .

مقابلته لملك أوغندا

وفي ٢٨ اغسطس أعد كل شيء في البكور للمقابلة . وأراد محمد افندي ابراهيم ان يذهب أمين افندي بدون انتظار دعوة فرفض . وفي أثناء ذلك أتى « مريما » Mremma مطالبًا بهديته ومع انه لا يستحق شيئاً من ذلك فقد منحه أمين افندي ثوبا « قطانا » أيض ففرح به . وفي هذه البرهة سمع طلقة مدفع فاستدل من هذا ان الملك بارح الحرم . وقدم في الحال بعد ذلك جندي وقال ان متيسا في انتظاره في قاعة الاستقبال ويرغب

في حضوره .

وقام أمين افندى لتأدية هذه الزيارة يرافقه محمد افندى ابراهيم و
جنديا وقد امهم الحمالون يحملون المهدايا . وكان الحرس مؤلفا من عدد كبير
من الرجال وبأيديهم سيوف بمقابض جميلة من الفضة . وكان الموكب يزداد
عددا كلما تقدم في السير وبعد نصف ساعة وصل الى قصر الملك بعد
ان عبر زرائب ومزارع من أشجار الموز . وقبل أن يصل الى الباب
الخارجي بقليل رأى عمارة لم يتم بناؤها وهي عبارة عن جامع من
الطوب الأحمر كان إرنست دى بلغون شرع في تشييده بناء على أمر متيسا
تم ترك .

وقوبل الموكب بالتحية العسكرية لدى المرور من الأبواب وكان عددها ستة والساحات الواقعة بين كل باب وآخر طافية بالجبل — اهير . وعند الوصول الى الباب الاخير وقف الموكب برهة . ثم فتح الباب وخللت الجماهير خارجه وسار أمين افندى بين صفوف من الجنود يبلغ عددهم ٢٠٠ جندي مرتدین كساوى يمضاء ويرتدى ضباطهم كساوى حمراء أو زرقاء الى منزل له دهليز صغير متصل بقاعة رحبة كان متيسا جالسا بها فوق أريكة مرتفعة مغطاة بالبسط الفارسية .

ونهض متيسا عند دخول أمين افندي وتقىدم لمقابلته لغاية منتصف
القاعة وصافحه ثم رجع وجلس مكانه . وجلس أمين افندي امامه وقعد
على الأرض كبار الموظفين من الجانبين . وإذا ذاك سلم أمين افندي
للسـكريـر الأول للملك خطاب غوردون باشا وثني بشرح مقصدـه من هذه
الزيارة باللغة العربية واهداء تحياته إلى متيسا . وكان من بين كبار الموظفين
الجالسين رجل لون بشرته أفتح من لون بشرة الآخرين قدم إلى أمين

افندى باسم الشيخ احمد من أهالى زنبار . وادى هذا الشیخ وظیفۃ مترجم
لأن متسیسا راغما عن فهمه اللغة العزیزیة كان يؤثر هذه الطریقة على الكلام
المباشر . ويظهر أن کلام أمین افندی قد أتعجبه بذلیل أنه رفع يده مرات
كثیرة . ووضعها على قلبه وجبه . وقدمت المدایا وبعد بعض لحظات أمضیاها
في تبادل الحديث استاذن أمین افندی وانصرف قائلا للملك انه دواما
تحت أمره متى اقتضت إرادته واستحسن أن يستدعیه . واستعملت لدى
انصرافه ذات المراسيم التي عملت عند قدومه ورافقه الوزیر والشيخ احمد الى
مسکنه وثلة من الجند بصفة حرس . وعند الوصول دعاهم لتناول القهوة
فيلا الدعوة وبعد ان قضيا معه أوقیات قفلا راجعين .

وبعد رحيلهما بزمن يسير آتى صیان وقدم أحدھما وهو راكع دجاجتين
ومقدارا من البيض من قبل متسیسا . والثانی قدّم جرة مملوقة مريسة من قبل
الوزیر ففرح بها رجال أمین افندی .

وعند الساعة ٤ قدّم سكرتير الملك يحمل مكتوبا منه باللغة الانگلیزیة
لا يستطيع فهم معناه إلا بعشقة عظيمة وبه يخبر متسیسا صدیقه العزیر أمین
افندی بأنه نصرانی ويود ان یرى قومه على هذا الدين . فكتب له أمین
افندی واختصر على ان یقول انه لم یأت ليشتغل بمسائل تتعلق بالدين بل
ليحمل المدایا وانه فيما عدا ذلك یضع نفسه تحت تصرف الملك حتى لو رأى
ضرورة سفره في الحال بما انه هو نفسه على الدين الاسلامی . وعلى
هذا انقلب السکرتیر على عقبه راجحا بعد أن طلب وحصل على
قطعة من الافیون .

وفي ظرف ال ٢٤ ساعۃ التي ولیت ذلك ظلت الحالة في الشک الذي

أثاره جواب متيسا الآخر وما استطاع أحد أن يصدى رأيا . على ان متيسا كان يعلم جيد ان أمينا الذى أراد ان يعامله كسيحي قدم اليه بصفة سفير من قبل أمة إسلامية .

واثناء الليل هرب جندى بسلاحه وذخيرته لينضم الى متيسا ولما كان هذا رابع جندى اقترف مثل هذا العمل منذ قدمت البعثة إلى اوغندا آتى محمد افندي ابراهيم الى امين افندي وقال انه عول على الذهاب للمطالبة بأولئك الجنود فوافقه على ذلك وقال علاوة على ما ذكر انه سيغضبه في مسعاه بكل ما أوتي من قوة . وكان متيسا لا يرسل أقواتا للعساكر ليشجعهم على الهرب وعند ما يطلب منه إرجاعهم يختلق شتى الأعذار ويبني عليها رفض تسليمهم .

وارتد البكباشى محمد افندي ابراهيم على عقبه بدون أن يرى الملك والظاهر انه كان يصيد الفيرات فى الحدائق الملكية إلا انه قابل الشيخ احمد فقال له مفسرا جواب متيسا بأنه ظن ان أمينا نصراني وعلى ذلك رأى ان يرضيه بهذا الجواب . ثم زاد على ذلك بان قال وعلى كل فان جميع العرب متأهبة للسفر مع أميين افندي اذا أبى الملك ان يقدم الايضاحات اللازمة . وان هذه الايضاحات يجب أن يبيدها في اليوم التالى .

غير ان البواءث التى حملت أميين افندي على الجزع وانشغل البال تبدلت معالمها فى الأيام التالية عقب عدة جلسات مع متيسا انقضت فى غاية من الصفاء والود . وفي الحال نال امين افندي ثقة الملك التامة وانعاماته حتى انه عرض ان يكتب الى غوردون باشا ليستبقى أمينا بصفة دائمة فى

أوغندة . ولاحظ لا مين افendi في الوقت نفسه الفرصة لاستخدام مهنته الطبية ليس بين رجال حملته الذين كان كثير منهم يعاني آلام الامراض فحسب بل ايضاً بين كبار حاشية الملك .

ولما كانت الحادثات التي دارت بين متيسا وأمين افتدى بصدق المسائل الدينية قد أوجدت ريا في نفس الأول وآراد أن يتحقق مما إذا كان أمين مسلما حقا فكتب له ليستعمل منه عما إذا كان هو في الواقع ونفس الأمر تركيا أو الرجل الأبيض الذي كان قد طلب من غوردون أن يبعث به إليه .

فأجابه أمين افندي بقوله : إنك طلبت من غوردون باشا ان يرسل اليك موظفا ساميا ايض بدون ان تذكر دينا ما . وان البشا أرسلني كما هو ثابت من الخطاب والمداليا التي جملتها اليك . فاذا كنت قد اقترفت زلة في مأموريتي او اذا كنت ارتكبت ما يسيئك في اقوالى او افعالى فما عليك إلا ان تشكوا للباشا . واذا كنت ترغب الحصول على موظف مسيحي فما عليك إلا ان تطلبه وانه من المرجح أن يرسل اليك ذلك الموظف .

وفي ٣١ أغسطس تمكن أمين أفندي في هذا التاريخ فقط من السفر بالرغم من مشيئة متيسا . ووقع اختياره على طريق فاتيكان ثم دوفيليه ثم لادو . غير أنه لما انتهى إلى مرولي في ٧ سبتمبر وجد بها غوردون باشا فبسط له ما تم في مأموريته . وبعد أن سمع أقواله أخبره بأن طبيبا آخر سيصل قريبا من القاهرة وأنه لهذا سيضطر إلى الاستغفاء عن خدماته إلا أنه سوف يكلم بصادره البكاشي « براوت » Prout الذي سيخلفه في حكمدارية مديرية خط الاستواء .

وفي اليوم التالي استدعاءه غوردون وأخبره بأنه عينه أميناً عموم مخازن
المديرية حتى أنه عند قدوم الحكمدار الجديد يجد أن التعيين قد أُضحي في حكم
الأمر الواقع وكلفه أن ينتظره في مرولي لغاية أوبته التي ستكون بعد
زهاء أيام .

٣ - ملحق سنة ١٨٧٦ م

رحلة الطبيب جوننكر إلى محطة ناصر^(١)

من ٢٠ أغسطس إلى ٣٠ سبتمبر

سفر جوننكر إلى فاشودة

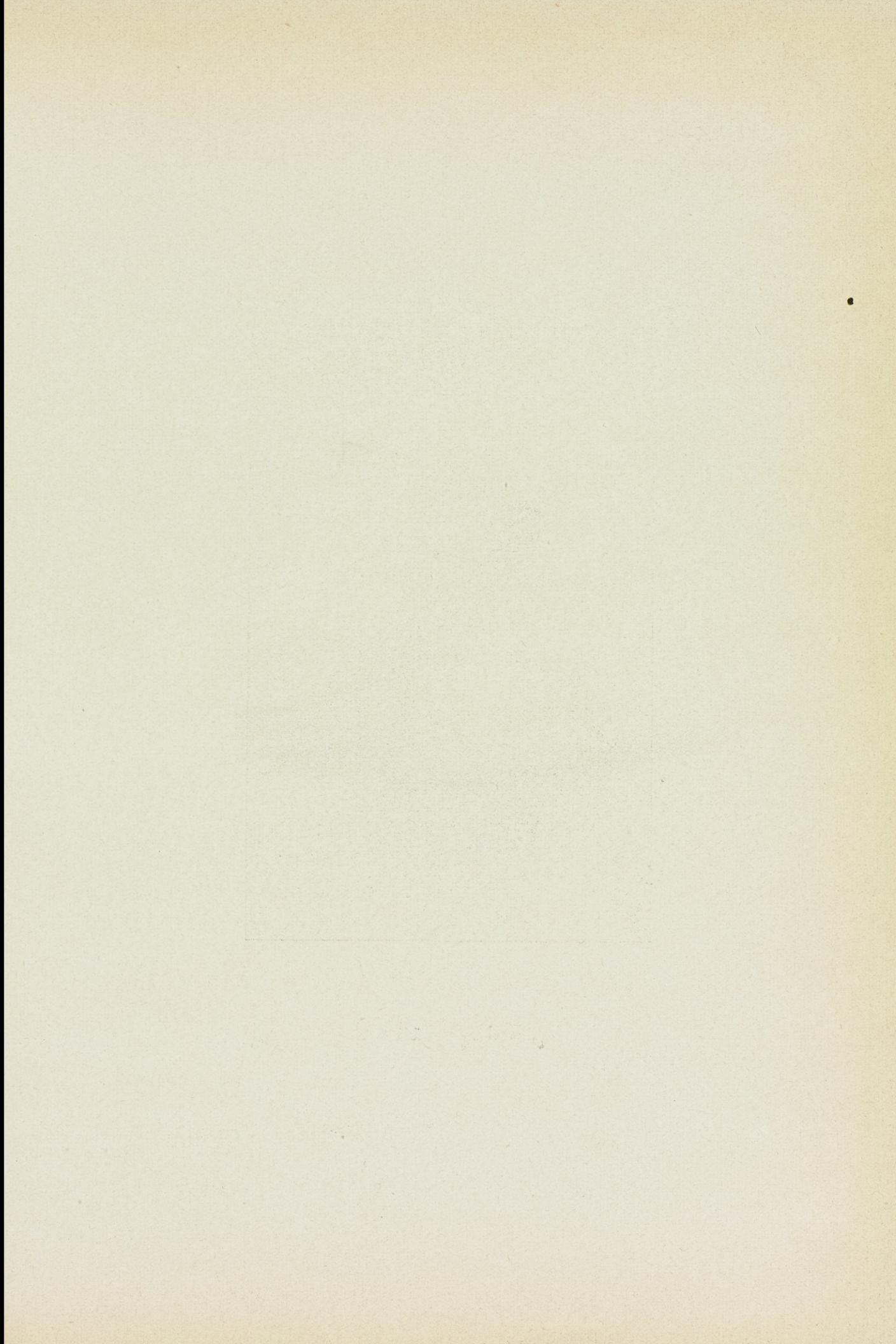
قدم الطبيب جوننكر Junker وهو روسي الجنس إلى السودان ليقوم ببعض استكشافات . ووصل إلى الخرطوم في ٤ مايو سنة ١٨٧٦ بعد أن جاب السودان الشرقي . وكان ذلك بعد بضعة أيام من قدوم اسماعيل أيوب باشا حكمدار السودان العام إلى هذه المدينة عائداً من « دارفور » التي كان قد تم فتحها وأقام فيها حواين ليرتب إدارتها وينظم فيها الحاميات التي تلزمها من الوجهة الحرية .

وكانت الخرطوم إذ ذاك قاعدة في إقامة الزينات ودق طبول الافراح ابتهاجاً بهذا الحادث السعيد واستمر ذلك عدة أيام واشتراك جوننكر مع الحكمدار العام في هذه الافراح وكانت الحكمدار قد وصلت إليه وصايا على جوننكر من مركز السلطة العام في القاهرة فاستقبله بغاية

(١) - راجع كتاب « رحلات في أفريقية » للدكتور جوننكر الجلد الأول ، الفصل الخامس .



الدكتور جونكر



الشاشة واللينايس ..

وفي ١٩ يونيو قام اسماعيل باشا إلى القاهرة بناء على دعوة من الخديو ليحيط له شفويا تفصيلات ما حصل في فتح دارفور ويحيطه علما بأحوال هذا البلد . وقام عبد الرازق بك مدير سنار باعباء حكمدار السودان العام في مدة غيابه في عاصمة القطر .

وكان جونكر عاقدا النية في بادئ الأمر على أن يرتد كردان ودارفور . وبعده هو يتأهب لذلك اذا به قد تعرف بجىسى وكان هذا قادما من غندوكزو ليقيم في الخرطوم بصفة وكيل لأمير الالاي غوردون حكمدار مديرية خط الاستواء العام ..

وبعد اقامة بضعة أيام علم جونكر من جىسى ان باخرة آخذة في التأهب للرحيل قريبا بميرة الى محطة سوباط التي أنشأها غوردون والرجوع منها بسن القليل . وعرض عليه جىسى القيام بهذه الريادة فقبل ذلك شاكرا لأن هذه الريادة تمثل له سبيل السياحة في النيل الأبيض واللام به .

وفي ٢٠ أغسطس أقلع جونكر على ظهر الباخرة « الصافية » التي مخرت في الحال تجر ٣ سفن بها جنود لحطات الجنوب .

وبما ان ابتداء السفر كان من النيل الأزرق فقد انحدرت فيه السفن لتجتاز الرأس الفاصل بين النيلين وبذا تكون من ان يمتن نظره بالمشهد العجيب الذي يبسط أمام عينيه ويرى مياه الفرعين ذات اللون المختلف تناسب

جنبًا لجنب إلى بعض مئات من الامتار بدون ان تختلط .

وفي اليوم التالي لسفرهم صادفهم اعصار شديد جدا اضطرهم الى أن يلقوها المرassi ويوقفوا السير .

وفي اليوم الثالث وصلت السفن الى الدويم وهي بقعة كانت فيها سوق ذات شأن تتردد عليها قبيلة البقارية التي كانت تتمدد اراضيها من النيل الى داخلية مديرية « كردفان » وبعد ان أمضت فيها ساعات الليل أبحرت ثانية ميممة شطر « كوا » Kawa وهي ناحية على جانب من الاهمية ويطلق عليها كذلك « حلة الدنالقة » ولما لم يكن بعد ذلك نواحي هامة داومت الحملة المسير ولم تقف إلا في الحالات التي تتزود منها خطبا ل تستعمله وقودا للبخارية .

ووصلت الحملة في نهاية الأمر الى فاشودة وهي نقطة وسيطة على جانب عظيم من الاهمية ومركز لمدير . وكانت بها حامية وتعتبر منفذًا لمناطق النيل العليا ومنها يتزود جميع السياح الصاعدون والنازلون مع مجرى النيل ما يلزمهم من التجار اليونانيين المقيمين بها . وهي أيضًا محطة اصلاحية ترسل إليها الحكومة المصرية المحترمين السياسيين والذين اجرموا ضد الهيئة الاجتماعية .

وعند ما تزل جونكر من البخارية ذهب لزيارة المدير يوسف حسن بك الكردي فقابلها هذا بال بشاشة والترحاب وكانت عمائر الحكومة قريبة من النهر . أما قرية الشلوك الواقعة في فضاء شاسع فتبعد عن النيل مسافة كيلومتر واحد .

وصوله الى محطة سو باط

أقلعت السفن في عشية نفس اليوم السابق وبعد ان سرت طول الليل
أفضت في بكور اليـوم التالي الى محطة سو باط وهي الاولي في مديریات
خط الاستواء . وكان غوردون قد أنشأها قبل ذلك بعامين على ربوة حيث
ينحدر منها في الحال ماء الأمطار الى النهر . وقائد هذه المحطة ضابط
سوداني يقال له سرور افندى بهجت اشتراك في حرب المکسيك سنة ١٨٦٣ م
تحت اشراف المارشال بازيرن ونال فيها وساما وترقى فيها بعد الى رتبة
قائمقام واستراك في عدة معاجم حربية ضد الدراویش وفي نهاية الأمر كان
ضمن حامية الخرطوم وقتل مع من قتل فيها حين سقوط هذه المدينة في يد
المهدیين سنة ١٨٨٥ م .

وأكـد سرور افندى جونـکـر ان الاقليم مناخه صحـي وـمـاـ يـثـبـتـ
ذلك حالة الحـامـيـةـ المـكـوـنـةـ منـ ٧٠ـ جـنـديـاـ فـانـهـاـ فيـ غـاـيـةـ منـ الصـحـةـ
والسلامـةـ . وـكـانـ يـوجـدـ أـيـضاـ فيـ الـمـنـطـقـةـ مـزارـعـ منـ الذـرـةـ والـدـخـنـ عـلـىـ
جانـبـ عـظـيمـ منـ النـمـوـ وـالـجـوـدـةـ .

وـاتـخذـ السـفـنـ سـيـلـهـاـ فـيـ الـيـمـ فـيـ ذاتـ اليـومـ ثـمـ أـلـقـتـ مـرـاسـيهـاـ
عـلـىـ قـيـدـ هـ كـيـلـوـمـتـرـاتـ مـنـ الـمـحـطـةـ اـبـغـاءـ اـحـتـطـابـ الـوقـودـ الـبـاخـرـةـ .
وـقـابـلـتـ الـجـمـلةـ فـيـ هـذـاـ الـمـكـانـ بـاـخـرـةـ أـخـرـىـ رـسـتـ لـنـفـسـ هـذـاـ الغـرـضـ وـهـىـ قـادـمـةـ
مـنـ «ـلاـدوـ»ـ وـوـجـدـ جـونـکـرـ عـلـىـ مـتـهـاـ صـدـيقـهـ الرـحـالـةـ لوـکـاسـ Lucasـ الـذـىـ
كـانـ قـدـ سـافـرـ مـنـ بـصـعـةـ أـشـهـرـ مضـتـ إـلـىـ الـجـنـوبـ . وـكـانـ قـدـ رـافـقـ
غـورـدونـ لـغاـيـةـ «ـماـجـونـجـوـ»ـ الـوـاقـعـةـ عـلـىـ بـحـيـرـةـ البرـتـ نـيـانـزاـ ثـمـ تـرـكـهـ

وأتجه غوردون صوب الجنوب قاصداً بلاد أونيون ووقف الآخر راجعاً إلى لادو عن طريق دوفيليه لكن يعود منها إلى المطرس على ظهر باخرة وكانت صحنه وقتذ في حالة يرثى لها.

وعندما آذنت الشمس بالغروب أقلعت الباخرة « الصافية » وسارت ليلاً بين صفاف مرتفعة واستولى على جونكر شيء من الأسف والمحسنة لحرمانه من مشاهدة مناظر تلك الربوع في وضح النهار وذلك لأنّه كان يخيل له أنها على جانب كبير من الفحمة والحسن.

وفي الغد تغير وجه الأرض وأخذ البصر يقع على أراض بور شاسعة بها على مد البصر حشائش عالية بدلاً من الأدغال والغابات. وكانت السفن تصادف من حين إلى آخر بعض قرى يسكنها قوم من « النوير » Nouers ومزارع من الدرة.

ووقفت الباخرة في أثناء الطريق لتقطر سفينتين موسوقتين ذرة لتمويل محطة ناصر. ثم وقفت بعد ذلك لدى الشيخ « عامول » Sheikh Amol وهو كبير قبيلة « القلنج » Tribu des Falanjs وكان مرتدية حالة حمراء أهدأها إليه غوردون وكان يتباهى عجباً وهو لا يحسها.

ومع أن ربان الباخرة « الصافية » كان قد ذهب مرة إلى ناصر مع أمير الألای شالية لونج بك إلا أنه كان غير ملم تماماً بالمسافات وكان يظن أنه يصل إليها قبل الظهر والحال أنه لم يدركها إلا بعد الغروب بساعة. وكانت الحطة ترى على قيد بعض الأبعاد حتى في جنح الظلام لوجه وود غيضة بها من شجر الدوم وهي واقعة على أحد منعطفات النهر الحادة. ومركزها يقل في

الصلاحية عن موقع محطة سوباط وهي مؤلفة من نحو ال ٣٠ كوكخا يحيط بها سياج شائك مشتبك بنباتات متسلقة .

ويوجد في الجهة الشرقية من المحطة جزيرة قائم عليها قرية يسكنها زنوج من قبيلة يقال لها قبيلة « النواق » Tribu des Nouaks . وقد ذهب جونكر الى هذه القرية وزار سكانها واهتم لحالتهم كثيراً لأنّه وجد نفسه لأول مرّة أمام عالم مختلف اختلافاً كلياً عن العالم الذي وقع نظره عليه إلى تلك الساعة . ورد إليه شيخ القبيلة في اليوم ذاته الزيارة وقدم له جملة هدايا ضمنها بقرة بيضاء ملائحة الهيئة . وبعد أن قدم لزائريه شيئاً من مشروب « الإبست » انصرفوا يتهدّون بمحاسن هذا المشروب .

وأخبر قائد الموقع جونكر بأنه على مرحلة ٢٥ كيلو متراً فيما فوق ينقسم نهر سوباط إلى أربعة افرع . وكان جونكر يود كثيراً أن يرى ذلك بعينيه إلا أنه لما كانت مأمورية رئيس البالخرة « الصافية » هي المجبى إلى ناصر فقط لم يستطع أن يغريه بالذهاب إلى تلك البقعة .

وفي ٤ سبتمبر قفلت المراكب راجعة . وفي ٧ منه وصلت إلى فاشودة . وفي ١٣ منه وصلت إلى الخرطوم ولم يحدث في أثناء ذلك كله أي حادث يخل بنظام السفر .

٤ — ملحق سنة ١٨٧٦ م

رحلة الطبيب جونكر إلى مديرية خط الاستواء^(١)

القسم الأول

من ٢٣ أكتوبر إلى ٣١ ديسمبر

اتضح للطبيب جونكر بعد رجوعه إلى الخرطوم أن الرحلة التي عقد
النية على القيام بها في نواحي دارفور لم تزل إلى ذلك الوقت غير مستطاعة
إذ أن تصريح الحكومة المصرية لم يصل بعد . واسمعيل باشا أبوب ما زال
أيضا في القاهرة . وفوق ذلك فإنه كان في شك كبير من سماح الحكومة
المحلية له بالذهاب إلى تلك الأصقاع حتى لو جاءه ذلك التصريح وذلك
لاستحکام حلقات القحط في دارفور حتى ان مکیال النرة الذي يساوى
ريالا واحدا في الخرطوم كان يماع بثلاثين ريالا هناك . وجال في خاطره
علاوة على هذه الاعتبارات ان الضباط الامريكيين الذين رافقوا الحملة
المصرية التي فتحت دارفور لا بد ان يكونوا ارتادوها في ظروف موقعة
كثيرا وبطريقة أفيده مما لو كان ارتادها هو نفسه نظرا لما لديهم
من الاستعدادات والوسائل الكثيرة التي تزيد على ما في حوزته . وعلى

(١) — راجع كتاب « رحلات في افريقيا » للدكتور جونكر الجلد الاول ،
الفصل السادس .

ذلك لم يكن في استطاعته ان يجني من وراء رحلته اليمار التي كان يأمل الحصول عليها .

ومن جهة اخرى قد بعثت رحلته الاخيرة التي قام بها حديثا في اعلى النيل في نفسه حب تملك الاقطار واخذ شوشه يزداد يوما في يوما للقيام برحلة اكثرا امتدادا من الرحلة السالفة في الاصقاع التي يسكنها الوثنيون .

وقرر لهذه الاعتبارات المتضاربة أن يعدل عن رحلة دارفور ويصافر الى لادو ابتغاء ارتياح مناطق مديرية خط الاستواء المتباعدة وأعلى النيل . إلا أن مخاوفه من السياحة في اراضي خاضعة لسيطرة غوردون كانت تفت في عضده إذ أنه لو عمّل بحسب التعريفة الرسمية الحديثة التي سُنّها ونشرها لنضبت ماليته بين عشية وضحاها .

وبما ان عددا كبيرا من السياح كان قد شخص الى مديرية خط الاستواء وحدث منهم في الواقع ونفس الأمر ما أوجب استياء غوردون فقد بعث هذا بذكرة رسمية الى سائر قناصل الدول بالخرطوم قال فيها ان على كل سائح يسافر من هذه المدينة ان يدفع غير أجرا السفر على الباخرة الرسوم الآتية بما يأخذه من الملاع حسب هذه التعريفة : ٢٠ شلن عن كل بقرة ، و ١٠ شلنات عن الخروف ، ١٥ شلن عن اردب النرة ، و ٥ شلنات اجر الحمال الواحد في اليوم .

وكان من المظاهر بتاتا استصحاب رجال مسلحين بدون ترخيص من الخديو ويشرط على السائح ان يكون اثناء اقامته في المديرية خاضعا لسلطة ضباط الحكومة .

وكان جيسي الذى عرض عليه الطيب جونكر هذه الملاحظات ماماً تمام
الالم بما انطوت عليه جوانح غوردون فظماً أنه طائنية تامة ونزع من صدره
جميع الخاوف من ناحية تلك الرسوم وأشار عليه أن يأخذ معه بعض التمير
حتى لا يكون خاضعاً لمطالب الجمالين وتحكماتهم .

ولما أتى جونكر في نهاية الأمر مشترى لوازمه تأهب للإقلاع على ظهر
الباخرة التى أعدت للإبحار من الخرطوم بعد عيد الفطر وهى الباخرة
«الاسماعيلية». وكانت من احسن واسرع الباخر المعدة للسفر الى
اعالي النيل.

وتحدد يوم ٢٢ أكتوبر للسفر . وفي اليوم العاشر ذهب جونكر وامتنى
متن الباخرة فوجدها غاصة بين فيها من الركاب والسلع والانعام الصادرة لختلف
الجهات . وسافرت الباخرة على يركه الله .

وفي اليوم التالي دهش الراكب وأي دهش إذ قابل الباحرة « تلحوين » آتية من ناحية الجنوب وعليها غوردون . وكان جونكر يأمل أن يراه في « لادو » لأنّه كان قد طالع في جواب صدر منه أن في نيته أن لا يبارح هذه الحطة إلا بعد ثلاثة أسابيع . وعلى كل حال كان لابد أن يراه لأنّه ليس لديه أية رخصة رسميّة اللهم إلا بعض توصيات من جيسي لقواد محطة « سوباط » و « شمي » و « بور » .

وانتقل غوردون الى ظهر الباحثة «الاسماعيلية» ليقتضيها وعند ما رأى جونكر سلم عليه وحياه وهش في وجهه وبش . ودارت المحادثة طبعا حول الرحلة التي نوى جونcker القيام بها في المديريات المعهود اليه

أعماها . فسلمه خطابات توصية إلى ضباطه وأكده له أن التسغيرة الرسمية ستعدل فيما يختص بمعاملته ودعاه للذهاب معه إلى البالخرة « تلحوين » وفي أثناء الحديث عرض له جونكر بحالته المالية وعرفه بأنه اطاعة لمشورة جيسى أحضر معه ٢٥٠ ريالاً وأودع في الخرطوم ٥٠٠ جنيهه انكليزى فأجابه غوردون حالما سمع منه هذا القول بأنه ليس هنالك من حاجة إلى الدرام ثم استرد منه الخطابات التي أعطاها له ومرفقها وكلف سكرتيره أن يكتب الأمر الآتى : —

على كافة المديرين والمأموريين ورؤساء المطارات أن يزودوا حامله عند طلبه بالذرة والثيارات والجمالين بدون مقابل أو أى أجر . وحرر له هذا للعميل بمقتضاه وعليهم فوق ذلك أن يتحملا على من يلزم تقديم الطاعة والامتثال .

حكمدار مديريات خط الاستواء العام
(الامضاء) غوردون

* * *

وتحدىنا بحكم الطبع عن المناطق التي يلزم ارتياها فأشار عليه غوردون أن يذهب إلى « ميكراكا » مع القافلة التي ستشخص إليها عملاً قليل . لأن أوغندة والبلاد الواقعة في الجنوب يعمها الهرج والمرج وصادف ذلك استحساناً من نفس جونcker لأنه رأى أن هذا الرأي ينطبق على رأيه . وهكذا قضينا معًا المزيج الأول من الليـل ثم انصرف جونcker ولما انشق نور النهار عاد كل منها فاتخذ وجهته التي يقصدها .

وفي ٢٩ أكتوبر وصل جونكر إلى فاسودة فقابل الباحرة « الصافية » وعلى متنها إبراهيم افندي فوزى الذى تولى فيما بعد حكمدارية مديرية خط الاستواء ونال رتبة البشاوية وكان إذ ذاك مديرًا لبور فاستدعاه غوردون إلى الخرطوم . وكانت هذه هي المرة الأولى التى رأى فيها جونكر إبراهيم افندي فوزى وبعد ذلك كانت له به صلات كثيرة .

وصوله إلى محطة « سوباط » و « بور » .

وفي ٣٠ أكتوبر وصل إلى محطة « سوباط » ووقفت فيها الباحرة أويقات لتمتار بالوقيود وتبادل جونكر وقائد المحطة سرور افندي بحاجت بعض المدايا .

وبعد هذه المحطة دخلت الباحرة في منطقة شجيرات البردى والسدود . ودعت الحال في كثير من المواقع إلى الجد والكد ابغاء شق طريق في السدود القائمة في النهر .

وفي ٤ نوفمبر ألقلت الباحرة مرسيها أمام شمبي وهي عبارة عن محطة أخرى تحت قيادة يوسف الشلالى ^(١) الذى كان يحترف قبل النخاسة ويملك عدداً كبيراً من الزرائب استولت عليه الحكومة فيما بعد .

وإذا استثنينا المحطات العسكرية التي شيدها سير صمويل بيكير وغوردون وجدنا أن كل الزرائب التي تملكتها الحكومة كانت قبل ذلك لأنخاسين على

(١) — نال فيما بعد رتبة البشاوية وتولى قيادة فرقه أرسلت لمحاربة المهدى عند بداية ثورته فأيدت هذه الفرقه عن آخرها وقتل معها .

اختلافهم ثم استولت عليها الحكومة في نظير عوض أخذه هؤلاء.

وفي ١٥ نوفمبر وصلت الباخرة إلى محطة «بور» وهي المحطة التي تلي شمسي. وكانت بور فيما مضى زريبة للشيخ احمد العقاد. ونزل جونكر وزير المحطة والديوان وكان هذا مكلسا وفي غاية من النظافة. وكان المدير متغرياً. وسمع على حين فجأة صوت بوق وبعض طلقات من أفواه البنادق. وكان ذلك من باب التحذير وقد ضوئ الحرس في هذه الليلة نظراً للعداوة والبغضاء التي يبدوها أهالي تلك النواحي.

وانهز وكيل المديرية فرصة وجود الباخرة وشحن بها ٥٠ جندياً فاجتازت بهم النهر وأنزلتهم بالضفة المقابلة ثم وجهم إلى قرية مشاغبة لتأديبها. وكانت هذه القرية قاعدة في وسط ادغال من الحشائش العالية. وبعد ذلك سمع بعض طلقات اعقبها رجوع العساكر بعد زمن قليل ومعهم بعض سلال مفعمة بحبوب النمرة. أما الأهالي فلاذوا بالفرار ب مجرد أن وقعت ابصارهم على الجنود. وبعد أن افرغت الباخرة ما بها من الجنود والعتائيم عاودت الإبحار وفي اليوم التالي ١٧ نوفمبر وصلت إلى لادو وذلك بعد إبحار ١٧ يوماً.

وتوجه جونكر في اليوم نفسه إلى أمين افندى وقدم له خطابات التوصية التي زوده بها غوردون. فرأى هذا فيه لأول وهلة رجال من رجال الأدب وفطاحل العلم. وكان أمين افندى عائداً حديثاً من مهمة سياسية كان كلفه بها غوردون لدى مตيساً ملك أوغنداً. وكان غوردون ترك للأمين افندى تعليمات بأن يتحقق به في الخرطوم على ظهر الباخرة الإسماعيلية ليعرض عليه نتيجة مأموريته. وعلى ذلك لم يكن لدى هذا الأخير

إلا أيام قلائل ليمضيها في لادو مع جونكر .

وكانـت هذهـ المـطـةـ إـذـ ذـاكـ غـاصـةـ بـمـنـ فـيهـاـ مـنـ النـاسـ .ـ وـاضـطـرـ جـونـكـوـ بـسـبـبـ اـزـدـحـامـ الـمـساـكـنـ أـنـ يـقـيـ عـلـىـ ظـهـرـ الـبـالـخـرـةـ لـغـاـيـةـ سـفـرـ أـمـيـنـ اـفـنـدـىـ الـذـىـ وـضـعـ تـحـتـ مـطـلـقـ تـصـرـفـ مـسـكـنـهـ مـدـةـ غـيـابـهـ .ـ

وقد أنشأ غوردون لادو سنة ١٨٧٤ لأن النهر انتقل من مجراه فصارت غندوكورو غير صالحة لرسو السفن طول فصول السنة وفضلاً عن ذلك فإنه نشأ بسبب هذا الانتقال تكوين مستنقعات أمام محطة غندوكورو صيرت جوها فاسدا فانتشرت فيها الحميات واضطجع من اللازم البحث عن بقعة أخرى لإقامة المحطة عليها.

وكان رافق القافلة حرس من العساكر النويبيين غير النظاميين عدا

موظفي مديرية مكراكا . واقيمت الأفراح وسرت روح المسرة الى النفوس لأن كل هؤلاء لهم اصدقاء في لادو . ويعرف الكثيرون من أهالى مكراكا اللغة العربية ويرجع السبب فى ذلك الى ان تجار الخرطوم أقاموا مذ سنين طويلة زرائب فى بلادهم لتجارة العاج والنخاسة .

وصل مع القافلة بخيت افندي بتراكى مدير مديرية مكراكا وهو ضابط سودانى ^(١) . ودعا بخيت افندي جونكر الى مشاهدة حفلة رقص وسماع أغاني أهالى مديريته فدهش هذا مما رأى وسمع .

وفي ٣ ديسمبر وصلت البالاخرة بردين الى لادو وعليها البريد . وتلقى جونcker به خطابا من قنصل دولته بالاسكندرية ينبئه بقبول الخديع سياحته في دارفور إلا أنه يلزمها مع ذلك انتظار أوبة اسماعيل باشا أيوب الى الخرطوم . فقدم جونcker الحمد والشكر للله على قيامه من هذه المدينة قبل ورود هذا الخطاب .

وفي ٥ منه قدمت باخرة أخرى تقل شخصا من أتباعه والثلاثة الحبر الذى كان تركها في محطة سوباط لعدم وجود محل لها بالباخرة الاسماعيلية .

وحدث في هذه المدة مشاغبة بين الأهالى في غندوكورو أفضت إلى معركة سالت فيها الدماء وقتل في غضونها ١٧ جنديا فسافر كوتاح افندي

(١) — اشتراك فى حرب المكسيك تحت إمرة المارشال بازبن ونال وسام الشرف العسكري وترقى فيما بعد الى رتبة أميرالاى وتولى قيادة برجى الائى سودانى في الخرطوم اثناء حصار الدراوىش لها وقتل عند ما استولوا عليها - انظر كتابنا : بطولة الاورطة السودانية في حرب المكسيك .

مدير لادو ليحمد أتفاس الثورة ويرد التائرين الى الصواب . وتمرد الأهالى أيضاً في موجى وهذه الناحية هي التي قتل فيها « إرنست دى بلفون » في السنة الغابرة . وبارح كذلك بخيت افندى لادو مع قسم كبير من رجاله في مكراكا ليوطد الأمان في الجهات التي اختل فيها النظام .

وشرع جونكر يعد معدات حملته في مكراكا واضعاً نصب عينيه وصيحة غوردون له فاجتهد أن يتحقق على قدر الاستطاعة متاعه لدرجة أنه اكتفى بـ ٤٠ حملاً .

وفي ٢٤ ديسمبر فوجيء بمحاجة سر لها . ذلك أنه جاءته حزمة خطابات من « سان بترسبورغ » وأوراق وردت له مع البالغة المنصورة من الخرطوم .

وقضى جونكر عيد الميلاد مع رفاقه في هدوء وراحة بال .

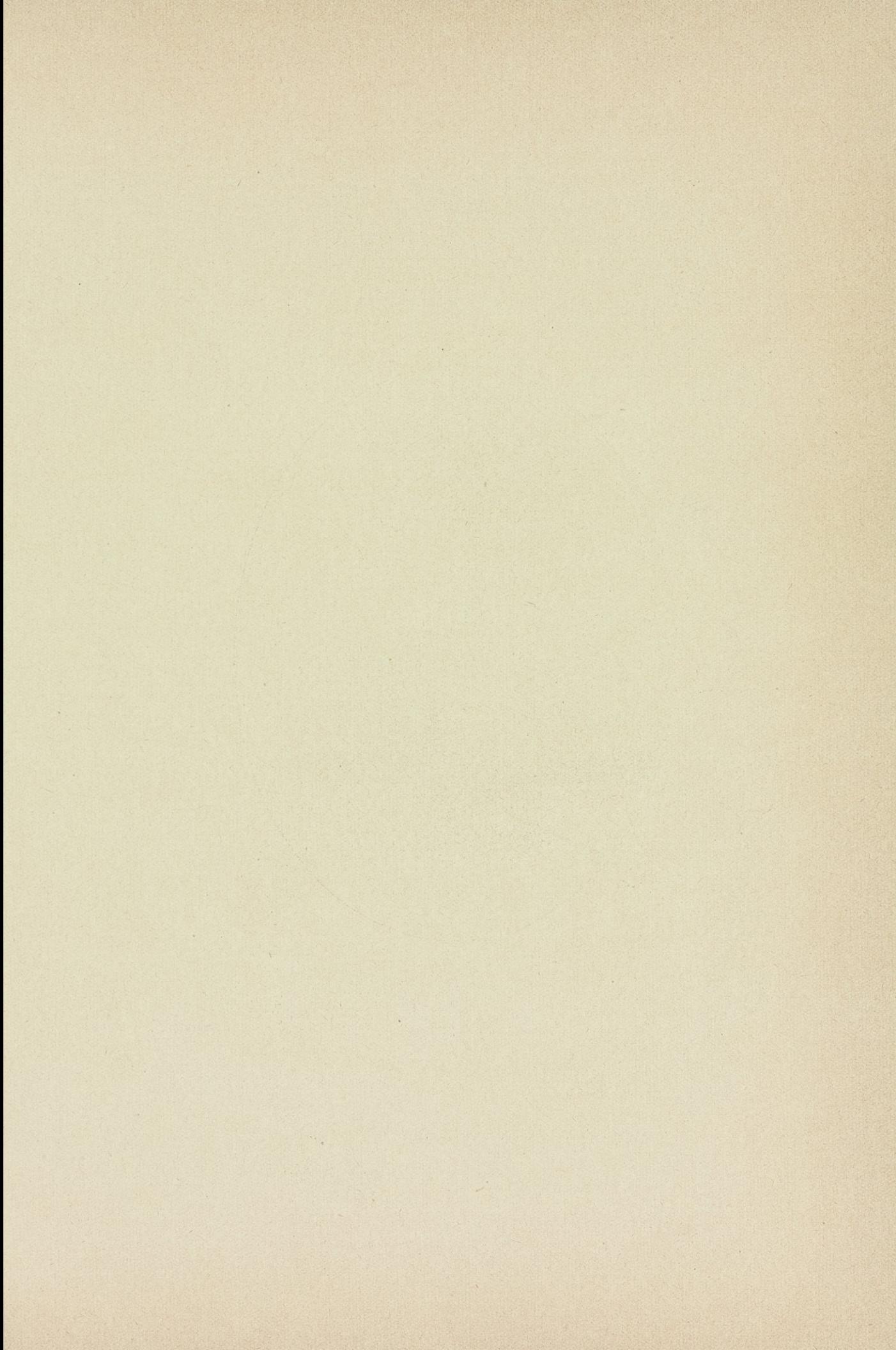
وفي غد ٢٦ منه كان أول يوم من أيام عيد الأضحى فتوجه إلى الصيدلى حسن افندى وزاره بمناسبة العيد وكانت حسن افندى زاره قبل ذلك مراراً . وفي أثناء هذه الزيارة عاد بخيت افندى من رحلته فقدم له جونكر التهاني .

وفي ٢٨ منه رجع كوتاح افندى من رحلته . وأحضرت الجملتان كثيراً من الغنائم وأغلبها من الدرة والأسلحة وادوات الزينة وآلات من التي يستخدمها الباريون فأخذ القسم الأكبر منها جونcker وفرح به لأنه كان قد بذل جهداً كبيراً في الحصول على شيء من ذلك فأخفق في مسعاه ولم ينجح في الحصول عليها مباشرة من الباريون .

وتنتهي هذه الرحلة مدونة في الملحق الأول للسنة التالية .



أميرالألای براؤت بك



حَكْمَدَارِيَّةُ أَمِيرِ الْأَلَاءِيِّ بِرَاوْت

مِنْ سَنَةِ ١٨٧٦ إِلَى سَنَةِ ١٨٧٧ م

عند ما سافر غوردون من الخرطوم عهد الى الكولونيل الامريكي براوت Colonel Prout من اركان حرب الجيش المصرى العام بـ حكمدارية مديرية خط الاستواء فذهب اليها فى شهر ديسمبر سنة ١٨٧٦ وقام بالمهمة التى ولى أمرها بهمة ونشاط عظيمين . فتوجه من « لادو » الى « فاتيكو » ومن هذه الى « مرولى » الواقعة على نيل فكتوريا ثم تقدم لغاية ماجونجو الواقعة على بحيرة البرت نيانزا وعين موقعها بالتدقيق إلا أن المرض اضطره للإياب الى « لادو » .

وفي مايو سنة ١٨٧٧ م تحرجت صحته فاللزم أن يسافر الى إنكلترا ثم عاد بعد ذلك غير أن صحته ما كانت لتسمح له بالبقاء فاضطر أن يسراح المديرية نهائيا .

حکمداریہ امیر الالاٰی ابراهیم فوزی بک

من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٧٨ م

سفر ابراهیم فوزی بک الی لادو

عند ما استعفى أميرالألای براوت لأسباب صحية من حكمدارية مديرية خط الاستواء عين غوردون بدلا منه في هذه الوظيفة أميرالألای ابراهيم فوزى بك . وكان في ذلك الحين في الخرطوم ولما وصل اليه أمر تعينه أخذ يعد معدات السفر .

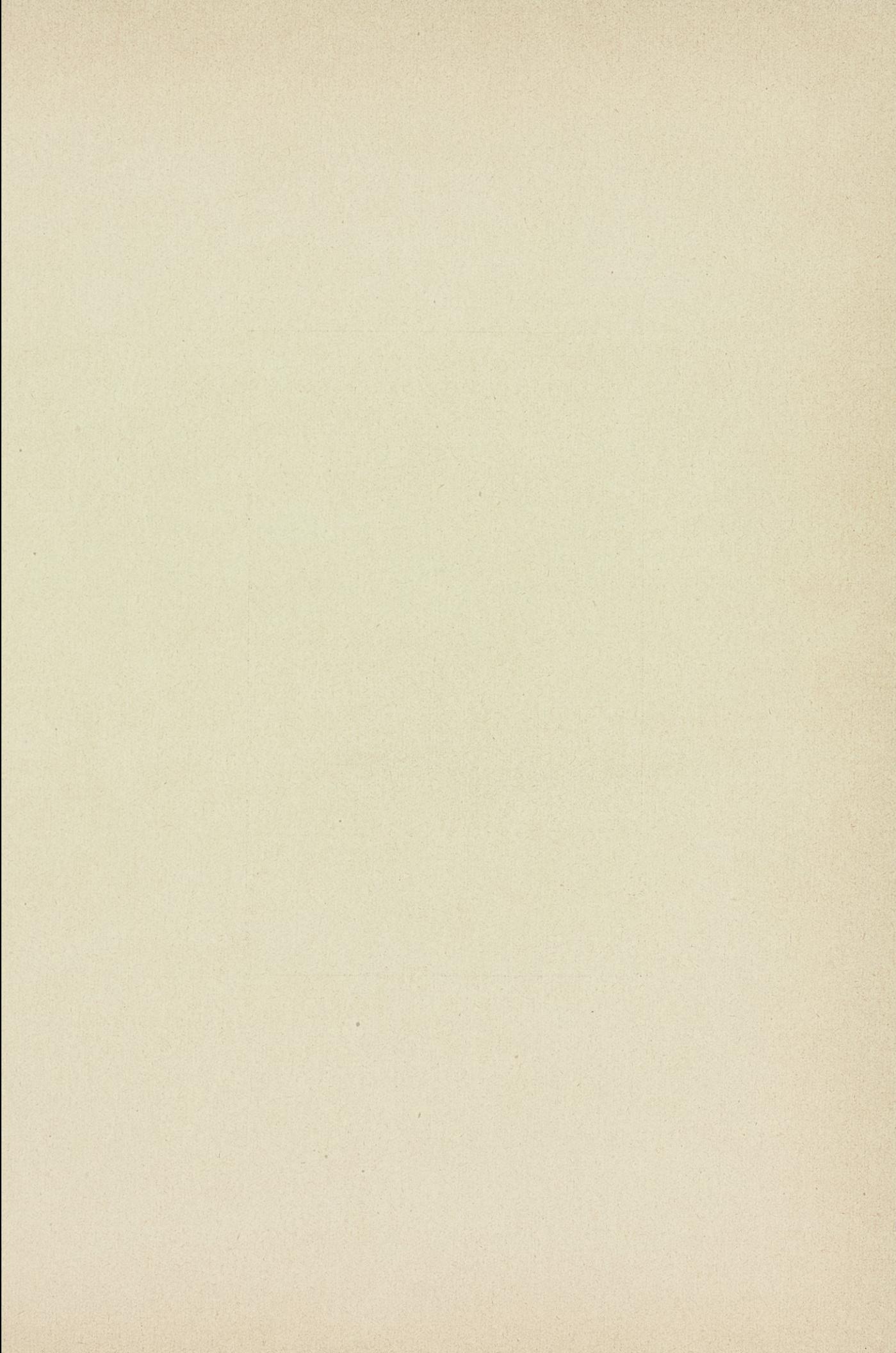
وأقمع على الباحثة «الاسماعيلية» من الخرطوم ووصل إلى لادو وهي
أهم مراكز تلك المديرية . ولدى وصوله حضر منشوراً وبعث به إلى كافة
المراكز ليخبرها بتعيينه حكمداراً للمديرية وليبين لها الطرق اللازم اتخاذها
لتوطيد دعائم الأمن فيسائر أنحاء البلد واسعاد الأهالى وانجاحهم .

طوافه بالاقاليم وتفتيشه لها

ثم استحسن بعد ذلك أن لا يطيل إقامته في لادو وأن يطوف بالآقاليم ليتحقق من حالة البلد وقاطنيها . وابداً يزور الجانب الجنوبي وأخذ يتنقل من بقعة إلى أخرى واستغرقت رحلته زهاء الـ ٤٠ يوماً وبعد ذلك قفل راجعاً إلى لادو . وبعد أن مكث بها نحو الـ ٢٥ يوماً شخص إلى الجانب الشمالي أي قسمى «بور» و«سوباط» على متن الباخرة



ابراهيم فـوزى بك «باشا»



« الاسماعيلية » .

وهذا ما قاله ابراهيم فوزى بك « فيما بعد باشا » بعد طوافه بتلك البقاع ورجوعه الى لادو واننا تتبته هنا نقلا عن كتابه « السودان بين يدى غوردون وكتشner » ج ١ ص ٤٠ وما بعدها ، قال :-

« وبعد عودتني من الرحلة التي لقيت فيها ادريس ابتر جائني سائح اسمه الدكتور ينكر « جوننكر » يطلب مني أن أجمع له مائة شخص من الاهالى يحملون أناقاله مدة تجوله في أنحاء خط الاستواء . وكانت العادة المتبعة عندنا إذ ذاك أن نسمح بتشل ذلك لكل سائح على شرط أن يؤدي أجرا كل شخص ثلاثة غروش من العمالة الصاغ عن كل يوم وأن يدفع لكل شخص أجرا ثلاثة شهور سلفا وأن يكون مكلفا بلوازمهم اليومية من الطعام . فعرضت عليه هذه الشروط فأكابرها وادعى ان لديه أوامر من غوردون باحتساب كل نفقات سياحته على جانب الحكومة . فطلبت منه الرقيم الصادر من غوردون فلم أجده عنده شيئاً من ذلك . وأخيراً دفع أجرا شهر واحد لكل حمال من الدين جمعناهم له وتعهد بدفع باقى عند عودته . وبعد ثلاثة شهور عاد من سياحته وامتنع عن دفع ما بقى في ذمته من أجرا الحمالين . وبعد محاورات كثيرة دفع لهم أجرا الشهرين الباقيين ثم أخذ في أهبة السفر ومعه شيء كثير من العاج فأخبرته باحتكار الحكومة هذا الصنف ومنها الاتجار به وحمله الى الجهات الشمالية وأفهمته ما تقضى به الاوامر من ضبط ما معه وأخذه بجانب الحكومة فامتنع أولاً ثم رضخ ثانياً . وكان كثير الألفة والتودد الى طبيب الحكومة الدكتور شننر (Schnitzer) الذي سمي نفسه بعد باسم « محمد أمين » ثم صار حاكماً على أقاليم خط الاستواء

باسم أمين باشا .

على أئنني لم أكتثرت بهذا القول وعدهاته من قبيل الموس وخصوصا ما ذكر من أمر أمين افندى الطيب لأنى وسائل من معى من الموظفين نعتقد فيه فقدان الروية وعدم الحدق حتى في صناعته التي انقطع لها ودرسهما فكيف يمكن شائنه إذا عين بوظيفة حاكم لأقاليم خط الاستواء ادارتها العسكرية ومدار عملها على الحركات العسكرية والمهارة الحربية ؟ ثم غادر الدكتور ينكر « خط الاستواء على إحدى البوارخ فكتب إلى الكولونيل غوردون اعلامه بكل ما وقع بيني وبين الدكتور المذكور وشرح له ما عاملته من أولئك التجار من نوایا ونوايا أمين افندى الطيب . ولما وصلت البالاخرة الى مكان يدعى « شبشه » يبعد عن الخرطوم بنحو مائة ميل أصابها خلل أوقف متابعة سيرها خرج السائح منها واستأجر نوقا ووصل على ظهورها الى الخرطوم وقابل والكولونيل غوردون والقى عليه ما شاء من الاكاذيب والوشایات فاحتدم غيطا جريحا على عادته حيث كان من طبائعه أن يصفى لكل واش سبق غيره بالشكوى اليه من غير أن يتحرى صدقه . ويقف على كنه قصده .

و بعد بضعة أيام أصلح خلل الباحرة فاستأنقت سيرها الى الخرطوم وبعد وصوله اذهب صاحب البريد ليسلم له للكولونيل غوردون فامتنع من

استلامه وأصدر أمراً بفصلى من مديرية خط الاستواء وتعيين أمين افندى الطيب وكيلًا عنى حتى تصدر أوامر أخرى . ثم غادرت خط الاستواء قاصداً الخرطوم حيث أصدر الكولونيل غوردون أمراً بتعيينه حاكمًا عاماً على أقاليم خط الاستواء فوقع ذلك موقع الدهشة والاستغراب لدى الموظفين الذين لا يعرفون لهذا الرجل أهلية إدارية أو عسكرية تبوئه هذا المنصب الخطير وأيقن الكل بأن الدكتور ينكر هو الذي مهد له هذا السبيل وباؤه هذا المنصب .

ولا غرابة في ذلك فان الدكتور شنيتزر قدر على اخفاء دينه وتسمى بـ محمد أمين فليس بعيد على منافق كهذا اسمالة مثل الدكتور ينكر ما داما عالمين من الكولونيل غوردون الاصفاء لكل مبادر بالوشایة ولو كان ذا قصد سيء » . اه

ولا يخلو هذا الكلام من بعض الحقائق فقد ذكر الدكتور جونكر في المجلد الأول من كتابه « رحلات في افريقيا » من عام ١٨٧٥ إلى ١٨٨٦ م بقصد تعيين خلف لابراهيم فوزى بك ما يأتي : —

« سأله غوردون عن افكارى في هذا الشأن ومن الذي يمكننى أن أشير بتعيينه . فعرضت عليه الطيب أمين افندى فعارض غوردون في بادئ الأمر إلا أنه انتهى بالقبول وعين فعلاً أمين افندى حكمداراً لمديريات خط الاستواء ومنح لقب بك » . اه

١ — ملحق سنة ١٨٧٧ م

رحلة الطبيب جونكر في مديرية خط الاستواء^(١)

القسم الثاني

من أول يناير إلى ٣١ ديسمبر

سفر جونكر من « لادو » إلى « نيمبارا » .

قدم أمين افندى من الخرطوم ووصل على غير موعد إلى لادو في ٢ يناير ففرح جونكر بذلك لأنّه كان يأمل أنه بوساطته لدى السلطة المصرية تذلل مصاعب كثيرة وتنجز الأمور بسرعة .

وفي ١٢ منه آتى إلى جونcker موظف ليتناقش معه في مسألة الحمالين فدعاه ذلك إلى الأمثل باقتراب موعد الرحيل إلى « مكراكا ». وكان قد طلب ٤٥ حمala فلم يجب طلبه خسب بل وعد بخمسين . وتمم معدات السفر غير أنه رغمما عن الأوامر التي أصدرها غوردون صادف بعض صعوبات في مكتب مأمور المؤن والذخائر . وفي نهاية الأمر حصل على مؤونة

(١) — راجع كتاب « رحلات في إفريقيا » المجلد الأول ، الفصل السابع والثامن والتاسع والثالث عشر .

شهر له ورفاقه .

وفي ١٩ يناير أخبره أمين افندى ان القافلة ستتسافر في الغد ثم حدث بعد ذلك تأجيل آخر فلم تسافر إلا في ٢٢ منه .

وقدم فضل الله افندى وهو رجل نبى وقائد محطة من محطات « مكراكا » ومهـبعـضـالـجـنـودـوـالـحـالـيـنـلـيـسـلـمـإـلـىـهـؤـلـاءـالـأـحـالـمـالـمـكـلـفـيـنـ بـنـقـلـهـاـبـعـدـأـنـوـضـعـعـلـىـكـلـجـمـلـعـلـامـةـلـأـنـالـعـادـةـالـتـبـعـةـهـوـأـنـ لـاـيـغـيـرـأـىـجـمـلـالـذـىـتـسـلـمـهـطـوـلـمـدـةـالـسـيـاحـةـ.ـوـقـضـىـجـوـنـكـرـآـخـرـ لـيـلـةـمـعـأـمـيـنـافـنـدـىـوـلـمـيـفـارـقـهـإـلـاـفـسـاعـةـمـتـأـخـرـةـ.

وبعد إقامة شهرين ونصف شهر في لادو سافر منها جونكر في نهاية الأمر في ٢٢ يناير سنة ١٨٧٧ في الساعة ٧ صباحاً ورفاقه أمين افندى وأصدقاؤه إلى باب المحطة ثم ودعوه بعد أن تناولوا له سفراً سعيداً .

وكانت القافلة مؤلفة من ١٢٠٠ نفس من مختلف القبائل ومن كل جنس وسن . وكان يوجد فيها عدداً هؤلاً الموظفون وأسرارتهم و ١٠٠ جندى غير نظامي بصفة حرس ثم عدد كبير من المواشى منها ما هو للركوب منها ما هو للذبح والتغذى بلحومها مدة السفر . وكان جميع هذا الخليط تحت قيادة بخيت بترانى مدير مكراكا الذى كان مركزه في « واندى » Wandi . وفضل الله افندى مدير « كابايندى » Kabaiendi .

وكان النظام المتبوع في تسيير مثل هذه القافلة هو النظام المألوف منذ أجيال لدى أهالى تلك الاصقاع . فكل قسم يتشى مع رئيسه والعلم المصرى

يتحقق في مقدمته . وكانت بخفيت افندى يسير راكبا هو وأركان حربه في المقدمة وت تكون منهم الطليعة . ويأتى على أثره مباشرة جمالو الحكومة الذين يحملون الأشياء الخاصة ب مختلف محطات مديريته من بنادق وذخيرة وأطعمة ومنسوجات وغير ذلك من الأشياء المعدة لمبادلتها بالعاج . أما فضل الله افندى فكان يؤلف المؤخرة ومن واجباته أن لا يدع أحدا يتخلص . وكانت القافلة تتف في الطريق للراحة كل ساعتين .

وبعد مبارحة لادو بزمن يسير غاب الهر عن الابصار بتوغل القافلة في غابة من السنط واللبخ ومرورها على كثير من قرى الباريين المحاطة بسياجات شائكة ومزارع الذرة والتبغ . ويعتنى اهل هذه البقاع بزراعة التبغ اعتناء خاصا فيعطيونه بأوراق العوسج لوقايته من شعاع الشمس .

ونزلت القافلة في أول يوم قرب « خور الرملة » الذى كان جافا في تلك الآونة إلا أنه كان في الامكان الحصول منه على ماء بعد حفر بعض أقدام في مجراه . ويصير هذا الخور في فصل الامطار مسبيلا عميقا متراً ويصب في النيل فيكون صالحا للاحلاة المراكب الصغيرة .

وانطلقت القافلة في السير في اليوم التالي عند ما انبلج وجه الصباح ومرت على مجموعة من قرى الباريين في ذلك النهار وكان قاطنوها يولون الادبار في كل مرة يقترب منها رجال القافلة ومع ان هذه القرى كانت على وجه الاجمال يماثل بعضها بعضا إلا انه كان يوجد بون في الاراضى التي تكتنفها بحسب حالة اصحابها رعاة أو مزارعين .

ووقتها حطت القافلة رحالها في اليوم الثاني للراحة أخبر بخيت افندى جوننكر ان الباريين الساكنين غرب هذه البقعة ما زالوا غير خاضعين الخضوع التام وانهم كثيرا ما يناصبون الحكومة العداوة ويتحرشون بها وانهم ذبحوا منذ عامين قافلة مؤلفة من ٨٠ رجلا كانت تحمل عاجا من مكراكا إلى لادو .

وأدى جملة مشايخ خاضعين لسيطرة الحكومة ومرتدین ثيابا حمراء طويلة كان منحهم ايها الحكمدار العام لتكون علامه يتميزون بها عن المشايخ الآخرين وقدمو! واجب الاحترام الى بخيت افندى والموظفين الآخرين وقدموا للقافلة بعض أشياء أخذوا عوضا عنها بعض رؤوس من الماشية .

وكان عندئذ لا بد من الحصول على كمية النرة الازمة لتمسوين القافلة الى ان تصل الى اراضي « النيامبارا » (١) Niambaras وكانت الوسيلة الوحيدة المؤدية الى ذلك هي الاغارة على اراضي الباريين المشاغبين فأرسلت تجريدة لهذا الغرض وبعد أن أطلقت بعض العيارات في الهواء لاذ سكان القرى المجاورة بالفرار وهكذا عادت التجبرية ومعها النرة الازمة .

وفي ٢٤ يناير دخلت القافلة في أرض « النيامباريين ». وهي عبارة عن سهل رحب منظره على منوال واحد وليس به أشجار يتقي في ظلها ساعات المغير . وفي ذلك اليوم حطت القافلة رحالها بجانب مسيل ليس به ماء . وصادفت في اليوم التالي أول قرية من قرى « النيامباريين »

(١) — أسمها أميراللائي شاليه لونج بك : « ينبارى » .

وهي تشبه تماما قرى الباريin . وبعد أن نصبت القافلة المضارب للنزول هب إعصار سبب لرجالها كثيرا من المتاعب .

وفي ٢٦ يناير مكثت الجملة مكانها طلبا للراحة وفي الغد شخصت مبكرة في السفر ووصلت في اليوم نفسه إلى محطة « نيمبـارا » وهي المحطة التي يرأسها عبد الله افندي المرافق للجملة . وكانت هذه المحطة قد انشئت من ١٨ شهرا في منتصف الطريق بين « لادو » و « مـكراكا » ، وكانت تستعملها القوافل التي تنقل العاج للاستراحة وتختار منها الذرة والماشية وتجد فيها أيضا الأمان والطمأنينة من شر قبائل النيمبـارا المعادين وذلك تحت كنف حاميتها المؤلفة من الجنود التـويين غير النظاميين . وكان فريق كبير من هذه القبائل يأبى باصرار أن يدخل في علاقة ما مع موظفى الحكومة رغمـا عـما حصلوا عليه من المنح والمهدـايا الكثيرة .

ولما كانت الحامية قاست كثـيرا من الاـهـوال من تلك القبـائل فـكان لا بد من القيام بعمل شـديد حـاسم لا بقائـها في مـركـزـها إذ بـغـير ذلك كان لا يـكـرـنـ مـطـلقـا تـأـمـينـ طـرـيقـ القـوـافـلـ بيـنـ « لـادـوـ » وـ « مـكـراـكاـ » . وـعـلمـ جـونـكـرـ منـ بـخـيـتـ اـفـنـدـيـ اـنـ اـهـمـ الـاطـروـشـ مدـيرـ « وـانـدـيـ » قـادـمـ عـلـىـ رـأـسـ فـرـقـةـ مؤـلـفـةـ مـنـ ٢٠٠٠ـ جـنـدـيـ مـنـ مـكـراـكاـ وـ ١٠٠ـ عـسـكـرـ نـوبـيـ بـقـصـدـ تـوجـيهـ بـعـضـ حـمـلاتـ ضـدـ القـبـائـلـ الـأـكـثـرـ عـدـاءـ اـبـغـاءـ توـيـنـ المحـطةـ . ولـماـ كـانـتـ الحـاجـةـ مـاسـةـ لـالـسـرـاعـ أـرـسـلـ فـضـلـ اللهـ اـفـنـدـيـ عـلـىـ جـنـاحـ السـرـعةـ فـيـ ٢٩ـ يـانـيـرـ وـمـعـهـ فـرـقـةـ ليـقـومـ بـغـزوـةـ فـذـهـبـ وـآـبـ فـيـ نـفـسـ ذـلـكـ الـيـوـمـ وـمـعـهـ مـقـدـارـ مـنـ الذـرـةـ أـوـدـعـهـ فـيـ مـسـتـوـدـعـاتـ المحـطةـ .

ووصل احمد الاطروش في اليوم التالي وقرر أن يقوم بحملة تأديبية ليعزز وشيخا من المشائخ التأثرين على الحكومة وكان هذا الشيخ يهدد الطريق الجنوبية الموصلة إلى لادو وسبق له أن قاوم ضابطاً من معاونى يوسف الشلالى في منطقة « رول » Rôl ونجح في مقاومته .

وقامت الحملة في أول فبراير ورجعت في ٩ منه ومعها كمية كبيرة من الذرة و ١٠٠٠ رأس من الانعام فأخذ الحمalon ما خصهم من الذرة وأودع الباقى في مخازن المحطة ل تستقضى منه الحامية والقوافل التي تأتى بالمرور لوازمه ولتوزيعها أيضاً على الأهالى الذين يقدمون الطاعة .

وفي ١١ منه بعد أن تقوت القافلة بانضمام فرقة الاطروش إليها شرعت في المسير وكانت مؤلفة من ٣٠٠٠ نسمة . وبعد سفر خمسة أيام أفضت إلى محطة « وندى » في ١٦ فبراير . ووندى هذه هي عاصمة مديرية مكراكا .

ولدى وصول جونكر كانت هذه المديرية التي هي أحدى مديريات خط الاستواء مقسمة إلى ٥ مراكز وهي :-

(١) - وندى وهي مرتفعة ٢٥٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر وعاصمة المديرية و محل إقامة المدير بخيت افندى الذي كان احمد الاطروش افندى تحت إمرته .

(٢) - مكراكا الصغرى وهي مرتفعة ٢٥٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر ورئيسها احمد افندى وهو ذلك الرجل الافغاني الذى ذكره أمير الالاى شالية لونج بك عند الكلام عن الحملة التي قام بها لضم مكراكا .

(٣) - ميكراكا الكبرى أو « كاباينـدى » وهى مرتفعة ٢٧٥٠
قدما عن مستوى سطح البحر ورئيسها فضل الله افندي الذى توفي بعد ذلك
بزمن يسير وحل محله ريحان افندي . وهذا ضابط سودانى ترقى فيما بعد
إلى رتبة بكباشى وهو الذى كان يقود ١ جى أورطة فى لادو حينما وصلت حملة
استانلى إلى خط الاستواء وتوفى قبل حملة الدراويس على المديرية .

(٤) - ريمو Rimo وهى مرتفعة ٢٨٢٠ قدما عن مستوى سطح البحر
ورئيسها عبد الله افندي ابو زيد .

(٥) - مديرفى Mdirfi وهى مرتفعة ٣٠٠٠ قدم عن مستوى سطح
البحر .

وكان في كل محطة من تلك الحطات ٣٠ جندياً نظامياً مسلحين
بينادق « رمنجتون » ومن ٥٠ إلى ٧٥ جندياً غير نظامي من الدناقلة
كما انه كان يوجد في كل محطة عدد مماثل لهذا من الترجمة
مكلفوون بتنفيذ أوامر المحكم والمهير على تحصيل الضرائب المفروضة على
الحاصلين .

ولدى وصول جونكر إلى واندى نزل على بخيت افندي الذى أكرم
وفادته كل الأكرام . وبخيت افندي هذا هو من اهالى « دار النوبة » الواقعة
جنوب كردفان وكان فيما سلف مستخدماً عند « پثيريك » Petherick قنصل
إنكلترا في الخرطوم ثم اندرج في الألائى سودانى وكان ضمن جند الاورطة
السودانية التي حارت في بلاد المكسيك بقيادة المارشال بازين ونال من اجل
ذلك الوسام العسكري ثم ترقى فيما بعد إلى رتبة أميرالاى وتولى قيادة ١ جى

ألاي سوداني في الخرطوم عندما حاصر الدراوיש هذه المدينة وقتل عند وقوعه في قبضة ايديهم . وغوردون هو الذى عينه مديرًا لمديرية مكراكا .

وكان فضل الله افندي وريحان افندي من بلد بخيت افندي أى من مواليد « دار النوبة » وكانوا يسمون انفسهم بـ « الاخوان » . أما احمد الاطروش فكان تركي الحتد .

ويُمكن وصف المنزل الذي وضع تحت تصرف جونكر بأنه منزل مزخرف بالقياس الى المسكن الذي نزل فيه في لادو لاتساع ارجائه وطلاء حيطانه بالجص من الداخل والخارج واحتواه على شبابيك فيسائر الاتجاهات ينفذ اليه منها النور والهواء بكثرة . وكان يورد له احمد الاطروش ماء فراتا للشرب وموزا وشماما وبيضا ولينا وخضرا وحماما .

وصوله الى مكراكا الصغرى ومكراكا الكبرى

لم ينشأ جونكر ان يطيل الاقامة في وندي رغم هذا النعيم الذي كان يتمتع به أثناء وجوده بها وشخص في ٢٢ فبراير الى مكراكا الصغرى الواقعة فيها محطة احمد افندي الافغاني فوصل اليها في اليوم نفسه صحبة المذكور إذ ان هذا هو أيضًا كان عائدا من وندي .

وكانت المحطة مقامة في بقعة جمبلة بالقرب من شهر فاستقبله احمد افندي بغاية البشاشة والليناس وأسكنه في منزل حسن ودعاه الى وليمة تناول فيها أكلة لم يتمتع بعشها من مدة مديدة .

وكان احمد افندى يعتنى ويهم كثيرا بالزرع بدلالة شدة اعتنائه بروضته
الفناء التي أوجد فيها اليمون والنارنج والبرتقال والبلح والشمام والتفاح والخيار
وكل انواع الخضر .

وفي الغد يم جونكر محطة مكراكا الكبرى أو كبايندى وكان يرافقه
فضل الله افندى رئيس المحطة الذى كان عائدا معه من لادو . فروا طول
نهارهم بقرى كثيرة ومزارع شاسعة من الذرة وفي المساء أفضوا الى المحطة
المذكورة .

ولم تقع هذه المحطة من نفس جونكر لدى وصوله اليها موقع الاستحسان
بالقياس الى الحطتين السابقتين وهذه المحطة قائمة على ربوة بجانب خور . ونزل
بنزل رحب يتحلل الهواء .

وعند ما انتشر خبر عودة فضل الله افندى قدم جميع المشائخ للسلام
عليه وتقديم احتراماتهم له وبلغونكى الذى زاره ايضا كبراء الدناقلة . وبذل
فضل الله افندى كل ما في وسعه لمرضاة جونcker . ولما كان جونcker ينوى
القيام بريةادة فقد أحضر له دفلاؤيا بصفة مرشد اسمه حسن كما أحضر له الحمالين
الذين طلبهم .

وفي مارس شرع في الرحيل ابتغاء القيام بجولان دائري حول
المحطة وفي غضون هذه الرحلة زار البقعة التي كانت مقامة عليها محطة
فضل الله افندى القدعة وهي المحطة التي صر بها أميراللأى شاليه لونج بك
من مدة عامين . وزار أيضا زريبة ابراهيم جورجورو Gourgourou وأقام بها
يومين لأنحراف صحته ثم بعد ارتياذه الضواحي عاد الى محطة فضل الله افندى التي

كان رحل منها بعد أن غاب عنها ١٦ يوماً قطع فيها ١٦٠ كيلومتراً .
وفي فترة غيابه سافرت قافلة من وندي إلى لادو تحمل العاج تحت قيادة
بنخيت افندي وكانت فضل الله افندي سيدذهب في إثرها قريباً على رأس قافلة
أخرى . وانهز جونكر فرصة سفر هذه القافلة وأرسل معها مراسلاً له إلى
الخرطوم وأورباً .

وكانت مديرية مكراكا قد أرسلت في أول الأمر كميات وافرة من العاج
أما الآن وقد قلت قطعان الفيلة للاكثار من صيدها فمعظم العاج الذي يرسل
إلى الخرطوم مصدره أرض نiam نiam .

ومع ان جونكر كان شيقاً إلى مواصلة السير من جديد إلا أنه
قرر الترخيص إلى حين قدوم الضابط المصري المبعوث من قبل أميرالألائى
برأوت كمدار مديرية خط الاستواء للقيام بجولة ابتعاء تفتيش مختلف
المحطات وكان قد أشيع خبر وصول هذا المفتش إلى وندي . ولا يجاد شيء
من التلهى كان يزور اليوزباشى محمد افندي الدكتور جونكر وكان يعطيه درساً
في اللغة العربية . وهذا اليوزباشى كان رجلاً تركياً مسناً وظيفته قيادة العساكر
النظمية .

ومر محمد ماهر افندي في هذه الفترة على كابايندى - وهذا الافندي
ترقى فيما بعد إلى رتبة باشا وتعيين وكيلاً لنظارة الجهادية - ثم سافر ليقوم
بتفتيش المحطات الأخرى . وعلى ذلك أعد جونcker معدات السفر ورحل
في ٨ أبريل . وكانت قافلته مـؤلفة من خدمه و ١٠ من الجنالين فارتاد أراضي
« بومبيه » Bombehs ، و « أباكا » Abakas ثم عاد في ٢٨ أبريل بعد أن
قطع ٢٥٠ كيلومتراً .

وأطال جونكر هذه المرة مدة إقامته في كيابيندي . وفي أثناء الأيام الأولى من إقامته زاره ريحان افتدى واليوزباشى محمد افتدى وسائر الموظفين وباقى المقيمين بالمحطة وهنئوه بسلامة الوصول .

وفي ١١ مايو ورد بريد تلقى فيه مكتبات من برلين والخرطوم ومن أمين
افندى من لادو . وكانت مثل هذه المراسلات تبعث في نفسه دواما بهجة
وسرورا لأنها تجعله في اتصال مع العالم المتمدين .

وفي ٢٧ منه سافر جونسون للقیام برحلة ثالثة دائرة ومر في ٣٠ منه
بمکرا کا الصغری ونزل فیہا ضیفا علی احمد افندی ومع ان هذا كان غائبا
فی لادو فلم يحل ذلك دون اکرام وفادته وتأدية جمیع مطالبہ نظرا لاتقاد
ترتیب منزله . وبعد أن أتم جولته آب الی کباینڈی فی ١٣ یونیہ وهو علی^ت
غاية ما یرام من الصحة والعاافية وقطع فی هذه الرحلة ١٥٠ کیلومتر .

وانتشر في اليوم التالي خبر وفاة فضل الله افندي في محطة لادو .
وعند ما طرق الخبر مسامع جونكر توجه الى ريحان افندي فعلم منه ان
الناقل له هذه الاشاعة هم جماعة الاهالي القادمون من وندي . وقبل ان
يتركه أتى عدد كبير من النويين وأكّد صحة الخبر وعلى ذلك أقيمت الرسوم

الواجبة في مثل هذه الحالة .

وبناء على طلب بخيت افندي بارح جونسون في ١٨ يونيو كابايندى وسلك طريقة يمر بـ كراكا الصغرى وهى محطة احمد افندي الافغاني . ومع أن هذا لم يعد من لادو فات جونسون نزل في نفس المسكن الذى نزل فيه في المرة الأولى وبارحه في الغد ووصل الى وندى في ١٩ منه فنزل فيها على احمد افندي الأطروش الذى أكرم وفادته .

وكان جونكر شديد الرغبة أن يباحث بخيت افندي مباحثة جدية
في مسألة سفره إلى كاليفورنيا وأن يطلب منه إمداداته بما يلزم من التسهيلات
أثناء الوصول إليها وإنما فإنه ينوي الذهاب إلى يوسف افندي الشلالي في
منطقة « رول ». وفي غضون هذه المقابلة قال له بخيت افندي انه لم يكن
له فيه ثم مانع من الاذن له بالقيام بهذه الرحلة وأنه سيمدده بالتسهيلات
بقدر ما في طاقته وأنه عدا عبد الله أبي زيد افندي المكلف بتقديمة القافلة
سيرافقة أيضاً احمد افندي الأطروش .

رحلة جونسون الى كاليفورنيا

وصلت القافلة بعد ذلك بزمن يسير من لادو الى وندى وقدم معها عبد الله افندى أبو زيد رئيس محطة نيمابارا وبعض الجنود ولما كان يزمع العودة بعد بضعة أيام سامه جونسون مراسلته التي كان ينسوي إرسالها الى الخرطوم .

وفي نهاية الأمر سافرت القافلة في ٧ يوليه وكان يرافق جونكر فيها احمد الاطروش حسب الوعد الذى قطعه على نفسه بخيت افندى.

وبما ان الاطروش كان يود المرور على محطة أولاً يمتد القافلة ريمو حيث كان في انتظارها الحرس النبوي غير النظامي .

وفي أثناء الطريق لحق بها رسول من وندي يحمل خطاباً فيه دعوة للأطروش بأن يتوجه في الحال إلى مكراكاً وبسبب عدم وجود من يعرف القراءة تقرر الذهاب إلى مكراكاً الصغرى للاستفهام من أحمد افندى الأفغاني رئيسها عما إذا كان لديه شيء من الأخبار . وعند الوصول إلى مكراكاً الصغرى تبين أن مدير مديرية بحر الغزال استدعي سائر مديري المدن المجاورة للحضور ومعهم القوات التي تحت إيدיהם لكي يقاوموا ذلك الخليط المغير على مديريته بقيادة سليمان بن الزبير باشا وعلى ذلك دعت الحالة إلى العدول عن رحلة كاليكا وعاد الجميع إلى كابايندى وهى المقر الذى كان تعين سفر الجملة منه .

وفي ١٦ يوليه سافرت الجملة من كابايندى بقيادة بخيت افندى ومن ضمنها جونكر . غير أنه لما كانت هذه الحوادث وقعت بعيداً عن مديرية خط الاستواء فلا محل لذكرها في هذا الكتاب ونكتفى بالقول إن الجملة ومعها جونكر عادت في ٢٧ أكتوبر إلى كابايندى بعد أن غابت أكثر من ثلاثة أشهر .

ولما كان مع ذلك مقرراً السفر إلى كاليكا أخذت الأئمة لهذه الرحلة وقامت في ١٢ نوفمبر . وكان تقرر الاجتماع في محطة ريمو وان يأتي إليها أحمد الاطروش ورجاله من وندي وذهب إليها أيضاً جونكر فوجد فيها حركة شديدة وكان كل يوم يمر يأتي إليها جموع جديدة من كافة أنحاء المديرية . وكان قد استقر الرأي على أن تتالف الجملة من ٣٠ جندياً نظامياً

وسائل الحماية في طريقها إلى جهة الجنوب في ٢٠ نوفمبر وكانت تقوم بعمليات تارة يسرا وطورا يمينا ولسوء الحظ كان لا بد أن تكون هذه الغارات سبباً في اهراق دماء الأهالي وتخرّب البلدان مع أن الأفضل من ذلك كان بلا جدال استعمال الطرق التي تتفق مع مبادئ الإنسانية . إلا أنه لا يلزم أن تغض النظر عن أن بعض الدول الأوروبيّة تستخدم الأراضي الواقعة تحت قوتها نفس هذه الاجراءات باسم حملات تأديبية وتقترف فيها من الفظائع ما هو أكثر من ذلك .

ووصلت الحملة الى نهاية مرحلتها قبيل اواخر العام بعد أن أسرت ٤٠٠ رأس من الماشية .

وتسمى هذا الكلام مسطرة في الملحق الأول للسنة التالية .

٢ — ملحق سنة ١٨٧٧ م

(١) تقرير

في استكشاف بحيرة البرت نيانزا مقدم من الكولونيل ميسون بك إلى سعادة غوردون باشا حكمدار عموم السودان يقتضى الأمر الصادر من سعادته إلى الكولونيل المذكور .

من الخرطوم في ٢٦ أغسطس سنة ١٨٧٧

إلى سعادة غوردون باشا حكمدار عموم السودان .

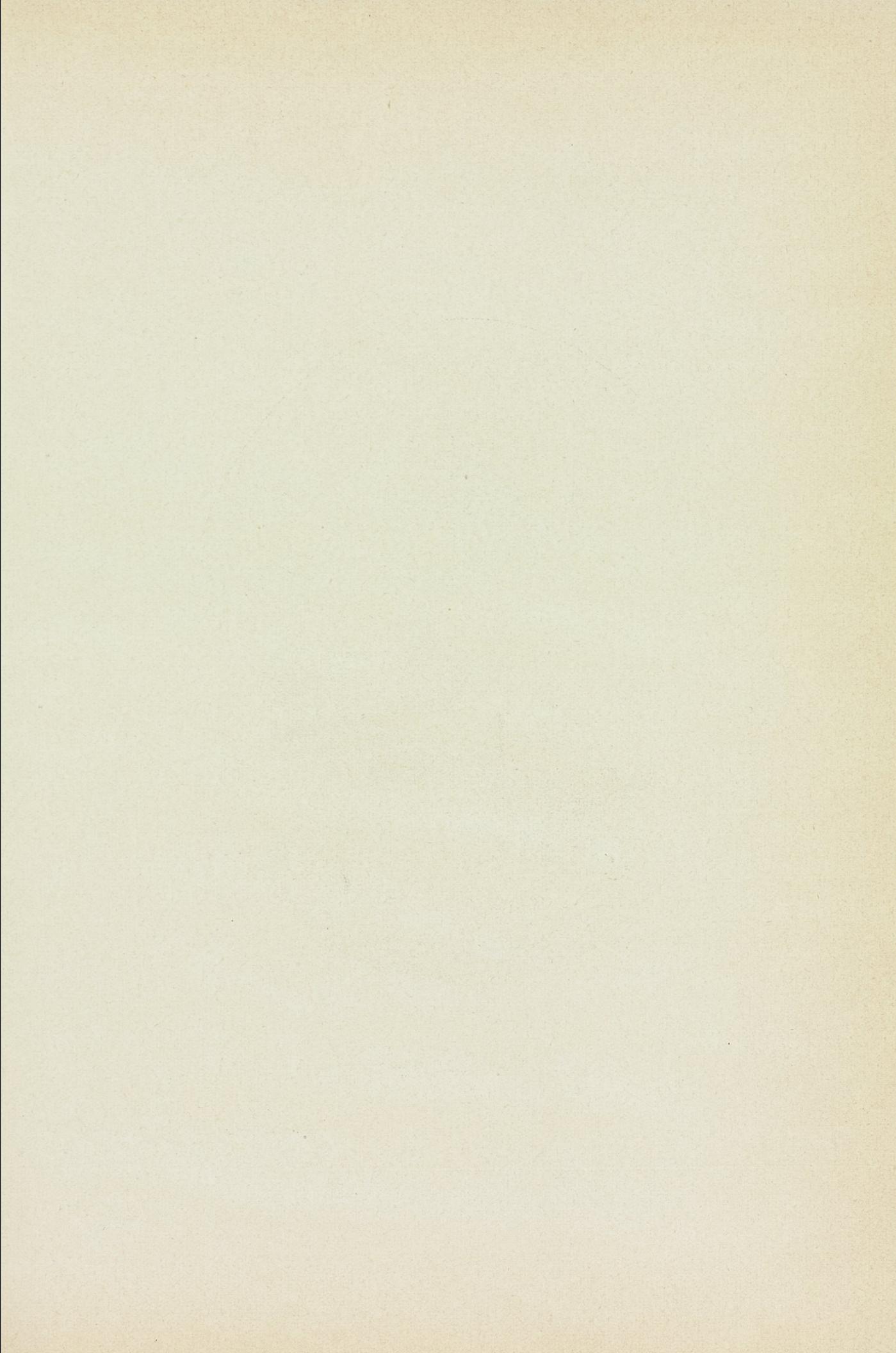
الشرف بأن أخبر سعادتك أنني رجعت من بحيرة البرت نيانزا وهأنا أقدم إليكم التقرير المشتمل على نتيجة مأموريتي هذه مصحوباً بالخرط الاستكشافية والأدلة المختلفة المتعلقة بها فأقول :

قد قمنا من قرية ماجونجو في اليوم الرابع عشر من شهر يونيو سنة ١٨٧٧ ورجعنا اليها ثانية في اليوم التاسع عشر من ذلك الشهر بعد ما استكشفنا مع

(١) — ورد هذا التقرير في نشرة الجمعية الجغرافية الخديوية بمصر (رقم ٥ — سنة ١٨٧٨ م) وفي جريدة أركان حرب الجيش المصري في سنها الثالثة بالجزأين الثاني والثالث من المجلد الثاني سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) ترجمة مصطفى افدي توفيق ملازم ثانى أركان حرب . وقد نقلناه عن هذه الجريدة الأخيرة .



میسون بک



الدقة شواطئ البحيرة بواسطة ركوبنا في المركب البخارية المسماة نيانزا لأن المركب المذكورة بعد أن تجهزت للسفر سارت مدة ٥٢ ساعة وهذا الزمن كان يتيح لنا أن نختبر بالكلية جميع مسالك البحيرة مع الحالات الخصوصية لكافه جهاتها.

ولما سرنا بطول الشاطئ الغربي منها وجدنا أنه يشرف عليه جبال شاهقة تكاد أن تكون واقفة بالكلية ومع ذلك فكان يتراوح لنا أن ذلك الشاطئ يحتوى على سكان كثيرة العدد وفي جميع جهاته كانت منافذ الجبال ومهابط السيول المكونة لأشكال مشتقة توسيع للنظر أن يمتد حيث تشاهد عدة قرى كبيرة وعلى العموم فسكان تلك القرى مقيمون في أودية صغيرة خلف هذه الجبال.

ويستدل على وجود السكان هناك بوجود عدة مراكب صغيرة مربوطة بالشواطئ وبأعمدة الدخان التي ترى صاعدة في الجو فوق تلك الأودية.

وفي اليوم المذكور عند غروب الشمس رميينا مراساة المركب البخاري بالقرب من ساحل أرض مستوية عليها قرية كثيرة السكان محاطة باشجار الموز فانشرحت كثيرا لما رأيت شيخ تلك القرية المسمى « حقيقى » الذى كان أتى ليقرئنا السلام ويده خروف سمين اهداه لنا.

فقال لنا ذلك الشيخ إن اسم تلك القرية هو « نورسوار » وظهر لنا في الحال من حقيقة كلامه أن السبب الاصلى من زيارةه إلينا هو أن ينذرنا لمساعدته فيما صمم عليه من حرب سكان بعض القرى التي في

شمال قريته وعلى مقتضى كلامه ان اهالى تلك البلاد عندهم كثير من الملاسية فالالتزاماً أن ننفع عنه جميع انواع المساعدة ونصحناه بأن يستمر في صلح معهم .

وكان ذلك الشيخ لا يساور من معدن أصفر وقد أخبرنا أنـا
وصلت إليه من رجال أقينا وحقق لنا إنه ليس في قبيلته شيء من
أنواع سن الفيل .

وفي اليوم الثاني أخذنا في الاستمرار في طريقنا إلى الجنوب الغربي وسرنا بجانب تلك الجبال مدة ست ساعات وبعد ذلك أخذ خط الجبال في التبعاد كثيراً إلى جهة الجنوب ونشأ من ذلك بينه وبين الشاطئ سهل متسع جزء منه مغطى بغابة كبيرة كثيفة جداً ووجدنا شواطئ البحيرة مرسوطة جداً في ذلك المكان.

وفي الساعة الثالثة من بعد الظهر دخلنا في خليج متسع وركبنا فيه المرسة
لأجل أن نستكشف تلك الامكينة جيداً ولنحتطب ما يلزم لنا من الخشب
ولنأخذ الملاحظات اللازمة لتعيين خطوط العرض في ذلك المكان .

ذلك محل مستنقعاً كثيراً يوجد خلفه كثير من القرى العديدة السكاك
ثم قمنا من «كفالى» بعد الظهر بقليل وشاهدنا أننا لو اتبعنا ذلك
الشاطئ لرجعنا بسرعة إلى جهة الشرق وبعد ما سار المركب البحارى
مدة ساعتين وصلنا إلى العينج الذى كان أخبرنا به من أهالى كفالى
ووجدنا النهاية الجنوبيّة للبحيرة قليلة العمق ومشحونة بالحشائش ورأينا في الجنوب
الغربي لجزء هذه البحيرة خليجاً آخر كثيراً جداً.

ولما شاهدت الجبال قد انحطت نظرت حينئذ غابة كثيفة جداً فظننت
في مبدأ الأمر أنه لا بد أن يوجد هناك بعض مجاري مياه ولكن لما لم
أجد ولا مصباً واحداً في البحيرة هناك تحققت أن أهالى كفالى كانوا
أخبروني بالحقيقة مع اثنائهم لي أنه ليس في ذلك محل نهر تصب مياهه
في البحيرة.

ثم أتنا أخذنا في الاستمرار في طريقنا وعند غروب الشمس رأينا
مرساة المركب البحارى في وسط أشجار وعمراً قليلاً وجدنا سحاباً كثيفاً
جداً من الناموس محيطاً والذى يظهر أنه في هذا محل أكثر مما على
نهر النيل منه.

وفي اليوم الذى يليه بعد ما دخلت بالتعاقب في جملة مصبات صغيرة
كنت أخبر على الرجوع منها بسرعة نظراً لقلة عمق مائها ودخلت
أخيراً في نهر واسع مياهه مجردة قليلاً ومتوجهة جهة الشمال ولكن مع
سرعة بطيئة جداً ولم يكن مغطى بنباتات طافية على سطح مياهه بل كان
يظهر أنه لا يحمل على سطحه إلا جزءاً من مواد جافة وبعض آثار من الخشب
والبن وكثيراً طافية على سطحه كما لو كانت مملوءة بالماء.

وارتفاع الجبال في ذلك المثلث قليل جداً على الشاطئين وفي الجنوب بين سلسلتي الجبال وخلف نهاية البحيرة يشاهد جبل عظيم منفرد عن الجبال الأخرى . وبقصد الشمس في وقت الزوال تبين لي عرض درجة واحدة و ١١ ثانية من العروض الشمالية وكنا وقتئذ في نهاية الجنوب الشرقي ففيئذ النهاية الجنوبيّة للبحيرة لا تتجاوز الدرجة الأولى من العروض الشمالية المذكورة .

من النباتات .

وباتباعى للشاطئ الغربى فى اتجاه الجنوب كنت أميز من غير تأكيد جبال الشاطئ الشرقى . وأما عند اتجاهى الى الشمال مجانبا فى سيرى للشاطئ الشرقى فأنى كنت أميز جيدا جبال الشاطئ الغربى .

وفي اليوم التالي له مررنا من أمام عدة قرى كبيرة يقال لأحدها أنها محل إقامة «كبابجونزا» أخي كباريجا . وبعدها بقليل صادفنا قرية «كبيرو» وأبعد منها أيضاً وإلى جهة الشمال وصلنا إلى «تيابوته» التي أقمنا فيها ساعة واحدة وأمكنني أن أتحقق ولم يكن نجاحي في منع الأهالى من الفرار فقط بل أزمتهم أيضاً أن يحملوا إلى خشباً من مراكبهم الصغيرة وفي شمال تيابوته أرض البملدة مستوية وبعد ذلك يتوجه الشاطئ إلى جهة الشمال كما تعلم سعادتك جيداً هذا الأقليم .

وتحقيقه الخط المرسوم على خريطة البحيرة وكذا الطريق الذى تبعته الآلة البخارية فى سيرها تتعلق بتدقيق رصد المسht الذى أخذته فى خليج كفالى لأجل تعين انحراف بوصلة الآلة البخارية . وأما الأوضاع الأخرى فقد صار تعينها بطريقة خصوصية .

وقد عينت أيضاً في كفالي فرق الطول بينها وبين ماجونجو والناتج الذي تحصل من حسابي تطابق جداً مع الناتج المتحصل من سير الآلة البخارية وقد استعملت أيضاً الفرق بين العروض المتعينة بالرصد مقياساً لذلك والطريق الذي تبعته المركب في سيرها كان معيناً بدقة زمانية مع حذف السمات وقد عينت المسافة التي بين كل وضعين بالعامل المتوسط الناتج من عدد الدقائق وتعيين أيضاً عدد الأميال المخصوصة بين كل رصدين.

وقد عينت أيضاً طول ماجونجو بأربع رصدات لكسوف بعض الكواكب التابعة للمشتري وصار تعين عرضها بالمتوسط بين عدة ارتفاعات لعدة كواكب في شمال وجنوب سمت الرأس وتحصلت على عروض النقط الأخرى برصد ارتفاعات الشمس في وقت الزوال وفي كفالي قد عينته بواسطة الأفق الصناعي وفي بعض نقط أخرى صار استعمال الأفق الطبيعي وهو سطح البحر وبقية عروض النقط الأخرى هي المتوسط الناتج كما في ماجونجو. وبينت فرق الطول بين ماجونجو وكفالي بواسطة ساعة كانت تسير بالاتظام وكانت منتظمة على حسب سير كرونومتر مضبوط جداً. وأما أطوال الحالات الآتية وهي قرية دوفيليه، ولابوريه، وكري، ولادو فقد تعينت بالطريقة عينها.

والناتج من ذلك وجد متطابقاً جداً مع الفرق المتحصل من فروقات السمات وزيادة على ذلك أضفت إلى هذا التقرير مختصر الارصاد الفلكية . اه

وقد جاء في جريدة أركان الحرب بعد ذلك ما يأتى :-

ولنعم هذا التقرير بما ذكرته جريدة الجمعية الجغرافية الخديوية المرقومة

بنمرة ٥ وهو تقرير مجلس الجمعية المذكورة المنعقدة في ١٧ فبراير سنة ١٨٧٨ وفيه أن سعادة رئيس عموم أركان حرب الجنرال استون باشا اطلع عليه فنقول .

قدقرأ سعادة الجنرال استون باشا هذا التقرير المتعلق بالملحوظات المضيئة المتخصصة باستكشاف بحيرة البرت نيازرا وبين النتائج التي هي الآن متبعه في العلم الجغرافي فأول خبر حكاه سعادته ان قال .

ان بحيرة البرت نيازرا المواتازية كان اخبر بها سائح مشهور وهو حضرة القبطان « سبيك » ومع ذلك لم يكن رآها قط فضلا عن كونه رسم صورتها في خريطةه وذلك بواسطة الاستفهامات التي أخذها المذكور من اهالى تلك البلاد فرسمها بضبط واحكام يوجب التعجب لغاية وفي تلك الحالة قد بين المذكور شواهد جديدة تدل على مهارته العظيمة وان تقريراته على حسب الاستعلامات الصحيحة التي كان يأخذها من هؤلاء المتوجهين الجاهلين .

ولكن الفضل في ذلك يعود على سعادة سير صمويل ييكر باشا فانه اجرى استكشافا حقيقيا عن هذه البحيرة المهمة لأن الموما اليه كان في قرية غندوكورو وقت وصول كل من مسيو « سبيك » و مسيو « جرانات » عند عودتها من سياحتها الشهيرة في بحيرة فكتوريا وذلك في اليوم الخامس عشر من شهر فبراير سنة ١٨٦٢ قال سعادة الجنرال استون باشا فحق لي أن أقول ان هذا الاستكشاف هو أول استكشاف لسير صمويل ييكر أعني وجود بحيرة البرت نيازرا التي كان هو أول رائد لها حيث قال .

قد كنت في قرية غندوكورو من منذ اثنى عشر يوماً وأنا منتظر
قافلة « دبونو » التي ترد من أقاليم الجنوب وكنت أريد أن أصحبها إلى
تلك الأقاليم فيما أنا كذلك في اليوم الخامس عشر من شهر فبراير
سنة ١٨٦٢ إذ سمعت على بعد طلاق بنادق مجتمعة وبعض طلقات منفردة
في جهة الجنوب فلأجل أن أين الأحوال التي اعترني في ذلك الوقت
شرحت ذلك في جرالي المختصر الذي أحرره الان فأقول .

الطلقات البعيدة علامه حضور الجلايين لسن الفيل الدين أنا في
انتظارهم وعندما ما أشعر إلا ومن كان برفقى من الناس قد انقضوا بسرعة
نحو مركبي بحالة مدهشة قائلين أن معهم رجالاً يضم الخلقة آتين من
جهة البحر فقلت أنا في نفسي هل من الممكن أن يكون مسيو سيبيك
ومسيو جرانات فعند ذلك أسرعت في السير إليهم ثم قلت بميبل رأسى نعم
هما هذان وأتبعت هذا بقولي « هورا » لأنجلترة قدية الشرفوها هما
قد أتيا من بحيرة فكتوريا نيانزا التي يخرج النيل منها وحيثند محبيات القرون
السابقة استكشفت الآن .

فانشرحت كثيراً عند رؤيتهم ولكن كان سروري ممزوجاً ببعض الخجل
لأنني كنت أردت أن أقابلهم في محل أحد من ذلك ومع ذلك فقد
اكتفيت بما أجريته من التجهيزات وكنت متحققاً من اتقاذهما إذا كانوا
في حالة الضيق والطريق الذي كنت مصمماً على سلوكه كان يوصلني إليهم
مباشرة لأنهم كانوا آتين من البحيرة بذلك الطريق وجميع من كان بعيتي
انشرحوا جداً وطلقات الرصاص تسبب عنها قتل أحد الحمير التي كانت معى
وقتل هذا الحيوان كان قرباناً محزناً لterminim هذا الاستكشاف الجغرافي وعند ما

شاهدتهم اتجهوا نحو مراكب سائرين الى بطول النهر فعلى بعد مائة قصبة تقربيا عرفت صاحب قدیم العهد وهو مسیو سپیک وخفق قلبي من شدة الفرح ثم ان رفعت لاجله برنيطى وصحت قائلا « هورا » وجريت اليه بكل قوتي .

وب مجرد ما قابلت هؤلاء السياحين أول ما طرق باب فيكري قلت ان سياحتي قد تمت بتلك المقابلة وانهم قد استكشفوا منابع النيل ولكن عندما قدمت اليهم للرهبة بما حصلوه من الشرف العظيم أعطوني تخطيطا مشتملا على سياحتهم يفهم منه أنه ما أمكنهم أن يتمموا استكشاف النيل وأن جزءا كبيرا من مجراه باق لم يتم استكشافه وظهرت لي أنهم قد عبروا النيل من النقطة التي على ٢١٧ درجة من العروض الشمالية بعدما تبعوه من ابتداء بحيرة فكتوريا وهذا النهر بعد خروجه من تلك البحيرة يجري الى جهة الشمال ثم يأخذ بسرعة اتجاه الغرب بالقرب من شلال « كارومه » وهذا المخل هو الذي قد عبروا النيل منه وما رأوا ذلك النهر ثانية مطلقا إلا عندما وصلوا الى النقطة التي على ٣٣٢ درجة من العروض الشمالية وهي التي عندها يتوجه النيل الى الغرب مع الجنوب الغربي .

وقد قالت أهالى تلك البلاد وملك « أونیورو » المسمى « کرازی » إنه من ابتداء كارومه يتوجه مجراه النيل الى الغرب مسيرة عدة أيام ثم يصب اخيرا في بحيرة كبيرة يقال لها « مو تانزیمجه » واتجاه تلك البحيرة يأتى من الجهة الجنوبيه ويدخل النيل في نهايتها ويخرج منها بسرعة من الجهة الأخرى ويمكن ان تستمر المراكب سائرة فيه آخذة اتجاه الشمال الى ان

تصل الى قرية « كوسى » وقرية « مارى » .

ثم لما كان مسيو سيبك و مسيو جرانت يعتقدان الأهمية الكبرى لهذه البحيرة كانت تظهر عليها حالة الكآبة حيث لم يكن لها استكشافها جيدا .

وقد علم مسيو سيبك أنه لا بد من وجود بعض عامة جغرافيين جالسين على كراسهم المزخرفة ويسيرحون بطريقـة في غاية السهولة وهي أن يضعوا أصابعـهم على الخريطة ويسـألون لماذا لم يـسر من هـا هنا إلى هـنـاك ولـمـ يـبعـ النـيلـ لـغاـيةـ بـحـيرـةـ موـتاـريـجـهـ واـيـضاـ منـ تـلـكـ الـبـحـيرـةـ إـلـىـ قـرـيـةـ غـندـوكـورـوـ وـقـدـ كـانـ مـنـ الـمـسـتـحـيـلـ اـنـ مـسـيـوـ سـيـبـكـ وـ مـسـيـوـ جـرـانـتـ يـتـبعـانـ نـهـرـ النـيلـ مـنـ اـبـتـداءـ كـارـومـهـ لـأـنـ الـأـهـالـيـ كـانـتـ مـشـتـغـلـةـ بـغـارـةـ الـمـلـكـ الـمـسـمـىـ « كـراـزـىـ » وـلـمـ يـسـمـحـواـ لـاجـنـىـ بـعـبورـ بـلـادـهـ .

وحيـنـذـ فـالـمـوـماـ الـيـهـاـ قـدـ اـخـذـاـ الـاسـتـهـامـاتـ بـالـاعـتـنـاءـ عـلـىـ قـدـرـ الـامـكـانـ وـتـمـاـ خـرـيـطـهـاـ وـرـسـماـ الـبـحـيرـةـ فـيـ الـوـضـعـ التـوـهـمـيـ لـهـاـ بـاتـبـاعـ مـجـرـىـ النـيلـ مـنـ بـعـدـ خـرـوجـهـ مـنـ تـلـكـ الـبـحـيرـةـ عـلـىـ حـسـبـ اـسـتـعـلـامـهـاـ مـنـ الـأـهـالـيـ .

وقد وصل مسيو صمويل يـيـكـ إلى شواطـيـءـ الـبـحـيرـةـ فـيـ الـيـوـمـ الـرـابـعـ عـشـرـ مـنـ شـهـرـ مـارـسـ سـنـةـ ١٨٦٧ـ بـالـقـرـبـ مـنـ قـرـيـةـ فـاـ كـوـفـيـاـ وـقـدـ وـصـفـهـاـ كـامـلـاـ فـقـالـ .

انـهـ عـنـدـ وـصـولـنـاـ إـلـىـ تـلـكـ الـبـحـيرـةـ لـمـ تـكـنـ أـشـرقـتـ شـمـسـ الـيـوـمـ الـرـابـعـ عـشـرـ مـنـ شـهـرـ مـارـسـ وـقـدـ حـثـتـ التـحـرـرـ الذـيـ أـنـاـ رـاكـبـهـ عـلـىـ الـمـسـيرـ بـاـنـ وـكـزـهـ بـمـهـمـوزـ الـجـزـمـةـ لـاـنـ جـمـيـتـيـ وـغـيـرـتـيـ كـانـتـ مـتـوـجـهـةـ إـلـىـ الدـلـلـ الذـيـ كـانـ

متقدماً علينا و كنت وعدته بتضييف ما شرطت عليه أخذه مني من الخرز
عند وصولنا الى البحيرة وكان ذلك اليوم صحواً معتدلاً وبعد ما عبرنا
وادي عميقاً محصوراً بين التلول تسللنا على ميل الجبل المقابل لنا وقد أدرّكنا
فته بكل سرعة فعند ذلك انتشرت أمامِّي عينانا مكافأة المشقات التي
كابدناها وهي انه رأى لنا ان أسفل منها بحر من زيق وأن طول
امتداد البحيرة يحدد الأفق من جهة الجنوب والجنوب الغربي وكانت البحيرة
تقدح ناراً بصادمة اشعة شمس الظهرية لسطحها وانه في جهة الغرب من هذه
البحيرة على مسافة خمسين أو ستين ميلاً يظهر ان عدة جبال لونها ضارب
للزراقة خارجة من الماء وتصل الى ارتفاع يقرب من ٧٠٠٠ قدم أو
« ٢١٥٠ متر » .

وكان من المستحيل أن أصف علامات الظفر التي حصلت عليها
وحصلت أيضاً على كافة أشعاري جميعها وجميع السنوات التي كنت في مدتها
أتبع أغراضي مع المعاندة الشديدة في إفريقية الوسطى « وقد استكشفت الجلتة
منابع النيل »

و قبل أن نصل الى البحيرة كنت اتفق أننا ومن معى من الناس على
أن نصيّح ثلاث مرات بلحظة « هورا » كعادة الانجليز بسبب هذا الاستكشاف
ولكن الآت لما تأمات من هذا البحر المتسع الداخلي الموضوع في وسط
إفريقية تذكرة السعي الذي اجهدت فيه الناس من مدة قرون من
الستين السالفة لا جعل أن يصلوا الى هذه النقطة من الكورة الأرضية
وافتكرت إذن أن الآلة الوحيدة المتنبّهة لتبين حقيقة جزء من الكورة
الأرضية وذلك عبارة عن سرّ مخبأً كان لا يمكن القرب منه لـكثير من

هـ أـعـظـمـ مـنـ قـدـرـاـ وـحـسـسـتـ أـنـهـ اـعـتـرـأـنـىـ عـدـةـ أـفـكـارـ مـفـرـحةـ لـلـغـاـيـةـ تـحـشـىـ
عـلـىـ الصـيـاحـ بـعـدـ أـصـوـاتـ عـالـيـةـ تـبـيـئـىـ عـنـ حـالـةـ الـفـرـحـ الـتـىـ قـامـتـ بـىـ فـىـ
ذـلـكـ الـوقـتـ وـحـمـدـتـ اللهـ تـعـالـىـ بـكـلـيـةـ قـلـبـىـ حـيـثـ نـجـانـاـ وـجـهـانـاـ مـنـ كـافـةـ الـاخـطـارـ
الـشـاقـقـةـ حـتـىـ تـوـصـلـنـاـ إـلـىـ مـقـصـودـنـاـ وـكـنـتـ وـقـتـئـنـدـ مـرـتـفـعـاـ عـنـ سـطـحـ مـاءـ الـبـحـيرـةـ
بـقـدـرـ ١٥٠٠ـ قـدـمـ تـقـرـيـبـاـ لـأـنـىـ كـنـتـ عـلـىـ جـزـءـ مـنـحدـرـ بـالـكـلـيـةـ مـنـ حـجـرـ
الـجـرـانـيـتـ وـمـاـ أـمـكـنـىـ أـنـ اـحـولـ نـظـرـىـ عـنـ هـذـهـ مـلـيـاهـ الـمـبـارـكـهـ وـعـنـ هـذـاـ
الـحـوـضـ الـمـتـسـعـ الـذـىـ تـغـزـىـ مـنـهـ أـرـضـ مـصـرـ وـيـخـصـبـ الصـحـرـاءـ فـىـ سـيـرـهـ
وـكـانـ هـذـاـ الـمـنـبـعـ الـكـبـيرـ مـخـبـأـ مـنـ مـنـذـ زـمـنـ طـوـيلـ عـلـىـ مـلـاـيـنـ مـنـ أـفـرـادـ
الـنـوـعـ الـبـشـرـىـ مـعـ كـوـنـهـ عـبـارـةـ عـنـ فـاعـلـ خـيـرـ لـهـمـ مـبـارـكـ وـهـوـ مـنـ عـجـائـبـ
الـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ وـأـرـدـتـ أـنـ أـسـمـيـهـ بـاسـمـ شـهـيرـ فـلـاجـلـ التـذـكـارـ دـائـمـاـ بـاسـمـ
الـشـخـصـ الـذـىـ تـوـفـىـ أـخـيـرـاـ وـحـزـنـتـ عـلـيـهـ جـلـالـةـ الـمـلـكـةـ هـىـ وـجـمـيعـ وـالـأـمـمـةـ
الـإـنـجـلـيـزـيـةـ قـدـ سـمـيـتـ هـذـهـ الـبـحـيرـةـ الـكـبـيرـ بـهـذـاـ الـاسـمـ «ـ الـبرـتـ نـيـازـاـ »ـ وـ حـيـلـتـهـ
فـيـ بـحـيرـةـ الـبرـتـ نـيـازـاـ وـبـحـيرـةـ فـكـتـورـيـاـ هـمـاـ مـنـبـعاـ النـيلـ .

وـالـمـدـقـ الـمـعـوـجـ الـذـىـ يـقـضـىـ الـحـالـ سـلـوكـهـ لـنـزـولـنـاـ إـلـىـ شـاطـىـءـ الـمـاءـ كـانـ
وـاقـفاـ وـصـعبـاـ جـداـ حـتـىـ انـجـبـرـنـاـ عـلـىـ أـنـ تـرـكـ أـبـقـارـنـاـ خـلـفـنـاـ بـرـفـقـةـ دـلـيلـ وـأـمـرـنـاهـ
أـنـ يـذـهـبـ بـهـاـ إـلـىـ مـاـجـونـجـوـ وـيـنـتـظـرـ فـيـهـاـ حـضـورـنـاـ .

ثـمـ شـرـعـنـاـ فـيـ النـزـولـ مـشـاـةـ وـابـتـدـأـتـ فـيـ أـنـ أـسـيـرـ مـتـكـئـاـ عـلـىـ عـصـاـ قـوـيـةـ
وـبـهـاـ أـنـ زـوـجـتـيـ كـانـتـ ضـعـيفـةـ جـداـ وـمـنـحـلـةـ العـزـمـ بـالـكـلـيـةـ كـانـتـ تـنـحـنـىـ عـلـىـ
أـكـسـافـيـ عـنـدـ النـزـولـ وـكـانـتـ تـهـفـ فـيـ سـيـرـهـاـ مـنـ عـشـرـينـ خـطـوـةـ إـلـىـ اـخـرىـ
لـلـاـسـتـراـحـةـ وـبـهـدـ ماـ نـزـلـنـاـ بـكـلـ مـشـقـةـ مـدـةـ سـاعـيـنـ تـقـرـيـبـاـ وـنـحـنـ ضـعـيفـونـ
دـائـمـاـ بـالـحـمـىـ الـتـىـ كـانـتـ مـلـازـمـةـ لـنـاـ مـدـةـ عـدـدـةـ سـنـوـاتـ تـقـويـنـاـ الـآنـ

بحصولنا على النجاح ودركتنا السهل المتصل بقاعددة تلك الصخور وبعدما
مشينا مسافة تقرب من ميل في أرض مستوية مرملة ذات اجزاء هشة جداً .
مغروسة بأنواع الأشجار التي يكثر فيها شجر العوسج وصلنا إلى شاطئ
الماء فوجدنا ان موج تلك البحيرة يتبدل شمله بملاظمه لشاطئه من الحصا
الإيض فعند ذلك أسرعت في الدخول في البحيرة حيث اعتدنا الظاء
الشديد من كثرة الحر والتعب ثم ان شربت عدة جرعات كبيرة بشهية
عظيمة من منابع النيل وعلى مسافة أقل من ربع ميل توجد قرية أهلها
صيادون تسمى فاكوفيا وفيها أقنا بعض أوقات وفي كل جهاتها تشم رائحة
السمك وجميع ما ينظر هناك يدل على الصيد .

وليس عمليّة الصيد صغيرة كالتى تصنع في بلاد الانجليز بواسطة خيط
رفيع وصنارة صناعية بل كانت جملة من الخطاطيف مع جزء عظيم من
خيوط يقرب سماكة من سمك الأصبع الصغير موضوعة فوق الاخصاص
لأجل التجفيف ومسلحة جميعها بصنایر من الحديد هيئتها تعطى فكرة عجيبة من
خصوص الاسماك المهوولة الخلقة الموجودة في بحيرة البرت نيانزا .

ولما دخلت أحد تلك الاخصاص وجدت كمية عظيمة من ادوات الصيد
وخيوطاً جيدة الصناعة من الياف شجر الموز قوية جداً وذات مرونة ويمكن
أن تقاوم أعظم شدة تحصل من سماكة كبيرة .

والصنایر المذكورة وان لم تكن اطیفة الصناعة لكنها مزينة بعدة
كلايلب يتغير سماكتها من أصبعين الى ستة ووجدت أيضاً عدداً عظيماً من
الخطاطيف المعدة لصيد حصان البحر موضوعاً في أعظم ترتيب وبمجموع ذلك
الخاص يفيد أن صاحبه له بغيّة عظيمة في صيد السمك والخطاطيف المعدة

لصيد حصان البحر هي عين ما هو مستعمل عند العرب المهاوية في تلك على حدود الجبسة لها نصل ضيق يقرب عرضه من ان يكون ثلاثة ارباع اصبع مع كلاب واحد فقط وحياتها مصنوعة جيدا من الياف الموز والعوام عبارة عن قطعة كبيرة من خشب العنبج قطّرها نحو خمسة عشر اصبعا والأهالي يقذفون تلك الخطايف على خيول البحر وهم في مراكبهم ثم ان تلك العوامات الكبيرة هي ضرورية لامكان اتباعها بسهولة عندما يكون الماء مضطربا.

ومنظور البحيرة احدث لاصحابي حيرة عظيمة وكانت السياحة طويلة جدا ومملوءة بالاكتار لما انهم قطعوا العشم من وجود بحيرة وتصوروا انى كنت اقودهم الى جهة البحر وصاروا منتظرين تلك الفرجة الحالية مع غاية الاندهاش ثم ان اثنين من بينهم كانوا قد رأيا البحر الايضاً المتوسط في اسكندرية فاظهرا لنا اننا بالقرب من البحر ولكن لم يكن مأوه مالحا.

ثم ان قريه فاكوفيا هي عبارة عن محل محترق وأرضها مملوءة بالملح بحيث يستحيل زرع اي نوع من المزروعات فيها وذلك الملح هو محصول طبيعي في تلك الأقاليم وجميع الأهالي يستغلون بتجهيزه ثم يتحصلون بطريق العوض منه على الذخائر الازمة لهم في بلادهم وتوجهت لأجل مشاهدة الحفر التي يستخرج الملح المذكور منها فوجدت عميقها يقرب من ستة اقدام ويخرجون منها طينة مسودة مرملة ويضعونها في ازيار كبيرة من الفخار موضوعة على كرات من الخشب وهذه الازيار مشقوبة من قاعها ثقوبا صغيرة ثم يملؤنها بالماء فيرشح ذلك الماء من تلك الازيار في ازيار اخرى ويكون ممزوجا أيضا مع جزء من الطين ويستمر على اجراء ذلك

إلى أن يحصل ماء مشحون بالملح فعند ذلك يودون الحطب أسفله فيتصاعد الماء بخاراً ويبقى الملح راسباً ويكون لونه مبيضاً إلا أنه من واظن الملح المذكور ناتج من تحليل الحشائش التي تنبت في قاع البحيرة المحتوية على مقدار عظيم من البوتاسي وتقذفها الأمواج على الشاطئ فتصير ترباً فيجرون عليها ما تقدم والارض المستوية المرملة التي تتدلى إلى مسافة ميل بين البحيرة وقاعدة الارتفاع الصخري الذي ارتفاعه الف وخمسين قدم يظهر أنها هي التي كانت مكونة سابقاً لقاع البحيرة.

وعموماً فان الأرض المستوية في فاكوفيا تشبه خليجاً لأن الصخور المكونة حولها للقوس الذي فتحته خمسة أميال تسقط في البحيرة بيسول واقفة من يمين وشمال ذلك المنحنى الذي في مركزه ساحل كبير أرضه مستوية ثم أنه إذا ارتفع سطح ماء تلك البحيرة عن أصله بمقدار خمسة عشر قدماً فان جميع ذلك الساحل يصير كالمغموم بالماء لغاية قاعدة تلك الصخور المرتفعة.

وفي صباح اليوم الثاني عند شروق الشمس أخذت البوصلة وصحبتي شيخ القرية ودليلي المسئي « رابونجو » والمرأة المسماة « بخيتة » وتوجهت إلى شاطئ البحيرة لأجل عمل بعض رسومات والسماء كانت في غاية الصحو وبواسطة نظارة قوية أمكنني أن أميز على الشاطئ المقابل لنا سقوط مياه غديرин قاطعين باتجاهيهما المبينين جوانب الجبال.

ولو أن تلك السلسلة المرتفعة كانت محددة بغایة الوضوح على زرقة السماء وفيها عدة انخفاضات عميقه تدل على مجاري سيول عظيمة فما أمكنني أن أميز إلا الشلالين الكبارين اللذين تسقط منها مياه الفدرين مشابهة

لحيوط الفضة .

ولم تشاهد قاعدة أدنى شيء حتى ولا قاعدة الجزء الذي ارتفاعه ١٥٠٠ قدم الذي شاهدت منه أولاً ذلك الماء وليس حادثة النظر الازمة بدون شك للمسافات الكبيرة هي وحدتها التي تخفي قاعدة الارتفاعات تحت الأفق بل كان هناك اعمدة كثيفة من الدخان يرى أنها تصاعد من فوق سطح الماء مع أنها يمكن أن تكون ناشئة عن حرق حشائش المراعي الكائنة أسفل الجبل .

وتحقق لي ذلك الشيخ أن مراكب كبيرة عبرت من شاطئ إلى آخر من البحيرة ولكن تلك السياحة كانت استدعت ثلاثة أيام أو أربعة وكان يلزم في مدتها أن يجذف بالمجاذيف بغاية الشدة وكثير منها قد غرق في مدة العبور وان مراكب الاونيون لم تكن مصنوعة لأجل سياحة خطرة جداً كهذه .

ثم ان الشاطئ الغربي للبحيرة تابع لحكومة ماليجا الكبيرة التي ملكها الملك « كاجورو » يمتلك مقداراً وافراً من المراكب وكان هذا الملك يتجر مع كرازى في محل كائن في مقابلة ماجونجو التي عندها ينضم شاطئ البحيرة بحيث يمكن عبورها في يوم واحد وعلى حسب ما أخبرني به الدليل أن ماليجا هي بلدة ذات شوكه وأكثر امتداد من الاونيون ومن الاوغندة .

وفي جنوب ماليجا بلدة تسمى توري محكومة بملك يسمى بهذا الاسم أيضاً وأما الجهات الأخرى بعد الجهة الشمال الشاطئ الغربي فلا يمكن أحداً أن يعرف عنها أدنى شيء .

ومن المعلوم ان هذه البحيرة تتد نحو الجنوب لغاية كراجوه وطالما تكرر لى التاريخ القديم الذى مضمونه ان رومانيا ملك تلك البلاد كان من عادته سابقا ان يرسل الى « اوتمي » الكائنة فى شمال البحيرة عدة سريات لاجل التحصل على سن الفيل وكيف ان مراكبه تقدمت سابقا الى ان وصلت الى ماجونجو وهذا قد أكدى ما اخبرنى به مسييو سپيك فى غندوكورو وهو ان رومانيا ارسل الى اوتمي صيادين الافيال .

ثم ان الشاطئ الشرقي محدد من الشمال الى الجنوب بالاماكن الآتية وهي كوبى و الاونيورو و الاوغنده و الاوتنى و الكاراجوه ومن هذه النقطة الاخيرة التي لا يمكن ان تكون على أقل من درجتين من العرض الجنوبي يقال ان البحيرة تنبعطف دفعه واحدة الى جهة الغرب وتمتد في هذا الاتجاه بدون ان يمكن تحديد نهايتها وفي شمال ماليجا وغرب البحيرة بلده صغيرة تسمى « محارولى » ثم تعقبها قرية « كوسهى » في غرب النقطة التي يخرج النيل عندها من البحر الداخلى .

واما في شرق النهر فتوجـد صحراء قرية مادى فى مقابلة كوسىهى وقد اخبرنا الدليل وشيخ فاكوفيا ان مراكب ستحملنا الى ماجونجو عند النقطة التي فيها نهر السميرسه الذى تركناه فى كارومه يصب فى البحيرة ومع ذلك اخبرنا انه من المستحيل سلوك ذلك النهر لأنه من ابتداء كارومه الى مسافة صغيرة جدا يتكون فيه عدة شلالات متولدة .

وكان النيل قابلاً لأن تسيير فيه المراكب مسافة عظيمة من ابتداء خروجه من البحيرة إلى كوسهى ويمكن لبعض المراكب أن تنزل في النهر المذكور إلى قرية مادى.

وقد اتفق رأى الاثنين معا على ان موازنة سطح ماء بحيرة البرت نيانزا لا ينخفض عن مقداره في ذلك الوقت وانه لا يرتفع مطلقا فوق بعض علامات مصنوعة على شاطئه من الرمل يظهر منها زيادة قدرها أربعة أقدام وساحل البحيرة عبارة عن رمل رفيع جدا تكسر عليه الأمواج عند وصولها اليه كما يحصل ذلك لامواج البحر وترسب فيه نباتات مائية كالنباتات البحرية المطروحة على شواطئ بلاد الأنجلوز.

وأما عرض فاكوفيا فإنه يقدره ١٥ دقيقة عرضًا شمالياً وطولها ٣٠ درجة و٥٠ دقيقة طولاً شرقياً . واما النقطة الاكثر قربا الى الجنوب التي وصلت اليها من ابتداء سفرى من مخارقى فانها تقابل عرضًا قدره درجة و ١٣ دقيقة . واما مسيو صمويل ييكر فلم يتيسر له ان يشاهد في جنوب بحيرة موتانز بحيرة ابعد من فاكوفيا « التي عرضها الشمالي درجة و ١٥ دقيقة وذلك بناء على ارصاده » إلا انه على حسب الادلة التي كانت تعطى له من الأهالى ثبت عنده ان المياه كانت تتدفق جهة الجنوب بعيدا عن مملكة كراجوه اعني الى بلدة رومانيا كما ان خريطة مسيو صمويل ييكر تبين البحيرة لغاية عرض درجة و ٣٠ دقيقة من جنوب خط الاستواء ومن ابتدائها ترك صورة الخريطة غير تامة .

وفي شهر يوليه سنة ١٨٧٩ ساح المسيو جيسى بناء على أمر سعادة غوردون باشا حكمدار عموم مديريات خط الاستواء ودخل في البحيرة بسلوكه نهر النيل وعلى مقتضى كلامه أنه مر في جميع امتدادها مستكشفا شواطئها حسب ما هو موضح في الخريطة التي قدمها .

وهذه الخريطة تبين ان وضع فاكوفيا على مسافة تقرب من ٢٥ ميلاً من

شمال غابات العنبر الذي يحدد البحيرة من نهايتها الجنوبيّة.

والآن على مقتضى كلام مسييو استانلى و مسييو جيسى و تھرير الكولونيل ميسون بك الذى في غاية التفصيل هل يعتبر أن هناك سدا في جزء ضيق قليل العمق من البحيرة أو يقال أنه يوجد أيضا في جهة الجنوب بحيرة أخرى ذات امتداد عظيم يمكن أن تكون متصلة ببحيرة البرت .

وهذا سؤال مفصل جداً ومهماً في الجغرافيا وهو باق إلى أن يحل بمعرفة المستكشفين المستجددين وليس من المفيد أن نضيع أنفسنا في الفروضات بل يلزم أن نصبر إلى أن يعمل استكشاف حقيقي في الجزء الذي بين النقطة الأكثر بعدها جهة الجنوب التي وصل إليها الكولونيل ميسون بك والمياه التي نظرها مسيرو استانلي بالقرب من خط الاستواء.

فإن كانت المسائل الجغرافية الكبيرة المختصة باقريحة الوسطى هي الآن
تامة فلم ينزل باقيا حل مسائل كثيرة مثل هذه مهمة جدا وبعض أشغال كثيرة
جدرة بالاعتناء يفعليها المستكشفون أولو الجرأة والصداقة.

ولأجل أن نرجع إلى التكلم على استكشاف بحيرة البرت الذي حضر من عمله الكولونيال ميسون بك نقول أنه كان معه الآلات الالزمة الجيدة وامكنته عمل الارصاد الدقيقة الشافية التي يلزم اعتمادها وزيادة على ذلك فان تلك الارصاد تثبت بجموعها الملاحظات الصغيرة التي يدها سابقاً مسيو « جيسى » .

وزاد قائلاً سعادة الجنرال استون باشا وكيل الجمعية الجغرافية الخديوية ان وسط افريقيا صار مستكشفاً ومعروفاً من منذ سياحة مسيو استانلى وان الجغرافية تحصلت على اصول الاستكشاف وحيثما فالعلم الطبوغرافي منوط بان يبين درجة الضبط والتفصيل الالزمة لها .

٣ — ملحق سنة ١٨٧٧ م

مأموريت الدكتور أمين افندي في الأونيونرو

من ٥ يوليه الى ٢٥ أكتوبر

سفره الى « امبارانياما جو » .

استدعي غوردون باشا الذي تعين حكمدارا عاما لاسودان أمين افندي الى الخرطوم فوصل اليها في ٣٠ أبريل وكلفه بِمأموريته لدى كبار بجا ملك الأونيونرو تشبه مأموريته السالفة في أوغندا ثم يذهب من أونيونرو ويؤدى زيارة الى متيسا ملك أوغندا . وكان يقصد بهذه الارساليات حفظ وصون حسن الجوار مع جيرانه وتنمية منزلة مصر في تلك الاصقاع .

وبعد ان تلقى أمين افندي التعليمات من الحكمدار العام بشأن مأموريته زايل الخرطوم موليا وجهه شطر لادو وسافر من هذه على متن باخرة في ٥ يوليه قاصدا دوفيليه فدخلها في ٥ من الشهر عينه ولبث بها لغاية ٢٥ منه ثم رحل عنها بطريق النيل متوجهًا الى ماجونجو الواقعه في طرف بحيرة البرت نيانزا الشمالي . وفي هذه الناحية ترك طريق النيل وسار برا عن طريق « كيروتوا » Keroto و مازندي فوصل الى مرولى في النصف الاول من شهر أغسطس . وهنا التزم ان يتربص بعض أويقات بسبب المخارات التي دارت بعية حصوله على تصريح من كبار بجا بدخوله أونيونرو . وحالما

وسلم هذا التصریح شخص فی ١٣ سبتمبر قاصداً « کیسوجا » Kisoga التي ترك فيها جميع متاعه خشية أن يطلبه کباريحا حسب عادته .

ومن کیسوجا توجه الى « لوندو » Londu حيث التزم أن يحصل على انس من رجال کباريحا بصفة جمالين لأن الحماليين الذين كانوا معه أتوا ابتداء من مرولى أن يدخلوا أرض ملك الأونيونرو عدوهم الألد . وعاق مسیره مطر هطال غير أنه وصل في نهاية الأمر في ٢١ سبتمبر الى مقر کباريحا في « أمبارا نیاماچو » Mpara Nyamagos .

وكانت الأكواخ المعدة لسكنه قائمة على راية على بعد ربع ساعة من محل اقامة الملك . ولدى قدوم أمرين افندى أطلق تبادق لتحيته . وأتى أحد رجال حاشية کباريحا المسماى عليا متسلحاً بيذلة التشریفة الكبرى لمقابلته وأبدى انه يعد نفسه سعيداً لرؤيته .

ولم يأت « کاتيكيرو » Katikiro الوزير الاول لکباريحا إلا في ساعة متأخرة من الليل ليربح بقدومه وليقول له ان الملك كان يتودى مقابلته في ذلك اليوم غير ان المطر حال دون ذلك وانه لهذا السبب عينه ما امكن اقتياد الشيران التي هيئت له وانه يرجو التجاوز عن هذا التأخير . فأجابه أمرين بقوله انه معتبر وشاكر للمملوك وانه لم يأت ليطلب شيرانا وأنه اذا لم يكن لدى کباريحا شيء منها فهذا أمر يمكن الاستغناء عنه تماماً .

أما على فكان واثقاً بأن يتوصل الى عقد معاهدة مع الملك .

مقابلته لملك أوني—ورو

وفي ٢٣ سبتمبر في الساعة ١١ صباحاً تقريراً قدم دليلاً أمين أفندي متسللاً ثوباً «قطاناً» وعلى رأسه طربوش وقال له إن كباريحا مستعد لمقابلته. فاتسح في الحال كسوته وركب جواداً وسار الموكب بالنظام التالي وهو : في المقدمة ثلاثة من المتوجلين والترجمان والرجال الحاملون المهدايا وأمين أفندي ويأوره ثم على .

وبعد أن صر الموكب ببعض زرائب ومساكن افضى إلى ميدان مكشوف فيه قاعة رحبة لها بابان كبيران أحدهما من الجهة الإمامية والثاني من الخلف . وهذه هي القاعة التي بها عرش كباريحا . وفي وسطها مصطبة مرتفعة من التراب مذكورة ومحصورة بين عمودين حاملين لسقف القاعة . وفي وسط هذه المصطبة يوجد مقعد كان الملك جالساً عليه ومرتدياً ملابسه الوطنية أي أنه مستور لغاية صدره بقطعة من النسيج لونها مشروب بحمرة وما فوق ذلك مع رأسه عار ويحف به نحو الخمسين شخصاً جلوساً هذا عدا عدد يتراوح بين الأربعين والخمسين في الخارج .

ولما كان مقعد أمين أفندي موضوعاً بجانب العرش جلس عليه وقدم جواب اعتماده بوصف أنه نائب عن الحكيم العام . وبعد فتحه بمعرفة اتباع الملك أعيده إلى أمين أفندي ليقرأه إذ أنه لم يكن هناك من يعرف القراءة . ثم بعد تلاوته أعرب كل منها عن سروره من هذه مقابلة وأعرب كباريحا بما يكتنه شعوره من الحب والود نحو حكومته وعن رغبته في قبول كل اقتراح يعرض عليه . وعندئذ قدمت المهدايا ويظهر أن

الشيء الذي نال أكثر اعجابه هو الصابون المعطر والنقوش وهذه عبارة
عن ٣٠ ريالاً عدت مرتين . وبعد استراحة شتى في عدة موضوعات ومحادثة
جعلت الجلسة تستمر زهاء ساعتين ونصف ساعة انصرف أمين افندى باحتفال
كالذى عمل لدى قدومه .

وفي ٢٣ سبتمبر عند منتصف النهار أتى كاتيكير وأخبره أن الملك في انتظاره فذهب إليه في الحال . ولما كان القوم قد سهوا عن استحضار كرسى أمين افندى وقف يتحادث مع كبار يجأ إلى أن احضروه وعندئذ جلس هو وجلس الجمّع واشترك الكل في الحديث إذ أن الاصطلاحات الرسمية لم تكن مرعية كما هو الحال في أوغندة .

وأجابه أمين أفندي إن الحكومة تشعر نحوه بنفس هذا الشعور . فإذا كان يرغب الحصول على اعانة مالية ترسل اليه سنويًا فما عليه إلا أن يصرح بذلك وهو في امكانه ان يكفل نيله ما يطلب وإذا كان يريد أن يتدب وفدا ليذهب الى القاهره فهو يعطيم جوازا للمرور وإذا كان هو

نفسه يشتق ان يذهب اليها ، وهذا هو الافضل ، فعندئذ يظل امين في عاصمة ملكه رهينة لحين عودته . أما ريونجا و اتفينا فقد قال للملك عنهم ان من رأيه انه يجب عليه الرجوع الى جزرهم و انه لا يقطع على نفسه وعدا بأن يأتي اليه بها ولكن اذا رجع هنا مرة أخرى فهو يبذل كل ما في وسعي ليصلح فيها ينهم جميعا .

ويظهر ان كل هذه المحادثات أتعجبته فقال ان أمينا هو الرجل الاكثر رشدا بين جميع من وقمع بصره عليهم وعرض عليه ان يبقى لديه طلبا للراحة ثم يسافر الى مرولي فالخرطوم و معه الوفد الذى سيرافقه اليها و طلب منه امين ان يرسل انسانا يفهمون اللغة العربية حتى يستطيعوا ان يتتحققوا انه لا يقول شيئا ما للباشا يخالف ما جرى بينها في الحديث . وعلى ذلك تناول كباريحا يد امين افندى وقال له : « نحن اخوان » . وبما ان الجلسة استمرت زمنا ليس بالقليل فقد استأذن امين افندى وانصرف .

وفي ٣٠ سبتمبر أرسل الملك في طلب أمين افندى ولدى وصوله وجد المجلس حافلا بالناس أكثر مما كان بالعشى ودار الحديث على جغرافية البلد والوان البشر من أيض وأسود ولكن أمينا لم يستطع ان يحصل على معلومات كثيرة عن الموضوع الأول . وبعد ان لبث قليلا انصرف .

ووصل قبل سفره بزمن يسير او بashi وجندى وترجمان من محطة « ماجونجو » ففتح كباريحا كلها منهم بصفة هدية زنجيا وثورين وطلب الى أمين افندى أن يأخذهم معه ووضع في الوقت ذاته تحت أمره سعاة يحملون مراسلاته التي يريد ان يبعث بها الى مرولي ليبيس فيها سبب اطالله اقامته عنده وليحدد ما ربما يعلق بالذهان من المخاوف نظرا لهذه الاطالة . وكان الجندي قصوا

٧ أيام في الحجى ثم رجعوا حاملين مراسلات أمين افندى التي بعث بها إلى غوردون باشا ومرجان افندى الدناصورى (١) قومندان محطة ماجونجو وهو ضابط سودانى حضر حرب المكسيك وأنعم عليه بالوسام العسكرى .

وانتهت مأمورية أمين افندى لدى كباريحا على ما يرام . واتضح ان كباريحا لم يتخد معه طرق الاستبداد والجبروت التي اعتاد اتخاذها مع الآخرين . ومن الجائز ان المدايا الشمية التي بعث بها إليه غوردون باشا أثرت في نفسه تأثيراً حسناً وأقنعته بأن الحكومة التي بعثت له أمين افندى سفيراً هي حكومة ذات بطن وقوة ولم يأذن كباريحا لأمين افندى ببارحة مملكته إلا بعد إقامة خمسة أسابيع .

(١) — سمي مرجان الدناصورى لأنّه من بلدة دناصور أحدى بلاد مصر كفر شين الكوم من مديرية المنوفية وهو من السودانيين الذين توطنوا بهذه البلدة وقد جند مع من جندوا من بلاد القطر للانخراط في الـ اورطة السودانية المصرية التي سافرت لحرب المكسيك .

٤ — ملحق سنة ١٨٧٧ م

مأموريت الطبيب أمين أفندي في أوغندا

القسم الأول

من ٢٥ أكتوبر إلى ٣١ ديسمبر

سفره إلى « روباجا » .

في ٢٥ أكتوبر بارح أمين أفندي مقر كباريحا ملك الأونيونورو ليتمهم المأمورية التي كلفه بها غوردون بزيارة متيسا ملك أوغندا مرة ثانية فوصل إلى « كيسوجا » في ٢٩ منه و منها ذهب إلى محطة مرولى حيث التزم أن يتربص ثلاثة أيام في انتظار مجيء الجمالين من قبل متيسا .

وفي ٢٠ نوفمبر سافر إلى الجهة المقصودة ونظرا لبطئه في السير دخل « روباجا » في ٢٢ ديسمبر . وروباجا هذه مقر متيسا . وفي أثناء مسيرة وصل إليه عدة رسائل من قبل متيسا ليبلغوه تحيات الملك فتعرف من بينهم على كثير من معارفه القدماء .

مقابلته لملك أوغندا

وفي ٢٣ ديسمبر خرج من مسكنه ليقابل الملك مقابلة الأولى .

وأخذ الموكب في طريقه كلمرة السالفة ولدى وصوله إلى الباب الأول أخبر بأنه يجب عليه الترخيص . ولما كان لا يريد أن يعامل بمثل هذه العاملة عاد وأمر في الوقت نفسه رجاله بأن يتبعوه . وما كاد يخطو عشرين خطوة حتى لحق به كل الرؤساء وتسلوا إليه بأن يعود فيقابله الملك في الحال . وبما أنه كان لم ينزل متربداً أتى شامبارانجو Chambarango الوزير وعید كاتب الملك ومن معارفه القدماء مسرعين ورجوه أن يرجع معهم لأن الملك أرسلها خصيصاً لذلك .

واعتذر متىسا من عدم مقدرته الوقوف لما يعانيه من آلام المغص . ووضع مقعد أمين افندي بجانب العرش جلس عليه وكان الملك عكس المرة السالفة مرتدية سروالا « بنطلونا » أحمر وعطافاً أسود وطربوشة أحمر وحذاء من هذا اللون الأخير وملقاً في عنقه سلسلة من الفضة وقرضاً من الفضة أيضاً سمك كسمك الريال « ماري ثيريز » Marie-Thérèse .

ووجه أمين افندي عندئذ الكلام الى الملك فقال له : ان غوردون باشا نظر لما لاقيته منكم في السنة الماضية من حسن الوفادة وكرم الضيافة كلفني بالمجيء الى هنا وأن أقدم لكم المدايا التي أرسلها الخديو من القاهرة برسالة بناء على طلب البشا المومي اليه . وزودني بمعلومات مقتضاهما توسيعسائر انواع العلاقات الودية السائدة الان . هذا ولا ريب في ان الملك يرى أنه من المفيد تنمية وتفوية هذه العلاقات . واستطرد فقال ان لديه تعليمات أخرى سيسديها باصحاب أكثر في الجلسة القادمة وقدم عقب ذلك جوابات اعتماده مكتوبة باللغتين العربية والإنكليزية وهي الجوابات التي تلقاها من البشا .

وفتحت الجوابات في الحال فالجواب العربي ترجمه مسعود وهو من عرب زنبار وسكرتير البشا . أما الجواب الإنكليزى فترجمه مفتاح وهذا كان خادماً لدى استانلى . وهنا قدمت المدايا وفتحت وعرضت واحدة فواحدة وعلى مسافة إذ أنه كان لا يجب ان لا يقترب شيء من الملك . وبعد عرضها رفعت وحملت داخل القصر .

وبعد مبادلة بعض الحديث العادى الذى لم يلبث سوى مدة قصيرة استاذن أمين افندي وانصرف يصحبه عيد و « شامبارانجو » وبعد زمن يسير لحق بهم « كاتيكيرو » الوزير الأول وساكيلابو Sakilabo ورافقوه

الى باب داره . ووقتئذ أمسك ييدهم مسالما وطلب من « كاتيكيرو » أن يأتي في الغد لزيارتة ولكي يقدم له هديته .

وفي غضون هذه المقابلة التي استمرت ساعة من الزمن سأله متيسا عما إذا كان حقا أنه ذهب عند « كباريجا » وإذا كان هذا صحيحا فهل استصبح معه عددا كبيرا من الجند لأنه يرى انه من الأمور غير المحتملة التصديق انه ذهب الى هناك .

وفي ٢٧ ديسمبر أرسل في طلب أمين افندى لزيارتة فذهب اليه في الحال وقوبل بالطريقة التي قوبل بها في المرة السالفه . وبعد أن جلس وتحدث مع الملك في موضوعات تافهة ليس لها أهمية سأله هذا لمن يتبع الخديو وسلطان زنبار . وعما إذا كانت ملكة الانكليز تستقبل سفراوه بحفاوة وهل يوجد في افريقية ملوك أقوىاء غير الخديو . وهل ممكن أن يبعث للخديو بسفراوه وهل يقبل هو أى أمين افندى أن يرافقهم اليه .

وأجابه أمين افندى أنه يرى من واجبه أن يفعل ذلك لا سيما والخديو أرسل له سفراوه وهدايا في كل الأعوام مع أنه هو لم يرسل أحدا وهذا أمر ليس فيه شيء من الظرف والكياسة .

وأجاب متيسا أنه كان أرسل « تاندى » Tandi غير أنه رجع من مرولى دون أن يتمم مأموريته . وسلم أمين افندى بصحة هذا القول إلا أنه سأله عما إذا كان من اللياقة أن يرسل ضابطا صغيرا مثل « تاندى » في حين ان الخديو يرسل إليه أمراء الآيات . فسكت متيسا برهة ثم سأل عن عدد الأيام التي تلزم للذهاب من هنا الى الخرطوم ومن هذه الى القاهرة وكم يوما

يلزم للوصول الى زنبار .

وسائل متيسا بعد ذلك عما اذا كان لدى أمين افندى شيء آخر ليبلغه إياه فكان جواب هذا ايجابيا وقال له في الوقت نفسه انه يود ان يراه يوميا ولكن يحول دون ذلك بعد المسافة بين بيته وقصر الملك فوعده متيسا انه سوف يعمل في هذا الصدد ما يرضيه .

ودقت الطبول علامة على انفصال الجلسة فهض متيسا ليدخل في منزله وانصرف أيضا أمهين . ودامت المقابلة ساعة زمانية أي من الساعة ١٠ الى الساعة ١١ صباحا . ولدى وصول أمين افندى الى سكنه وجد فيه كيزا Kisa وكيله قدما وكان قد قدم من مرغلي وصادفته مصاعب في الطريق وسبق رفيقه في السفر وهو رجل من رؤساء بخاراء ريونجا . ويحمل هذا البخاري بريد أمين افندى . وينتظر قدومه غدا .

وبقية هذه الرحلة مذكورة في الملحق الأول للسنة التالية .

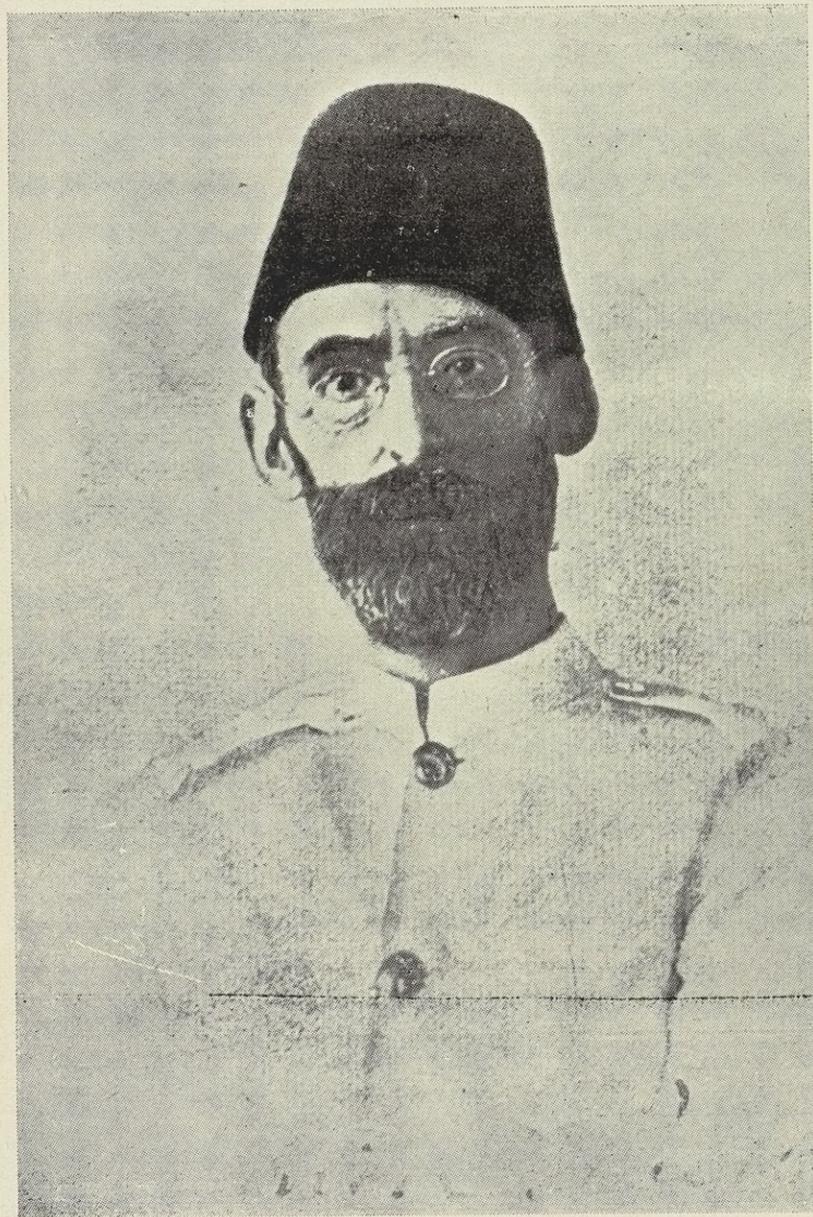
حـكمـدارـيـةـ أـمـيـنـ باـشاـ

من سـنةـ ١٨٧٨ـ إـلـىـ سـنةـ ١٨٨٩ـ مـ

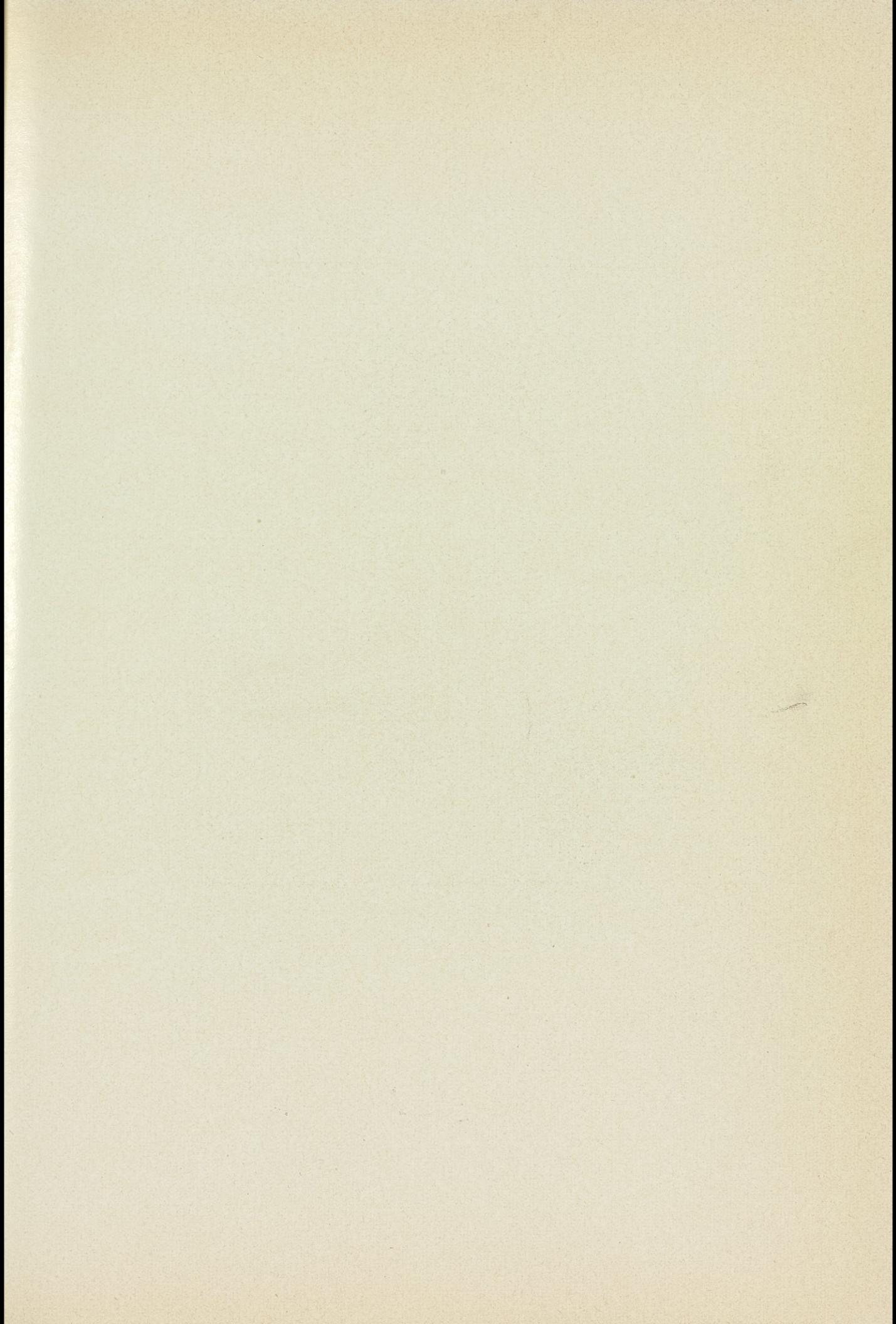
سـنةـ ١٨٧٨ـ مـ

كان أمين طيباً المائى الحتد ترك دينه واعتنق الدين الاسلامى في تركيا ثم بعد ان خدم حـكـوـمـةـ هـذـهـ الدـوـلـةـ زـمـنـاـ أـتـىـ إـلـىـ السـوـدـانـ فـأـلـقـهـ غـورـدونـ الذـىـ كـانـ عـنـدـهـ حـكـمـدارـاـ عـامـاـ لـمـديـرـيـاتـ خطـ الاستـوـاءـ بـخـدـمـةـ هـذـهـ المـديـرـيـاتـ بـصـفـةـ طـبـيـبـ .ـ وـالـظـاهـرـ انـ أـمـيـنـاـ لمـ يـقـمـ بـأـعـبـاءـ هـذـهـ الـوـظـيـفـةـ قـيـاماـ فـعـلـيـاـ لـأـنـ غـورـدونـ كـانـ كـاـسـيقـ الـايـضـاحـ كـلـفـهـ بـتـأـدـيـةـ عـدـةـ مـأـمـوـرـيـاتـ سـيـاسـيـةـ فـيـ الـبـلـادـ الـجـاـوـرـةـ مـشـلـ مـأـمـوـرـيـةـ الـأـوـنـيـوـرـوـ وـالـأـوـغـنـدـةـ .ـ وـيـظـهـرـ أـنـ قـامـ بـهـذـهـ الـمـأـمـوـرـيـاتـ قـيـاماـ أـرـضـيـ رـئـيـسـهـ حـتـىـ أـنـ فـكـرـ فـيـ تـعـيـيـنـهـ حـكـمـدارـاـ عـامـاـ لـمـديـرـيـاتـ مـنـ مـديـرـيـتـيـ خـطـ الاستـوـاءـ .ـ أـمـاـ المـديـرـيـةـ الـأـخـرـىـ وـهـىـ مـديـرـيـةـ بـحـرـ الغـزالـ فـكـانـ غـورـدونـ باـشاـ قدـ فـصـلـهـاـ وقتـ تـعـيـيـنـهـ حـكـمـدارـاـ عـامـاـ لـالـسـوـدـانـ وـصـارـتـ فـيـماـ بـعـدـ مـديـرـيـةـ مـسـتـقـلـةـ بـذـاتـهـ .ـ

وـكـانـ تـعـيـيـنـ أـمـيـنـ لـهـذـهـ الـوـظـيـفـةـ قـيـيـلـ مـنـتـصـفـ عـامـ ١٨٧٨ـ مـ .ـ وـبـماـ اـنـهـ قـضـىـ جـيـعـ اـدـوارـ خـدـمـتـهـ فـيـ حـكـوـمـةـ الـمـصـرـيـةـ فـيـ المـديـرـيـةـ الـتـىـ تـعـيـنـ فـيـهاـ حـكـمـدارـاـ فـلـمـ تـكـنـ هـذـهـ مـسـتـجـدـةـ عـلـيـهـ أـوـ هـوـ غـرـيـباـ عـنـهـ .ـ وـيـلوـحـ اـنـ أـمـيـنـ كـانـ عـالـمـاـ مـنـ الـعـالـمـاءـ وـادـارـيـاـ إـلـاـ اـنـ الـخـلـالـ الـجـيـدةـ الـتـىـ كـانـ يـتـحـلـيـ بـهـاـ مـنـ الـوـجـهـ الـادـارـيـةـ قـلـلـ كـثـيرـاـ مـنـ ظـارـهـاـ ضـعـفـ عـزـيمـتـهـ



أمّين باشا



ضعف عزيمته لأن من النتائج الطبيعية لهذا الخور التردد في الامر— وزاد الطين بلة اشتغاله بالمسائل العاملية أكثر كثيراً من اشتغاله بادارة مديرية . وأدى هذا وذاك إلى سوء المقلب و وخامة العاقبة وما ذلك إلا لأن ادارة المديرية وقعت في يد أوهـن الحـكمـدارـيـنـ الذين تـقلـبـواـ عـلـيـهـاـ وهذاـ فـيـ الـوقـتـ الذي كانت فيه أحوجـ لـمـ يـكـونـ أـمـضـاهـمـ عـزـيمـةـ وـاـكـثـرـ هـمـةـ وـذـكـرـ وذلكـ بـسـبـبـ الحـقـبـةـ الحـرـجـةـ الـتـىـ كـانـتـ مـشـرـفـةـ عـلـيـهـاـ وـهـىـ أـحـرـجـ الحـقـبـ الـتـىـ مـرـتـ بـهـ .

تقسيمه المديرية الى اقسام إدارية

ابتدأ هذا الحكمـدارـ بتـقـسـيمـ الـأـرـضـ منـ جـدـيدـ تقـسـيمـاـ اـدـارـيـاـ وـعـيـنـ ثـلـاثـةـ وكـلـاءـ حـكـمـدارـيـنـ وـعـيـنـ لـكـلـ مـنـهـمـ مـقـراـ بـجـعـلـ مـقـرـ الـأـوـلـ «ـ مـكـراـكاـ »ـ فـيـ الشـرـقـ ،ـ وـمـقـرـ الثـانـيـ «ـ كـرـىـ »ـ فـيـ القـلـبـ ،ـ وـالـثـالـثـ «ـ مـاجـونـجـوـ »ـ فـيـ الـجـنـوبـ وـقـسـمـ الـمـخـطـاتـ أـيـضـاـ بـطـرـيـقـةـ مـتـسـاوـيـةـ بـيـنـ الـثـلـاثـةـ الـاقـسـامـ عـلـىـ قـدـرـ الـأـمـكـانـ .ـ وـعـيـنـ لـكـلـ قـسـمـ قـائـدـاـ عـسـكـرـيـاـ وـوـكـيلـاـ فـوـضـ الـيـهـ الفـصـلـ فـيـ الـقـضـيـاـ الـمـدـنـيـةـ وـأـعـطـىـ لـكـلـ مـنـهـاـ كـاتـبـاـ .ـ

ورتب بـريـداـ اـسـبـوعـياـ لـاتـصالـ الـمـخـطـاتـ بـبعـضـهـاـ .ـ وـقـالـ المـبـشـرـ فـيلـكـنـ Felkinـ انـ الـمـرـاسـلـاتـ كـانـتـ تـسـافـرـ وـهـىـ فـيـ غـاـيـةـ مـنـ الـأـمـنـ .ـ

وـحاـولـ اـنـ يـوـسـعـ حدـودـ مـديـريـتـهـ بـقـدرـ ماـ يـسـتـطـيعـ .ـ وـكـانـ سـيرـ صـموـيلـ يـيـكـرـ ضـمـ بـلـدـ الـلـوـرـيـنـ وـالـلـاتـوـكـيـنـ الـلـذـيـنـ فـيـ شـرـقـ النـيـلـ وـذـكـرـ بـدـونـ اـنـ يـحـتـلـهـ فـقـامـ هوـ بـهـذـاـ الـاحـتـلـالـ فـيـ الـحـالـ وـقـوىـ صـلـاتـ الـمـوـدةـ مـعـ الـأـهـالـيـ وـاجـتـهـدـ فـيـ التـوـسـعـ فـيـ الزـرـاعـةـ بـقـدرـ الـأـمـكـانـ .ـ

وـأـصـدـرـ غـورـدوـتـ أـمـرـاـ بـاخـلاـءـ الـمـوـاضـعـ الـوـاقـعـةـ جـنـوبـ نـيـلـ فـكـسـتوـرـيـاـ

وهو القسم الموصى به فكتوريا بالبرت نيازا واعتبار هذا النهر الحد الجنوبي لمديريته وذلك على أثر قيام مشاكل في الجزء الجنوبي من هذه المديرية . فرفض الحكمدار أمين ان يتمثل وينفذ هذا الأمر الذى كان يعتبره ضارا بأمن مديريته . غير ان غوردون ألح وبعث بجىسى الذى كان في بحر الغزال في ذلك الوقت لينفذ الأمر ولكن ان هو إلا أن استقال غوردون من وظيفته حكمدار السودان العام في السنة التالية حتى عاد فاحتلهما .

ذهاه الى فالورو و فابو

وظل الحكمدار أمين وقتا في لادو وزاره في غضون هذا العام « پيرسون Pearson » و « ليتشيفيلد Litchfield » و « فيلكلن Felkin ». وقبيل آخر السنة شخص الى بلد الشوليين Shoulis حيث توجد محطة فاتيكيو وذلك ان بعد مر في طريقه بدو فيليه . وبعد ان زايل المحطة المذكورة انتقل الى فالورو وكانت المنطقة بين هاتين النقطتين عبارة عن سهل به مزروعات غاية في الجودة . وقدم اليه شيخا الناحية وهو اخوان لزيارتة وقدمها اليه نابين بصفة هدية وقدم لها هو ايضا بعض هدايا وقدم كذلك بعض المهدايا لأمهما وأحضر له بناء على طلبه حاليين . والمنطقة التي يقطنها الماديون Madis كانت حافلة بالطماطم والموز .

ذهابه الى فاتيکو وعودته الى لادو

وكانت الخطة التالية لفابيو فاتيکو ، وهي آخر مرحلة لريادته هذه . وقد قام اليها فدخلها قبيل آخر ديسمبر . وكان الطريق بين الناحيتين ذاهبا صعدا وكانت فاتيکو هذه قاعدة مركز كثير الخصب وكانت معتبرة في ذلك الوقت كمستودع لحبوب جميع المنطقة فيما بين دوفيليه و مرولى ويسكرن هذا المركز قبائل الشولى . ويسمى شيخهم « روشاما » Rochama وبواسطة تقوده هذا الشيخ وسيطرته تحالفت قبيلته مع الحكومة المصرية غير ان احد قواد الخطة السابقين عامله معاملة مهينة فانسحب الى داره وقطع علاقته بالحكومة .

ولدى قدومه أرسل هذا الشيخ له ولده ليدعوه الى الجيء إليه لأنّه كان لا يأمن هو نفسه الجيء . ولما كان الحكمدار يعلم أن الخطأ وقع من جانب الحكومة انتقل اليه عن طيب خاطر ليساوي مسأله .

وعند وصوله الى قرية روشاما القائمة على مرحلة يوم من الخطة استقبله حرس شرف مؤلف من رجاله متsshين بملابس ذات الوان باهية جداً ومسلحين يبنادق عتيبة وكان الشيخ واقفا على ناحية في وسط فريق من الزنوج متسرّبين بجلود مصبوغة حديثا باللون الأحمر . والتمسوا من الحكمدار أن ينتظر قليلا ريثما يذبحون عنزتين في طريقه ويكون الدم قد سال ثم اجتاز روشاما على الدم وأتى وصافه وذهب به الى قريته وهناك كان يوجد عنقرير « سرير » تحت شجرة جلس عليه الشيخ . أما الحكمدار جلس على مقعده . وكانت واقفا على جانبي الشيخ حرس مسلح ويحيط به من كل ناحية جمّع من العبيد الغوغاء مؤلف من ٣٠٠ زنجي ذكورا واناثا لابسين كساوى

متنوعة كثيرة سواء أكان من جهة الألوان أو الزي وبها جميع أنواع الزخارف.

وكان يسدو على محيا « روشاما Roshama » سماء المسرة من زيارته ومن المدايا التي حباها وعوضها عنها منه نابين فاخرين وقدم له زوجه خباهما ايضا بنصيتها من المدايا . ثم آب الحكمدار بعد ذلك الى فاتي~~ك~~ فلبث بها يوما وانقلب راجعا الى لادو عن طريق دوفيليه .

١ - ملحق سنة ١٨٧٨ م

مأمورية الطبيب أمين أفندي في أوغندا

القسم الثاني

من أول يناير إلى ٢١ مايو

تبادل المدايا مع ملك أوغندا وتقاد مؤونة أمين أفندي

في أول يناير من سنة ١٨٧٨ م أرسل كاتيكيريو إلى أمين أفندي من قبل الملك هدايا متنوعة بمناسبة رأس السنة . وهذه المدايا هي عززان ومزراقات وترس مصنوع من القش وحواضن من الفخار وحذاء وقطعة من قشور الشجر مشغولة ومديتان من صنع أوغندا . وعوضا عن ذلك بعث له أمين أفندي أيضا ببعض المدايا . وأعطي لامين أفندي أيضا منزل غير المنزل القاطن به وهو المنزل الذي كان يسكنه في الرحلة الأولى وهو أقرب أكثر من نصف ساعة من المسكن الذي كان نازلا به .

ومتى سا الذي كان أمين أفندي قد رأى أن صحته اعتلت كثيرا سقط في مخالب مرض شديد ولم يتمكن أمين أفندي من مشاهدته في الأيام التالية واضطر أن يطيل مدة إقامته أكثر مما كان يبتغي .

وفي ١٢ منه طلب من كاتيكيريو أن يمد بجانب من الموز لأنه هو ورجاله

لم يكن لديهم طعام سوى اللحم .

وكان متيسا لا يرسل شيئاً وبدون أمره وإذا نه لا يجرؤ أحد أن يرسل شيئاً وكانت الأهلية تخاف أن تبيع لأمين افندى شيئاً حتى بعض لوازمه .

اضطراره إلى السفر والعودة إلى لادو

وفي ٢٦ يناير كتب أمين افندى إلى متيسا يطلب أن يؤذن له بالسفر إلى مرولى لأن زاده آخذ في التقاد وليس في امكانه أن يدع رجاله يموتون جوعاً . وبعد اقامة ثلاثة أشهر لدى متيسا أخذ أمين افندى في نهاية الأمر أجازة تخلو له السفر .

وفي ١٩ مارس عند الساعة ٨ صباحاً حضر لأمين افندى من آخذه بالاحتفال المعتمد ليودع الملك . ودار الحديث بحكم الطبع حول سفره وطلبات متيسا . وتقرر أن يأخذ ٣٠ ثوراً وان يرافقه إلى الخرطوم كاناجوربا واثنان آخران ومنها يشخصون إلى القاهرة لطلب المدايا . وان يرسل عين أمين افندى لدى متيسا شخصاً بصفة وكيل ويحضر له بنادق وبارودا وطرابيش وفانيلات ومنسوجات حمراء وجوارب واحذية وجواداً . وان يرسل متيسا إلى مرولى فيما بعد عاجاً برسم البيع ولكن كل طلباته يجب ان تقدم له على سبيل المدية أو يدفعها أمين افندى من جيشه الخاص . واستغرق الحديث وقتاً طويلاً وكان حاداً وألح فيه متيسا مراراً على أمين افندى بالایاب وسلامه رسالة إلى غوردون باشا وأخرى للخدیو بطلب بنادق « رمنجتون » Remington لجنوده . وبعد جلسة استمرت ساعتين استأذن أمين افندى في نهاية الامر وانصرف .

وفي ٢٢ مارس جهزت جميع معدات السفر . وكان المتابع يستلزم ٥٠ حملا غير أنه ما كان يوجد منهم سوى ١٢ . وبعد كثير من الالاحاج أمكن تكملتهم إلى ٣٥ ودعت الحالة لترك ١٥ حملا وعد المتونجولي مو كاصا Mtongoli Moukassa وأن يلحق أمينا بها في الحال . وفي الساعة التاسعة والنصف انطلقت القافلة في المسير ورافقتها جميع العرب إلى مسافة ثم أفرغوا بنادقهم اشارة للتحية وقلعوا راجعين فيهم الجنود بتحية مثل تحيةهم .

وكان الطريق وهو نفس الطريق الذي سلكه أمين افندى في العام المنصرم مع نور محمد افندى يمر بين مساكن ومزارع وبعد أن سارت القافلة لغاية الساعة الواحدة نزلت في الخلاء طلبا للراحة لأن الجنود كان ادركها التعب لتركها المشي من مدة طويلة . وقييل المساء قدم رئيس وعشرة رجال مسلحين يحملون السلام من قبل متيسا وطلبوا بعض صواريخ فوعدهم أمين افندى بارسالها لهم عند بلوغه مرولى وسائلهم أن يعجلوا بارسال متابعته . ووصل كانوا جوريا في ساعة متأخرة من العشى ومعه أمتعته ولم يحضر أمتعة أمين افندى .

وبعد رحلة شاقة ومقاساة الصعائب مع الحمالين وصل أمين افندى إلى مرولى وقضى بها خمسة أيام وبعد ذلك تابع السير على متن الزوارق إلى أن أدرك فويرا ثم اضطر أن يلبيت فيها زمنا ليس تردد جنوده الذين كان المرض أنهك قواهم ، عافيهم .

ومن فويرا سلك أمين افندى طريق البر ميمما شطر كيروت Keroto وفي اليوم الأول عبر بلدا غير مأهول مؤلفا من تلال مصقوفة وبه غابات من اشجار الموز وجميع ما في منطقة افريقيا الحارة من نبات ذى رونق وبهاء . وتغير المنظر في اليوم الثاني فترت القافلة بمحيط واسع من الحشائش

لتزل في زريمة من زرائب ريونجا حيث قوبلت بالشاشة والترحاب من أتباعه ، وكانت المرحلة شاقة لعدم استواء سطح الأرض ولو جود كثير من المرضى بين صفوف الفرقة الأمر الذى جمل أمين افندي على ان يمشى المهاينا .

وفي ٢٨ أبريل بلغ ماجونجو وداوم السير متوجهًا نحو دوفيليه و لادو فدخل هذه في ٢١ مايو وقبل فيها بالاحتفال المعتمد ان يقابل به كبار الموظفين فكانت الحامية مصطفوفة على ضفة النيل على هيئة عرض تقدم له واجب التعظيم . وعرض أمين افندي الجندي برفقة القومندان نور محمد بك والضياء وانتقل معهما الى الديوان الذى كانت اقامته قد تمت حديثا وهناك قدم له جميع الموجودين عبارات التهاني .

ووجد أمين افندي أيضا في لادو الوفد المرسل من مตيسا ملك أوغندا فأرسله الى غوردون باشا بالخرطوم .

٢ - ملحق سنة ١٨٧٨ م

رحلة الطبيب جونكر في مديرية خط الاستواء (١)

القسم الثالث

من أول يناير إلى ٢٩ يونيو

عودته إلى « ريءـو »

وفي أول يناير سنة ١٨٧٨ بدأ جونكر عـودته مسافرا من نفس الطريق التي أتى منها . وقد تفشى مرض الجدري بين رجاله فسبب أضرارا جمة وأودى بحياة الكثيرين في الطريق وانتشر هذا الوباء في كل البلد حتى بلغ لادو فاستحكمت حلقات الضيق وساد العسر . وترك هذا المرض أثماً أثراً في مكراكا التي كانت أجمل منطقة في مديرية خط الاستواء المصرية .

وكانت القافلة تسير متجمعة مع بعضها عندما تكون على أرض للإعداد وحالما تخرج منها تتفرق وكل قائد محطة يسلك الطريق الذي يراه أقصر

(١) - راجع كتاب « رحلات في إفريقيا » للدكتور جونكر المجلد الأول الفصل ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ .

للوصول الى محطةه .

وعاد جونكر الى رئـو مع احمد الاطروش اما عبد الله أبو زيد
افـدى رئيس تلك الحطة فسبقها اليـا لاعداد معدات الاستقبال وفـلا
أـنـزلـهـا على الـرـحـبـ والـسـعـةـ وـاـكـرـمـ وـفـادـتـهـاـ اـحـسـنـ اـكـرـامـ . وـبـعـدـ انـ اـقـامـ
الـاطـرـوـشـ زـمـنـاـ يـسـيرـاـ شـخـصـ الىـ محـطـتهـ فـوـنـدـيـ .

زيارتہ لمحۃ مدرفی وعودتہ الی اور با

وبما أن حملة كاليلكا كانت انتهت من ارتياحها منطقة ميكراكا فقد خطر ببال جونسون ان يغفل راجعا الى اوربا . ولما كانت « مديرفي » هي المحطة الوحيدة التي لم تطأها قدمه قرر ان يراها قبلما يبارح هذه البلاد بهائيا . وعلى هذا قام بدورة ليزور هذه المحطة عوضا عن ان يذهب الى كابايندي التي هي في طريقه الى مديرفي . وفي ظرف يوم واحد دخلها واستقبله فيها تويميه Tomé رئيس الترجمة نظرا لغياب قائدتها . وتويميه هذا كان من ضمن رجال حملة كاليلكا وكان جونسون قد اخبره بما كان ينويه من أمر ارتياح مديرفي . وقد تطوع تويميه لخدمة جونسون وقدم له جميع مطالبه . أما سكان مديرفي فهم خليط مؤلف من عدة قبائل . وبعد ان أقام فيها جونسون زمانا يسيرا بارحها قاصدا كابايندي التي اتخذها محطلا له . ومع انه كان غير ملم بالناحية التي صر بها فإنه لم يستفده منها امرا جديدا إذ أنها كانت تشاهه تماما الناحية التي احتازها من قبل .

وفي ٣٠ يناير بلغ كابايندی . ولما كان يتوقع ان يقْرِئُ فيها مدة طــولية اخذ لنفسه الوسائل الازمة لراحته على قدر الامكان مدة

اقامته وقضى اوقاته في ترتيب وتنظيم مجموعاته واعداد جريدة اليومية وتنسيق نتائج رياضاته.

وفي ٢٢ فبراير وصل الى وندى فوجد المحطة نقلت من مكانها بعد مبارحته لها الى مسافة ربع ساعة من محلها القديم ولكن احمد الاطروش الذى كان ترقى الى رتبة برك ظل في زريبيته القديمة مفضلا ان يبقى في وسط بساتينه مؤثرا عدم البعد عنها .

اما بخيت افندى بتركى الذى كان هو ايضا نال رتبة القائمة عام
فقـد نمى اليه خبر قدوم جونـكـر فأعاد ما يلزم من المعدات لاستقباله .
ولدى وصوله تبين له ان القافلة لن تسافر في القريب العاجـل وعلى ذلك
أعد العدة للإقامة في ونـى مدة لأنـه نظرا لما كانت تبـديه قبـائل النيامـبارا
والـبارـى المقيـمـون على طـريقـ لاـدوـ والـذـين لمـ يـخـضـعواـ لـلـآـتـ لـسيـطـرةـ
الـحـكـوـمـةـ من ضـرـوبـ العـداـوةـ كـانـتـ هـذـهـ تـأـبـيـ ،ـ وـهـاـ الحـقـ فـذـكـ ،ـ أـنـ تـسـمـحـ

له بالسفر محفورا بحرس قليل العدد .

وانقضى النصف الاول من شهر مارس وتقى السفر في ٢٠ منه
وحصل فعلا في هذا التاريخ . وكانت القافلة مؤلفة من جمع كبير
وابتعدت في سيرها النظام الذي سارت عليه في الذهاب حتى ميت رجال
القافلة في المعسكرات القديمة . ومررت القافلة بنيامبارا وهذه المحطة دواما
مفقرة الى الزاد واحتياجاتها منه كانت ترسل اليها باستمرار من مكراكا وفي
نهاية الأمر وصلت الى لادو في ٢٩ مارس ونزل معظم رجال القافلة خارج
المحطة كالمرة السابقة .

ولدى وصول جونسون الى لادو علم بخبر مكدر وهو خبر سفر
الباخرة الى الخرطوم من أيام قلائل وفي هذه المرة ايضا اضطر ان
يخضع لأحكام القضاء والقدر . نعم انه كان من النظام المقرر سفر باخرة
في كل شهر الى هذه المدينة ولكن المواصلات لم تكن منتظمة مطلقا
نظرا للعوائق القائمة في النهر غير انه رغم اعن ذلك لم يطرأ على
فكرة جونسون انه سيضطر ان يبقى في لادو لغاية شهر يونيو لأنه
لو كان يتوقع حدوث ذلك لكان سافر في الحال ليترسد محطات الجنوب
التي كانت على طول النيل وهي الرجاف وكري وموجي وغيرهما
وهي الرحلة التي كان يريد القيام بها في الأيام الأول من اقامته
في لادو . وعلى ذلك امتنى لأن ينتظر والآمال تخامره بأن لا يتاخر مجئه
وقت سفره زمنا طويلا .

وفي وقت غيابه في مكراكا حدثت تغيرات جمة في ادارة مديرية خط
الاستواء فغوردون الذي تولى أمر حكمها من سنة ١٨٧٤ سافر منها وعيّن حكمدارا

عاماً للسودان وتقرب إقامته في الخرطوم وخلفه في تولى حكمدارية مديرية خط الاستواء أميراللائي براوت بك غير انه لم يستمر في هذه الوظيفة إلا أمداً قصيراً وأتى بعده أميراللائي ميسون بك ودار حول شواطئ بحيرة البرت نياترا وعمل لها خريطة وعاد بعدها إلى الديار المصرية . وفي وقت وصول جونسون كان ابراهيم فوزي بك حكمداراً لمديرية خط الاستواء . وكان هذا لا بد ألا يطول أمد تنتهيه بهذه الوظيفة .

وكوتاح افندي Koutah Effendi مدير لادو الذي تعرف به الطبيب أمين افندي في ابان رحلته الأولى كان قد نقل الى إحدى محطات أعلى النيل فقتل فيها هو ورجال حامية هذه المحطة في أثناء هجوم قام به أهالي تلك الناحية .

وفي ٥ أبريل سافر كل رجل من رجال مكراكا القادرين على حمل السلاح الى الجنوب بقيادة بخيت بك للأخذ بثأر كوتاح افندي وجنوذه وكان قد تقرر أن يتبعهم أيضاً آخرون من المحطات الجنوية .

وانقضى شهر أبريل بدون أن تصل أية باخرة . وفي ٢٢ مايو وداخل جونسون الفرح لقدوم أمين افندي من رحلته في أوغندا التي أرسله اليها غوردون . ولدى وصوله خرجت الحامية الى المرسى لتقدم له مراسم التعظيم حيث استقبله الموظفون وعلى رأسهم المدير نور بك محمد و جونسون . وبعد أن سلم أمين افندي على الجميع واستعرض الجند ذهب الى الديوان وفيه قدم له واجبات التهاني كل الحاضرين .

وسر جونسون سروراً لا مزيد عليه لوصول أمين افندي وأخذها يتبدلاته يومياً المقابلات فكان كل منها يبدى للآخر في غضونها ما صادفه

من المؤثرات وما جمعه من المشاهدات أثناء القيام برحلته .

وفي ٣ يونيو طرق الآذان دوى صفير مؤذن بقدوم الباخرة فكان ذلك رنة فرح في القلوب وبعد هذا بقليل أتت وألقت مراسيمها أمام المطعة وكان قدوتها مبالغة تامة إذ أنه لم يعلن ذلك القodium كالمعتاد بواسطة الدخان الذي يمكن رؤيته من مسافات شاسعة لانبعاثه الاراضي المحاذية للنيل انبطاحا تماما .

ويحدث دواما وصول اية باخرة الى لادو انتعاشا وفائدة مادية في المطعة لأنها عدا البضائع التي ترسلها الحكومة لموظفيها يجلب بحارتها ايضا معهم الاشياء فيبيعونها ويحررون من وراء ذلك مغامز .

وكانت البضائع التي ترسلها الحكومة توزع على مستخدميها بواسطة مديرى المديريات كل بحسب درجة ومركزه ويحجز ثمن ما اخذوه مما يكون استحق لهم من المرتب .

وكان يوزع يوميا للعساكر علوفة من النرة المخزونة في مستودعات المطعة وهذه النرة كانت تؤخذ من الاهالى نظير الجزية المفروضة عليهم او مما يجلب من الغنمائهم على اثر القيام بشن الغارات . ويوزع على المستخدمين نصيب من اللحم يوميا متى كان ذلك في حيز الامكان . اما الجنود فيوزع عليهم أنصبة في كل يومين أو مرة واحدة في الأسبوع وذلك حسب عدد المواشى التي في المطعة .

ولقد استقل من هذه الوجهة مع كر الايام عدد كبير من الموظفين بإنشاء بساتين ومزارع . وهذا العمل هو خير الوسائل لتنمية الروح

الادبية بين الاهالي واقرها لتناول افهمهم . ويقول جوننكر نعم ان المصريين على وجه العموم أساءوا معاملة الاهالي اسآت شديدة إلا أنهم أوجدوا في مكراً كاً أحوالاً من شأنها أن تجعل تقدم المدينة في حيز الامكان وتكتسب البلد شكل حكومة جاماً لعناصر من مختلف الشعوب تسودهم حكومة وحيدة موطدة الاركان .

وذكر جوننكر في المجلد الأول من كتابه الآف الذكر بالصفحة ٥٠٠ ماء عربه .

« ان الفضل في الزام الزوج بضرورة الاحتفاظ بالسلم مع القبائل المجاورة لهم ، ومكثهم على قدر الامكانيات في مواطنهم وحراثة اراضيهم يرجع الى ضغط المسلمين عليهم . وهذا أمر لا يلزمـنا ان نبخـس فوائـده . فيحسن مسامـعـي الحكومة المصرية وضـعـتـ بلـادـ الزـنـوـجـ تحتـ سـيـطـرـةـ المسلمينـ فـفـتـحـتـ بذلكـ الطـرـيقـ لـاحـسنـ المـديـنـاتـ وـمـهـاـ اـشـتـدـ ضـغـطـ حـكـوـمـةـ اـجـنـيـةـ فـانـ هـذـاـ الضـغـطـ يـكـوـنـ دـوـاماـ اـفـضـلـ وـأـفـيدـ كـثـيرـاـ لـلـزـنـوـجـ منـ اـسـتـبـادـ رـؤـسـائـهـ الـوطـنـيـيـنـ ذـاكـ الـاسـتـبـادـ الذـىـ يـنـتـجـ مـنـهـ عـلـىـ وـجـهـ العـمـومـ حـرـوبـ اـبـادـةـ وـفـنـاءـ بـيـنـ العـيـدـ » . اه

وقضى جوننكر أيام اقامته الاخيرة في لادو معتبراً مسروراً وهو يتذهب للرحيل . وكان ابراهيم فوزى بك الحكمدار العام في هذه المدة يطوف في أحياء المراكز ووصل إلى لادو قبل سفر الباخرة بزمن يسير . وقد كان تأخر اقلاع هذه الباخرة أيام قلائل لدواع مصلحية . وفي النهاية أبحـرتـ تـقـلـ كـمـيـةـ كـبـيرـةـ مـنـ العـاجـ إـلـىـ الخـرـطـومـ . وـدـفـعـ جـوـنـنـكـرـ أـجـرـةـ سـفـرـهـ هـوـ وـخـادـمـيهـ وـمـتـاعـهـ مـبـلـغاـ قـدـرهـ ١٦٢ـ رـيـالـاـ ثمـ

ذهب ليودع أمين افندى وهذا رافقه الى أن استقل ظهر الباخرة . وكان ذلك يوم ١١ يونيو . ورست الباخرة في محطات بور و شمبي و السوباط و فاشودة و جهات أخرى لأخذ وقود ووصلت في نهاية الأمر إلى الخرطوم بتاريخ ٢٩ يونيو بدون حدوث أي طارىء في طريقها وذلك بعد أن قضت في رحلتها هذه ١٨ يوما .

وحالما وصل جونكر بادر بتقديم تشكراته إلى غوردون للتسهيلات التي صادفها بناء على أمره . ثم بعد أن أقام شهرا في الخرطوم بارحها في ٢٨ يوليه مبعها القاهرة عن طريق وادي حلفا ثم رحل من القاهرة إلى أوربا .

٣ - ملحق سنة ١٨٧٨ م

رحلة المبشر فلكن
من لادو الى اوغندا (١)

القسم الأول

من ١٨ نوفمبر الى ٣١ ديسمبر

في فصل الربيع من سنة ١٨٧٨ م وردت الانباء الى جمعية المبشرى الكنيسة الانجليزية بأن الأهالى قتلوا عضوين من أعضاء بعثتها الى أوغندا عند شواطئ بحيرة فكتوريا نيانزا وعلى ذلك لم يبق من تلك البعثة في أوغندا سوى المبشر ولسن Wilson . وعلى أثر هذه الانباء قررت الجمعية المذكورة أن ترسل إليه امداداً مؤلفاً من المبشرين « ليتشيفيلد » Lichfield و « بيرسون » Pearson و « هول » Hall و « فلكلن » Felkin و « هول » Houl . وقع الاختيار على أن تسير هذه البعثة عن طريق النيل لأن غوردون باشا الذى كان وقائعاً حكمداراً عاماً للسودان كان عرض أن يدفع تفقات جماعة من المبشرين ويدعهم يمرون من حكمداريته الفسيحة المترامية الاطراف بدون أن يدفعوا شيئاً ما .

(١) — راجح الجزء الذى وضعه فلان من كتاب «أوغندة والسودان المصرى» الفصل ٦٥ و٤٢.

وليس من اغراض هذا الكتاب التعرض لوصف القسم الخاص برحلتهم خارجا عن حدود مديرية خط الاستواء فنكتفى بالقول إنهم سافروا من انكلترا في ٨ مايو سنة ١٨٧٨ وبلغوا لأدو عاصمة المديرية في ٩ أكتوبر من نفس ذات السنة فاستقبلهم أمين بلج الحكmdar وبذل لهم جميع ما في استطاعته من التسهيلات .

وكان المبشر هول قد افترق من هذه الجماعة في سواكن ومن هذه قفل راجعا إلى بلاد الانكليز وذلك بسبب مرضه . وحال وصولهم إلى الخرطوم أصدر غوردون باشا أمرا بتزويدهم بالحملان بدون أن يدفعوا شيئا وأن يعطى لهم عند الاقتضاء حرس من الجندي وأن تقدم لهم مساكن في كل محطة مصرية في جميع دائرة حكمداريته .

وفي ١٨ نوفمبر تابعوا مسیرهم من لأدو ميممين الرجال ومن هذه أبحروا على متن سفينتين ليصلدوا شلالات ييدن ولم يتم لهم ذلك إلا بعد أن اقتحموا اخطارا شديدة وبعد أن جر التيار رجلين من أولئك الذين كانوا يجرؤون السفن بالاحوال . وكان الممر رائعا جميلا وأفراص البحر يموج بكثتها ماء النهر .

واستغرقت رحلتهم إلى دوفيليه ستة أيام ودخلوها في ٢٤ نوفمبر فأعجبتهم متانة بناء محطتها وهي واقعة على ضفة النيل وذات أهمية عظمى وشوارع هذه القرية نظيفة ومتسعة ومساكنها مصنوعة من أعواد الخيزران بينما مكتب الحكومة وهو فسيح الارجاء مبني من المابين وكانت يوجد مخازن كبرى مبنية بالأجر والعمارة الأكثـر أهمية فيها هي الترسانة الـنـهـرـيـة لـأـهـلـهـا رأس خط الملاحـةـ إلى الجنـوبـ ومـحـلـ مرـسىـ الـبـاخـرـتـينـ

« الخديوى » و « نيانزا » ، وال الأولى منها ذات قوة كبيرة ولها رفاسان وحمولتها ١٠٨طنان وطولها ١٠٠ قدم وحالة الانتهاء في غاية من الجودة وللسفينة الأولى أيضا مخادع يجده فيها المسافرون الراحة التامة . ويكتنف المحطة سياج من الخشب وبها ثلاثة مدافع ميدان وللمستخدمين بساتين حسنة فيها سائر أنواع الخضر المحلية . ويوجد على الضفة الشرقية مساحات واسعة مزروعة ذرة . وهذا النوع يتبعون في زرעה في هذه المنطقة كثيرا جدا .

وكان النهر صالحًا للملاحة لغاية ماجونجو وبحيرة البرت نيانزا ويستغرق السفر ٣ أيام وكانت البالاخـرة « الخديوى » لنـكـد حظـهم داخلـة في العـمرـة فالـزمـوا الـابـحـارـ على مـتنـ الـبـاخـرـةـ « نـيـانـزاـ » الـتـىـ أـقـلـعـتـ مـنـ « دـوـفـيلـيـهـ » فـيـ ٢١ دـيـسمـبرـ سـنـةـ ١٨٧٨ـ .

وكان كل المسافة توج بالقرى والمزارع لكثرتها على الضفتين .

وفي ٢٣ منه وصلت البالاخـرةـ إلى مصب بـحـيرـةـ البرـتـ نـيـانـزاـ وأـخـذـتـ تـحـاـيلـ بـسـبـبـ تـماـوـجـ مـيـاهـ الـبـحـيرـةـ وـلـكـنـ بـعـدـ مـلـاـحةـ ساعـةـ دـخـلـتـ ثـانـيـةـ فـيـ النـيـلـ وـعـنـدـئـذـ عـادـتـ إـلـىـ الـمـدـوـءـ وـبـعـدـ قـلـيلـ اـفـضـتـ إـلـىـ مـاجـونـجوـ .

وـكـانـتـ محـطـةـ هـذـهـ النـاحـيـةـ قـدـ أـقـيمـتـ فـيـ الـأـصـلـ عـلـىـ الرـأـسـ الفـاـصـلـ بـيـنـ مـصـبـ النـيـلـ وـالـبـحـيرـةـ . وـلـمـ كـانـتـ التـيـارـاتـ أـخـذـتـ تـعـدوـ عـلـىـ هـذـاـ الرـأـسـ فـتـجـرـفـ دـعـتـ الـحـالـةـ لـنـقـلـ الـحـطـةـ إـلـىـ دـاـخـلـ الـأـرـضـ .

وـكـانـتـ هـذـهـ الـحـطـةـ مـبـنـيـةـ بـنـاءـ جـيـداـ وـالـنـظـافـةـ صـرـعـيـةـ فـيـهاـ وـيـحـيطـ بـهـاـ مـتـرـاسـ قـوـيـ منـ التـرـابـ وـخـنـدقـ عـمـقـهـ ١٠ـ أـقـدـامـ وـيـوـجـدـ بـهـاـ مـدـفـعـ مـيـدانـ

وأتبوبتان للصواريخ وعدا الحرس كان يوجد فيها أيضا نقطاً أمامية لأن كبار بجا
ملك أونيورو كان يرنو إليها بعين الجشع .

وكان المرسى على شكل حدوة الفرس وكان الوابور يرسو فيه لعمقه .
ولدى وصول المبشرين اصطفت فرقه من الجندي أمم المرسى وعاليها يتحقق على
رؤوسها وحال نزولهم من الباخرة حيالهم أولئك الجنود وعزف الابواق السلام
الوطني المصري .

ونظراً لغياب القومدان مرجان افندي الدناصورى استقبلهم وكيله محمد
افندي وهو ضابط باسل لم يزل في ريعان الشباب بحفاوة كبيرة . وكان منظر
العساكر بكسوتها البيضاء بهجة للناظرين .

وأنزلوا أولئك المبشرين في أكواخ قامة في بقعة جميلة جداً تحت شجرة
باسقة وخارج المتراس بالضبط .

وكانوا قد قرروا أن يقوموا في الغد ٢٤ ديسمبر بجولات عند مساقط
مورشيزون ولذا استيقظوا مبكرين ولدى وصولهم إلى المرسى وجدوا الباخرة
نيازا متأهبة للسفر وكان محمد افندي قد أعد لهم غذاء فاخرا ليأخذوه معهم في
جولاتهم وسافروا في الحال .

وبعد أن تركوا وراء ظهورهم ماجونجو أخذ النهر يضيق تدريجياً
وابتدأ الضفاف في الارتفاع . وطفقت الأعانيق تقع في الجانين على
أشجار بلغت مبلغاً عظيماً في الجسمة ونبت بهيج وطيمور رئيساً جامعاً لختلف
الألوان وقردة . أما النهر فماؤه كان يوج بكثرة ما فيه من تماسيح وافراس
بحر . وبالاجمال تحتوى هذه البقعة على جميع ما احتوى عليه منظر المنطقة الحارة

من بهاء وجلال . وكلما اقتربوا من المساقط زاد اضطراب الماء وازداد دوى سقوطه . وفي نهاية الامر صارت المساقط برأى منهم غير انهم لم يتمكنوا من الاقتراب منها الى مسافة تقل عن نصف ميل وظلوا برهة طويلة متذهلين أمام جبال سقوط الماء سقطا رأسيا من علو ١٢٠ قدما . ثم حاولوا النزول من الباحرة ليقتربوا من المساقط سعيا على الاصدام ولكنهم باعوا بالفشل بسبب تراكم الاشجار وكتافتها . ثم بعد ان متعوا ابصارهم مرة أخرى بهذا المنظر الفتان وهم في الباحرة قفلوا راجعين الى ماجونجو .

ووقع عيد الميلاد في اليوم التالي فأتي اليهم موظفو المحطة وقدمو لهم أحسن التمنيات ودعاهم قائد المحطة للغداء عنده وكان هذا الغداء على حسب اعتراضهم من ألد ما تناولوه من الطعام في افريقيا .

وأقاموا أيضا يومين في ماجونجو ليظفروا بعمالين غير ان هذا الامر لم يكن سهل المنال لأن كباريحا سمع بقدومهم فأمر بأن لا ينقل أحد متاعهم ولكن محمد افتدى أخذ على عاتقه ان يقدم لهم مطلوبهم وفعلا أحضر لهم العمالين .

وفي ٢٨ ديسمبر انطلقوا في السير بعد ان حيّهم الجنود التحية العسكرية كما حدث عند قدومهم وبعد ان ودعوا الضباط ذا كرين لهم كرم ضيافتهم وعظيم فعالهم وحسن مقاصدهم .

وتركوا الباحرة في ماجونجو لأنها لا تستطيع ان تبعد اكثر من ذلك وساروا برا على ظهور الحمير وتجشموا كثيرا من الصعب مع العمالين الذين

كانوا من طبقة الاوغاد غير أنه كان يراقبهم لحسن الحظ حرس قوى من الجنود
فيعاونهم معاونة كبرى . وهجم عليهم وهم في الطريق رجال كبار يجاه في اليوم
الأول لأن هؤلاء الرجال ما كانوا يتوقعون أن يرؤهم مختهورين بحرس . وارتد
المهاجمون تاركين على الثرى رجالا منهم . وأقيم في الليل حرس قوى وحدث في
غضونه عدة هجمات فردتها نيران الجنود . وما زاد الطين بلة تهطل الامطار
وهيوب الزوابع وعصيف الرياح وبالاجمال كانت الرحلة غير سارة أبدا .

وبقية هذه الرحلة مسطورة في الملحق الثاني للسنة القادمة .

٤ — ملحق سنة ١٨٧٨ م

رحلة المبشر ولسن من أوغندا إلى كسوذا^(١)

ذهب بابا وإيليا

القسم الأول

من ٢١ نوفمبر إلى ٣١ ديسمبر

كتب استانلى في مارس سنة ١٨٧٥ وكان عنده في أوغندا رسالة نشرتها الجرائد الانكليزية يقول فيها ان هذا البلد صالح جدا للأعمال المبشرية . وفي بحير عدة أيام عرضت عدة هبات على جمعية مبشرى الكنيسة اذا هي تعهدت بارسال بعثة الى بلد متيسا . وقبلت الجمعية ووجهت الدعوة الى المتطوعين فلبيوا دعوتها . وفي ربيع سنة ١٨٧٦ سافرت من انكلترا الى زنبار بعثة منتظمة تنظيمها تاما برئاسة الملازم « سميث » Smith . ووصلت الى شاطئ بحيرة فكتوريا نيانزا الجنوبي في مايو سنة ١٨٧٧ .

وكانت هذه البعثة مؤلفة من أربعة أعضاء مات منها الدكتور سميث لدى وصوله الى البحيرة وقتل الملازم سميث والمستر « أونيل » O'Neill

(١) — راجع الجزء الذى وضعه ولسن من كتاب « أوغندا والسودان المصرى » ، الفصل العاشر .

يد الاهلى في جزيرة من جزر البحيرة وبقى منها المبشر ولسن وظل وحده في
أوغنده لغاية خريف سنة ١٨٧٨ م

وعندما علمت الجمعية بهذا المصايب بادرت بارسال بعثة أخرى . وفي ٦
نوفمبر وصل الى ولسن من الحكمدار أمين بك في روباجا خطاب يقول له فيه
انه سيأتي قريبا ثلاثة مبشرين عن طريق النيل الى مرولى وهي آخر محطة
عسكرية مصرية في الحد الجنوبي واقعة على بعد ٣٠٠ كيلومتر من روباجا .

وفي ٢١ نوفمبر سافر ولسن من روباجا الى مرولى وفي ٦ ديسمبر
شاهد العلم المصرى على مسافة يتحقق على هذه الناحية . ولدى وصوله اليها
أطلقت المحطة مدفعين إذانا بقدومه ووجد فرقه من الجندي مصفوفة
خارج المحطة فقدمت له الاسلحة تعظيميا وعزفت الأبراق السلام المصرى .
واستعلم عما اذا كان رجال من البيض قد قدموا فأجيب سلبا . غير انه
قدم اليه خطاب من برسون وهو مبشر آخر يدعوه فيه أن يأتي
إلى فويرا وهي محطة عسكرية مصرية أخرى واقعة على بعد زهاء مائة كيلومتر
من مرولى .

واستقبل ولسن احسن استقبال وقدم له الضباط واجبات الضيافة في
محطة مرولى ووضعوا تحت تصرفه ديوان الحكومة وقدموا له الطعام بالمزيد
لأن الحكمدار كان أصدر الأوامر بأن يعامل اذا أتى الى مرولى أو أية محطة
أخرى من محطات مديرية معاملة ضيف عزيز نازل عنده .

وفي ٩ ديسمبر شخص من مرولى الى فويرا فوصل اليها في ١١ منه وكان
يأمل أن يجد فيها اصدقائه إلا أنهم ما كانوا وصلوا اليها لغاية هذا التاريخ .

ووضع تحت تصرفه محمد افندي قومنـدان المحطة الذى كان عقد معه عروة الصداقة كواحدا حسنا جدا خارج المحطة مطلما على النيل ومشرفها على منظر جميل وعلى النواحي المجاورة .

وفي النهاية ورد له في ٢٦ ديسمبر خطاب من بيرسون وفلكن يقولان فيه إن المرض عاقهما وانهما سيأتيان بطريق البرت نيازرا وماجونجو.

وبقية هذه الرحلة مذكورة في الملحق الأول للسنة التالية .

سنة ١٨٧٩ م

حكمدارية أمين باشا

إنجازه للأعمال الإدارية في ماجونجو

لم يتصل بنا شيء من أخبار تنقلات هذا الحكمدار لغاية شهر نوفمبر من هذه السنة وقد يجوز أنه ظل مقىماً في لادو . وقد سافر في هذا التاريخ إلى دوفيليه ومن هذه الجهة شخص نحو الجنوب .

وفي ١٧ نوفمبر وصل إلى وادلاي فلم يحضر إليه شيخه المسئي أيضاً بهذا الاسم غير أنه أرسل إليه أخاه مصحوباً بثمانية زنجي ومهـ نابـ من آنـيـابـ الفـيـلـةـ بـصـفـةـ هـدـيـةـ . وسبـبـ عدم قدـومـ الشـيـخـ عـلـىـ ماـ يـظـهـرـ أنهـ رـجـلـ بـادـنـ بـدرـجـةـ لاـ يـقـدـرـ معـهاـ عـلـىـ المشـىـ .

وقدم له الحكمدار هدايا وحـادـهـ بـصـدـدـ إـقـامـةـ مـحـطةـ فـيـ نـاحـيـتـهـ وـطـالـ بينـهـ الـأـخـذـ وـالـرـدـ إـلـاـ أـنـ الـخـاتـمـ كـانـ مـرـضـيـةـ وـوـعـدـ الحـكـمـارـ بـأـنـ يـشـدـ الرـقـابـةـ عـلـىـ جـنـوـدـهـ وـعـلـىـ ذـلـكـ وـافـقـ عـلـىـ إـقـامـهـ تـامـ طـلبـ مـنـهـ أـنـ يـحـضـرـ لـهـ وـقـودـاـ لـلـبـاـخـرـةـ فـأـجـبـ إـلـىـ طـلـبـهـ فـيـ الـحـالـ . وـعـلـمـ مـنـ الـأـهـالـيـ أـنـهـمـ يـتـبـادـلـونـ مـتـاجـرـ وـاسـعـةـ النـطـاقـ مـعـ الشـوـلـيـنـ Shoulisـ فـيـ الضـفـةـ الـشـرـقـيـةـ وـأـنـهـ فـيـ حـيـزـ الـاسـطـاعـةـ الـذـهـابـ إـلـىـ فـاتـيـكـوـ عـنـ طـرـيقـ فـابـوـ فـيـ ظـرـفـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ .

وـتـحـرـكـتـ الـبـاـخـرـةـ بـعـدـ شـحـنـ الـوقـودـ وـكـانـ التـيـارـ شـدـيدـاـ جـداـ وـبـعـدـ

البحار ست ساعات ألتقت مراسيمه عند سفح سلسلة تلاع بقصد مقابلة
شيخ آخر غير أنه لسوء الحظ بمجرد إدراك القرية الواقعة خلف التلال
لوحظ أن جميع الأهالي تعلقوا بأذىال الفرار وقضت الحال أن يرسل إليهم
ترجمانا ليدخل في روعهم الطائفة . وفي نهاية الأمر أقنع واحدا منهم
بالرجوع وهذا وعد بأن يذهب فيستحضر الشيخ ولكنه عاد في اليوم
التالي وقال إن الشيخ يأبى اجتياز دعوة الحضور لأن استقبح عدم
الجىء إليه مباشرة .

وانطلقت الباحرة تشق عباب الماء فوصلت في العشى إلى ماجونجو
الواقعة عند مدخل بحيرة البرت نيانزا حيث عقد هذا الحكمدار النية على
الإقامة وقتا يسيرا .

و قضى مدة إقامته في إنجاز الأعمال الإدارية ودرس العلاقات المتبدلة
مع الأهالي وكان شأن هذه المحطة شأن الحطات الأخرى من جهة نقاد
الذخيرة ومختلف الواردات بسبب انسداد النهر في مناطق السدود الأمر الذي
نشأ منه قطع المواصلات مع الخرطوم زهاء حوالين .

وفي ٦ ديسمبر قدم من أوغندا وفديحمل هدايا من متيسا ووزيره الأول
كاتيكيرو برسم الحكمدار ومكاتب منها ومن عرب أوغندا والمبشرين
الإنكليز والفرنساويين .

سفره إلى محطة ماهاجي وزيارة الضواحي التي حولها

وأبخر الحكمدار بعد أن أنهى ما لديه من الأعمال في ماجونجو
إلى محطة « ماهاجي » Mahagi الواقعة على شط بحيرة البرت نيانزا الغربي

ومشت الباحرة مع امتداد الشط المذكور وكان عمق الماء لا يتجاوز
عماي عشرة قدمًا . وصادف صعوبة في النزول لدى وصوله أمام الحطة بسبب
قلة غور الماء .

وهذه الحطة قائمة في وسط حقول نضرة منظرها يأخذ بالالباب
وخلفها سلسلة طويلة من الجبال المرتفعة وأمامها ماء البحيرة متعددة إلى
مسافات شاسعة .

وذهب أمين باك لزيارة سوندا Sonda وهو رئيس قرية كبيرة تسمى
« توا » Toa واقعة قرب الحطة . واكتواخ هذه القرية مبنية على خط
اكتواخ الأونورو . فوجد نساءها منهنكة في القيام بالاشغال المنزلية
والرجال يستغلون بالفلاحية وبصيد الأسماك والقنص وحلب
البقر والعز . أما مزروعاتهم فهي النورة البيضاء والصفراء والتبغ والس้ม
والقصاء والبامية .

والطريق البرية بين محطة ماهاجي و وادلاي تمر بمنطقة جبلية وقائم
عليها قرى كبيرة . أما أمر النظافة والنظام فيها خفت عنها ولا حرج .
وهذه القرى حافلة بكثرة سكانها وبها من الأنعام القطعان الكثيرة .
وقدم إلى أمين باك بعض رؤساء الزنوج المقيمين في الضواحي لزيارته
فأبروا في نفسه تأثيراً حسناً سواء أكان من جهة الهيئة أم من جهة
أساليبهم . وعلم منهم أنهم يهرون لكبريحا بالسيطرة عليهم وأنه يوجد
بيتهم وبين منطقة الأونورو صلات متينة وأنه يوجد كذلك تجارة واسعة
النطاق تقوم بنقلها مراكب تسير بمحاذاة صفة النهر الغربية إلى أن تصل إلى
مصب النهر فتتجازه وتذهب إلى ماجونجو أو « كيبيرو » Kibiro وتبادل على

ما فيها من الحاصلات . وسكن هذه الناحية يختسرون .

وكان الحكمـدار يود لو أتيحت له إطالة إقامتـه في هذه المنطقة الكثيرة الأهمـية غير أن اعمالـه كانت تتطلب قيامـه إلى جهـات أخرى فولـى وجهـه شـطر الشـمال . وجاء آخرـ الحـول وهو في دـوفـيلـيه .

١ - ملحق سنة ١٨٧٩ م

رحلة المبشر ولسن من أوغندة إلى كسونا^(١)

ذهابا وإيابا

القسم الثاني

من أول يناير إلى ١٤ فبراير

وفي أول يناير تلقى ولسن رسالة من بيرسون يقول له فيها إنهم
أمسكوا مرة أخرى في كيروتو عن متابعة السفر بسبب ما لحقهم من
التعب والنصب . وكيروتو هذه محطة مصرية أخرى على مرحلة ثلاثة
 أيام من فويرا . وعلى ذلك قرر ولسن أن يذهب مقابلتهم إذ أنه لم يعد في
 استطاعته أن ينتظر أكثر من الوقت الذي قضاه في الانتظار فسافر في اليوم
 التالي بصحبة ثلاثة من الجنود وثلاثة حمالين وخدمه .

ولدى بلوغه «كسونا» الواقعة على بعد بعض ساعات من كيروتو وجد
 فيها أنقينا رئيس الناحية فعلم منه أن أصدقاءه بارحوا كيروتو وأنهم
 سيكونون في كسونا في عشية نفس اليوم . وفي الساعة الثالثة وصلت القافلة

(١) - راجع الجزء الذى وضعه ولسن من كتاب «أوغندة والسودان المصرى»

الفصل العاشر .

فكان ضمّنها بيرسون و ليتشفيلد فقط إذ كان فلّاكن بقى في كيروتو مع الترجمات الذي كان يعالج سكريات الموت . وقضوا الليل معاً يتسامرون في مختلف الشؤون الى المزيج الأخير منه .

وفي الغد لحق بهم فلّاكن وكان الترجمات قد أدركته منيته في الليل . وتابع الجميع السير الى فويرا من جديد فدخلوها في ٧ يناير وأقاموا بها أسبوعين ثم شخصوا الى مرولى لأنهم عاملوا أنجالاً الذين طلبوا من متيساً قد وصلوا الى هذه الجهة .

وفي ٢٧ يناير أفضوا الى مرولى فوجدوا فيها الحمالين الذين بعث بهم متيساً وسافروا منها في ٣ فبراير . وفي ٨ من هذا الشهر احتازوا الحدود المصرية . وفي ١٤ منه حطوا رحالمهم في روبارجا .

— ملحق سنة ١٨٧٩ م

رحلة المبشر فلكن
من لادو إلى أوغندا (١)

من أول يناير إلى ١٤ فبراير

في أول يناير من سنة ١٨٧٩ وصلت جماعة المبشرين إلى كيروتو وهي محطة عسكرية مصرية . وداخلهم شيء كثير من المسرة عندما وجدوا أنفسهم في كتف سياجها إذ أُهْرِبُوا في غضون جو لاتهم في المسافة الواقعة بين ماجونجو والمحطة المذكورة كانوا عرضة لتغير حالة الجو وعدم اعتداله ومجاهرة الأهالي بالعدوان . وحاق بهم شيء من الأحزان بسبب موت ترجمائهم نقولا السورى الذى لبث بعض وقت مريضا ثم عاجله المنية عند وصولهم ودفن فى موضع مناسب .

وموقع المخطة بديع للغاية . ويوجد هذا الموقع في وسط أرض مكسوقة لا شجر فيها تحيط بها غابة شاسعة متراوحة الاطراف . وأنشئ حولها فضاء مساحته ٢٠٠ متر حتى لا يجد العدو ملجاً يأوي إليه . ولما لم تكن الحامية ذات قوة كافية لتقوم بالحراسة وتشتعل في وقت واحد كانت لا تختار إلا بصعوبة لا سيما أن القرى التي تكتنفها ليس فيها مصاف ولا صديق وكباري بما لم يأْل

(١) — راجع الجزء الذى وضعه فلـكـن من كتاب «أوغندة والسودان المصرى» الفصل
٦٥ و٤٢ و٦٠.

جهداً أن يخلق لها المتابع دواماً.

وقد قال المبشر فلكن في المجلد الأول من كتاب «أوغندة والسودان المصري» ص ٣٢٤ :-

« أنه لما يُؤسف له عدم القضاء على حكم هذا الملك المستبد الغشوم - يعني كبار يجا - ذلك الأمر الذي كان قد تم من زمن لو لا المعارضة الشديدة التي كان يهدىها بعض الأشخاص في بلاد الانكليز . وهؤلاء الأشخاص هم أولئك الذين يرون بعين الحسد كل امتداد يحدث في الأراضي المصرية نحو الجنوب . وزاد على ذلك بأن قال : إن في استطاعته ان يقرر وهو مستريح الضمير ان اجزاء البلاد الواقعة تحت السيطرة المصرية والحكومة بنفس ذات الطريقة التي يسير عليها في حكمه حكمدار مديرية خط الاستواء الحالى لهى في حالة احسن كثيراً مما كانت عليه تحت سيطرة ملوكها الغشم المستبدin » . اه

ويظهر من هذا الكلام ان الانكليز منذ ذلك الوقت كانوا واقفين لنا بالمرصاد في السودان ولا يرغبون أن تتغلب فيه وتحتل من اراضيه شيئاً .

وأثنى اتفينا ليزورهم في كيرتو وفي ئينايير ولوا وجوجو لهم شطر «پانياتول» Panyatole وهي مقر اتفينا . وهبت عليهم في الطريق عاصفة مصحوبة بحظر فبلاتهم . ولدى وصولهم إليها وجدوا المبشر ولسن الذي كان قد قدم إليها من أوغندة بقصد مقابلتهم .

وكان كل قرى هذه الناحية تحيط بها زرائب ذات أوتاد لوقايتها من كباريحا ومن عادية النمسور . وهذه الزرائب ليس لها سوى مدخل واحد يقفل ليلا .

وقد لهم انقينا مقابلة ودية للغاية وأحسن مشواهم وكان ديوانه غاية في النظافة وأرضيته مفروشة بالبساطة التركية .

وانطلقوا في اليوم التالي في الطريق ميممين فويرا . وكان الطريق وعرا ويمر في جوف ارض فسيحة واسعة مغطاة بالأشجار والخائش العالية وبها جذوع اشجار تحول دون المرور . وكان يرافقهم حرس من الجنود .

وبلغوا فويرا في اليوم التالي لسفرهم . وكانت المحطة قائمية على صرفع عند منعرج النهر وذلك ما جعلها حصينة من جانبين . أما اتساع النهر في هذا المكان فيبلغ ٨٠٠ ياردة وسماوه عميق جدا فتستطيع الباخر الكبيرة أن تختر فيه لغاية أوروندو جانى . ويوجد بعد هذه الناحية الأخيرة مساقط تحول دون الدخول في بحيرة فكتوريا نيانزا . ولا بد من ايجاد ميناء بين فويرا و ماجونجو لأن انحدار النيل بين هاتين الجهتين يبلغ ٧٠٠ قدم .

وفي الغد أبحروا في زوارق من فويرا وبعد ستة أيام أفضوا إلى مرولي وهي أقصى محطة مصرية في الجنوب وكان وصولهم إليها في ٢٧ يناير سنة ١٨٧٩ م .

وفي ٣ فبراير بارحوا مرولي وتركوا فيها حرسهم المؤلف من

الجنود المصرية آسفين أشد الأسف لفارق رفاق غاية في المودة
والأخلاص .

وكان متيسا قد أرسل لمقابلتهم ١٥٠٠ رجل و ٤٠٠ جمال . وفي ١٤
فبراير دخلوا روپاجا عاصمة بلاده .

وعند سفرهم من بلاد الانكليز كانوا قد سخروا من فكرة امكان الوصول
إلى أوغندا بطريق النيل . حتى ان استانلى أكيد لهم بأنهم لن يصلوا ومعهم
نصف أمتعتهم ، ومع ذلك قد وصلوا من سواكن إلى روپاجا ولم يفقد لهم
طرد واحد .

٣ — ملحق سنة ١٨٧٩ م

رحلة المبشر فلكن من أوغندا إلى لادو^(١)

من ١٧ مايو إلى ١٨ سبتمبر

سفره إلى مرولي

كان قد تقرر أن يسبق فل肯 المبشر وليس بعده لأن أقام
فل肯 في أوغندا ثلاثة أشهر بارحهـا في ١٧ مايو سنة ١٨٧٩ وسافر إلى
مرولي فوصل اليهـا في أول يونيو من هذه السنة . وبما أنه لم يخبر أحدا
بقدومه فلم يقدم له التحية سوى بوق واحد وطبلـل واحد وخمسة من
الجندـود . وبادر صديقه القديم « فرج افندي اجوك » Ajok قومـدان الموقـع
بالاتـيان للسلام عليهـا وليعبر له عـما خـالج قـلـبه من عظـيم المسـرات لـمشاهـدـته مـرة
أخـرى . وكان هـذا الضـابـط وهو في رـيـان الشـباب من جـنـود الحـرس
الخـاص لـسير صـموـيل يـسـكر وقد حدـث في يوم من الأـيـام ان أمر باـعـدامـه
رمـيا بالرصـاص لـهرـبـه من الجـنـدية ثم عـفا عنـهـا وبعد ذلك تـرقـى إـلـى أن صـار ضـابـطا
من خـيرـة الضـابـطـات .

(١) — راجـع الجزـء الـذـي وضعـهـ فـلـKen من كـتاب « أوـغنـدا وـالـسودـان المـصـرى » ، الفـصل
٦٥ وـ٦٤ وـ٦٢ .

وكان جميع الجنود مشغولة بتنمية المغاريس وكان سلاحهم مصروفًا على
شكل باقة بخازنهم استعداداً للدفاع في حالة ما إذا طرأ هجوم لأن كبار بخا
كان قد هدم المخطة وقتل الأهالي بعض الجنود ولكنهم عوقبوا عقاباً زاجراً
وأستولت الجنود منهم على ٨٠٠ رأس من الأغنام غنية .

وفرح الضباط لایاب فلـكن لأنهم ما كانوا يتوقعون أن يروه مرة
ثانية بعد الاشاعات التي تواترت عنه بسبب ملاقامه من الصعاب
في أوغندا .

ولم يطب فـلكن نفساً بالاقامة في مرولي لأن ماحولها كان مغموراً بالماء
وفيها اسراب كثيرة من البعوض وكان أكثر الضباط وجميع رجال المدفعية وهم
مصريون ، مصابين بالحمى .

وكان ريونجا يسكن بالقرب من مرولي وكان يتهيء عجباً بالعلم الذي
أعطيه وكان من وقت ما تبادل الدم مع سير صمويل يـكر الحليف الأمين
للحـكومة .

سفره الى محطة كودج و فويرا

وفي ١٠ يونيو غادر فـلكن مرولي ووصل في اليوم ذاته إلى « كودج » Kodj . وكودج هذه هي المعسكر العام لريونجا ويوجد فيها حصن مصرى
وقومندانه سليم افندى مطر الذى ترقى فيما بعد ونال رتبة بك ولعب دوراً
هماً في فترة حملة استانلى وأخلاء مديرية خط الاستواء . وقطع فـلكن هذه
المسافة في زورق بالنيل . وكان اتساعه ٨٠٠ يارد و كانت ضفتاه جديتين
بريشة المصور وبها نباتات وافرة منظرها يأخذ بمحاجم القلوب .

سفرہ الى فاتیحہ کو واستقبالہ

وبعد تأدية هذه الرسميات سلم فـكان على قائد المحطة عبد الله افendi

نمير وعلى صاحبه القديم مرجان افندي الناصوري قائد محطة ماجونجو الذي كان في فاتيكان في ذلك الوقت وعلى الضباط ووجد خطابا جاءه من ولسن من مرولي وكان الساعي قد نسى أن يسامه ايام غير أنه تذكر غاية الكدر إذ رأى أن أمينا لم يأت إلى فاتيكان لأنه استدعى إلى لادو لأعمال هامة وهو في منتصف الطريق.

وقضى فلakin في فاتيكان أسبوعا وهو مغتبط غاية الاغبطة. وكانت الخطبة موضوعة وضعها جميلا وكان المسواء عليلا بليلا ولا أثر للبعوض. وكانت قبل الشولين الواقعة المحطة في بلدتهم مخلصين للحكومة فلا يكبدونها شيئا من التعب. وكانت في استطاعة الجنود أن يسيروا بغير سلاح وإذا وقع أحدهم في مخالب المرض بعيدا عن الحصن حملوه على نقالة وأتوا به إلى المحطة.

وكانت السهل الذي يحيط بالمحطة خصبا للغاية ويلمح المرء على مدى البصر حقولا مزروعة حبوبا وهذه الناحية هي في الواقع مستودع حبوب المديرية فنها ترسل الذرة إلى مرولي وكيروتوك بل في بعض الأوقات إلى لادو أيضا.

سفره من فاتيكان إلى محطة كري

وفي ١٤ يوليه غادر فلakin فاتيكان بعد ان ودع القائد والضباط الذين أظهروا له الشيء الكثير من التودد والجاملة مدة اقامته بينهم وذهب إلى دوفيليه فدخلها في ١٦ منه ووجد المحطة حدث فيها تحسين كبير فأقيمت أكواخ جديدة ودهنت البواخر حديثا وكانت كل الاشياء مرتبة

ومنظمة تنظيمها متفناً.

ولما كان الحمالون متأهلين للرحيل عقد العزم على السفر في اليوم التالي لوصوله وكانت المناطق التي اجتازها غاية في البهاء فالمجال من ناحية والنيل من ناحية أخرى لاسيما عندما ينحصر النيل في المضيق الواقع شمال دوقيله ويتدهور مأوه بسرعة فوق الصخور مرغياً مزبداً.

ومن فلاجـكـن ورفاقه بلا بوريه وهى محطة واقعة على ضفة النهر فى موضع
بلغ نهاية الحسن بجانب جبل يشرف على النهر ويبلغ ارتفاعه ٢٦٠٠ قدم .
وكانت المحطة مخصصة لتحسين عظيمها وكان يوجد بها عددًا الجنود الذين خرجوا
ليحيوه أربعة من الفيلة الالية .

وبعد لا بوريه أفضى فلcken ومن معه الى موجى وهى المحطة الـى فككت
فيها الـبواخر لاعادة تركيبها فى دوفيليه لأنـه كان يستحيل جرهـا فى المساقط
بالـاحبـال . وبـاشر جـمـيع هـذـا العـمل مـهـنـدـس مـصـرـى يـقـال لهـ اـبرـاهـيم اـفـنـدـى خـلـيفـة
فقـام بـه خـيـر قـيـام وـاسـتـحق جـزـيل الـحمد وـمـزـيد الشـنـاء .

و عند زيارة فلكن الأخيرة كان تشيد الحطة قد أعيد في موضع آخر
جميل بسبب عمرها بـاء الفيضان وأقيم المعسكر على صفة الهر تحت شجرة
ضخمة باستراحة تجاه جبل علوه ١٥٠٠ قدم على الضفة المقابلة . ويتألف من كل
هذا منظر يسحر الالباب ويسى العقول .

يُحْمِلُهَا سُورٌ مُتَّيِّنٌ مُشَيدٌ بِالْأَحْجَارِ وَلَا كَانَ يَكْسِفُهُ أَرْضٌ مُكْشُوفَةٌ صَارَ أَمْنَعَ
مِنْ عَقَابِ الْجَوَ.

وَقَبْلَ أَنْ يَصُلَّ إِلَيْهَا رَأَى عَلَى الضَّفَّةِ الْأَخْرَى تَحْتَ شَجَرَةَ كَبِيرَةَ
قَبْرَ إِرْنَسْتَ دِيْ بَلْفُونَ الَّذِي قُتِلَ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ . وَقَضَى فَلَكَنَ فِي كَرِي
يَوْمًا هَنِيَّا مَعَ أَنَّهُ الْتَّزَمَ أَنْ يَعْالِجَ عَدَدًا لَيْسَ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْمَرْضَى عَرَضُوا
أَنفُسَهُمْ عَلَيْهِ .

سُفَرَهُ مِنْ كَرِي إِلَى لَادُو

وَفِي ٢٢ يُولِيُّو أَبْحَرَ مِنْ كَرِي فِي زُورَقٍ مِمِّمَا « يِيدُنْ »
Bedden . وَكَانَ اتساعُ النَّهْرِ فِي تَلْكَ النَّاحِيَةِ لَا يَزِيدُ عَنْ ٤٠٠ يَارَدَه
وَضَفَّتَاهُ مُرْتَفَعَاتٌ كَثِيرًا فَوَصَلُوا إِلَيْهَا فِي زَمْنٍ يَسِيرٍ إِذْ قَطَّعُوا الْمَسَافَةَ
بَيْنَ الْمَحْطَمَيْنِ وَقَدْرُهَا ٥٠ كَيْلُومُترًا فِي ظَرْفِ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ . وَهَاجَمَ مَرْكَبُوهُمْ
فِي اِنْتَهَى الطَّرِيقِ فَرَسَ مَاءَ قَتْلَهُ فَلَكَنَ وَالْجَاوِيشُ الَّذِي كَانَ يَرْافِعُهُ
بِطَلَقَيْنِ نَارِيَيْنِ .

وَمُحْطةُ يِيدُنْ قَائِمَةٌ عَلَى جَزِيرَةٍ فِي كُلِّ جَانِبِ مِنْ جَوَانِيْهَا مَسَاقِطُ
مَاءٍ . وَالنَّيْلُ فِيمَا وَرَاءَ هَذِهِ الْمَسَاقِطِ صَالِحٌ لِلِّمَلَاحَةِ لِغَايَةِ الْخَرْطُومِ . وَلَذِلِكَ
كَانَ يَوْجَدُ هَنَاكَ بِإِخْرَى صَغِيرَةَ وَاقِفَةً . وَأَنْشَأَ غُورَدُونَ باشَا فِي هَذِهِ
الْحَطَّةِ « طَوْفَا » مَعْدِيَّةً يَعْبُرُ النَّهْرَ بِوَاسْطَةِ حَبْلٍ مِنَ الصَّلْبِ وَكَانَ يَسْتَحِيلُ
إِجْتِيَازُ النَّهْرِ بِغَيْرِ وَاسْطَةِ هَذِهِ الْحَبْلِ بِسَبَبِ قُوَّةِ التَّيَارِ . أَمَّا مَنْظَرُ مَا حَوْلِ
الْجَزِيرَةِ فَيَسْحُرُ الْأَلْبَابَ وَيَأْخُذُ بِجَامِعِ الْقَلُوبِ وَكَانَ فَلَكَنَ يَجْنِحُ إِلَى أَنْ يَطِيلَ
مَدَدَ اِقْامَتِهِ فِي بَقِعَةٍ بَلْغَتْ تَفَاصِيْهَا هَذَا الْمَقْدَارُ الْعَظِيمُ غَيْرَ أَنْ وَقْتَهُ لَمْ يَكُنْ

يسمح له بذلك فأبحر ثانية في مركب آخر إلى الرجاف بعد وقوف ساعة
وهنا اختلف شكل الأرض إذ أنها بعد أن كانت جبلية من الناحيتين انقلبت
سهولاً تتواءر فيها مزارع النرة الواسعة.

ووصل إلى الرجاف في نفس اليوم فاستقبله فيها صديقه قدماً قائد
محطة اسماعيل افدي خطاب الذي يصفه فلـكـن بأنه ألطـفـ مصرـيـ
وـقـعـتـ عـيـنـهـ عـلـيـهـ . وسر سروراً لا مزيد عليه إذ جـاهـ ذلك القـائـدـ بـصـفـةـ
هـدـيـةـ بـقـدـرـ مـنـ الـبـنـ وـالـسـكـرـ وـالـشـمـعـ وـالـصـابـونـ تلكـ الأـشـيـاءـ التـىـ
حرـمـ مـنـهـ زـمـنـاـ طـوـيـلاـ .

واسفر من الرجاف وحط رحاله في غندوكورو الواقعه في منتصف
الطريق بين محطتي الرجاف ولادو . فوجـدـ حـالـهـ تـغـيـرـتـ تـغـيـرـاـ كـبـيرـاـ عـمـاـ
كـانـتـ عـلـيـهـ فـعـمـدـ سـيـرـ صـمـوـيلـ يـيـكـرـ إـذـ أـمـسـتـ نـقـطـةـ صـغـيرـةـ قـائـمـةـ عـلـىـ
ضـفـةـ النـهـرـ مـنـ وـقـتـ ماـ نـقـلـتـ عـاصـمـةـ المـدـيـرـيـةـ إـلـىـ لـادـوـ . وـزـارـ فـلـكـنـ المعـسـكـرـ
الـقـدـيمـ فـلـمـ يـجـدـ مـنـهـ قـائـمـاـ غـيـرـ مـتـارـيـسـهـ وـزـارـ أـيـضاـ قـبـرـ «ـهـجـنـ بوـثـامـ»ـ
الـقـدـيمـ مـهـنـدـسـ سـيـرـ صـمـوـيلـ يـيـكـرـ الذـيـ تـوـفـيـ فـيـ زـمـنـ الـحـالـةـ
كـاـ زـارـ قـبـورـ الـمـبـشـرـينـ الـرـوـمـانـيـنـ الـكـاثـوـلـيـكـ الذـيـ كـانـواـ أـنـشـئـواـ بـيـعـةـ
فـيـ غـنـدـوكـوـرـوـ وـلـمـ يـتـرـكـوهـ إـلـاـ بـعـدـ أـنـ تـوـفـيـ مـنـهـمـ سـتـةـ وـعـشـرـونـ مـبـشـرـونـ
فـيـ حـوـلـ وـاحـدـ . وـلـمـ يـبـقـ الـآـنـ مـنـ تـلـكـ الـبـيـعـةـ إـلـاـ أـطـلـاـهـ وـأـشـجـارـ
الـلـيـمـونـ التـىـ كـانـواـ زـرـعـوهـاـ .

واستمر فـلـكـنـ نـازـلـاـ مـعـ الـنـهـرـ وـبـعـدـ خـمـسـ سـاعـاتـ وـصـلـلـ إـلـىـ
لـادـوـ وـفـيـهـ اـسـتـقـبـلـهـ الـحـكـمـدارـ أـمـيـنـ بـاـكـ اـسـتـقـبـالـاـ وـدـيـاـ لـلـغاـيـةـ . وـشـعـرـ فـلـكـنـ
بـسـرـورـ لـاـ مـزـيدـ عـلـيـهـ لـهـذـهـ الـمـقـاـبـلـةـ الـجـدـيـدـةـ وـنـزـلـ فـيـ ضـيـافـتـهـ مـنـ

يوليه لغاية ١٨ سبتمبر ولحق به المستر ولسن ورسل متيسا في ١٩
أغسطس .

وكان أمين بك يدير حكمداريته بمهارة كبرى وعدالة ومع أنه ظل
عامين لا يصل إليه شيء من الخرطوم استطاع بما كان يجيئه من
المديرية من الإرادات أن يقوم بسداد المصاريف بدون أن يدع سبيلًا لأحد
من جنوده أن يتذرع أو يتسلل . وكانت علاقة الأهلى مع الحكومة في
غاية من الصفاء والودة . أما « اللورون » Laron رئيس « الباريين » Baris
الذى اقتل مارا مع سير صمويل بيكر فكان يعيش هو والمصريون
عيشة صدقة وآخاء . وفي مدة اقامة فلكن في لادو قتل جندي يوماً تمساحاً
كان من عادته أن يترقب النساء اللواتي يذهبن لاغتراف الماء فيختطفهن .
وبشق جوفه وجد فيه سبع فتختات من نحاس « دبل » .

ولما كان فلكن قد أقام زماناً في ضيافة الحكمدار فقد استطاع أن
يعرف نظام مديرية خط الاستواء وهكذا ما قاله في هذا الصدد :—

« إن لادو عاصمة المديرية هي مدينة حسنة البناء فديوانها ومكتبه
ومسجدها وبجميع مبانى الحكومة فيها مشيد بالآجر ومسقوف بالحديد المصفح
المقاوِج . وكافة المساكن الأخرى مقامة من الخشب والخشائش وترمم
كل سنتين أو ثلاث سنوات بسبب ما يحدُّه بها من التلف السوس
ونوع من النمل لونه أبيض . وسائر الشوارع فسيحة ومستقيمة في الامتداد
وبواسطة تنظيم وتنسيق فضاء طلق تبلغ مساحته ٣٠ ياردة بين الدور والخصوص
أضحت الحطمة محاطة ب محل رحب للنزهة . ويوجد خارج الأسوار بستين
وحدائِق متراصة على الأطراف بها عدا الموز كثيرة من الزهور الأوربية

واغراس شبه جزيرة بلاد العرب يعمل الحكmdar وهو الطيب أمين بك بهمة كبيرة في سبيل تبليدها أى تعويدها على مناخ المنطقة . وتوجد شجرة من أشجار الكافور بلغ ارتفاعها لـ ٢٥ قدمًا . وستستفيد أواسط افريقيا من هذا النوع من الاشجار عندما تنتشر زراعته لأنَّه خلا تأثيره العظيم في الاحوال الصحية في البلد فان خشبها يسد فراغا يشعر بوجوده منذ زمن بعيد .

وللمحطة ثلاثة أبواب يقيم عليها حراس ليلاً ونهاراً . وتفتح هذه الابواب من الساعة السادسة صباحاً إلى الساعة الثامنة مساءً . ومن غير المصحح به مطلقاً اطلاق أغيرة نارية بجوار المحطة ابتداءً من غروب الشمس إلى حين شروقها اللهم إلا إذا كان الطلق اشعاراً بحدوث هجوم . وفي الساعة الخامسة والنصف صباحاً ينفتح في البوّاق إذاناً بالاستيقاظ . وبعد هذا توقد النيران في الحال . وفي الساعة السادسة يقومون بالمناداة بالاسماء ثم تفتح الابواب وعندئذ يقوم الجندي بعملية التمرير وتأخذ النساء في كنس الشوارع . وفي الساعة الثامنة والنصف يذهب الجميع ما عدا الحراس لأشغال في المزارع وجلب الماء أو جمع الحطب وترسل القطعان للمراعي حالماً يرتفع النداء . وتستمر الأشغال لغاية الساعة الحادية عشرة والنصف وتظل معطلة للراحة لساعة الثانية والنصف وتعود بعد ذلك لغاية الساعة الخامسة مساءً وعندئذ يرجع الجميع إلى الحصن . وفي الساعة الثامنة ينادون الاسماء وتفغل الابواب . وفي الساعة التاسعة تطفأ الأنوار ويطوف ضابط ليتحقق مما إذا كان هذا النظام مرعياً ومعمولاً به .

والآوامر التي بتصدّد النار في غاية الشدة . فإذا هب إعصار في النهار تنفتح في البوّاق حالاً إذاناً باطفائهما ويعاقب كل من لم يبادر بالعمل بهذا الأمر عقاباً صارماً . وهذه الحالة ضرورية جداً لأنَّه إذا اشتعل كوخ من الأكوخ

يصعب كثيرا اتخاذ المحطة بل تدمر تدميرا . وفي ربيع سنة ١٨٧٨ م راحت
لادو نفسها طعمة للنار التي التهمت المؤونة والميرة الكثيرة التي كان سير صمويل
بيكر باشا قد أتى بها لتمويل المديرية .

ويوجد على مقربة من كل محطة عدد من القرى يسكنها الاهالى
وتقسم المديرية الى محطات يقام في وسط كل منها حصن . ومن المفروض
على الاهالى توريد رسوم الحبوب والماشية في هذا الحصن . وسائل الجنود
تقريبا من سكان مصر كاكا . ويكون منهم جيش يتعرّض وجسود مثيله
من حيث شكل الجسم ولياقته وهم جنود بواسل . ولقد يستطيع المرء ان
يجترئ فينعتهم بالبطولة والنشاط التام . فهم يطعون قوادهم اطاعة عمياء
ويؤدون في الوقت نفسه واجباتهم بفطنة وذكاء . وكلهم مسلحون بينما دق
من طراز رمنجتون وهم يجلون هذا النوع من السلاح ويفخرون
بحمله لاما لمعانا تماما . أما كساويمهم عندما يقومون بالخدمة في المحطة
فهي بدلة يضاء وحذاه وطربوش وجعيبة لاظروف « الخرطوش » من جلد
النمور يتمتطقون بها في خواصهم ويعلقون بها سنّاتهم ومداهم . ولدى المسير
يلبسون سترة قاتمة وسرروا « بنطلونا » قصيرا وقلما ينتعلون أحذية . ورجال
المدفعية هم وحدتهم من المصريين وحالتهم الصحيحة على غير ما يرام حتى الضباط
فاغلبهم الآن من الاهالى .

وعلينا أن نذكر كلمة بشأن الترجمة فنقول : إن هؤلاء اصلهم أرقاء
لأولئك الرجال الذين كانوا يستغلون فيما سلف بالخاصة وكافتهم يتكلمون اللغة
العربية ودربوها في بادئ الأمر على حمل الاسلحة . أما الآن فيختلف منهم
نوع من الشرطة الاهلية . وكل قرية من قرى الاهالى مكافحة بتمويل

رجل أو أكثر من هؤلاء الرجال الذين تقع عليهم مسؤولية الأمان ومراقبة جبائية الرسوم المضروبة على الحبوب ويقطن منهم نحو العشرين أو الثلاثين بجوار الحصن ومتي احتاج الأمر إلى حمالين أو كان بعض الأهالى مطلوبا للشغل في المحطة يكلف أولئك الرجال بجمع العدد اللازم . وبما أن الأفريقيين يعسر عليهم العدد فهم ما زالوا للآلات يستعملون الطريقة التي نسخت وهي تقديم حزم من القش عددها مساو للعدد المطلوب .

وقلما تقع جنائية . والصعوبة الوحيدة التي تواجهها الحكومة هي العمل في سبيل حفظ ورعاية نظام دقيق إذ بدون ذلك يتذرع ايجاد حكومة حسنة . والواقع أن الأفريقيين هم أولاد كبار فلا بد من الاستمرار على مراقبتهم مراقبة دقيقة مقرونة بالحكمة . ولا يمكن ممارسة الحرارة بالكيفية التي يفهمها الانكليز من هذه الكلمة . ولا بد من الامتنال واطاعة أوامر الحكومة الخاصة بدفع الضرائب في أوقاتها وتقديم الحمالين ونقل البريد بانتظام ومراعاة اللوانح والقوانين الأخرى . ويلزم لبلوغ هذه الغاية أن يخضع الأهالى لمراقبة الموظفين وتدخلهم تدخلا بارزا أكثر مما ينبغي أن يعمل في بلاد أخرى أعظم تقدما في المدينة .

ويجب القيام للآلات بعملية النقل بواسطة الحمالين لأنهم لم يتم إلى هذه الساعة ادخال طريقة العجلات التي تجرها الشيران . وما يوسف له ان محاولة غوردون باشا ادخال النقل على ظهور الفيلة مثل « الهند » لم تنجح . وقد قيل لي انه من المستطاع اقتراض وتدريب اثني عشر فيلا في عام واحد بواسطة أربعة أفيال مدربة تدربيا حسنا واثني

عشر في الا . غير أن بعض مقامات اعتبرت على هذا القول بأن فيلة افريقيا لا تصلح لهذا الغرض ومع ذلك فقد روى أنها كانت تستعمل في الازمان الغابرة بطريقة عامة .

وبصرف النظر عن المصاعب الأخرى فان الجمالين مع كل هذا اناس ذوو عنابة كبرى فلم يحدث قط مرة أى تكدرت لكسر صندوق . نعم ضاع لى مررة طرد واحد إلا أنه جاءنى سليما بعد بضعة أيام .

ويقود كل ثلاثة من الجمالين مكونة من ١٠ أو ٢٠ جندي حسب أهمية القافلة . وهذا الجندي مسؤول عن الأهمال فيقوم بحراستها وحراسة المشاة معا . وهذه طريقة مفيدة للأوربيين لأنها تعفيهم كليا من الاهتمام بمسألة متابعتهم وتمكنهم من توجيه كل أنظارهم إلى التمتع بمشاهدة محسن الطبيعة والباحثات العالمية .

أما نظام السير فهو بالطريقة الآتية وهي : تبتدىء المقدمة في السير حاملة العلم يتقدمها ترجمان يؤدى في الوقت نفسه وظيفة دليل ويسير خلفها الجمالون على بعد ٢٠ أو ٣٠ ياردة ويسير جندي خلف كل ١٠ أو ٢٠ رجلا . وتنقل طرود الزاد والذخيرة في وسط القافلة بحراسة أربعة من الجندي بقيادة چاويش يحمل بندقيته شاب صغير . ثم تأتي النساء عقب جميع الجمالين يحملن الزاد والمحجارة التي يسون بها الخبز . ثم يأتي خلف الجميع المؤخرة ناشرة عالمها . ويكافد الضابط المناوب في الخدمة عناء جما فعليه أن يلقى بنفسه بين آونة وأخرى في الحشائش العالية ويعيشى من المؤخرة إلى المقدمة ويستعمل من كل جندي يمر أمامه عما إذا كانت كل الأمور جارية في مجراها الحسن وعما إذا كان كل شيء تماما فلا ينقص طرد ولا رجل . وإذا سمع

صوت بالاستغاثة تركض المقدمة الى الذخيرة وأولئك الذين خلفها يعدون الى الامام وتفتح الصناديق وتوزع كميات اضافية من الذخيرة . أما الحمالون والنسوة فيينضمون داخل حلقة مكونة من الاجمال التي تكدس بشكل متراس منيع على قدر الاستطاعة . وأولئك الذين حضروا هذا المنظر لأول مرة وشاهدوا السرعة التي يتم بها أخذ هذه الاحتياطات يحكون ان ذلك عمل مدهش . ولدى السير في المناطق التي الأمان فيها موطن قليلاً ترسل كشافة الى الامام ويعشى في الوقت نفسه عدد من الرجال بجانب الجملة على بعض مسافة منها .

ومن المستحيل اقناع الأهالى بالسير ليلاً ومن ضمن الاسباب التي تحملهم على عدم السرى ت Shawā'um them من القمر .

ومن الأمور العجيبة ان ما من مررة سريت والبدر تام إلا وأصبحت بعد ذلك بحى .

وتسمى الأهالى كثيراً أيضاً من السفر في البكور بسبب الندى وإذا اكرهوا على ذلك يعلقون على صدورهم جلوداً أو غصونا من غصون الشجر حتى لا يبتلوا . والقاعدة العامة عندهم هي أنهم يأتون هذا العمل في ساعة السفر الأولى حتى ولو كانوا لا يلبسون ملابس لا يخترقها الماء منفضلين وهج الشمس على القر والندى .

وعند الوصول الى المكان المعين لاقامة المعسكر يجتمع الحمالون وتعد الاجمال وتكدس وتوقد النساء النيران ويسرعن في طهي الطعام ويدهب الرجال للأدغال ليحتطبووا وليجتمعوا حشائش لاقامة أكواخ . ولا يستغرق

هذا العمل وقتا طويلا ففي ساعة تقريبا يتم تشييد أكواخ حسنة هذا اذا لم يكن قد ران على الرجال الكسل المفرط او لقفهم شيء كثير من التعب والنصب .

وعندما تواري الشمس بالحجاب يقدم الجميع من بالقالة طعام العشاء وتوقد النيران ليلا حول المعسكر ويرتب الحرس ولا يؤذن لأحد ان ييارح المعسكر منها كانت الاسباب الاهم إلا اذا أخذ معه مشعلا . والغرض من هذا الاحتياط منع اللصوص أو العدو من مهاجمة المعسكر بغية . وكل انسان يجول حول الخطوط بدون ان يكون حاملا مشعلا ي عدم رميها بالرصاص في الحال .

فلله هذا المنظر الغريب الذي تقع عليه عين من يتزه حول المعسكر ويري الرجال متكتفين على جميع الوضاع يا كلاؤن ويفرون ويدخنون والنساء يسهرن على النيران وطحن الحبوب وصنع الخبز !! هذا المنظر الذي يضيء لهب النيران !!

وعندما ينفضون من الطهي والطعام يسارعون احيانا الى الرقص وبهذه الطريقة يريحون عن قلوبهم لوعة الساعات الدامسة المدحمة ولا ينامون الا ساعتين او ثلاث ساعات قبل الرحيل القادم . فكيف يستطيعون مقاومة مشاق السفر مع ائمهم لم يعنحوا انفسهم راحة إلا تلك المدة القصيرة . هذا ما حار فيه فهمى وضل فيه صوابى .

وكل حارس له نمرة خاصة فيصيرون ذاكرين نرهم الواحد تلو الآخر بين آونة وأخرى في مدة لا تتجاوز بعض دقائق ويصبح الصف ضابط لدى سماعه النمرة الاخيرة : « تمام » . ثم تعيد الدورية عملها وإذا فات أحد الحراس دوره تتف الدورية . والويل كل الويل للحارس الذي لا يصبح ذاكرا نمرته

عندما يأتي دوره فإنه يجده من ١٥ إلى ٢٠ جملة فلا يعود بعد تغمض له عين أبناء الليل ». اه

وانعدم صرح الآمال الذي بنىاه المبشران ولسرت وفلكن حينما علما أن النيل خلافاً لما كانا يأملان عاد فانسد في منطقة السدود وأمسى غير مفتوح للملائحة فصار في غير استطاعتهما الرجوع بطريقه الى الخرطوم فقرراً أن يسلكا في عودتها الطريق المار من بحر الغزال ودارفور . وعلى ذلك ودعا أمين بك في ١٨ سبتمبر عام ١٨٧٩ آسفين جد الأسف بعد أن قدموا له الشكر الجليل لحفاوته بهما وأكرام مشواهما . وقد نالا من كرم الضيافة وعظيم الحفاوة في جميع محطات الحكومة مثل ما لقياه في مديرية خط الاستواء ووصلوا الى الخرطوم في ١٦ فبراير عام ١٨٨٠ .

— ملحق سنة ١٨٧٩ م

رحلة المبشر ولسن
من أوغندا إلى لادو^(١)

من ١٦ يونيو الى ١٩ سبتمبر

أقمع المبشرون متيسا في مايو عام ١٨٧٩ م بأن يرسل مندوبيين إلى إنكلترا وقد اختيرت لذلك طريق النيل وفضلت عن طريق زنبار لأنها أكثر منها أمنا . ولما كان من اللازم اخطار أمين بك فقد سافر فلـكـن إلى مرولي ليتحادث معه في هذا الصدد . وعلى ذلك شخص من رو باجا إلى مرولي في مايو عام ١٨٧٩ م .

وسافر والسن هو الآخر في ١٦ يونيو ووصل إلى مرسولى في ٥ يوليه
ونزل كالمرة الأخيرة في ديوان الحكومة فوجـد خطابا من فلكن يقول
له فيه انه ذهب إلى فويرا وأوصاه أن يخطره بوقت وصوله إلى مرسولى وينتظر
فيها الرد لأنـه يأمل أن تأتيه أخبار من أميين بك . وكانت هذه المخطة قد
تحسنت تحسنا كبيرا عما كانت عليه في زيارته لها قبل هذه المرة الأخيرة وأقيم
فيها متراس حفر حوله خندق . وكان الضابط المعين لقيادتها فرج افندي اجوك

(١) — راجع الجزء الذى وضعه ولسن من كتاب «أوغندة والسودان المصرى» الفصل العاشر :

وهو جندى من جنود سير صمويل يذكر .

وورد بعد ذلك بقليل الى ولسن خطاب آخر من فـلكن يقول له فيه انه
بارح فويرا ميمما فاتيكو فقرر ان يسافر هو الآخر ورحل من مرولى في ١٦
 يوليه موليا وجهه شطر فويرا بطريق النيل فدخلها في ١٧ منه واستقبله فيها
 صديقه قدما احمد محمد افندى قائد هذه المحطة . وأقام فيها يومين ثم شخص منها
 الى فاتيكو بعد أن ودعه الضباط وداعا شيئا .

وقابل في اليوم التالي لسفره من فويرا ثلة من الجند آتية من فاتيكو
 فسامته خطابا من فـلكن يقول له فيه انه سافر الى لادو بناء عن طلب
 أمين باك .

وفي ٢٤ يوليه بلغ فاتيكو فوصفها بأنها نقطة عسكرية تشغل مكانا حصينا
 في وسط حقول مزروعة حنطة . واستقبله فيها القائد عبد الله افندى نمير
 وهو ضابط سودانى احسن استقبال وأكرم مشواه . وهنا زاد على
 ذلك بـأـن قال : انى في جميع رحلاتى في أرجاء السودان وهى رحلات يبلغ
 مدتها عدة الوف من الأميال قوبالت بغایة التودد واللطف من الموظفين المصريين
 من أكبرهم الى أصغرهم .

وأقام ولسن في فاتيكو زهاء ١٥ يوما على أتم ما يمكن من
 الغبطة والسرور وزايلها في ٨ أغسطس ووصل في ١٥ منه الى دوفيلـه وهي
 محطة عـسـكـرـيـة كبيرة ومنها عاود السير فـرـ بلاـبـوريـهـ وـمـوجـىـ وـكـريـ
 ومن هـذـهـ المـحـطـةـ الـاخـيـرـةـ أـبـحـرـ فيـ مـرـكـبـ وـنـزـلـ وـالـنـيـلـ فـرـ بيـيدـنـ

وفيها انتقل بسبب الشلالات الى مركب اخرى واستمر مقلعا في النهر
الى ان أفضى الى الرجاف ثم الى غندوكورو ولبث فيها ساعة وبعد
ذلك بلغ لادو وهى عاصمة مديرية خط الاستواء فى ١٩ أغسطس فاستقبله فيها
أمين باك و فل肯 الذى كان سبقه اليها .

٥ — ملحق سنة ١٨٧٩ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية في مدمرية خط الاستواء

القسم الأول

من ١٦ أكتوبر الى ٣١ ديسمبر

بارح جونكر الخرطوم في ٢٨ يوليه كما ذكرنا في الملحق الثاني لعام ١٨٧٨ م قاصداً القاهرة وأوربا عن طريق وادي حلفاً . وآقام في أوربا لغاية أكتوبر سنة ١٨٧٩ وسافر منها ثانية ووجهته مصر فالسودان ووصل إلى الإسكندرية في ١٦ من الشهر المذكور .

وبعد ذلك شخص إلى القاهرة حيث فرح بقاء صديقه « شوينفورث » Schweinfurth الذي كان قد بلغها قبله بأسبوع . ولما كان يريد أن يسافر في أقرب وقت ، كان عليه أن يقوم بأعمال كثيرة ليتمم معدات سفره وان يحصل قبل كل شيء على ترخيص من الحكومة المصرية .

وحصل بواسطة قنصله العام وهو قنصل الروس المسيو « م. فوف ليكس » M. Von Lex على إذن مقابلة الخديو توفيق وكان وقتئذ قد تولى عرش الخديوية بعد والده إسماعيل فقابلته في ٢ نوفمبر ووعده الخديو في غضون هذه مقابلة بأن تستصدر الأوامر اللازمة لحكومة السودان إلا أنه أوعز إليه بالتراث لآخر الشهر ربما يكون غوردون قد وصل إلى القاهرة . وكان غوردون

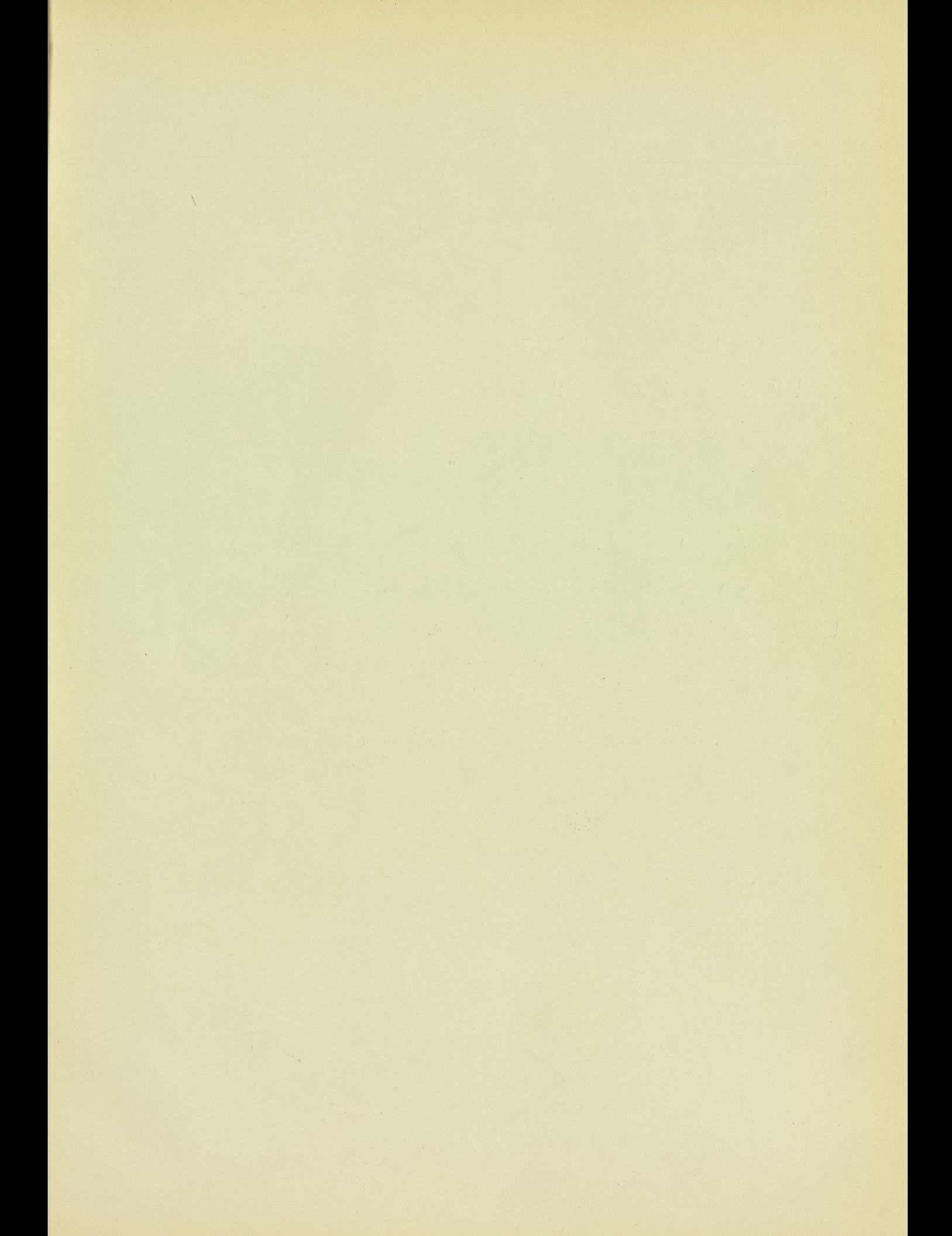
في ذلك الوقت في مأمورية بيلاد الاحباش . وبما ان هذا كان جل مراد جونكر ايضا فقد قبل هذا الاعياز باعتباط إذ أنه كان يتمنى مقابلة هذا الموظف قبل أن يرحل .

ولم يأت مع ذلك هذا الانتظار بثمرة لأن النجاشي « يوحنا » Johannès عاد فطلب ثانية غوردون باشا بعد ان وصل الى القلايات لتسوية بعض المسائل . ونظرًا لهذه الظروف قابل جونكر الخديو مرة أخرى في ٢٢ نوفمبر وعرفه رغبته في السفر فوافق الخديو على ذلك .

وبعد ان استوفى اجراته مع الحكومة سافر الى السويس ومنها انحر في ٥ ديسمبر الى سواكن فدخلها في ٨ منه . وشخص منها في ١٤ من الشهر المذكور وبلغ ببر في ٢٧ منه وأنحر من هذه في اليوم التالي لقدومه اليها قاصدا الخرطوم فوصل اليها في بداية العام الجديد .

وبقية هذه الرحلة مسطورة في الملحق الأول للسنة القادمة .





فهرس

صور الكتاب

١	قبل ص	اخـديـو اسماعـيـل
١١	»	الـسـيرـ صـمـوـيلـ يـيـكـرـ باـشاـ
١٩	»	حرـسـ سـيرـ صـمـوـيلـ يـيـكـرـ الـخـاصـ
٢١	»	قطـارـ منـ الـأـبـلـ يـنـقـلـ أـجـزـاءـ السـفـنـ
		الـبـخـارـيـةـ وـغـيـرـهـاـ فـيـ صـحـراءـ الـعـطـمـورـ بـيـنـ
		كرـوسـكـوـ وـأـبـيـ جـدـ
٢٥	»	الـجـملـةـ وـهـيـ تـغـادـرـ الـخـرـطـومـ
٢٧	»	سـحـبـ وـابـورـاتـ الـجـملـةـ فـيـ مـنـطـقـةـ السـدـودـ
٣٧	»	الـاحـتفـالـ فـيـ غـندـوـ كـورـوـ بـاعـلـانـ ضـمـ مدـيـرـيـةـ خطـ الـاسـتوـاءـ إـلـىـ أـمـلاـكـ الـحـكـوـمـةـ الـمـصـرـيـةـ

قبل ص ٤٧

هجمة ليلية من البارين على معسكر

الحملة بغندو~~ك~~ورو

٥١ »

هجوم جنود الحملة على قرية بلنيان

٧٧ »

مربع من الجنود المصرية والسودانية

أمام مظاهرة عدائية من الاونيونيين

٧٩ »

موقع مازندي في ٨ يونيو سنة ١٨٧٢ م

٨٥ »

واقعة الاونيونيين مع جنود الحملة

٩٧ »

حصن فاتيكو

١٠٣ »

محطة غندو~~ك~~ورو

١٠٣ »

البآخرة « الخديو »

١٠٥ »

البكباشى عبد القادر افندى قائد حرس

سير صمويل يي~~ك~~ر الخصوصى

١٠٧ »

روع باشا

١٠٩	قبل ص	غوردون باشا
١١٩	»	أوجست لينان دى بلقوت
١٥١	»	محطة لادو العسكرية
١٥٧	»	أمير الألای شالية له لونج باك
١٥٩	»	سعید بقاره وعبد الرحمن الفوراوی
١٦٣	»	محطة فويرا
١٦٧	»	قرص متيسا
١٧٥	»	واقعة مارولی
١٩٣	»	محطة كري العسكرية
٢١٥	»	واقعة الينبمارين
٢٢١	»	إرنست دى بلفون
٢٦٩	»	جيسى باشا
٣١٩	»	الدكتور جونسون
٣٣٣	»	أمير الألای برانت باك

قبل ص ٣٣٥

ابراهيم فوزى بك « باشا »

٣٥٣ »

ميسيون بك

٣٨٥ »

أمرين باشا

فهرس

موضعيات الجزء الأول

الصفحة	الموضوع
١	كلمة شكر واجبـة
٣	اهـداء الـكتاب
١٠ - ٥	المقدمة
١٠٥ - ١١	حكـمـدار يـتـسيـر صـهـويـل بـيـكـر باـشا من سـنة ١٨٦٩ إـلـى سـنة ١٨٧٣ مـ :
١٤ - ١١	تمـيـد
٢١ - ١٥	سـنة ١٨٦٩ مـ
٣٢ - ٢٢	» ١٨٧٠ مـ
٦٢ - ٣٣	» ١٨٧١ مـ
٩٢ - ٦٣	» ١٨٧٢ مـ
١٠٥ - ٩٨	» ١٨٧٣ مـ

الصفحة	الموضوع
١٠٦	أمير الألائى محل رعوف بك
٣٣٢ - ١٠٧	من سنة ١٨٧٣ إلى سنة ١٨٧٤ : حكمدارية غوردون باشا
١٧٩ - ١٠٧	من سنة ١٨٧٤ إلى سنة ١٨٧٦ م :
١٧٩ - ١٥٧	ملحق سنة ١٨٧٤ م : مأمورية القائم مقام شاليه لونج بك في أقاليم أوغندا
٢٤٤ - ١٨٠	سنة ١٨٧٥ م
٢٢٠ - ٢٠٣	١ - ملحق سنة ١٨٧٥ م : تحريردة مكراكا « نیام نیام »
٢٤٤ - ٢٢١	٢ - ملحق سنة ١٨٧٥ م : مأمورية إرنست دى بلفون في أوغندا
٣٣٢ - ٢٤٥	سنة ١٨٧٦ م
٣٠٨ - ٢٦٩	١ - ملحق سنة ١٨٧٦ م : رحلة جيسى « باشا » وارتياه لبحيرة البرت نيانزا

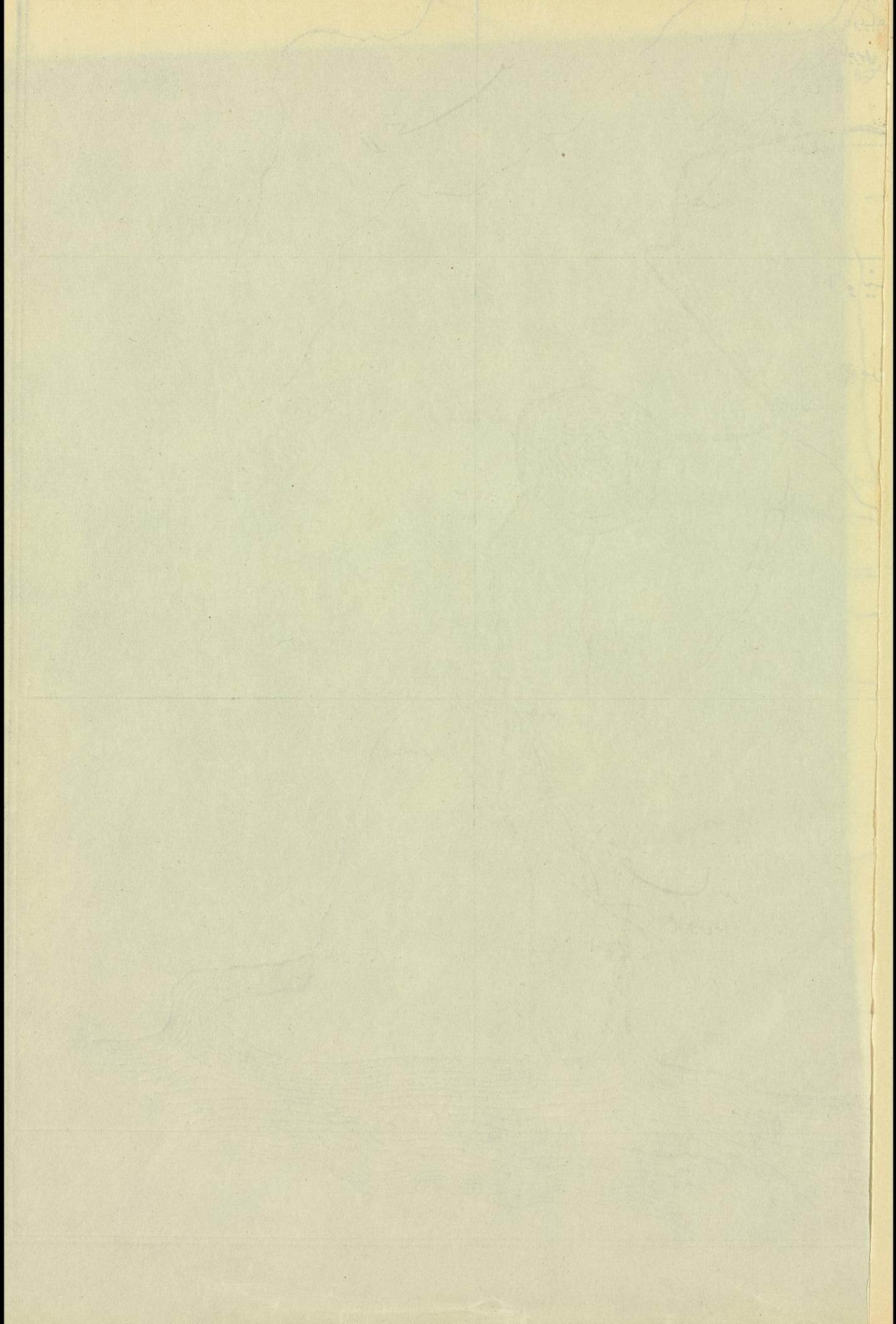
الصفحة	الموضوع
٣١٧ - ٣٠٩	٢ - ملحق سنة ١٨٧٦ م : مأمورية الطيب أمين افندي في أوغندا
٣٢٣ - ٣١٨	٣ - ملحق سنة ١٨٧٦ م : رحلة الطيب جونكر الى محطة ناصر
٣٣٢ - ٣٢٤	٤ - ملحق سنة ١٨٧٦ م - القسم الاول من رحلة الطيب جونكر الى مديرية خط الاستواء
٣٣٣	حكمة أمير الالاى براوت من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٧٧ م :
٣٨٣ - ٣٣٤	حكمة أمير ابراهيم فوزي بك من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٧٨ م :
٣٥١ - ٣٣٨	١ - ملحق سنة ١٨٧٧ م - القسم الثاني من رحلة الطيب جونكر في مديرية خط الاستواء
٣٧٢ - ٣٥٢	٢ - ملحق سنة ١٨٧٧ م - تقرير ميلسون بك في استكشاف بحيرة البرت نيازرا
٣٧٨ - ٣٧٣	٣ - ملحق سنة ١٨٧٧ م - مأمورية الطيب أمين افندي في الاواني ورو

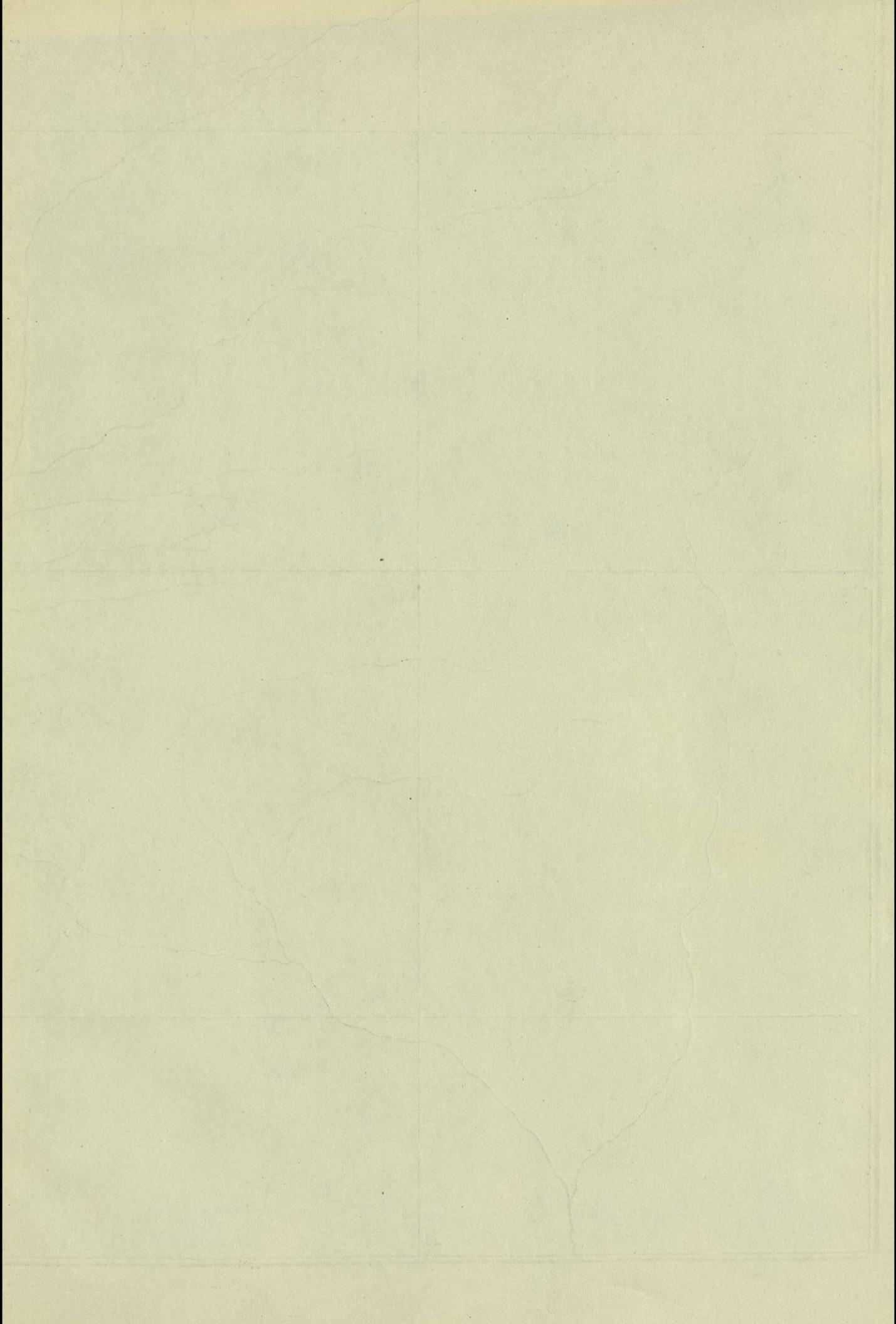
الصفحة	الموضوع
٣٨٣ - ٣٧٩	٤ - ملحق سنة ١٨٧٧ م - القسم الاول من مأمورية الطبيب أمين افendi في أوغندا
٣٨٤	حكمة أمين باشا (الطبيب أمين افendi) من سنة ١٨٧٨ الى سنة ١٨٧٩ م :-
٤٠٩ - ٣٨٤	سنة ١٨٧٨ م
٣٩٢ - ٣٨٩	١ - ملحق سنة ١٨٧٨ م - القسم الثاني من مأمورية الطبيب أمين افendi في أوغندا
٤٠٠ - ٣٩٣	٢ - ملحق سنة ١٨٧٨ م - القسم الثالث من رحلة الطبيب جونكر في مديرية خط الاستواء
٤٠٦ - ٤٠١	٣ - ملحق سنة ١٨٧٨ م - القسم الاول من رحلة المبشر فلڪن من لادو الى أوغندا
٤٠٩ - ٤٠٧	٤ - ملحق سنة ١٨٧٨ م - القسم الاول من رحلة المبشر ولسن من أوغندا الى كسونا
٤٣٩ - ٤١٠	سنة ١٨٧٩ م
٤١٥ - ٤١٤	١ - ملحق سنة ١٨٧٩ م - القسم الثاني من رحلة المبشر ولسن من أوغندا الى كسونا

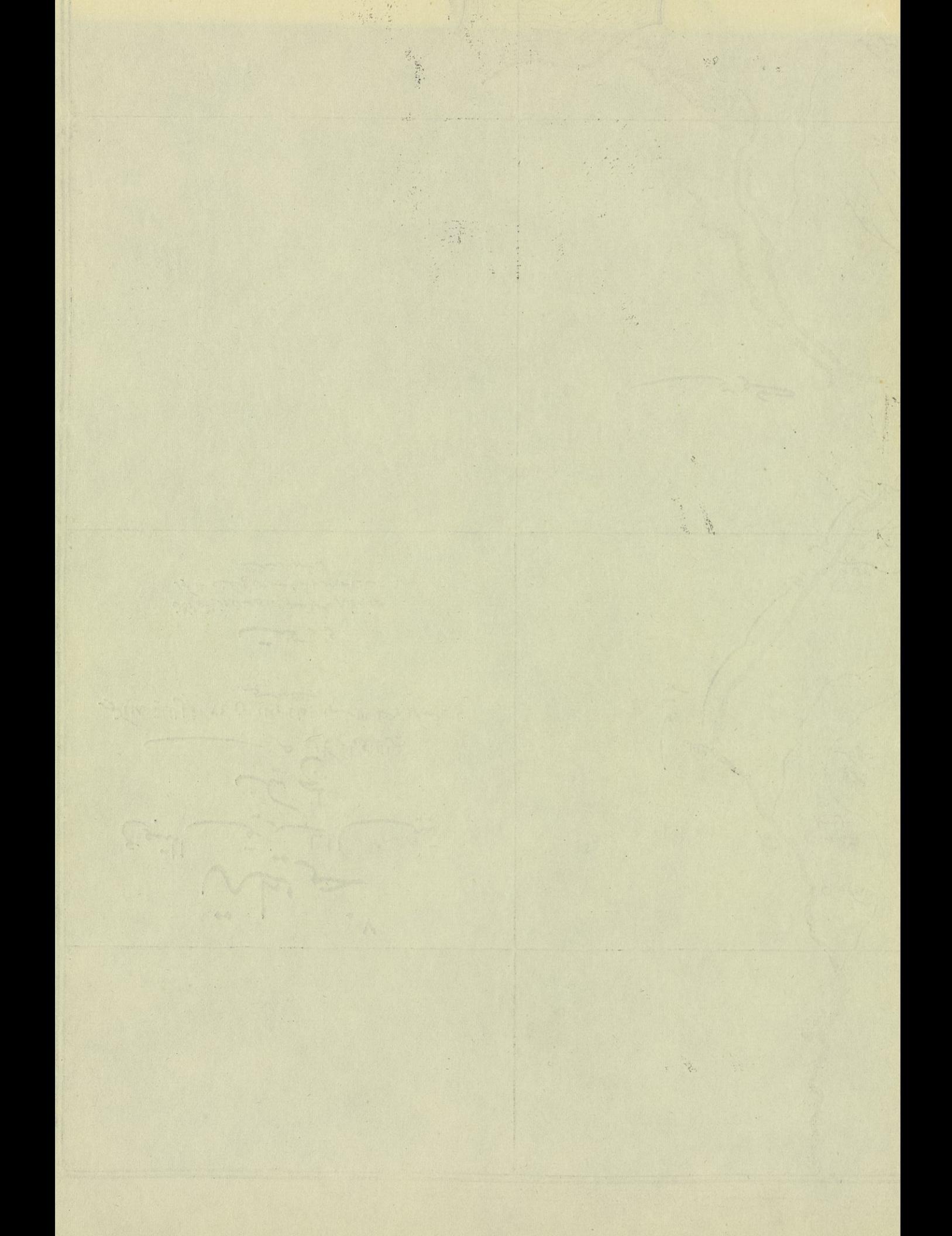
الصفحة	الموضوع
٤١٦ - ٤١٩	٢ - ملحق سنة ١٨٧٩ م - القسم الثاني من رحلة المبشر فلكن من لادو الى أوغندا
٤٢٠ - ٤٣٤	٣ - ملحق سنة ١٨٧٩ م - رحلة المبشر فلكن من أوغندا الى لادو
٤٣٥ - ٤٣٧	٤ - ملحق سنة ١٨٧٩ م - رحلة المبشر ولسن من أوغندا الى لادو
٤٣٨ - ٤٣٩	٥ - ملحق سنة ١٨٧٩ م - القسم الاول من رحلة الطبيب جونكر الثانية في مديرية خط الاستواء

استدرالك

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
أمانهم وحرصهم على بين كروسكو وأبى حمد ٢٩ مايو	أمانهم على بين فروسكو وأبى حمد ٢٩ يونيو	١٩ ١ ١٣	٩ ١٨ (الصورة) ٤٠
Kabba - Miro	Kabb - Miro	١	٧٢
كباريحا	كباريحا	١٤	٧٨
٨ يونيو سنة ١٨٧٢	٨ يونيو سنة ١٨٧١	٢	٧٨ (الصورة)
رؤسائهم	رؤسائهما	٦	٩٤
عبد الرحمن الفوراوي	عبد الرحمن الغوراوي	١	١٥٨
إعباء	أعباء	١٢	١٨٨
دوفيليه	دوفيلية	١٢	٢٠٠
عن	عند	٨	٢١٤
«وارجو»	«أرجو»	١٤	٢٣١
والآن انتيبي	والآن أوروندو جانى		٢٨٥ (هامش)
الملحق الثاني	الملحق الأول	١٤	٣٥١
وعندما	وعند (في بعض النسخ)	٢١	٣٦٠
أكثر امتدادا	أكثر امتداد	١٧	٣٦٨
	ضعف عزيمته	١	٣٨٥







٧- خريطة الطريق المتبوع

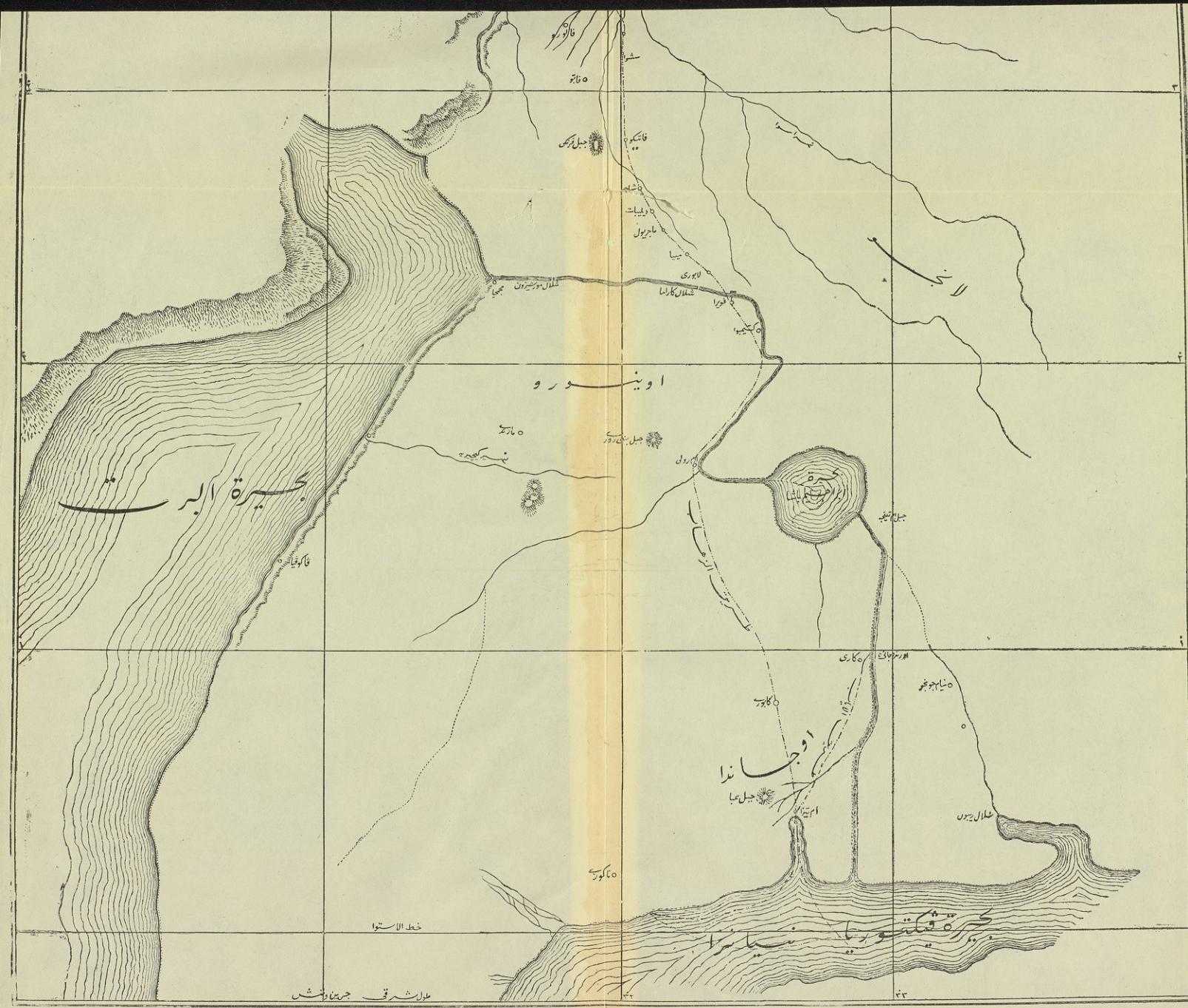
میرالای ارکان خر
ماہین خوکرو و خط الاستوا ذهاباً و الیا من ۲۴ اقیبل لغایۃ ۱۸۰۷

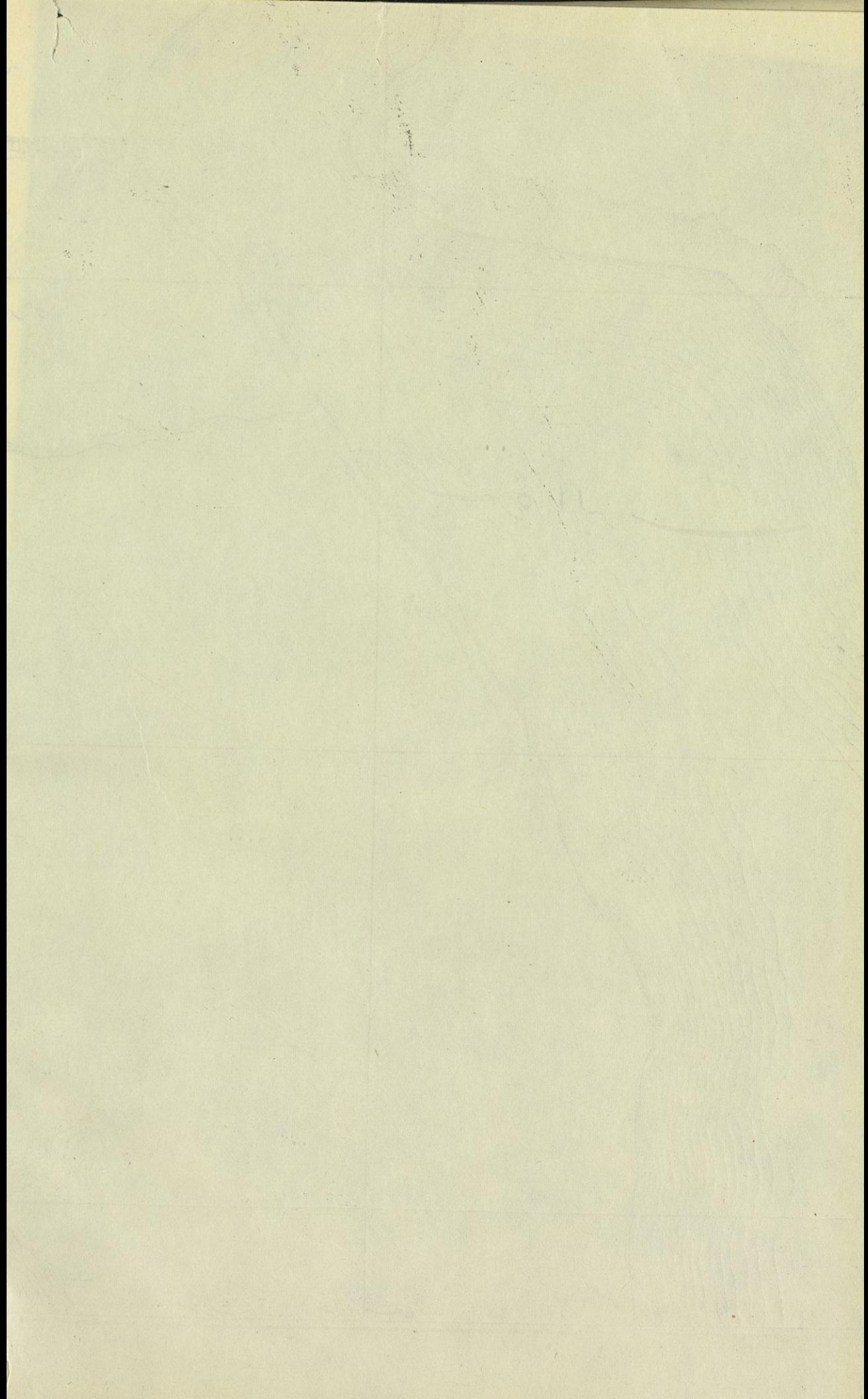
ما يجيء خسارة وخط الاستواء ذهاباً وإليها من ٢٤ أفريل لغاية ١٨ أكتوبر
ذلك يعني

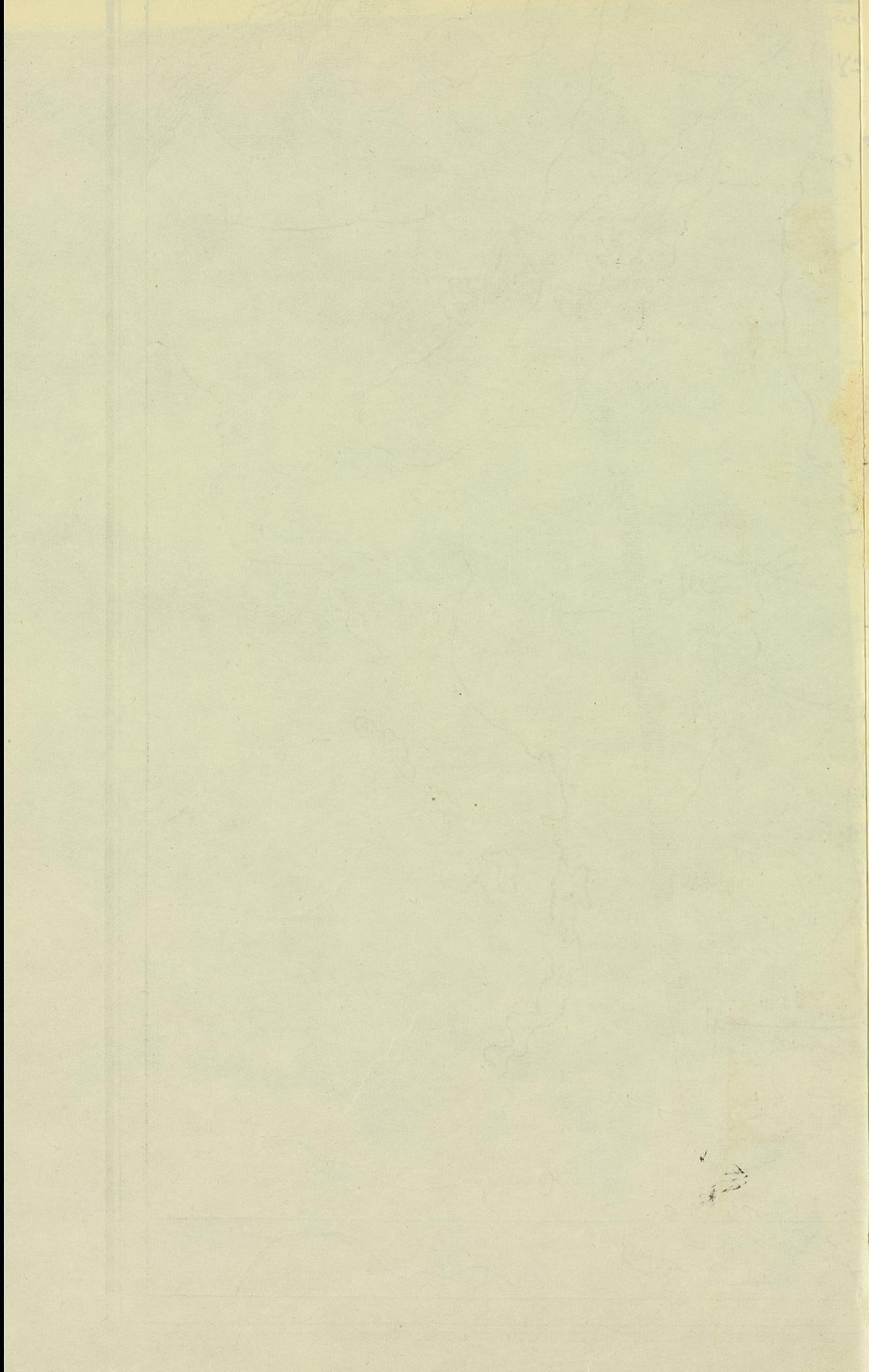
ورسمت

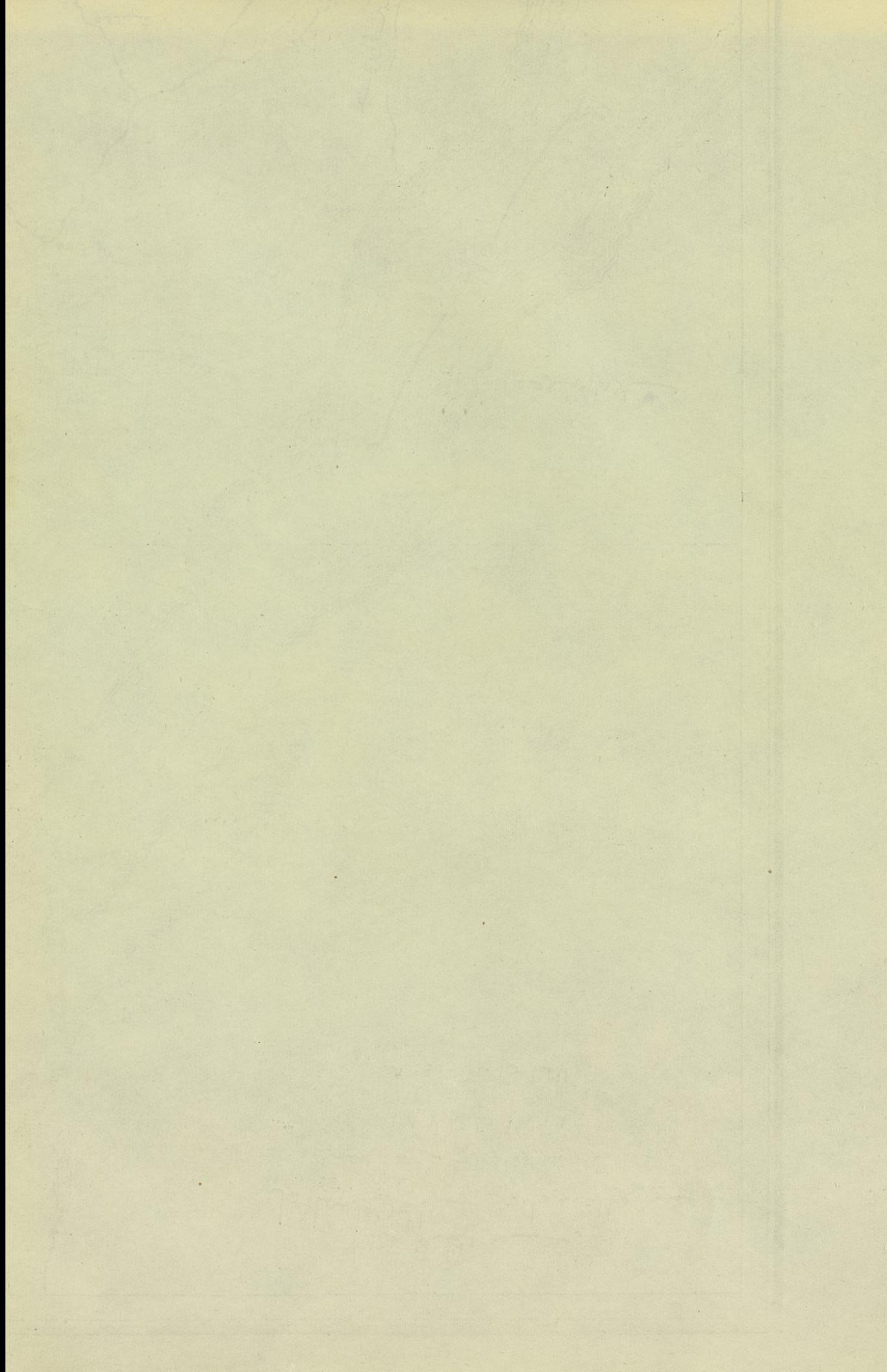
علم بارکان حرب سی و نص طی افندی صدقی بوزیاشی اکان
حرب ناخال، التعریفات المعتبره من ایج یکت المذکور
في شهر مارس ۱۹۷۰

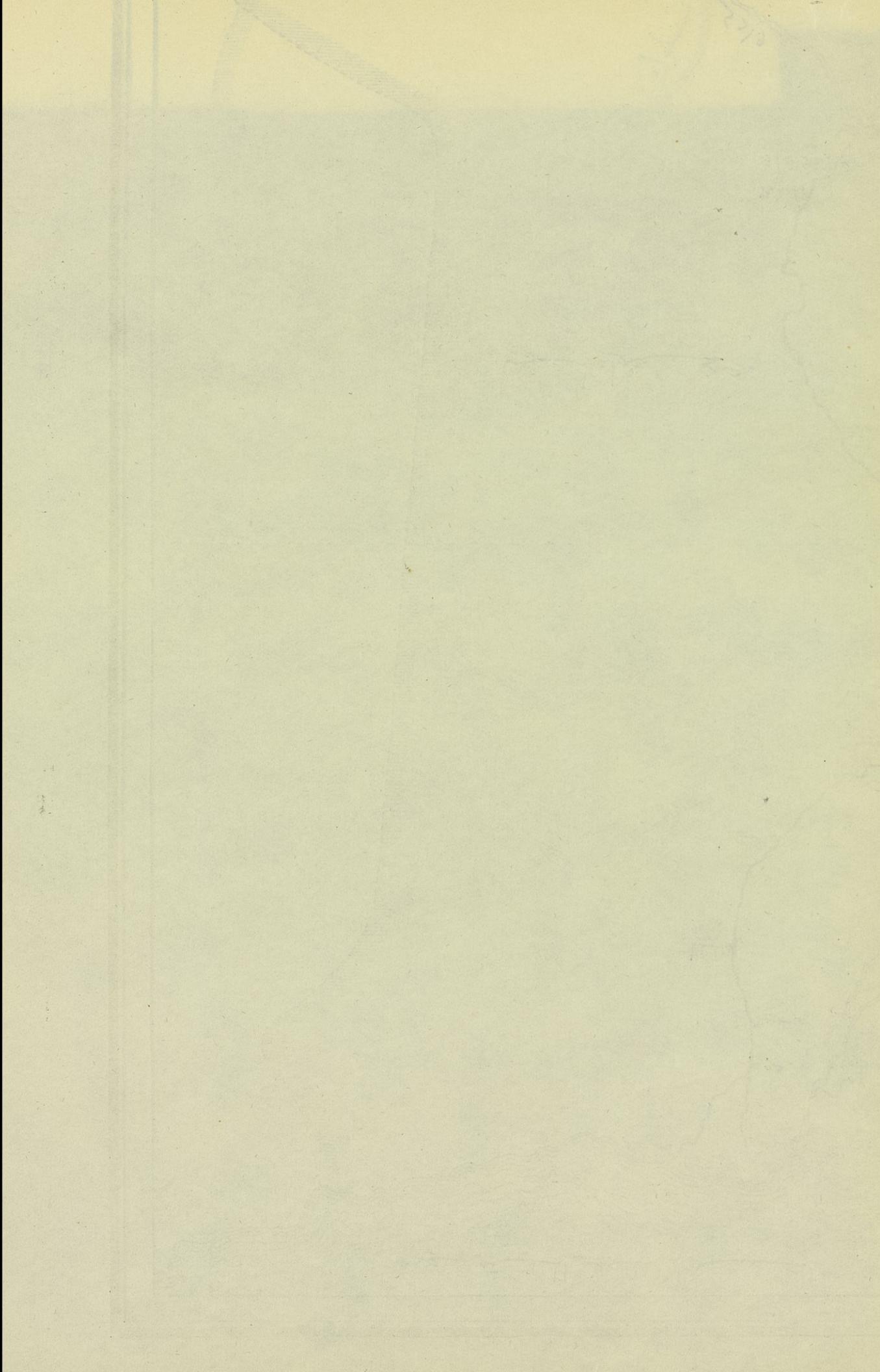




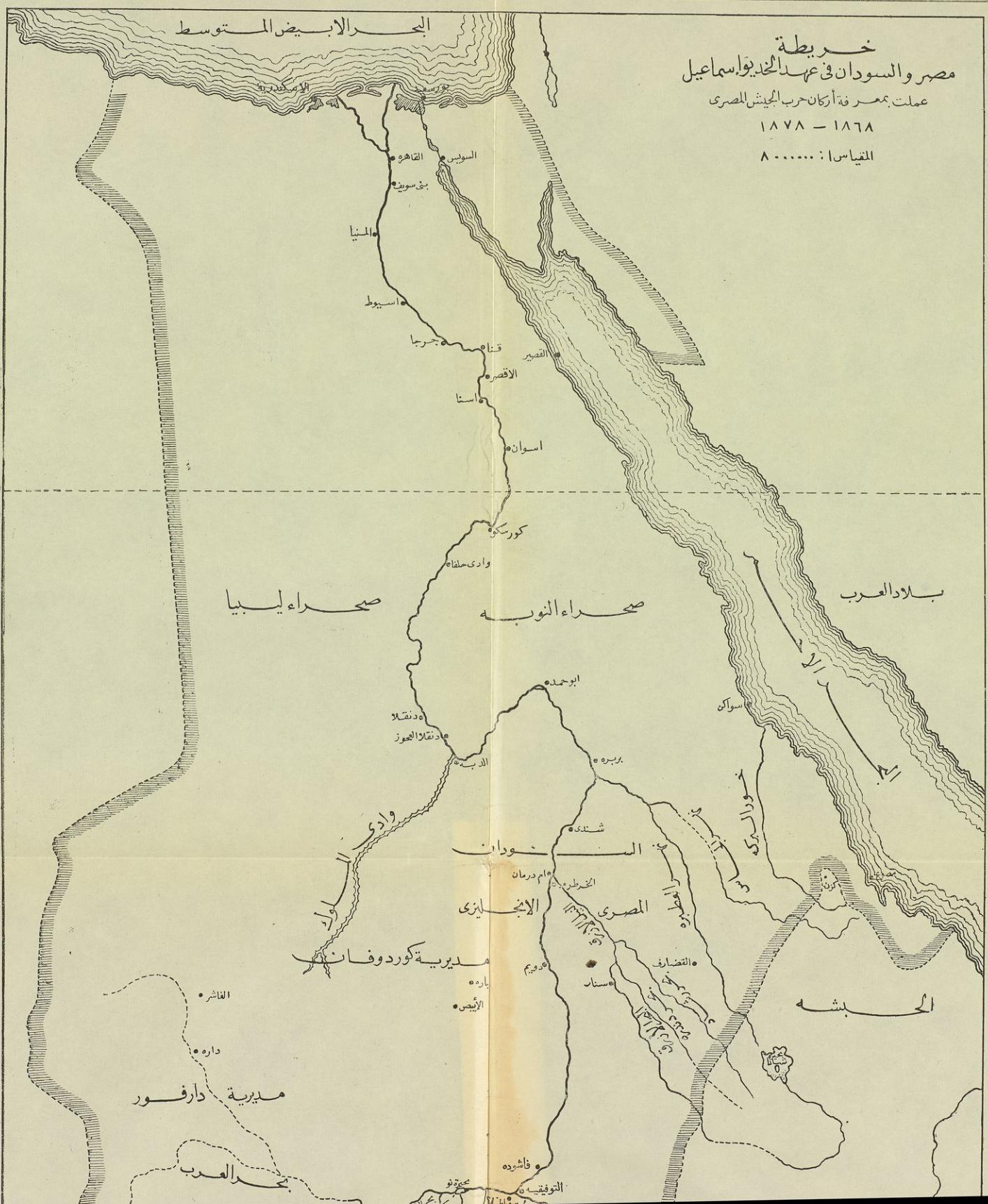




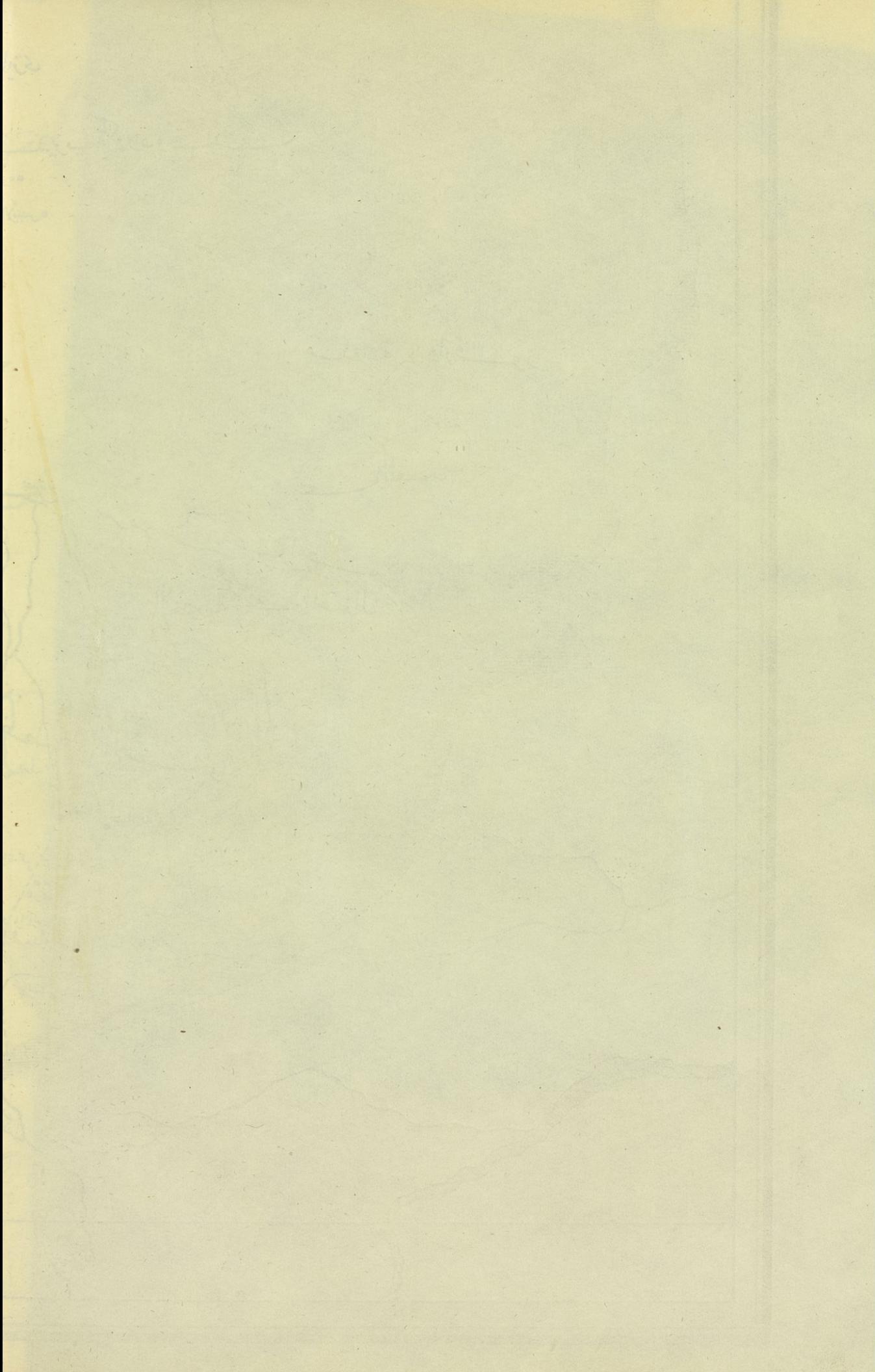


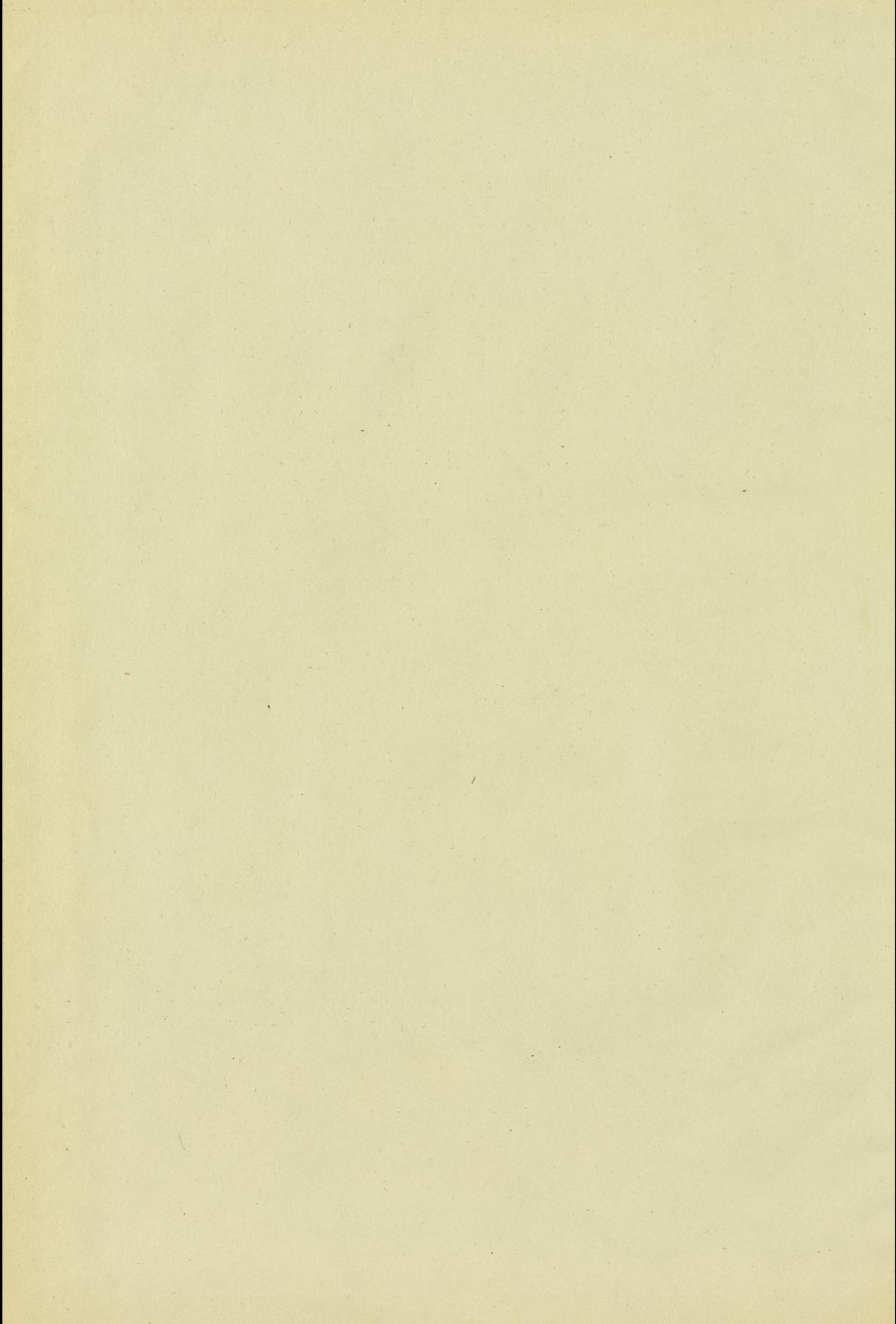


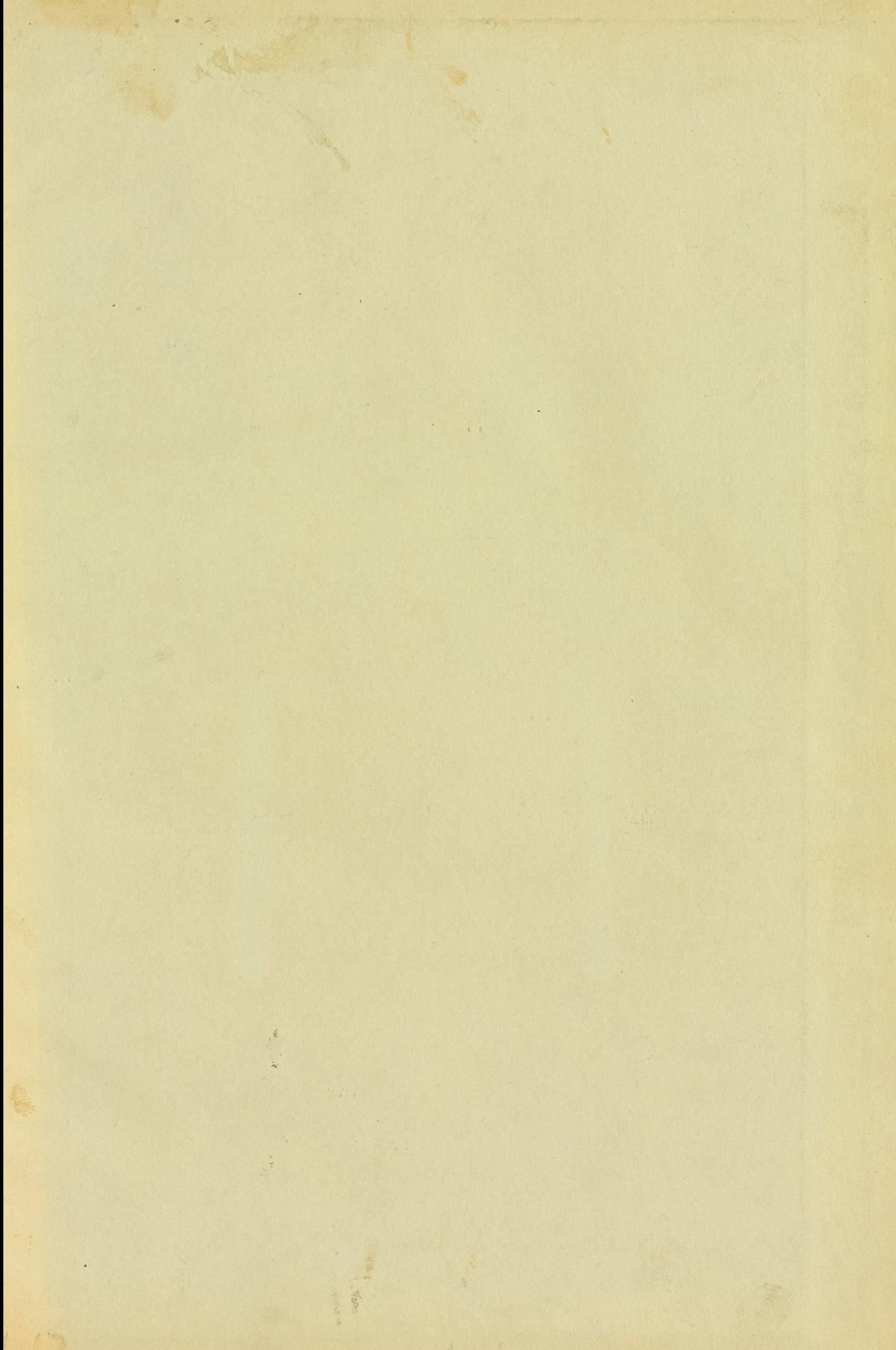
خریطة
مصر والسودان في عهد الخديو اسماعيل
عملت بمعونة أركان حرب الجيش المصري
١٨٧٨ - ١٨٦٨
المقياس: ٨٠٠٠٠











APR 29 1954



COLUMBIA UNIVERSITY



0026812339

962

T87

v. 1

APR 2 1950

